سلسلة
آفاق عالمية

المائة كتاب
100/20

رواية

# مغامرات هكلبيري فَن

مارك توين

ترجمة وتقديم:
نصر عبد الرحمن

fb/mashro3pdf

# مُغامرات هكلبِيري فِــن

fb/mashro3pdf

سلسلة
آفاق عالمية

تصدرها
الهيئة العامة لقصور الثقافة

رئيس مجلس الإدارة
محمد عبد الحافظ ناصف

رئيس الإدارة المركزية
للشئون الثقافية
محمد أبو المجد

مدير عام النشر
ابتهال العسلى

الإشراف الفنى
د. خالد سرور

• مغامرات هكلبيرى فن
• ترجمة وتقديم: نصر عبد الرحمن
الهيئة العامة لقصور الثقافة
القاهرة 2015م
• تصميم الغلاف:
أحمد اللباد
• المراجعة اللغوية: محمود أبو عيشة
• رقم الإيداع: ٩١١٥/ ٢٠١٥
• الترقيم الدولى: 978-977-92-0259-4
• المراسلات:
باسم / مدير التحرير
على العنوان التالى: 16 أ شارع أمين سامى - قصر العينى
القاهرة - رقم بريدى 11561
ت: 27947891 (داخلى: 180)

• الطباعة والتنفيذ:
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: 23904096

(136)

سلسلة تعنى بنشر الأعمال المترجمة إلى اللغة العربية فى الأدب والنقد والفكر من مختلف اللغات

• هيئة التحرير •

رئيس التحرير
رفعت سلام

مدير التحرير
لطفى السيد

سكرتير التحرير
منى هيبة

الآراء الواردة فى هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الهيئة بل تعبر عن رأى وتوجه المؤلف فى المقام الأول.

• حقوق النشر والطباعة محفوظة للهيئة العامة لقصور الثقافة.
• يحظر إعادة النشر أو النسخ أو الاقتباس بأية صورة إلا بإذن كتابى من الهيئة العامة لقصور الثقافة، أو بالإشارة إلى المصدر.

fb/mashro3pdf

مَارك توين

# مُغامرات هكلبيرى فِــن

ترجمة وتقديم: نصر عبد الرحمَن

وزارة الثقافة
الهيئة العامة لقصور الثقافة

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

# مقدمة المترجـم

## لماذا الترجمة الثانية؟

هذه هي الترجمة الثانية لرواية "**مغامرات هكلبيري فِن**"، حيث صدرت ترجمتها الأولى عام 1958، عن دار نهضة مصر، ضمن سلسلة "الألف كتاب"، وقام بترجمتها الأستاذ ماهر نسيم، وراجعها الأستاذ فريد عبد الرحمن. وهي ترجمة تستحق الإشادة، إلا أنها ليست ترجمة كاملة لنص الرواية؛ فقد أغفلت عددًا من فقرات الرواية، والكثير من الجُمل والعبارات المتناثرة.

وأظن أن هذا الأمر يرجع إلى سببين؛ **أولهما** هو اعتقاد المترجم بضرورة حجب هذه الفقرات عن القارئ، لأنها قد تُمثل- من وجهة نظره- انتهاكًا لقيم دينية أو أخلاقية؛ أما السبب **الآخر**، فيرجع إلى صعوبة بعض الكلمات أو التعبيرات العامية، المكتوبة بصيغ مُختصرة، وقام المترجم بتجاهلها أو الالتفاف عليها؛ وله كل العُذر في هذا، لأنها لم ترد في القواميس، وما كان لي



fb/mashro3pdf

أن أعرفها سوى عن طريق البحث على مواقع الانترنت، وبالطبع فهذه ميزة لم تتوفر للمترجم في الخمسينيات من القرن الماضي.

إلا أن ما سقط سهوًا، أو بدافع ديني أو أخلاقي، أو لصعوبة ترجمته، قد أثر- بكل تأكيد- على رؤية المؤلف، خاصةً في وصف الأماكن، وسمات الشخصيات، وحالة السخرية التي تُعتبر أهم سمات المؤلف. فمثلًا، حين تُغفل الترجمة الأولى مقطع "مُناجاة هملت"، الذي يؤديه أحد شخوص الرواية: "الدوق"، فهي تغفل أهم سمات هذه الشخصية، وهي الضحالة والادعاء، لأن "الدوق" لم يقدم نص المُناجاة بشكل صحيح، بل مزج فيه عبارات من عدة مسرحيات لويليام شكسبير. وبالطبع كشف رد فعل باقي الشخصيات عن جهلها التام، وخلق حِسًا فكاهيًا.

كما تُغير بعض العبارات التي يسقطها المترجم حقائق داخل الرواية، مثل إسقاط عبارة جاءت على لسان إحدى شخصيات الرواية، من الجملة التالية: "كنت واعظًا- وأُدخل الراحة في قلوب المصابين بالسرطان والشلل."، فالعبارة المحذوفة تشير إلى أن الرجل كان يعمل كطبيب/ مُشعوذ، يكشف أمراض السرطان والشلل بمجرد وضع يده على جسد المريض؛ أي أنه كان مُحتالًا، بعكس ما قد يستنتج القاري من الجملة السابقة.

كما اشتملت الترجمة الأولى على بعض الأخطاء العفوية التي تتسم بها الأفعال البشرية عامة، إلا أن بعض هذه الأخطاء يثير الارتباك، أو سوء الفهم؛ وأحد هذه الأخطاء هو استخدام المترجم كلمة "شَعر" بدلًا من كلمة "أرنب" سهوًا، في سياق وصف فتاة؛ فوصف فتاة ذات "شفة أرنبية"، على أنها فتاة لديها شَعر في شفتها، وهو وصف يثير اندهاش القارئ، أو يغير الصورة



fb/mashro3pdf

الذهنية التي قد يرسمها لملامح الفتاة.

كما تدخل المترجم مُتعمدًا بدافع أخلاقي- ربما- ليُغير بعض ما ورد في الرواية الأصلية. فمثلًا، أعاد المترجم صياغة موقف يقوم فيه الأطفال بتشكيل عصابة كي تسرق وتقتل، إلى موقف آخر معكوس، يقوم فيه الأطفال بتشكيل مجموعة من المُغامرين لمقاومة اللصوص. وهو ما استتبع حذف وإعادة صياغة الكثير من العبارات.

إلا أن هذا لا يقلل من قيمة الترجمة السابقة، فالجهد المبذول فيها يستحق الإشادة عن حق دون وسائل إتاحة المعرفة الحديثة. لكن ما أود الإشارة إليه هو أن جزءًا لا يُستهان به من رسالة المؤلف لم يصل إلى القارئ عبر الترجمة الأولى، ورأيت أن أقدم هذه الرسالة كاملة إلى القارئ باللغة العربية دون تدخل؛ مهما اختلفت مع تصوراتي المعرفية والأخلاقية.

كما أن هناك ضرورة أخرى لإعادة الترجمة، وهي اختفاء النُسخ الورقية من الترجمة الأولى تقريبًا، بعد مرور أكثر من نصف قرن على طباعتها. ومن الضروري أن يُتاح للقارئ العربي نسخة جديدة، من رواية يعتقد كثير من النقاد أنها أم الروايات الأمريكية.

## مـارك تويـن:

ولد صمويل لانغورن كليمنس؛ الاسم الحقيقي لمارك توين، في قرية تسمى "فلوريدا" بولاية "ميسوري"، في 30 نوفمبر 1835، وتوفي في 21 أبريل 1910. ومن أهم أعماله: **"الضفدع الوثاب"** 1865، و**"سُذج خارج البلاد"** 1869، و**"مغامرات توم سوير"** 1876، و**"الحياة في الميسيسبي"** 1883،



fb/mashro3pdf

و"مغامرات هكلبيري فِن" 1884.

عندما بلغ "مارك توين" الرابعة من عمره، انتقلت أسرته إلى "هانيبال"، المدينة التي أثرت على حياته وتكوينه الذهني وعالمه الإبداعي. فهذه المدينة التي تقع على نهر "الميسيسبي"، كانت ممرًا للمهاجرين من الشرق الأمريكي إلى ولايات الغرب، وكانت نموذجًا للبوتقة الأمريكية. كما كان عمله على متن قوارب نهر "الميسيسبي" امتدادًا لتجربة طفولته في تلك المدينة، فقد شكلا معًا، ما يُعرف بالروح الأمريكية أو الشخصية الأمريكية لدى "مارك توين"، ومنحاه تجربة عريضة وخصبة، امتزجت مع عمله بعد ذلك في مطبعة في تشكيل رؤيته الخاصة للفن والثقافة، والحياة.

حاول "مارك توين" أن يكتب أدبًا أمريكيًا خالصًا، وأن يُقاطع التأثير الأوربي القوي على الكُتاب الأمريكيين في ذلك الحين. أراد أن يُنتج أدبًا يُعبر فيه عن من التقى بهم وعاش معهم من الزنوج والفلاحين والمهاجرين والمسافرين على متن القوارب. لقد حاول أن يكتب سيرة ذاتية لنهر "الميسيسبي"، فأنتج نصوصًا تتسم بالحيوية والتمرد، وتكشف كم البؤس والرثاثة التي تخيم على هذا العالم، بعيدًا عن تقاليد الأدب الأوربي التي اتسمت- من وجهة نظره- بالتكلف والبلادة، وكانت مادة خصبة لسخريته وتهكمه في مقالاته وأعماله الأدبية. لذلك نعته الكثير من الكتاب والنقاد بالأب الشرعي للأدب الأمريكي.

ويرى بعض النقاد أنه على الرغم من سخريته من أدب القارة الأوربية، إلا أنه تأثر بالأدب الأوروبي خاصة بقصص الرحالة المغامرين، وهناك بالفعل تشابه في بعض الملامح بين كتابات "مارك توين" وبين هذه الأعمال



fb/mashro3pdf

الأوربية، خاصة رواية "رحلات جليفر"، على مستوى البنية والخطاب الإنساني. إلا أن هذا لا يقلل من حقيقة أن أعماله، هي في الأساس، انعكاس قوي لخبراته الحياتية والتجارب التي مر بها، أكثر منها انعكاسًا ثقافيًا.

اتسم "مارك توين" بالسخرية اللاذعة، لدرجة أن اعتبره بعض النقاد مجرد كاتب ساخر. إلا أن السخرية هي أحد مفردات العالم الذي يقدمه "مارك توين". فالسخرية هي الوجه الآخر للألم، خاصة حين تكون تجربة الألم والشقاء جمعية، تمر بها جماعة شعبية مقهورة، والسخرية التي يقدمها "مارك توين" هي أحد سمات الزنوج والفلاحين في تلك الحقبة، حيث واجهوا ظروفًا اجتماعية وإنسانية غاية في القسوة والمرارة. وغالبًا ما يؤدي أسلوب "مارك توين" الساخر إلى تأرجح القارئ على الحد الفاصل بين الضحك والبكاء. حيث أن لديه قدرة كبيرة على توليد الضحك والبكاء، معًا، من نفس الموقف.

وكان أكثر ما سخر منه "مارك توين" هو القارة الأوربية، بأنماطها الإنسانية والسياسية والأدبية، والتي اتسمت بالمغالاة والتكلف، من وجهة نظره، والادعاء الكاذب بالتحضر والتمدين. ولعله بهذا كان يعلن القطيعة مع الماضي، ويؤشر إلى واقع جديد في الولايات المتحدة، يتسم بالحيوية والخصوبة والثراء؛ واقع خلقته موجات الهجرة المتتابعة، بكل ما تحمل من تنوع إنساني؛ بالإضافة إلى الحضور القوي للزنوج، وثقافتهم الموروثة، التي حملوها معهم من أفريقيا، والتي اصطدمت برؤية الأسياد من أصل أوروبي، وأنتجت مزيجًا لغويًا وثقافيًا ومعرفيًا، شكَّل تلك الروح الأمريكية التي احتفى بها "مارك توين".



fb/mashro3pdf

**رواية "مُغامرات هكلبيري فِن":**

هي أشهر رواياته، وأعظم الروايات الأمريكية على الإطلاق، في تقدير الكثير من المبدعين والنقاد والمهتمين بالأدب عمومًا. قال عنها "إرنست هيمنجواي": "**إن كل الأدب الأمريكي ينبع من رواية "هكلبيري فِن"، وهي أفضل رواية أنتجها الأدب الأمريكي حتى الآن**". وبالفعل، تحفل الرواية بالعديد من المشاهد والأفكار التي تواتر ظهورها في الأدب الأمريكي والعالمي بعد ذلك، وسيجد القارئ كم هي مألوفة لديه، بسبب تكرارها في الكثير من الأعمال الأدبية، فيما بعد.

يستعرض "مارك توين" الحياة الأمريكية بشكل مفصل، خاصة في ولايات الجنوب، حيث تحتشد الرواية بالمشاهد البصرية لأنماط المعمار في القرى والمدن، والوصف الدقيق للمنازل من الداخل والخارج، ليمتد الوصف إلى البواخر والقوارب التي تبحر عبر نهر "الميسيسبي"، والغابات القائمة على ضفتيه، والجزر التي يحيطها. كما يستعرض الكثير من الأنماط البشرية التي كانت سائدة في قرى الجنوب، من وجهاء ومعدَمين، ومُتسكعين وفلاحين وزنوج وأفاقين ومخمورين، وبُلهاء، ومتهورين؛ بوصف لملابسهم وطريقتهم في الكلام والتسلية؛ بالإضافة إلى رصد حي ومتدفق لمفردات الحياة اليومية، والمعتقدات الدينية والخرافية، والعادات والتقاليد. لذا، تعتبر الرواية أنثروبولوجيا دقيقة وثرية للواقع المادي والثقافي والمعرفي السائد في منتصف القرن التاسع عشر، في تلك البقعة من العالم. لهذا استحقت لقب "**أم الروايات الأمريكية**"؛ فهي أول رواية أمريكية لا تتبع تقاليد وأنماط الرواية الأوربية، حيث تستحضر الواقع الأمريكي الصرف، وأبطالها هم



fb/mashro3pdf

أبناء ذلك الواقع، ويتحركون على أرضه.

وقد هاجم بعض النقاد "مارك توين" ووصفوه بالفحش والابتذال، بسبب اللغة التي يستخدمها في أعماله الأدبية. فلقد استخدم "مارك توين" ما يمكن تسميته "اللغة الأمريكية"، لغة الناس، العامية الدارجة، بلهجاتها المختلفة- التي لا تُظهر الترجمة للأسف الفوارق بينها- بكل حيويتها، وكسرها للمألوف من قواعد بنائية ودلالية للغة الانجليزية. ويمكن القول إن حوارات الرواية قد شهدت معركة لغوية بين لغة الشوارع والحقول ولغة الزنوج، بكل ابتذالها ورثاثتها وصدقها وقدرتها على التعبير، وبين اللغة الرصينة المُقولبة الجامدة والفارغة من الحياة.

تتمحور الرواية حول الطفل "هاك"، الراوي، وصديقه الزنجي العجوز الهارب من العبودية "چيم"؛ أما باقي الشخصيات فحضورها مؤقت، دون أن يعني هذا أنها شخصيات ثانوية، بالمعنى التقليدي. والسبب في هذا أن الرواية تتكون من وحدات سردية متتابعة، لا يربط بينها سوى رحلة "هاك"؛ بصحبة "چيم"، فيتتابع ظهور واختفاء الشخصيات. إلا أن "مارك توين" رسم الملامح الجسمانية والنفسية، بل واللغوية لأغلب الشخصيات بدقة وإتقان، كما أن الإطار الدرامي الذي تتحرك فيه يُكسب حضورها المؤقت ثقلًا وكثافة، ويجعلها لا تسقط من الذاكرة.

ويطرح "مارك توين" في هذه الرواية، فكرة غاية في الإنسانية والعمق؛ وهي الصراع بين الحق في التملك والحق في الحياة. فالزنجي الهارب عبارة عن سلعة يمتلكها شخص آخر، والزنجي الهارب في ذات الوقت روح تتوق للحياة. وتناقش الرواية فكرة السعي إلى التحرر من العبودية على المستوى



fb/mashro3pdf

الفكري والثقافي ويمثله "هاك"؛ الذي يحاول أن يقاوم المفهوم الراسخ للعبودية على اعتبارها "تابو" اجتماعي لا يجوز الاقتراب منه، بنفس قدر السعي للتحرر على المستوى الجسدي والواقعي والذي يمثله "چيم" الزنجي الهارب والذي يتحدى شروط حياة قاسية، ويُطالب بالحق في حياة جديدة، تتحقق فيها أبسط شروط الحياة الإنسانية. وهي فكرة إنسانية من الطراز الأول، ولم يتجاوزها الزمن بعد؛ فما زالت شروط العبودية قائمة، وما زال السعي البشري للانعتاق والتحرر قائمًا، وإن تغيرت أشكالهما.

**نصر عبد الرحمن**

15 يوليو 2014

fb/mashro3pdf

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%86%D9%87%D8%B1_%D9%85%D8%B3%D9%8A%D8%B3%D9%8A%D8%A8%D9%8A

# مَـارك تِويـــن

---

# مُغامرات هكلبِيري فِن

هذا العمل ترجمة كاملة ودقيقة لرواية:

Mark Twain,
**ADVENTURES**
**OF HUCKLEBERRY FINN,**
1884.



fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

# إشعـــار

**مَن يُحاولون البحث عن دافع في هذه الرواية، ستتم مُقاضاتهم؛ ومَن يُحاولون البحث عن درس أخلاقي، سيتم نفيهم؛ ومَن يُحاولون البحث عن حبكة سوف يُطلق الرصاص عليهم.**

**بأمر من المؤلف،**

**من خلال كبير الخدم، جورج جريفين*.**

# توضيح

تم استخدام عدة لهجات في هذا الكتاب، وهي تحديدًا: لهجة زنوج الـ"ميسوري"؛ والصيغة الأكثر تطرفًا للهجة مناطق الغابات الجنوبية الغربية؛ ولهجة مُقاطعة "بايك" العادية؛ وأربع لكنات مُعدلة من اللهجة الأخيرة. ولم أستخدم هذه التنويعات بطريقة عشوائية، أو عن طريق التخمين؛ بل من خلال التدقيق، والإرشاد والدعم الصادق من أشخاص يعرفون الأشكال المُختلفة لهذه اللهجات.

إنني أكتب هذا التوضيح لأن قراءً كثيرين سيفترضون- بدونه- أن كل هذه الشخصيات إنما تحاول تقليد تلك اللهجات، دون أن يحالفها النجاح في ذلك.

**المؤلف**

fb/mashro3pdf

* خادم كان يعمل لدى "مارك توين"، هذا الهامش، والهوامش التالية من إعداد المترجم.

fb/mashro3pdf

المشهد: وادي المسيسيبي؛

الزمن: منذ أربعين أو خمسين عامًا.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

# الفصـل الأوَّل

لن تعرف شيئًا عني إلا إذا كنت قد قرأت كتابًا بعنوان "**مغامرات توم سوير**"*. ولكن هذا ليس ضروريًّا. لقد ألف السيد "مارك توين" ذلك الكتاب، والتزم فيه بالحقيقة، عمومًا. صحيحٌ أنه بالغ في بعض الأشياء، لكنه التزم عمومًا بالحقيقة. وهو أمر لا يُذكر. فأنا لم أعرف أحدًا لم يكذب مرةً أو مرتين، عدا الخالة "بولي"، أو الأرملة، أو ربما "ماري". وكل ما يخص الخالة "بولي"– خالة "توم"– و"ماري"، والأرملة "دوجلاس"، ورد ذكره في ذلك الكتاب، الذي يتسم بالصدق في مجمله، مع بعض المُبالغات، كما ذكرت من قبل.

لقد انتهى الكتاب بهذه الطريقة: وجدتُ أنا و"توم" النقود التي أخفاها اللصوص في الكهف، وأصبحنا أثرياء. حصل كل منا على ستة آلاف دولار– من الذهب. كان مشهد النقود مروعًا وهي مُكدسة أمامنا. ثم، أخذها القاضي

* رواية لمارك توين، سابقة مباشرة على الرواية الحالية، وبطل الرواية الحالية هو صديق بطل الرواية السابقة "توم سوير".



fb/mashro3pdf

تاتشر واستثمرها لتُدر بعض الربح، وعادت على كلٍّ منا بدولا ر واحد في اليوم على مدار العام- وهو أكثر من قدرة صبي على الإنفاق. واعتبرتني الأرملة "دوجلاس" ابنها، وقررت أن تهذبني؛ لكني وجدت صعوبة في البقاء طوال الوقت بالمنزل، نظرًا للحزم والصرامة الكئيبة في جميع أساليب الأرملة؛ وهكذا فعندما لم أعد أحتمل المزيد، لُذتُ بالفرار. ارتديت خِرقي القديمة، وعُدت إلى النوم في البراميل، وأحسست بالحرية والرضا. لكن "توم سوير" عثر عليَّ، وأخبرني بأنه سيبدأ في تشكيل عصابة من اللصوص، وأنني يمكن لي أن أنضم إليها إن عُدت إلى الأرملة، وأصبحتُ شخصًا مُحترمًا. وهكذا عدتُ إليها.

صرخت الأرملة في وجهي، ونعتتني بالحَمَل الضال التعس، وغيرها من الصفات، أيضًا، لكنها لم تكن تقصد بها الإساءة إليّ. ألبستني ملابس جديدة مرةً أخرى، ولم يكن بمقدوري سوى التعرق والتعرق، والإحساس بأني مقيد تمامًا. ومن ثم- إذن- عادت الأمور إلى ما كانت عليه. كانت الأرملة تدق الجرس لتناول العشاء، فيكون على المرء أن يذهب في الحال. وحين يجلس إلى المائدة، لا يمكنه أن يبدأ مباشرةً في الأكل، فعليه أن ينتظر إلى أن تحني الأرملة رأسها، وتتمتم قليلًا فوق الطعام، بالرغم من أنه لم يكن هناك ما يدعو لذلك،- فالطعام بلا مذاق، لأن كل صنف مطهو على حدة. كان الأمر مختلفًا في أي برميل قمامة؛ فالأطعمة مُختلطة، وعصائرها تحيط بها، فيكون مذاقها أفضل.

بعد العشاء، كانت تحضر كتابها المُقدس، وتعلمني أشياء عن النبي "موسي" ونبات البردي، فيما أكون مشغولًا بالعَرق عن قصته؛ وبمرور



fb/mashro3pdf

الوقت اعترفت لي بأن موسى قد مات منذ زمن بعيد للغاية؛ لذلك فلم أعد أهتم به على الإطلاق، فأنا لا أهتم بالموتى.

بعد وقت قصير، أردت التدخين، وطلبت من الأرملة أن تسمح لي بذلك، لكنها رفضت. قالت لي إنها عادة مرذولة وقذرة، وينبغي أن أحاول عدم القيام بها مرةً أخرى. هذه هي طريقة بعض الناس. فهم يحطون من قدر ما يجهلون. فهي تشغل بالها- كما ترى- بـ"موسى"، الذي لا يمت لها بصلة قرابة، ولا يمثل فائدة لأحد، لأنه ميت، ومع ذلك فلديها القدرة- كما ترى- على تخطئتي لقيامي بشيء ينطوي على بعض الفائدة. وهي تستخدم السعوط، أيضًا؛ وهو بالطبع أمر لا بأس به، طالما كانت هي من يستخدمه.

انتقلت شقيقتها الآنسة "واتسون" لتعيش معها، وهي عانس عجوز نحيلة وسمحاء، ترتدي نظارة طبية، وبدأت تعلمني الآن من كتاب تهجئة الحروف. ضغطت عليَّ إلى حدٍّ ما لمدة ساعة، ثم طلبت منها الأرملة أن تخفف الضغط. لم أكن أستطيع الاحتمال أكثر من ذلك. ثم مرت ساعة أخرى من الملل القاتل، وشعرت بالتوتر. وكانت الآنسة "واتسون" تقول: "لا ترفع قدميك هكذا، ياهكلبيري"؛ و"لا تتقوقع على نفسك بهذه الطريقة، يا هكلبيري- اعتدل في جلستك"؛ وبعد لحظات تقول: "لا تتثاءب وتتمطَّ بهذه الطريقة، هكلبيري- لِمَ لا تحاول أن تتصرف بأدب؟". ثم أخبرتني بكل شيء عن الجحيم، فقلت لها إنني أود لو ذهبتُ إليه. جُن جنونها آنئذٍ، لكنني لم أقصد الإساءة. فكل ما أردته هو الذهاب إلى مكانٍ ما؛ كل ما أردته هو التغيير، وليس أي مكان محدد. قالت إنه لشيء شرير أن أقول ما قلت؛ وإنها لن تقول مثل هذا الكلام أبدًا؛ فقد كرست حياتها من أجل الذهاب إلى الفردوس.



fb/mashro3pdf

حسنًا، لم يمكنني أن أرى ميزة في الذهاب إلى حيث كانت تريد أن تذهب، لهذا قررت ألا أسعى إلى الذهاب إليه. لكنني لم أقل ذلك أبدًا، لأن كلامي سيؤدي إلى المتاعب، ولن يأتي بأية فائدة.

أصبح لديها الآن مُنطلق، وراحت تخبرني بكل شيء عن الفردوس. قالت لي إن المرء لن يفعل هناك شيئًا سوى التجوال طوال اليوم، وهو يحمل آلة الهارب ويغني، دائمًا وإلى الأبد. لذلك لم أهتم كثيرًا بذلك. لكني لم أقل ذلك أبدًا. سألتها إن كانت تعتقد أن "توم سوير" سيذهب إلى هناك، فقالت إنه لن يذهب إلى هناك على العموم. شعرت بالسعادة لذلك، لأنني كنت أريد أن نكون معًا.

واصلت الآنسة "واتسون" انتقادي، فشعرت بالسأم والوحدة. شيئًا فشيئًا تم استدعاء الزنوج لإقامة الصلاة، بعدها ذهب الجميع للنوم. صعدت إلى غرفتي حاملًا شمعة، ووضعتها على المنضدة. ثم جلست على كرسي قرب النافذة، وحاولت التفكير في شيء مُبهج، لكن بلا جدوى. كنت أشعر بالوحدة الشديدة إلى حد أن تمنيت الموت. كانت النجوم تلتمع، وأوراق الأشجار في الغابة تصدر حفيفًا حزينًا للغاية؛ وسمعت صوت بومة، بعيدًا، وهي تنعب على شخص مات، ثم صرخة طائر السَّبَد. وكلب يعوي على شخص يحتضر؛ وكانت الرياح تحاول أن تهمس لي بشيء، لم أتبين ما هو، مما جعل الرجفات الباردة تسري في كياني. آنئذٍ سمعت- من بعيد، من قلب الغابة- ذلك النوع من الأصوات الذي يصدره شبحٌ حين يريد أن يقول شيئًا يجول بخاطره، ولا يستطيع التعبير عنه، وبالتالي لا يشعر بالراحة في قبره، فيكون عليه أن يهيم كل ليلة بهذه الطريقة وهو ينوح. انقبض قلبي وانتابني



fb/mashro3pdf

الرعب، وتمنيت وجود أحد إلى جواري. بعد لحظات، راحت عنكبوت تزحف على كتفي، فنفضتها عني لتسقط فوق لهب الشمعة؛ وقبل أن أتمكن من إزاحتها، كانت قد احترقت بالكامل. لم أكن أحتاج إلى مَن يخبرني أن ذلك نذير شؤم، وأنه سيجلب النحس، لذلك ارتعبت، وكدت أخلع ملابسي. نهضت ودُرت حول نفسي ثلاث مرات، وأنا أرشم علامة الصليب على صدري في كل مرة؛ بعد ذلك ربطت خصلة صغيرة من شعري بخيط لأبعد الشر عني. لكني لم أكن واثقًا. فالمرء يفعل ذلك إذا ما فقد حدوة حصان عثر عليها من قبل، بدلًا من أن يسمرها فوق الباب، لكني لم أسمع أبدًا مَن يقول إن هذه الطريقة قد تبعد النحس عند قتل عنكبوت.

جلست مرةً ثانية، وكل جسمي ينتفض، ثم أخرجت الغليون لأدخن؛ فالمنزل كان الآن في سكون الموت، ولن تعرف الأرملة بذلك. وبعد وقت طويل سمعت صوت دقات ساعة المدينة، يأتي من بعيد بُوم- بُوم- بُوم- اثنتى عشرة دقة؛ ثم ساد السكون من جديد- سكونٌ أعمق من ذي قبل. وبعد برهة سمعت صوت سقوط غصن صغير في الظلام بين الأشجار- كان هناك شيءٌ يتحرك. تسمرت مكاني وأرهفت سمعي. استطعتُ مباشرةً أن أسمع بوضوح "مي- ياو! مي- ياو!" هناك في الأسفل. كان ذلك مُبهجًا! وأجبت بصوت خفيض قدر استطاعتي "مي- ياو! مي- ياو!"، ثم أطفأت الشمعة وتسللت من النافذة إلى سطح الحظيرة. ثم انزلقتُ إلى الأرض وزحفت بين الأشجار، وأنا واثق تمامًا بأن "توم سوير" كان في انتظاري.

fb/mashro3pdf

# الفصـل الثَّـاني

سرنا على أطراف أصابعنا في ممر بين الأشجار، إلي الوراء، متجهـين نحـو نهاية حديقة مـنزل الأرملـة، ونحـن نخفـض رأسـينا لنتحـاشي الاحـتكاك بالأغصان. وعندما كنا نمر أمام المطبخ، تعثرتُ في جذر شجرة وتـسببتُ في ضوضاء. تمددنا على الأرض في ثبات تـام. فقـد كان "چـيم"، خـادم الآنـسة "واتسون" الزنجي يجلس أمام باب المطبخ؛ كنا نراه بوضوح تـام، لأن الـضوء كان يأتي من خلفه. نهض واشرأب بعنقه، وهو يرهف سمعه، لمدة دقيقة. ثـم صاح:

- "مَن هناك؟"

أرهف سمعه مدة أطول؛ ثم تقدم على أطراف أصابعه حتى وقـف بيننـا؛ كان باستطاعتنا لمسه، تقريبًا. والأرجح أن دقائق ودقائق مـرت مـن دون أي صوت، ونحن الثلاثة متلاصقون للغايـة معًـا. كان هنـاك موضـع في كاحـلي يدفعني إلى الهرش، لكنني لم أهرشه، ثم شعرت بحكة أخرى في أذني؛ ثم تالية في ظهري، بين كتفيَّ تمامًا. أحسست أنني سأموت إن لم أهرش. حسنًا! لقـد



fb/mashro3pdf

لاحظت أن هذه الحكة أصابتني مرات عديدة من قبل. فإذا ما كنتَ بصحبة علية القوم، أو في جنازة، أو تحاول النوم قسرًا- إذا ما كنت في أي مكان حيث يكون الهرش بلا جدوى، فلماذا تهرش في كافة أنحاء جسمك.

بعد برهة قال "چيم":

"قُل، من أنت؟ أين أنت؟ أقسم أنني سمعت صوتًا. حسنًا، أعرف ما يجب عليَّ فعله: سوف أجلس هنا وأنصت إلى أن أسمعك مرةً أخرى".

لهذا جلس على الأرض بيني وبين "توم". اتكأ بظهره على جذع شجرة، وفرد ساقيه حتى كادت إحداهما تلمس ساقي. لكنني بدأت أشعر بحكة في أنفي. استمرت الحكة إلى أن اغرورقت عيني بالدموع. لكني لم أهرش، لكن الحكة امتدت إلى الداخل. ثم كان علي أن أحك أسفل الأنف. ولم أعرف كيف سأظل ساكنًا بلا حراك هكذا. استمر هذا الوضع المزري لمدة ست أو سبع دقائق؛ لكن المدة بدت أطول من ذلك بكثير. كنت أعاني من الحكة في أحد عشر موضعًا مختلفًا الآن. وتصورت أنني لن أستطيع احتمال ذلك دقيقة واحدة أخرى، لكني أطبقت أسناني بقوة وحاولت السيطرة على نفسي. وفي تلك اللحظة بدأ "چيم" يتنفس بصوت مرتفع؛ بعدها ظهر صوت غطيطه- وآنئذٍ سرعان ما شعرت بالراحة التامة مرةً أخرى.

أصدر "توم" إشارة لي- صوت خفيض بفمه- فبدأنا الزحف على أيدينا ورُكبنا بعيدًا. وبعد أن ابتعدنا عشرة أقدام عن "چيم"، همس لي "توم" برغبته في ربط "چيم" إلى الشجرة لمجرد اللهو. لكني رفضت؛ فقد يستيقظ ويُحدث فوضى، ومن ثم يكتشفون أنني هربت. ثم قال "توم" إنه لا يملك ما يكفي من الشموع، وعليه أن يتسلل إلى المطبخ ليحضر المزيد منها. لم



fb/mashro3pdf

أرغب في أن يقوم بتلك المحاولة. وحذرته من أن "چيم" قد يستيقظ ويعود إلى المطبخ. لكن "توم" كان يود المجازفة؛ لذلك تسللنا إلى هناك وأحضرنا ثلاث شمعات، ووضع "توم" قطعة نقود فئة الخمسة سنتات على الطاولة ثمنًا لها. ثم خرجنا، وتنفست الصعداء لذلك؛ لكن "توم" أصر على الزحف على ركبتيه ويديه نحو "چيم" ليفعل أي شيء معه من قبيل المزاح. انتظرت، وبدا وقتًا طويلًا، فيما كان كل شيء هادئًا وموحشًا.

وبمجرد أن عاد "توم"، قطعنا الممر، ودُرنا حول سياج الحديقة، إلى أن وصلنا إلى قمة التل المنحدرة على الجانب الآخر من المنزل. أخبرني "توم" أنه نزع قبعة "چيم" من فوق رأسه، وعلقها على فرع شجرة فوق رأسه مباشرة، وأن "چيم" تململ قليلًا، لكنه لم يستيقظ. بعد ذلك قال "چيم" إن الساحرات سحرنه، وجعلنه يغفو ثم امتطينه وطفن به في أنحاء الولاية، ثم أعدنه إلى مكانه تحت الشجرة مرةً أخرى، وعلقن قبعته على فرع الشجرة دليلًا على فعلتهن. وفي المرة الثانية التي حكى فيها "چيم" القصة، قال إنهن امتطينه حتى "نيوأورليانز"؛ وبعد ذلك كان في كل مرةً يحكيها يقوم بتوسيعها أكثر فأكثر، إلى أن وصل الأمر إلى أن قال إنهن امتطينه حول العالم، وأرهقنه إلى حد أن كان على شفا الموت، وأُصيب ظهره كله بتقرحات السرج كالخيول.

كان "چيم" مزهوًّا بصورة رهيبة بذلك، لدرجة أنه بدأ يتعالى على غيره من الزنوج. وكان الزنوج يقطعون أميالًا ليستمعوا إلى حكايته، وارتفعت مكانته بينهم في تلك البلدة. ويقف زنوج غرباء مفغوري الأفواه وينظرون إليه من أعلى لأسفل، كما لو كان أعجوبة. ويتحدث الزنوج دائمًا عن الساحرات في الظلام قرب نار المطبخ؛ وحين كان يتحدث أيٌّ منهم فيبوح بأنه يعرف كل



fb/mashro3pdf

شيء عن مثل هذه الأشياء، كان "چيم" يتدخل قائلًا: "مما وماذا تعرف أنت عن الساحرات؟"، فيُفحَم ذلك الزنجي ويكون عليه أن يجلس في الوراء. ودائمًا ما احتفظ "چيم" بالخمسة سنتات مربوطةً بخيط حول رقبته، وقال إنها تعويذة منحها له الشيطان بيده، وأخبره أنه يستطيع أن يشفي بها أي شخص، ويستحضر الساحرات في التو كلما أراد؛ بأن يتمتم لها ببعض الكلمات؛ لكنه لم يخبر أحدًا أبدًا بتلك الكلمات. كان الزنوج يأتون من كل مكان ويهبون "چيم" أي شيء، فقط لكي يُشاهدوا تلك القطعة ذات الخمسة سنتات؛ لكنهم لم يحاولوا لمسها، لأن الشيطان سبق أن وضع يده عليها. وفسد "چيم" بوصفه خادمًا، لأنه كان مأخوذًا بوصف رؤيته للشيطان، وامتطاء الساحرات له.

حسنًا، بعد أن وصلت أنا و"توم" إلى حافة قمة التل، نظرنا إلى القرية في الأسفل من بعيد، واستطعنا رؤية ثلاثة أو أربعة أضواء تومض، ربما حيث كان ثمة أناس مرضى؛ وكانت النجوم فوقنا تتلألأ بجمال غير مسبوق؛ وفي الأسفل بمحاذاة القرية كان النهر، بعرض ميل كامل، وسكون وعظمة مهولة. نزلنا من فوق التل لنجد "جو هاربر" و"بن روجرز"، وولدين أو ثلاثة آخرين، مختبئين في فناء المدبغة القديمة. وبالتالي قمنا بفك حبل قارب صغير وأبحرنا عبر النهر لمسافة ميلين ونصف الميل، إلى أن وصلنا إلى النتوء الكبير في جانب التل، وهبطنا إلى الشاطئ.

اتجهنا نحو دغل كثيف، وجعل "توم" الجميع يقسمون على كتمان السر، ثم أطلعهم على فجوة في التل، تقع في أكثر مناطق الدغل كثافة. آنئذٍ أضأنا الشموع، وزحفنا فيها على أيدينا ورُكبنا. قطعنا مسافة مائتي ياردة، وبعدها



fb/mashro3pdf

وجدنا فتحة كهف. راح "توم" يتحسس طريقه عبر ممرات الكهف، وسرعان ما انحنى ليدخل من فتحة أسفل أحد الحوائط، ما كان لأحد أن يلاحظ وجودها. سرنا في ممر ضيق أفضى إلى ما يشبه الحجرة. كان المكان رطبًا وباردًا ودبقًا، فتوقفنا هناك. قال "توم":

"الآن، سنبدأ تشكيل عصابة اللصوص، وسنطلق عليها اسم "عصابة توم سوير". فعلى كل من يريد الانضمام أن يقسم ويكتب اسمه بالدم".

كانت لدينا جميعًا الرغبة في الانضمام. لذلك أخرج "توم" ورقة كان قد كتب فيها القسم، وقرأه علينا. كان القسم يلزم كل صبي بالتمسك بالعصابة، وألا يفشي أيًا من أسرارها؛ وإذا ما أساء شخصٌ ما إلى أحد أفراد العصابة، فإن مَن يتلقى أمرًا بقتل ذلك الشخص وعائلته فعليه تنفيذ الأمر، وعليه ألا يأكل أو ينام حتى يقتلهم ويترك على صدورهم جرحًا على شكل صليب، يمثل رمزًا للعصابة، ولا يستطيع أي شخص من خارج العصابة استخدام هذا الرمز، ومن يفعل يتم تحذيره، وإن كرر فعلته فينبغي قتله. وإذا ما أفشى أحدٌ من العصابة أسرارها، فيجب أن يُذبح وتُحرق جثته، ويُنثر رمادها، ويُمحى اسمه من القائمة بالدم، ولا يشار إليه أبدًا داخل العصابة، بل يجب لعنه ونسيانه إلى الأبد.

أكد الجميع أن صيغة القسم رائعة، وسألنا "توم" ما إذا كان هو مَن صاغها. قال إنه صاغ بعضها، لكن الباقي مُقتبس من كتب القراصنة وكتب اللصوص، وإن كل العصابات ذات المكانة لديها قسَم مشابه.

اقترح أحدهم قتل عائلة مَن يفشي أسرار العصابة. قال "توم" إنها فكرة جيدة، وأضافها بالقلم الرصاص. ثم قال "بن روجرز":



fb/mashro3pdf

"ولكن "هاك فِن"، ليست لديه عائلة؛ فماذا ستفعل بشأنه؟"

سأله "توم سوير": "أو ليس له أب؟"

- "نعم، لديه أب، ولكننا لا يمكننا العثور عليه هذه الأيام. فهو معتاد على أن يستلقي مخمورًا مع الخنازير في فناء المدبغة، لكنه لم يظهر في هذه الأنحاء منذ عام أو يزيد".

ناقشوا الأمر، حتى كادوا يقومون باستبعادي، لأنهم قالوا إن كل صبي ينبغي أن تكون لديه عائلة أو شخص يمكن قتله، وإلا فلن تتحقق المساواة والعدالة بين الجميع. حسنًا، لم يتمكن أحد من إيجاد مخرج- خيم الصمت والسكون على الجميع. كنت على وشك البكاء، لكن فجأةً واتتني فكرة مَخرج، وهكذا عرضتُ عليهم إمكانية قتل الآنسة "واتسون". قالوا جميعًا: "حسنًا، إنها تفي بالغرض. كل شيء على ما يرام. يمكن أن ينضم "هاك" إلينا".

ثم راحوا جميعًا يغرسون دبوسًا في أصابعهم لكي يسيل الدم، ويتمكنوا من التوقيع به، أما أنا فبصمتُ على الورقة.

بعدها قال "بن روجرز": "والآن، في أي مجال ستعمل العصابة؟"

أجاب "توم": "لا مجال سوى السطو والقتل".

- "ولكن ماذا سنسرق؟ - بيوت، أم ماشية، أم- ؟"

قال "توم سوير": "هراء! فسرقة الماشية وأشياء من هذا القبيل ليست سطوًا، إنها مجرد سرقة، ونحن لسنا لصوصًا. كما أن هذه الأفعال لا تليق بنا. نحن قطاع طرق. سوف نعترض طريق القوافل والعربات، ونحن نضع الأقنعة، ونقتل الناس ونأخذ نقودهم وساعاتهم".



fb/mashro3pdf

- "وهل لا بد أن نقتل الناس؟"

- "أوه، بالتأكيد. فذلك أفضل. بعض العصابات تفكر بطريقة مختلفة، لكن قتلهم غالبًا ما يعتبر أفضل شيء- عدا بعضهم ممن سنأتي بهم هنا إلى الكهف، إلى أن يتم دفع فديتهم".

- "دفع فديتهم؟ ما هذا؟"

- "لا أعرف. ولكن هذا ما يحدث. قرأت عنه في الكتب؛ وهذا بالطبع ما يجب علينا القيام به".

- "ولكن كيف يمكننا أن نفعل شيئًا لا نعرفه؟"

- "اللعنة، علينا أن نفعل ذلك، ألم أخبركم أنه موجود في الكتب؟ أتريدون أن نفعل أشياء لم ترد في الكتب، وينتهي بنا الأمر إلى مأزق؟"

- "أوه، هذا رأي لطيف للغاية، يا "توم سوير"، ولكن كيف سيتم فداء هؤلاء الناس إذا كنا لا نعرف الطريقة؟- هذا ما أحاول فهمه. والآن، كيف سنتصرف في الأمر؟"

- "حسنًا، لا أعرف. ولكن ربما إذا ما احتفظنا بهم إلى أن يتم دفع الفدية، فذلك ما يعني أن نحتفظ بهم إلى أن يموتوا".

- "أجل، هذا ما يروق لي. إنه التفسير الصحيح. لماذا لم تقل هذا من قبل؟ فسوف نحتفظ بهم إلى أن يتم افتداؤهم بالموت؛ لكنهم سوف يتسببون لنا أيضًا في الكثير من الإزعاج- وهم يأكلون كل شيء، ويحاولون الفرار دائمًا".

- "ماذا تقول يا "بن روجرز"؟ كيف يمكن أن يهربوا وهناك من يحرسهم، ومستعد لإطلاق النار عليهم إذا ما قاموا بأدنى حركة؟"



fb/mashro3pdf

- "حارس! حسنًا، هذا أمر لطيف. إذن فسيسهر أحدنا طوال الليل، ولا يحصل على أي قسط من النوم، فقط لكي يراقبهم. أظن أن ذلك حماقة. لماذا لا يلتقط أحدنا هراوة ويفتديهم فور وصولهم إلى هنا؟"

- "لأن هذه الفكرة لم ترد في الكتب- هذا هو السبب. والآن، يا "بن روجرز"، هل تود فعل الأشياء بالطريقة الصحيحة، أم لا؟- هذه هي الفكرة الأساسية. ألا تعتقد أن مَن ألفوا الكتب يعرفون ما هو الشيء الصحيح الذي ينبغي فعله؟ هل تظن أنك قادر على إضافة أي شيء جديد؟ لن تضيف شيئًا له قيمة. كلا، يا سيدي، فسوف نفتديهم بالطريقة الصحيحة".

- "حسنًا. ليس لديَّ مانع؛ ولكني أقول إنها طريقة خرقاء، على أية حال. ولكن، هل سنقتل النساء، أيضًا؟"

- "حسنًا، يا "بن روجرز"، حتى إن كنت في مثل جهلك، فلم أكن لأسمح بذلك. نقتل النساء؟ كلا؛ فلم يرد مثل هذا الكلام في الكتب أبدًا. فأنت تحضرهن إلى الكهف، وتعاملهن دائمًا بلطف؛ وبمرور الوقت يقعن في غرامك، ولا يحاولن العودة أبدًا إلى بيوتهن".

- "حسنًا، إذا ما كانت هذه هي الطريقة فأنا موافق، لكني لا أثق بجدواها. فبعد وقت قصير، سوف يكتظ الكهف بالنساء، وبالرجال الذين ينتظرون الفدية، ولن نجد مكانًا لأفراد العصابة. ولكن فلنبدأ- فلم يعد لديَّ ما أقول".

كان الصغير "تومي بارنز" نائمًا الآن، وعندما أيقظوه كان خائفًا، وبكى، وقال إنه يريد العودة إلى منزله، إلى أمه، وإنه لم يعد يرغب في أن يكون عضوًا في العصابة.



fb/mashro3pdf

لذلك سخروا منه، وأطلقوا عليه اسم "الطفل الباكي"، فأثار ذلك جنونه، وقال إنه سيعود إلى الطريق القويم ويُفشي كل أسرارنا. لكن "توم" أعطاه خمسة سنتات ليهدأ، وقال إننا جميعًا سنعود إلى منازلنا ونلتقي الأسبوع القادم، ونسطو على شخص ما، ونقتل بعض الناس.

قال "بن روجرز" إنه لا يستطيع الخروج من المنزل كثيرًا، عدا أيام الأحد، لذلك اقترح أن نبدأ الأحد المقبل؛ لكن كل الأولاد قالوا إنه من الخبث القيام بذلك يوم الأحد، فحسم كلامهم الأمر. اتفقوا جميعًا على الالتقاء معًا مرةً أخرى، وتحديد يوم مناسب في أقرب فرصة ممكنة، ثم قمنا بانتخاب "توم سوير" رئيسًا للعصابة، و"جو هاربر" مساعدًا له، ثم انصرفنا إلى منازلنا.

تسلقت الحظيرة، وزحفت حتى وصلت إلى نافذة حجرتي قبل أن يبزغ ضوء النهار. كانت ثيابي الجديدة قد اتسخت تمامًا وتلطخت بالشحوم والأوحال، كما كنت متعبًا أشد التعب.

fb/mashro3pdf

# الفصل الثَّالث

حسنًا، نلتُ في الصباح توبيخًا كثيرًا من الآنسة العجوز "واتسون" بسبب اتساخ ملابسي؛ لكن الأرملة لم توبخني، واكتفت بإزالة الشحم والوحل، وشعرت بالندم لدرجة أنني فكرت في أن أتصرف بأدب لبرهة إذا ما استطعت. ثم اصطحبتني الآنسة "واتسون" إلى الصومعة وصلَّت، لكن لم ينجم عن ذلك شيء. طلبت مني أن أصلي يوميًا، وسأحصل على كل ما أريد. لكن هذا لا يحدث. فقد جربته. فقد حدث ذات مرةً أن وجدت خيط صنارة، بلا شص. ولم تكن له أدنى فائدة بلا شص. وصليت ثلاث مرات من أجل الشص، ولكني لم أتمكن لسببٍ ما من النجاح في الحصول عليه. ومرت الأيام، وذات يوم، طلبت من الآنسة "واتسون" أن تحاول الصلاة من أجلي، لكنها قالت إنني أحمق. لم تخبرني أبدًا بالسبب، ولم أتمكن من معرفة السبب أبدًا.

وجلست ذات مرةً في الغابة، وفكرت في هذا الأمر طويلًا. قلت لنفسي،





fb/mashro3pdf

إذا كان المرء يستطيع الحصول على أي شيء عن طريق الصلاة، فلماذا لم يتمكن "ديكون وِن" من استعادة نقوده التي خسرها في تجارة الخنازير؟ ولماذا لم تتمكن الأرملة من استعادة علبة النشوق الفضية المسروقة؟ ولماذا لم تتمكن الآنسة "واتسون" من السِّمنة؟ لا، قلت لنفسي، فلا جدوى من ورائها. ذهبتُ إلى الأرملة وأخبرتها بذلك، فقالت إن الصلاة تمنح المرء "هبات روحية". كان ذلك كثيرًا عليّ، لكنها شرحت الأمر لي- ينبغي عليَّ أن أساعد الناس، وأفعل ما أستطيع من أجلهم، وأهتم بهم طوال الوقت، وألا أفكر في نفسي أبدًا. وكان ذلك يشمل الآنسة "واتسون"، كما فهمت.

ذهبت إلى الغابة وفكرت في الموضوع طويلًا، لكني لم أجد فيه ميزة واحدة- سوى للآخرين؛ لذلك قررت ألا أهتم بهذا الأمر بعد ذلك، وأغض الطرف عنه. وأحيانًا كانت الأرملة تنتحي بي جانبًا، وتحدثني عن الله بطريقة بالغة التشويق، لكن الآنسة "واتسون" كانت تحدثني عنه- ربما في اليوم التالي مباشرةً- فتمحو أثر كلام الأرملة مرةً أخرى. واستنتجت أن هناك إلهين، فيمكن للشخص المسكين ألا يشبع من الحديث عن إله الأرملة، لكنه لن يحتمل الحديث عن إله الآنسة "واتسون". فكرت في الموضوع من كافة جوانبه، وقررت أنني يمكن أن أؤمن بإله الأرملة إذا ما طلب مني ذلك، رغم أنني لم أكن أدري كيف ستتغير علاقتي به آنئذٍ عن ذي قبل، وأنا جاهل للغاية، ومتشرد ومُشاكس إلى هذا الحد.

اختفى أبي منذ أكثر من عام، وكان ذلك مريحًا لي؛ لم أكن أريد أن أراه مرةً أخرى. فقد اعتاد على أن يضربني دائمًا بعنف حين يفيق من الخمر ويتمكن من الإمساك بي، رغم أنني كنت أهرب معظم الوقت إلى الغابة



fb/mashro3pdf

عادةً حين يكون موجودًا بالمنطقة. حسنًا، في ذلك الحين تقريبًا قال الناس إنه تم العثور عليه غريقًا في النهر، على بُعد اثني عشر ميلًا من المدينة[*]. اعتقدوا أنه هو، على أية حال؛ وقالوا إن الغريق كان في نفس حجمه تمامًا، ويرتدي أسمالًا بالية، وله شعر طويل على غير المألوف، وهذه كلها مواصفات أبي؛ لكنهم لم يستطيعوا التعرف على الوجه، لأن الجثة ظلت وقتًا طويلًا في الماء إلى أن ضاعت ملامح الوجه تمامًا. قالوا إنه كان طافيًا على ظهره فوق سطح الماء. أخذوه ودفنوه على الضفة. لكن شعوري بالارتياح لم يستمر طويلًا، لأنني بدأت أفكر في أمرٍ ما. فأنا أعرف جيدًا أن الغريق لا يطفو على ظهره، بل على وجهه. لذلك أدركت ساعتها أنه ليس أبي، بل امرأة كانت ترتدي ملابس رجل. لهذا بدأت أشعر بالقلق من جديد. وخمنت أن الرجل العجوز قد يظهر مرةً أخرى، قريبًا، رغم رغبتي في عدم ظهوره.

كنا نقوم بدور اللصوص من حين لآخر لمدة شهر تقريبًا، ثم تركت العصابة. تركها كل الأولاد. فنحن لم نسرق أحدًا، ولم نقتل أحدًا، لكننا تظاهرنا بذلك فقط. فقد اعتدنا أن نندفع من الغابة لنهاجم رعاة الخنازير، والنساء اللاتي يركبن عربات تجرها الخيول، وهن ينقلن منتجات الحدائق إلى السوق، لكننا لم نظفر بأي شيء. كان "توم سوير" يطلق على الخنازير اسم "السبائك"، ويسمي اللفت وغيره من الأشياء "مجوهرات"، ثم نعود إلى الكهف ونحن نتباهى بما فعلناه، وكم قتلنا ورسمنا عليهم الشارة. لكنني لم أجد في ما نفعل أية فائدة.

---

[*] تستخدم كلمتا المدينة والقرية بالتبادل على امتداد الرواية.



fb/mashro3pdf

وذات مرة، أرسل "توم" صبيًا يجول في المدينة حاملًا شعلة، أطلق عليها اسم الشعار (كانت العلامة التي تتجمع العصابة عند رؤيتها)، ثم قال لنا إنه عرف معلومات سرية من جواسيسه، تُفيد بأن عددًا كبيرًا من التجار الإسبان والأثرياء العرب سوف يُعسكرون في اليوم التالي عند كهف "هالو" ومعهم مائتا فيل، وستمائة جمل، وما يربو على الألف بغل، كلها مُحملة بالألماس، ولكن يحرسها حوالي أربعمائة جندي، ولذلك سننصب لهم كمينًا، على حد قوله، وسوف نقتل الحراس وننهب الألماس. وقال إن علينا شحذ سيوفنا وحشو بنادقنا، والاستعداد. لم يكن قد تمكن أبدًا من مطاردة عربة مُحملة باللفت، إلا أنه أصر على شحذ السيوف وحشو البنادق، رغم أنها لم تكن سوى قطع من الخشب وعصي المكانس، ويمكنك أن تشحذها إلى أن تبلى، لكنها في النهاية ستظل بلا قيمة؛ كما كانت من قبل. لم أصدق أننا نستطيع هزيمة هذا الحشد من الإسبان والعرب، لكنني أردت رؤية الأفيال والجمال، لذلك قررت المُشاركة في الكمين في اليوم التالي، وكان يوم سبت. وحين تلقينا الأمر، اندفعنا خارجين من الغابة ونزلنا التل. لكن لم يكن هناك إسبان ولا عرب، ولم تكن هناك جِمال أو أفيال. لم يكن هناك سوى رحلة مدرسية ليوم الأحد، لم يشارك فيها سوى تلاميذ الصف الأول. شعرنا بالإحباط، وطاردنا التلاميذ حتى تجويف التل؛ لكننا لم نحصل سوى على بعض الكعك والمربى، وحصل "بن روجرز" على دمية من القماش، وحصل "جو هاربر" على كتاب تراتيل وورقة دعاية دينية؛ بعدها ظهر المدرس المسؤول عن الرحلة، وجعلنا نلقي ما أخذناه ونهرب.

لم أشاهد أي ألماس، وأخبرت "توم سوير" بذلك. قال إن كميات منه



fb/mashro3pdf

كانت موجودة، على أية حال، وقال إن عربًا كانوا موجودين، أيضًا، والأفيال وغيرها من الأشياء. سألته، لماذا لم نستطع رؤيتها نحن، إذن؟ فقال لي إن السبب هو جهلي الشديد، ولو أنني كنت قد قرأت كتابًا يُسمى "دون كيخوته" لعرفت من دون أن أسأل. قال إن كل شيء قد تم بفعل السحر. وقال إن مئات من الجنود كانوا هناك، مع أفيال وكنوز، وما إلى ذلك، لكن لنا أعداء أطلق عليهم اسم السحرة؛ وقد قاموا بتحويل الأمر كله إلى مجرد رحلة مدرسية ليوم الأحد، بدافع من الحقد لا أكثر.

قلت له، لا بأس، فمهمتنا إذن أن نقوم بمواجهة السحرة، قال "توم سوير" إنني غبي.

قال: "ألا تعرف أن الساحر يمكنه استدعاء الكثير من الجن، ويُمكنهم هرسك بسهولة قبل أن تتمكن من نطق اسم "جاك روبنسون". إنهم في طول الأشجار، وضخام في حجم الكنائس".

قلت: "افترض أننا تمكنا من تسخير بعض الجن لمساعدتنا- ألن نتمكن من هزيمة ذلك الحشد حينها؟"

- "وكيف تستطيع تسخيرهم؟"

- "لا أعرف. كيف قاموا هُم بتسخيرهم؟"

- "إن الناس يحكّون مصباحًا معدنيًا قديمًا، أو خاتمًا من الحديد، وحينها يهرع الجن إليهم، يصاحبهم البرق والرعد المتصاعدان، وسُحب من الدخان المنطلق، وكل ما يُطلب منهم القيام به يقومون به. ويمكنهم ببساطة اقتلاع برج إطلاق نار من جذوره، ويضربون به مشرف مدرسة الأحد على رأسه- أو أي رجل آخر".



fb/mashro3pdf

- "ومن يجلعهم يُهرعون هكذا؟"

- "أي شخص يحك المصباح أو الخاتم. إنهم يطيعون مَن يحك المصباح أو الخاتم أيًّا مَن يكن، ويجب عليهم تنفيذ كل ما يطلب مهما كان. فإذا طلب أن يشيدوا قصرًا من الألماس، بطول أربعين ميلًا، ويكدسوه باللبان، أو أي شيء آخر يتمناه، ويحضرون له ابنة أحد أباطرة الصين لكي يتزوجها، فعليهم تنفيذ الأمر- وعليهم أيضًا تنفيذه قبل شروق شمس اليوم التالي. والأكثر من ذلك: أنهم يستطيعون نقل ذلك القصر إلى أي مكان تريده في البلاد، هل فهمت؟"

قلت: "حسنًا، أظن أنهم كومة من الرؤوس البليدة، لأنهم لا يحتفظون بالقصر لأنفسهم، بدلًا من استغفالهم بهذه الطريقة. والأكثر من ذلك- فلو كنت واحدًا منهم لما تركت عملي وذهبت إلى رجل في مدينة "أريحا" مثلًا، لأنه يحك مصباحًا معدنيًا قديمًا".

- "ماذا تقول، يا "هاك فين". فعليك أن تذهب إليه عندما يحك المصباح، شئت أم أبيت".

- "ماذا! وأنا بطول شجرة وحجم كنيسة؟ حسنًا، إذن؛ فساعتها سوف اذهب؛ لكني سأجعل هذا الرجل يتسلق أعلى شجرة في البلاد".

- "هراء، لا جدوى من الحديث معك، يا "هاك فن". يبدو أنك لا تفهم أي شيء، ورأسك فارغة تمامًا".

فكرت في الأمر ليومين أو ثلاثة، وبعدها قررت أن أختبر جدوى ذلك بنفسي. أحضرت مصباحًا معدنيًا قديمًا وخاتمًا من حديد، وذهبت إلى الغابة وحككت وحككت إلى أن تعرقتُ بغزارة كالهنود الحمر، وأنا أمني



fb/mashro3pdf

نفسي ببيع القصر بعد تشييده؛ لكن بلا جدوى، فلم يخرج أي جني. لذلك أيقنت آنئذٍ أن الأمر برمته مجرد واحدة من أكاذيب "تـوم سـوير". كنـت أعتقد أنه يؤمن بوجود العرب والأفيال، لكـني فكـرت في الموضـوع بـشكل مختلف. فلم يكن هناك سوى رحلة مدرسة الأحد.

fb/mashro3pdf

# الفصل الرَّابع

حسنًا، مرت ثلاثة أشهر أو أربعة بسرعة، ودخل الشتاء الآن. كنت أذهب إلى المدرسة معظم الوقت، وكنت أستطيع التهجي والقراءة والكتابة قليلًا، وحفظت جدول الضرب حتى حاصل ضرب ستة في سبعة يساوي خمسًا وثلاثين؛ ولم أظن أنني أستطيع التقدم أكثر من ذلك، حتى لو عشت إلى الأبد. ولم أحرز تقدمًا في الرياضيات، بأية حال.

كرهت المدرسة في البداية، لكني- بمرور الوقت- اعتدتُ عليها وصرت قادرًا على تحملها. وحين كان يصيبني ملل شديد، كنت ألعب الهوكي، وكان الجلد الذي أناله في اليوم التالي يجعلني منتعشًا وفي حالة جيدة. وهكذا، فكلما طالت مدة الذهاب إلى المدرسة، أصبحت أخف وطأة على نفسي. كما بدأت أعتاد طريقة الأرملة في الحياة بشكلٍ ما، ولم تعد صعبةً بالنسبة لي. فلقد أَلِفت الحياة في منزل والنوم في فراش، تحت غطاء محكم حول جسمي، ولكني- قبل أن تزيد برودة الطقس- كنت معتادًا على التسلل أحيانًا لأنام



fb/mashro3pdf

في الغابة، فأحس بالراحة. كنت أحب أسلوب حياتي القـديم أكـثر، ولكـني بدأت أتقبل الأسلوب الجديد إلى حدٍّ ما، أيضًا. قالـت الأرملـة إنـني أتقـدم ببطء ولكن بثقة، وأصبح أدائي مُرضيًا تمامًا. وأضافت إنها لم تعـد تـشعر بالخجل مني.

وذات صباح، حدث أن سقطت الملّاحة أثناء الإفطـار. التقطـت بعـض الملح بأسرع ما يمكنني لألقي بعضه على كتفي اليسرى، لأبعد الفأل السيء، لكن الآنسة "واتسون" كانت أمامي، وعنفتني. قالـت لي: "ابعـد يـديك، يـا "هكلبيري"؛ فدائمًا ما تـسبب الفـوضى!". قالـت الأرملـة لي نفـس الـكلام بطريقة لطيفة، لكن هذا لم يكن ليُبعـد الفـأل الـسيء، كنـت على ثقـة بذلك. وخرجت من المنزل بعد الإفطار، ولديَّ إحساسٌ بالخوف والقلق، وأنا أتساءل أين سيصيبني الفأل السيء، وماذا سيحدث. هناك طُرق لإبعاد بعض أنواع الفأل السيء، لكن هذا لم يكن من الأنواع التي يُمكـن إبعادهـا؛ ولذلك لم أحاول أن أفعل أي شيء، سوى أنني بقيت مغمومًـا ومكتئبًـا، وفي حالة ترقب.

نزلت إلى الحديقة الأمامية، وتسلقت الدعامة حتى أقفـز فـوق الـسياج العريض المرتفع. كان الجليد الجديد على الأرض بارتفاع بوصة، ورأيت عليه آثار أقدام لشخصٍ ما. لا بد أنه جاء من ناحية المحجر، ودار حـول الدعامـة لبعض الوقت، ثم مضى في طريقه إلى جوار سياج الحديقة. من المضحك أنـه لم يدخل بعد أن وقف هنا لبعض الوقت. ولم أتمكـن من تفسير ذلـك. كان الأمر مُثيرًا للفضول، بشكل ما. لذلك قررت أن أتبعه، لكني انحنيت لأفحص آثار الأقدام أولًا. لم ألحظ شيئًا في البداية، ثم رأيت رسم صـليب محفـورًا في



fb/mashro3pdf

الجليد في طبعة القدم اليسرى بمسمارين كبيرين، لإبعاد الشر.

انتفضت في لحظة وأسرعت في نزول التل. كنت أنظر خلفي من حين لآخر، لكني لم ألمح أحدًا. هرعت نحو منزل القاضي "تاتشر" بأسرع ما يمكنني.

قال: "لماذا تلهث يا بُني. هل أتيت من أجل الحصول على فائدة أموالك؟"

- "لا يا سيدي، هل هناك بعض الأرباح من أجلي".

- "أجل، لقد حان موعد الفائدة نصف السنوية ليلة أمس- ما يربو على مائة وخمسين دولارًا. إنها ثروة بالنسبة لك. من الأفضل أن أستثمرها لك مع الستة آلاف دولار التي تخصك، لأنك لو حصلت عليها الآن فستنفقها".

- "لا يا سيدي، لا أود إنفاقها. لا أريدها على الإطلاق- ولا حتى الستة آلاف دولار. أود أن تحصل عليها أنت، أود أن أعطيها لك- الستة آلاف والنقود الأخرى".

بدا عليه الاندهاش. ويبدو أنه لم يتمكن من تفسير الأمر، فسألني:

- "ماذا تعني، يا بُني؟"

قلت: "لا تسألني عن السبب من فضلك، خذ الأموال- ألن تأخذها؟"

قال: "حسنًا، أنا في حيرة من أمري. ماذا حدث؟"

أجبت: "من فضلك خذ الأموال، ولا تسألني عن شيء، كي لا أضطر للكذب".

فكر قليلًا، ثم قال:

- "آها-!!! فهمت. أنت تريد بيع كل ممتلكاتك لي، لا أن تهبها لي. هذه فكرة صائبة.



fb/mashro3pdf

ثم كتب شيئًا في ورقة وقرأه عليّ، وهو يقول:

- "هذا ما كتبت "في مقابل مبلغ مالي". إنها تعني أنني اشتريت ممتلكاتك ودفعت ثمنها لك. هذا دولار من أجلك. والآن وقع هنا".

هكذا وقعت الورقة، وانصرفت.

كان "چيم"، خادم الآنسة "واتسون" الزنجي، يمتلك كرة من الشعر(*) بحجم قبضة اليد، كان قد وجدها في المعدة الرابعة لأحد الثيران، ويستخدمها في السحر. قال إن روحًا تسكنها، وأنها تعرف الغيب. لذلك ذهبت إليه تلك الليلة وأخبرته أن أبي عاد مرةً أخرى، لأنني وجدت آثار قدميه على الجليد. كنت أريد أن أعرف ماذا ينوي أن يفعل، وهل سيبقى هنا؟ أخرج "چيم" كرة الشعر وهمس لها بشيءٍ ما، ثم رفعها عاليًا وتركها تسقط على الأرض. كانت صلبة إلى حدٍّ ما، ولم تتدحرج سوى بوصة واحدة. حاول "چيم" مرةً أخرى، لكن الكرة اتخذت نفس الطريقة. فنزل على ركبتيه، ووضع أذنه قربها وأنصت. لكن بلا جدوى؛ قالت إنها لن تنطق. فأخبرني أنها أحيانًا لا تنطق من دون مال. فقلت له إن معي ربع دولار قديم بلا قيمة لأن النحاس يظهر من الفضة في بعض الأجزاء، ولا يمكن صرفه بأية طريقة لأن ملمسه الدهني يكشفه على الفور ( قررت ألا أذكر شيئًا عن الدولار الذي حصلت عليه من القاضي). وقلت له إنها قطعة نقود بلا قيمة، ولكن قد تقبلها كرة الشعر، فربما لا تميز الفارق. أخذ "چيم" القطعة وشمها وعضها وفركها بين

---

(*) كتلة من الشعر توجد في أمعاء الحيوانات، تتكون بسبب لعق الحيوانات لشعرها أو شعر صغارها.



fb/mashro3pdf

أصابعه، ثم قال إنه سيحاول إقناع كرة الشعر بأنها نقود سليمة. وأضاف إنه سيشطر حبة بطاطس أيرلندية نيئة ويضع ربع الدولار بداخلها طوال الليل، وفي صباح اليوم التالي يمكن أن يختفي النحاس، والملمس الدهني، بذلك يقبلها أي شخص في المدينة على الفور، فما بالك بكرة الشعر. كنت أعرف من قبل تأثير البطاطس- ولكني نسيت ذلك.

وضع "چيم" قطعة النقود تحت كرة الشعر، ثم انحنى ليسمع مرةً أخرى. أخبرني أن كرة الشعر على ما يرام. فطلبت منه أن يستمر. تحدثت كرة الشعر إلى "چيم" وأخبرني هو بما قالت: إن والدك لا يعلم بعد ما سيفعل. أحيانًا يفكر في الرحيل، ثم يفكر بعدها في البقاء. الأفضل ألا تشغل بالك، وأن تترك الرجل يفعل ما يشاء. هناك ملاكان يحومان حوله، أحدهما أبيض وبراق، بينما الثاني أسود. يحاول الملاك الأبيض أن يهديه إلى الطريق القويم، لكن الملاك الأسود يتدخل ويفسد الأمر. ولا أحد يعرف حتى الآن، أي ملاك منهما سيفوز. ولكنك بخير. سوف تواجه الكثير من المتاعب في حياتك، وسوف تحظى بالكثير من المتعة كذلك. وأحيانًا ستتعرض إلى الأذى، سوف تمرض أحيانًا، لكنك ستتعافى في كل مرة. وستظهر في حياتك فتاتان، واحدة منهما شقراء والثانية سمراء. إحداهما فقيرة والثانية غنية. سوف تتزوج الفقيرة أولًا ثم تتزوج الغنية بعد ذلك. وعليك أن تتجنب الماء قدر استطاعتك، وألا تغامر، وإلا سيكون مصيرك الشنق.

وعندما أضأت الشمعة وتوجهت إلى غرفتي في تلك الليلة، وجدت أبي بشحمه ولحمه، يجلس هناك.



fb/mashro3pdf

# الفصل الخامس

أغلقت الباب. ثم استدرت، فرأيته هناك. كنت أخافه دائمًا، لأنه ضربني كثيرًا. ظننت أني ما أزال أخشاه حتى الآن، أيضًا؛ لكني أدركت خطئي بعد دقيقة واحدة- أي بعد الرجفة الأولى كما يمكن أن تقول، حين توقفت أنفاسي فجأة، لأنني لم أكن أتوقع وجوده هنا؛ إلا أنني أدركت بعدها مباشرة، أنني لم أعد أخشاه ولا أهتم به.

كان تقريبًا في الخمسين من العمر، وكانت ملامحه تدل على سنه. له شعر طويل، مجعد، ومُتسخ، يتدلى على وجهه، حتى إنك قد تعتقد أنك ترى عينيه البراقتين من خلف أوراق كرمة عنب. وكان كل شعره أسود اللون، من دون شعرة واحدة بيضاء، لكن شعر سوالفه الطويل به بعض الشيب. كما كان وجهه شاحبًا في الأجزاء المكشوفة منه، شحوب يختلف عن شحوب غيره من الناس، شحوب يُثير الغثيان، ويُثير القشعريرة في الجسم، شحوب له لون ضفادع الشجر ولون أمعاء السمك. أما عن ملابسه، فهي خرق بالية، كما



fb/mashro3pdf

كانت دائمًا. كان يضع كاحل إحدى ساقيه على رُكبة الساق الأخرى؛ فرأيت الحذاء المفتوق، واثنين من أصابع قدميه يخرجان من فتق الحذاء، وهو يعبث بهما من حين لآخر. كما كانت قبعته مُلقاة على الأرض- كومة قديمة سوداء، قمتها مدكوكة للداخل، وتبدو مستوية كأنها غطاء.

نظرت إليه وأنا واقف، بينما نظر نحوي وهو جالس، والكرسي مائل قليلًا إلى الوراء. وضعت الشمعة، ولاحظت أن النافذة كانت مفتوحة؛ إذن فقد دخل منها عن طريق الحظيرة. ظل ينظر نحوي، وبعد قليل قال: "ملابس أنيقة- جدًا. تظن أنك أصبحت شخصًا ذا شأن، أليس كذلك؟"

أجبته: "ربما نعم، وربما لا".

- "لا تفتح فمك. لقد صرت أنيقًا منذ تركتك، لكني سأقضي على أناقتك قبل أن أسوي حسابي معك. أصبحتَ متعلمًا، أيضًا، كما يقولون- تستطيع القراءة والكتابة. تظن أنك صرت أفضل من أبيك لأنه لا يستطيع القراءة والكتابة، أليس كذلك؟ سوف أجعلك تنسى ما تعلمت. مَن زج بك في مثل هذه السخافات، مَن؟ - مَن قال لك إنك تستطيع فعل ذلك؟"

- "الأرملة هي التي قالت لي".

- "الأرملة، ها؟ ومَن طلب من الأرملة أن تتدخل في ما لا يعنيها؟"

- "لا أحد طلب منها".

- "حسنًا، سأجعلها تدفع ثمن تدخلها. وأنت- عليك ألا تذهب إلى المدرسة، هل سمعت؟ سأجعلهم يندمون لأنهم علموا طفلًا وسمموا أفكاره عن والده، ورفعوه إلى مكانة أعلى من مكانة والده. حذار أن ألمحك قرب المدرسة مرةً أخرى، هل فهمت؟ أمك لم تكن تعرف القراءة والكتابة، قبل



fb/mashro3pdf

أن تموت. لم يكن أحد من أهلك يعرف القراءة والكتابة قبل أن يموت. وأنا لا أعرف القراءة والكتابة؛ وها أنت تصبح متعجرفًا إلى هذا الحد. لن أقبل هذا الوضع، أفهمت؟- دعني أسمعك تقرأ".

التقطتُ كتابًا وبدأتُ أقرأ عن الجنرال "واشنطون" وعن الحرب. وبعد أن قرأت لمدة نصف دقيقة، انتزع الكتاب مني، وألقى به بعيدًا. قال:

- "إنها حقيقة. تستطيع أن تقرأ. كنت أشك في الموضوع حين أخبرتني. اسمع الآن؛ فلتكف عن التأنق في الثياب، فأنا لا أتأنق. وسوف أراقبك، أيها الوسيم؛ وإن لمحتك قرب المدرسة سوف أوسعك ضربًا. وسمعت أنك تدرس الدين، أيضًا. يا لك من طفل غريب".

التقط صورة بالأزرق والأصفر لبعض الأبقار وأحد الأطفال، وقال:

- "ما هذا؟"

- "إنه شيء يعطونني إياه من أجل تعلم الدروس بطريقة أفضل".

مزق الصورة، وقال: "سوف أعطيك شيئًا أفضل- سوف أعطيك علقة".

جلس يتمتم ويغمغم لدقيقة، ثم قال: "يا لك من مخنث طيب الرائحة. لديك سرير، ومفارش، ومرآة، وسجادة على الأرضية- بينما ينام والدك مع الخنازير في المدبغة. لم أر ابنًا مثلك من قبل. أعتقد أنني سأجردك من بعض الملابس التي تتأنق بها قبل أن أقضي عليك. يبدو أنك تماديت في الغطرسة- يقولون إنك صرت غنيًا، صحيح؟ كيف حدث هذا؟"

- "كذبوا عليك- هذا ما حدث".

- "اسمع يا ولد- انتبه لكلامك معي؛ فأنا لم أعد أحتمل أكثر من هذا- فلا تحاول خداعي. لقد قضيت يومين في المدينة، ولم أسمع الناس يتحدثون

fb/mashro3pdf

سوى عن ثرائك. كما سمعت هذا الكلام عند مصب النهر أيضًا. وهذا هو سبب حضوري. أحضر النقود في الغد- فأنا بحاجة إليها".

- "ليست لديَّ نقود".

- "كاذب. إنها مع القاضي "تاتشر". اذهب وأحضرها. أنا بحاجة إليها".

- "ليست لديَّ نقود، لقد أخبرتك؛ اذهب واسأل القاضي "تاتشر"؛ وسوف يقول لك الكلام نفسه".

- "حسنًا. سوف أسأله؛ وآخذها منه أيضًا، أو أعرف السبب. أخبرني، كم معك من المال في جيبك؟ فأنا أريد ما معك".

- "ليس معي سوى دولار واحد، ولكني أريده لكي-"

- "لا يهم ما تريد الدولار من أجله- أعطني إياه حالًا".

أخذ الدولار وعضه ليتأكد من أنه سليم، ثم قال لي إنه سيذهب إلى المدينة ليشتري بعض الويسكي؛ لأنه لم يتناول شرابًا طوال اليوم. وبعد أن خرج على سقف الحظيرة، أطل برأسه من جديد، ووجه لي السباب لإنني أرتدي ثيابًا أنيقة لأبدو أفضل منه؛ وبعد أن ظننت أنه انصرف، أطل برأسه من جديد وطلب مني التفكير في موضوع الذهاب إلى المدرسة، لأنه سيتربص بي ويضربني إن لم أبعد هذه الفكرة عن رأسي.

وفي اليوم التالي كان مخمورًا، وذهب إلى بيت القاضي "تاتشر" وتعامل معه بعنف، وحاول أن يأخذ منه النقود؛ لكنه لم يستطع، فأقسم أن يجبره على ردها بقوة القانون.

ذهب القاضي والأرملة إلى المحكمة ليحصلا على حكم بإبعادي عنه، ولكي يتولي أحدهما حضانتي؛ لكن القاضي كان جديدًا، ولم يكن يعرف



fb/mashro3pdf

شيئًا عن أبي؛ لذلك قال إن المحاكم لا يجب أن تتدخل وتباعد بين أفراد العائلة إذا كان هناك فرصة لتسوية الأمر؛ وأضاف إنه لا يحبذ إبعاد طفل عن والده. لذلك انسحب القاضي "تاتشر"، وكذلك انسحبت الأرملة من الموضوع.

أسعد ذلك أبي إلى حد أنه لم يستطيع أن يهدأ. قال إنه سوف يجلدني إلى أن يصبح جسدي مُسودًا ومُزرقًا إن لم أحضر له بعض النقود. اقترضت ثلاثة دولارات من القاضي "تاتشر"، فأخذها وسَكِر، ثم مضى صاخبًا وهو يسب ويصرخ منفعلاً؛ وظل كذلك متجولاً في أنحاء المدينة، وفي يده وعاء من الصفيح، حتى منتصف الليل تقريبًا؛ ثم تم القبض عليه، وفي اليوم التالي عُرض على المحكمة، فسُجن لمدة أسبوع. ولكنه قال إنه يشعر بالرضا؛ قال إنه كان يُحكم السيطرة على ابنه، وأنه سوف يؤدبه.

عندما خرج من السجن، قال القاضي الجديد إنه سيصنع منه شخصًا آخر. لذلك اصطحبه إلى منزله، ومنحه ملابس نظيفة وأنيقة، وجعله يتناول الإفطار والغداء والعشاء مع عائلته، وكان يعامله كصديق قديم تمامًا. وبعد العشاء تحدث إليه عن الإقلاع عن شرب الخمر ومثل هذه الأمور إلى أن بكى العجوز، وقال إنه كان أحمق، وعاش حياة خرقاء؛ لكنه الآن سيفتح صفحة جديدة وسيتحول إلى شخص لا يخجل منه أحد، وتمنى أن يساعده القاضي وألا يحتقره. قال القاضي إنه يمكن أن يعانقه بسبب تلك الكلمات؛ ومن ثم بكى، وبكت زوجه مرةً أخرى؛ أضاف أبي إنه شخص دائمًا ما كان يتعرض لسوء الفهم، فقال القاضي إنه يصدقه. قال العجوز إن ما يحتاج إليه الإنسان هو التعاطف، وقال القاضي إن الأمر كذلك؛ وهكذا بكيا من



fb/mashro3pdf

جديد. وعندما حان موعد النوم، نهض العجوز ومد يده قائلًا:

"انظروا إليها، أيتها السيدات والسادة؛ تفحصوها جيدًا؛ وصافحوها. إنها اليد التي كانت يد شخص أناني؛ لكنها لم تعد كذلك؛ إنها يد رجل قرر أن يبدأ حياة جديدة، ولن يتراجع عن قراره حتى الموت. تذكروا هذه الكلمات- لا تنسوا أنني قلتها. هي الآن يد نظيفة؛ فصافحوها- من دون خوف".

هكذا صافحها الجميع، واحدًا بعد الآخر، وهم يبكون. وقبلتها زوجة القاضي. حينها وقع العجوز على طلب عفو- ببصمته. قال القاضي إنها أقدس لحظات حياته على الإطلاق، أو شيئًا من هذا القبيل. ثم اصطحبوا العجوز إلى حجرة جميلة، كانت حجرة إضافية لديهم، وأثناء الليل شعر بعطش شديد، فقفز خارجًا على سطح الشرفة وانزلق على دعامة، وقايض معطفه الجديد بقنينة خمر، وقفز عائدًا من جديد، واستعاد أوقاته القديمة الجميلة؛ وقبل بزوغ ضوء النهار، زحف إلى الخارج مرةً أخرى، وهو مخمور كشخص عابث، فسقط من الشرفة وكسرت ذراعه اليسرى في موضعين، وكان على وشك التجمد من البرد حين وجده أحدهم بعد شروق الشمس. وعندما ذهبوا لتفقد الحجرة الإضافية، كان عليهم القيام باستكشافات قبل أن يتمكنوا من العبور فيها.

أحس القاضي بنوع من الألم. قال إنه يعتقد أن المرء ربما يمكنه إصلاح الرجل العجوز بإطلاق النار عليه، لكنه لا يعرف طريقة أخرى.

fb/mashro3pdf

# الفصل السَّادس

حسنًا، سرعان ما تعافى أبي وبدأ يتحرك مرةً أخرى، ثم ذهب إلى المحكمة ليدفع القاضي "تاتشر" إلى إعطائه تلك النقود، وذهب من أجلي، أيضًا، لأنني لم أتوقف عن الذهاب إلى المدرسة. فقد أمسكني مرتين وضربني، لكني ذهبت إلى المدرسة كالمعتاد، وكنت أراوغه أو أهرب منه أغلب المرات. لم أكن أحب كثيرًا الذهاب إلى المدرسة من قبل، لكنني فكرت في الذهاب نكايةً فيه. كانت إجراءات المحكمة شديدة البطء- كأنهم لا يريدون أبدًا البدء فيها؛ لذلك كنت أقترض بين الحين والحين دولارين أو ثلاثة من القاضي لأعطيها له، كي لا يضربني. وكل مرةً يحصل فيها على المال، يسكر؛ وكل مرةً يسكر فيها، يصبح مثل قابيل في المدينة؛ وكل مرةً يصبح فيها مثل قابيل كان يُسجن. وكان هذا يناسبه تمامًا- فهذا النمط من الأشياء كان يتوافق مع طريقته.

وقد ظل يحوم حول الأرملة كثيرًا، لذلك أخبرته في النهاية بأنه إن لم



fb/mashro3pdf

يكف عن الحومان حولها، فسوف تسبب له المشاكل. حسنًا، ألم يكن مجنونًا؟ قال إنه سيُظهر مَن هو المُسيطر على "هاك فن". لذلك بحث عني ذات يوم في الربيع، وأمسك بي، وأخذني في قارب عبر النهر لنحو ثلاثة أميال، واتجه إلى شاطئ "إلينوي" حيث تنتشر الغابات ولا توجد منازل، عدا كوخ خشبي قديم يقع في مكان كثيف الأشجار، لدرجة أنك لن تعثر عليه إن لم تكن تعرف مكانه.

أبقاني معه طوال الوقت، فلم أجد فرصة للهرب. عشنا في ذلك الكوخ القديم، وكان دائمًا ما يُغلق الباب ليلًا ويضع المفتاح تحت رأسه. وكانت لديه بندقية، أظنه سرقها، وكنا نصطاد السمك والحيوانات، وذلك ما عشنا عليه. ومن حين لآخر، كان يغلق الكوخ عليَّ، ويركب "المعدية" ليذهب إلى المتجر؛ على بُعد ثلاثة أميال، ويُقايض السمك والحيوانات بالويسكي، ويحضره إلى الكوخ ويسكر ويحظى بوقت طيب، ويضربني. اكتشفت الأرملة مؤخرًا مكان احتجازي، وأرسلت رجلًا ليحاول الإتيان بي؛ لكن أبي طارده بالبندقية، ولم يمر وقت طويل بعد ذلك حتى اعتدت المكان، وأحببته- كله عدا الضرب.

كانت حياة خمول والبهجة، وأنا أستلقي في راحة طوال اليوم، أدخن وأصطاد السمك، بلا كتب أو مذاكرة. وبعد مرور شهرين أو أكثر، تحولت ملابسي إلى خرق وقذارة، واندهشت لأنني أحببت الحياة أيضًا في بيت الأرملة، حيث يجب الاغتسال، والأكل في أطباق، وتمشيط الشعر، والنوم والاستيقاظ في مواعيد محددة، والانكباب دائمًا على كتابٍ ما، والاستماع إلى نقد الآنسة "واتسون" لي طوال الوقت. لم تعد لديَّ رغبة في العودة. فقد



fb/mashro3pdf

توقفت عن السباب، لأن الأرملة لم تكن تحب ذلك؛ ولكنني عدت إليه من جديد الآن، لأن أبي لم يكن لديه مانع. وكان الوقت ممتعًا تمامًا هناك في الغابة، أقضيه في التجوال بالمنطقة.

لكن مؤخرًا بدأ أبي يضربني بالعصا أكثر وأكثر، ولم أعد أحتمل. كانت الكدمات تغطي جسدي. وبدأ يخرج كثيرًا، أيضًا، ويُغلق الباب عليّ. وذات مرةً حبسني لمدة ثلاثة أيام. شعرت خلالها بوحدة فظيعة. ظننت أنه قد غرق، وأنني لن يمكنني الخروج من هنا بعد الآن. كنت مفزوعًا. فكرت في ترتيب طريقة للخروج. حاولت مرارًا مغادرة ذلك الكوخ، ولكنني لم أتمكن. كانت النافذة أصغر من أن تمرر كلبًا. ولم أستطع تسلق المدخنة؛ كانت ضيقةً للغاية. وكان الباب سميكًا، بألواح البلوط الصلبة. وكان أبي حريصًا على عدم ترك سكاكين أو أشياء مشابهة في الكوخ حين يغادر؛ وأظن أنني فتشت المكان أكثر من مائة مرة؛ في الواقع، كنت أقوم بذلك طوال الوقت، لأنها كانت الطريقة الوحيدة لقتل الوقت. ولكني في النهاية وجدت شيئًا هذه المرة؛ وجدت منشارًا قديمًا صدئًا بلا مقبض؛ كان بين إحدى الدعامات وألواح السقف. قمت بتشحيمه وبدأت العمل. وكانت هناك بطانية سرج حصان مُسمَّرة بالألواح في نهاية الكوخ خلف المنضدة، لتصد الرياح وتمنعها من الدخول عبر الشقوق حتى لا تطفئ الشمعة. نزلت تحت المنضدة ورفعت البطانية، ثم بدأت بالعمل في نشر قطعة من خشب السفلي- كبيرة بما يكفي لكي أخرج منها. حسنًا، كان عملاً طويلاً جيدًا، لكني كنت أوشك على الانتهاء منه حين سمعت صوت طلقات بندقية أبي في الغابة. أزلت أثر ما كنت أفعل، وأسدلت البطانية، وأخفيت منشاري، وسرعان ما



fb/mashro3pdf

دخل أبي.

لم يكن مزاجه مُعتدلًا- مما يعني أنه في حالته الطبيعية. قال إنه كان بالمدينة، وإن الأمور لم تكن على ما يُرام. قال له المحامي إنه كان يمكن أن يكسب دعواه ويحصل على النقود إن بدأت جلسات المحكمة؛ لكن هناك طرقًا لتأجيلها لوقت طويل، ويعلم القاضي "تاتشر" كيف يفعل ذلك. وقال إن الناس هناك قد سمحوا بقضية أخرى ليأخذوني منه، وتصبح الأرملة وصية عليّ، ويخمنون أنها ستربح القضية هذه المرة. صدمني ذلك صدمة كبيرة، لأنني لم أكن أريد العودة إلى بيت الأرملة مرةً أخرى، لتتعقد حياتي وأصبح مُتحضرًا، كما يقولون. ثم بدأ الرجل العجوز يلعن، لعن كل شيء وكل شخص تذكره، ثم لعنهم جميعًا مرةً أخرى ليتأكد من أنه لم يفلت أحدًا، وبعد ذلك انتهى بنوع من اللعنات العامة على كل المحيطين به، بما يشمل عدد كبير من الناس ممن لا يعرف أسماءهم، وأسماهم حين وصل إليهم "أيًا كان اسمه"، ثم أكمل اللعنات.

قال إنه يود أن يرى الأرملة وهي تأخذني. قال إنه سيقوم بالمراقبة، وإذا ما حاولوا القيام بأية لعبة عليه، فإنه يعرف مكانًا على بُعد ستة أو سبعة أميال ليخفيني فيه، حيث سيبحثون عني إلى أن يسقطوا من التعب ولن يعثروا عليّ. ذلك ما أثار قلقي من جديد، ولكن لدقيقة واحدة؛ وفكرت في أنني لن أظل أسيرًا لديه إلى أن تواتيه تلك الفرصة.

دفعني الرجل العجوز إلى الذهاب إلى القارب لإحضار الأشياء التي جلبها معه. كان هناك جوال من دقيق الذرة يزن خمسين رطلًا، وقطعة من لحم الخنزير المقدد، وذخيرة، وقنينة سعتها أربعة جالونات من الويسكي،



fb/mashro3pdf

وكتاب قديم وصحيفتان ليستخدمها حشوة(*)، مع أحد الحبال. نقلت بعض الحمولة، وعدت فجلست فوق مقدمة القارب لأستريح. قلبت الفكرة على كافة الأوجه، وفكرت في أن آخذ البندقية وبعض الحبال وأرحل، وأدخل إلى الغابة عندما أهرب. خمنتُ أنني لن أبقى في مكان واحد، بل عليّ التسكع في طول البلاد وعرضها، خاصة في الليل، وأعيش على ما أصيد من سمك وحيوان، وبذلك أبتعد كثيرًا دون أن يتمكن العجوز أو الأرملة من العثور عليَّ إلى الأبد. فكرت في نَشر الخشبة والمغادرة في تلك الليلة لو سَكِر أبي بما يكفي، وخمنت أنه سيفعل ذلك. انشغلت بالتفكير في الأمر لدرجة أنني لم ألحظ مدة بقائي، إلى أن سمعت العجوز يصرخ ويسألني إن كنت قد نمت أو غرقت.

نقلت كل الأشياء إلى الكوخ، وكان الظلام قد حل. وفيما كنت أطهو طعام العشاء، شرب العجوز جرعة أو جرعتين وأصبح منتشيًا إلى حدٍّ ما، وأصبح مزاجه طيبًا. كان قد سَكِر في المدينة، ونام طوال الليل في قناة الصرف، وكانت هيئته مزرية. وكان للمرء أن يظنه "آدم"(**)- كان مغطًّى كله بالطين. ووقتما يبدأ مشروبه في التأثير، كان غالبًا ما يذهب إلى الحكومة. وفي هذه المرة قال:

"أتُسمِّي هذه حكومة! عجيبة، انظر فقط إليها وشاهد كيف تتصرف. ها هو القانون ينتصب جاهزًا لانتزاع ابن من والده- ابن والده، الذي تحمل كل

---

(*) حشوة للبندقية لتمنع البارود من السقوط منها.

(**) يقصد آدم أبو البشر.



fb/mashro3pdf

المشقة وكل القلق وكل المال من أجل تربيته. نعم، وما إن يُـربي ذلـك الرجـل ابنه، ويصبح قادرًا على العمل، ويبدأ في فعل مـا يمـنح والده بعـض الراحـة، يظهر القانون لينتزعه مني. ويُسمون ذلك حكومة! ولـيس ذلـك كل شيء، أبدًا. فالقانون يُساند ذلـك القـاضي العجـوز "تاتـشر" ويُـساعده في انـتزاع أملاكي. هذا ما يفعله القانون: يسطو على ثروة رجل تبلـغ سـتة آلاف دولار وأكثر، ويهرسه في مصيدة قديمة لكوخ مثل هذا، ويجعله يتجول في ملابـس لا تليق حتى بخنزير. ويسمون ذلك حكومة! فلا يمكن أن يحصل المرء على حقوقه مع حكومة كهذه. أحيانًا كانت تراودني فكـرة جبـارة، وهي مُغـادرة هذا البلد إلى الأبد. أجل، وقد أخبرتهم بذلك؛ قلت ذلـك للقـاضي العجـوز "تاتشر" في وجهه. وسمع العديد منهم كلامي، ويمكن أن أعيد كلامي علـيهم مرةً أخرى. لقد قلت إنني يُمكن أن أرحل عن هـذا البـلد اللعـين مُقابـل بضعة سنتات بلا عودة إليها مرةً أخرى. هذا هو نص كلامي. قلت لهم انظروا إلى قبعتي- إن كنتم تسمونها قبعة- التي ارتفعت قمتها وهبط البـاقي إلى أن وصل إلى ذقني، ولم تعد قبعة بالفعل، بل أصـبحت رأسي كأنهـا محـشورة في أنبوب مدخنة ضخم. قلت، انظروا إليها- أهذه قبعة تليق بي- أنا أحد كبـار أثرياء هذه المدينة إذا ما استطعتُ نيل حقوقي.

"آه، أجل، إنها حكومة رائعة، رائعـة. عجيبـة، انظـروا. فقـد كان هنـاك زنجي حُر من ولاية "أوهايو"- غندور، يغلب عليه البيـاض كرجـل أبـيض. كان يرتدي أكثر القمصان التي يمكـن أن تراهـا بياضًـا، وأكـثر القبعـات إشراقًا؛ ولا يوجد رجل في تلك المدينة لديه ثيـاب في رقي ثيابـه؛ كمـا كانـت لديه ساعة وسلسلة ذهبية، وعصا لها مقبض مـن الفـضة- إنـه مـن أغـنى



fb/mashro3pdf

أغنياء الولاية. وماذا تظن؟ إنهم يقولون إنه أستاذ في كلية، ويستطيع التحدث بكل أنواع اللغات، ويعرف كل شيء. وذلك ليس أسوأ ما في الموضوع. فهم يقولون إنه يستطيع الإدلاء بصوته في الانتخابات حين يكون في ولايته. حسنًا، ذلك يخرجني عن الموضوع. دعوني أفكر، إلى أي مدى سيسوء حال البلاد؟ لقد كان يوم تصويت، وكنت على وشك الذهاب للإدلاء بصوتي إن لم أكن ثملًا لدرجة تمنعني من الذهاب؛ ولكن حين أخبروني أنه يُمكن للزنوج الإدلاء بأصواتهم في إحدى الولايات بهذا البلد، تراجعت. وأقول إنني لن أدلي بصوتي مرةً أخرى. تلك كانت كلماتي حرفيًّا؛ سمعوني كلهم؛ والبلد قد تتعفن لذلك- لن أصوِّت مرةً أخرى ما حييت. وأن ترى الحياة الرغدة لذلك الزنجي- غريبة، فلم يكن ليفسح لي الطريق إن لم أُزحه من أمامي. قلت للناس: لماذا لا يُباع هذا الزنجي في مزاد؟- ذلك ما أردت معرفته. وماذا تظنون ما قالوا؟ غريبة، قالوا إنه لا يُمكن بيعه إلا إذا مر على وجوده في الولاية ستة أشهر، وهو لم يقض بعد هذه المدة. تلك هي، الآن- فهذه عينة. ويسمونها حكومة تلك التي لا تستطيع بيع زنجي حُر حتى تنقضي ستة أشهر. ها هي الحكومة التي تسمي نفسها حكومة، ونتعامل معها نحن على أنها حكومة، ونظن أنها حكومة، وهي تتمسك بتجميد بضاعة لستة أشهر كاملة، قبل أن تتمكن من اتخاذ إجراء ضد هذا الزنجي الحُر، الشيطاني، المتلصص، السرَّاق، ذي القميص الأبيض، و-"

كان الرجل العجوز مستمرًّا على هذا المنوال فلم يُلاحظ إلى أين تقوده قدماه العجوزان العرجاوان، فسقط رأسًا على عقب على وعاء لحم الخنزير المملَّح وجرح ساقيه، وأصبح باقي كلامه أكثر الألفاظ بذاءة- وانهال معظمه



fb/mashro3pdf

على الزنجي والحكومة، كما نال وعاء لحم الخنزير بعض السباب، الذي تطاير هنا وهناك. كان يتقافز على قدم واحدة في البداية وهو يتحرك في الكوخ، ثم على القدم الثانية، وهو يمسك إحدى ساقيه، ثم يتركها ويمسك بالأخرى. وفي النهاية، ترك قدمه اليسرى فجأة وركل بها الوعاء ركلة صاخبة. لكنه كان قرارًا غير حكيم، لأنها كانت بالحذاء الذي يخرج من مقدمته إصبعان من قدمه؛ لذلك أطلق صرخة جعلت شعري يقف، ثم هوى في القاذورات وتدحرج هناك، وهو يُمسك بأصابع قدمه؛ ولقد فاق سبابه حينها كل ما تفوه به من قبل. قال هو ذلك فيما بعد. لقد سمع "سنوبري هاجان" العجوز، أيام مجده، وقال إنه تفوق عليه في السباب؛ لكني أظن أنه ربما كان يُبالغ.

أخذ والدي قنينة الخمر بعد العشاء، وقال إن لديه من الويسكي ما يكفي لمرتين، ومرة تصل به إلى الهذيان. كان يستخدم تلك الكلمة دائمًا. وخمنت أنه سوف يُصبح مخمورًا في غضون ساعة، وحينها يُمكنني أن أسرق المفتاح، أو أنشر خشب الفتحة وأهرب، هذه أو تلك. ظل يشرب ويشرب، وتهاوى فوق فراشه بعد قليل؛ لكن الحظ لم يحالفني. فلم يكن نومه عميقًا، بل كان مضطربًا. ظل يتأوه ويئن ويتقلب في الفراش لوقت طويل. وفي النهاية تملكني النعاس ولم أعد أستطيع فتح عيني أكثر من ذلك، وقبل أن أدرك ما ما يحدث لي، كنت أغط في النوم، والشمعة مُشتعلة.

لا أعلم كم من الوقت نمت، ولكن فجأةً تمامًا دوت صرخة هائلة فاستيقظت. كان أبي يبدو كالمجنون، وهو يفتش في كل مكان ويصرخ فزعًا من الثعابين. قال إنها كانت تزحف على ساقه؛ وبعدها قفز وصرخ، وقال إن أحدها قد لدغه في خده- إلا أنني لم أر أية ثعابين. انتفض وجرى في أنحاء



fb/mashro3pdf

الكوخ، وهو يصرخ: "أبعده عني! أبعده عني! إنه يلدغني في رقبتي!". لم أشاهد مثل هذا الرعب في عيون رجل من قبل. لكنه سرعان ما أصابه الإنهاك تمامًا، وسقط على الأرض وهو يلهث؛ وبدأ يتلوى بسرعة كبيرة، ويركل أي شيء بالقرب منه، وهو يضرب ويمسك بالهواء بكلتا يديه، ويصرخ قائلًا إن ثمة شيطانًا قد تمكن منه. خارت قواه بعد قليل، وتمدد في سكون لبرهة، وهو يئن. ثم تمدد ساكنًا، ولم يعد يصدر عنه أي صوت. كان بإمكاني سماع صوت البوم والذئاب في الغابة، وبدا مفزعًا. كان يستلقي في الركن. لكنه رفع رأسه بعد قليل وبدأ ينصت، ورأسه مائلة إلى أحد الجوانب. قال بصوت خفيض جدًا:

"ترامب- ترامب- ترامب؛ إنهم الموتى؛ ترامب- ترامب- ترامب؛ إنهم يلاحقونني؛ لكني لن أذهب معهم. أوه، ها هم وصلوا! لا تلمسوني- إياكم! أبعدوا أيديكم- إنها باردة؛ اتركوني. أوه، اتركوا الشيطان التعس وشأنه!".

ثم راح يزحف على يديه وقدميه، ويتوسل إليهم أن يتركوه وشأنه، ولف نفسه ببطانيته، وتخبط تحت المنضدة الصنوبر القديمة، وهو ما يزال يتوسل؛ ثم انفجر في البكاء. كان صوته يصلني عبر البطانية.

بعد قليل تدحرج خارجًا وانتصب واقفًا على قدميه وهو في حالة هياج، رآني فاتجه نحوي. طاردني في أنحاء الكوخ بمُدية جيب، وهو يسميني **ملاك الموت**، وقائلاً إنه سيقتلني، وبعدها لم أعد قادرًا على الفرار منه. توسلت، وأخبرته أنني لست إلا "هاك"؛ لكنه ضحك ضحكة مفزعة، وزأر ولعن واستمر في مُطاردتي. انقض عليّ. وما إن انحنيت وانزلقت من تحت ذراعه، حتى أمسكني من معطفي من بين كتفيّ، واعتقدت أنني انتهيت؛ إلا أنني



fb/mashro3pdf

انسللت من المعطف بسرعة البرق، وأنقذت حياتي. سرعان ما أصابه الإنهاك، وسقط على الأرض وظهره إلى الباب، قال إنه سيستريح قليلًا ثم يقتلني. وضع المُدية تحته، وقال إنه سينام ليستجمع قواه، ويرى حينها من سينتصر.

هكذا سرعان ما غلبه النعاس. بعد قليل أتيت بالكرسي القديم ذي القاعدة المشطورة، وتسلقته بمنتهى الهدوء الممكن، حتى لا أحدث ضوضاء، وأحضرت البندقية. استخدمت المُدك(*) لأتأكد من أنها محشوة بالرصاص، ثم ثبتها على برميل اللفت، مصوبةً نحو والدي، وجلست خلفها في انتظار حركة واحدة منه. لكن الوقت كان يمر ببطء شديد.

(*) قضيب معدني لحشو البنادق القديمة.



fb/mashro3pdf

# الفصـل السَّـابع

- "انهض! ماذا أصابك؟"

فتحت عينيَّ ونظرت حولي، محاولاً أن أعرف أين أنـا. كان الوقـت بعـد شروق الشمس، وكنت قد نمت نومًا عميقًا. كان أبي يقف إلى جـواري وهـو غاضب وشاحب، أيضًا. سألني:

- "ماذا كنت تفعل بالبندقية؟"

خمنت أنه لا يذكر شيئًا مما حدث بالأمس فقلت له:

- "كان هناك شخص يحاول اقتحام الكوخ، لذلك كمنت له".

- "ولماذا لم توقظني؟"

- "حسنًا، حاولت ذلك، لكنني لم أستطع؛ لم أتمكن من إيقاظك".

- "حسنًا، وهو كذلك. فلا تقف وتثرثر طـول النهـار، اخـرج لـترى إن كانت هناك أسماك في الصنارات للإفطار. سألحق بك بعد دقيقة".

فتح قفل الباب، فخرجت واتجهت إلى ضفة النهر. رأيت بعض الأغصان



fb/mashro3pdf

وأشياء مشابهة تطفو على الماء، وحاءً متناثرًا؛ فأدركت أن الفيضان قد بـدأ. فكرت أنني كنت سأحظى بوقت ممتع لـو كنـت في المدينـة. ففيـضان شـهر "يونيو" كان دائمًا يجلب لي الحـظ، فبمجـرد أن يبـدأ الفيـضان تطفـو كتـل الخشب وأجزاء من ألواح المراكب- كانت أحيانًا ما تـصل إلى اثنـتي عـشرة قطعة في وقت واحد؛ فكل ما تفعله هو التقاطها من الماء وبيعهـا إلى مخـازن الأخشاب وورش نشر الخشب.

سرت على ضفة النهر وعيني ترقب ظهور أبي، والعين الأخرى تبحث عن ما يطفو على الماء. حسنًا، ففجأةً ظهر زورق؛ رائع الجمال، طوله ثلاثة عشر أو أربعة عشر قدمًا، ينطلق ومقدمته مرفوعة كأنه بطة. قفزت في الماء بـرأسي أولًا كالضفادع، من دون أن أخلع ملابسي، وسبحت نحو الزورق. توقعت أن يكون به شخصٌ ما يستلقي بداخله، فأحيانًا يفعل البعض هـذا على سـبيل الخداع، وحـين يـسحب أحـد الفتيـان الـزورق مـن المـاء، ينهـضون وهـم يضحكون منه. لكن الأمر لم يكن كذلك هذه المرة. فقد كان مجرد زورق جرفته المياه، فتسلقته ثـم جـدفت بـه إلى الـشاطئ. اعتقـدت أن العجـوز سيفرح حين يراه- فهو يـساوي عـشرة دولا رات. لكـني حـين وصـلت إلى الشاطئ لم يكن أبي قد ظهر بعد، وفيما كنت أدخل به إلى خور صغير يشبه أخدودًا صخريًا، مغطًى تمامًا بالصفصاف والنباتات المعترشة، واتتني فكـرة أخرى: فكرت أن أخفي الزروق جيدًا، وآنئذٍ، بـدلاً مـن اللجـوء إلى الغابـة حين أهرب، سأبحر لنحو خمسين ميلًا، ثم أرسو في مكان مناسـب إلى الأبـد، بدل تلك الأوقات الصعبة من التشرد سيرًا على الأقدام.

كنت قريبًا تمامًا من الكوخ، ويراودني هاجس أن أبي يقترب دائمًا؛ لكني



fb/mashro3pdf

أخفيت الزروق؛ ثم خرجت ونظرت من خلف أشجار الصفصاف، وهناك كان العجوز في نهاية الممر يحاول اصطياد أحد الطيور ببندقيته. لذلك لم يلحظ أي شيء.

وعندما عاد كنت أخرج بكل قوتي خيط الصنارة. وجه إليّ بعض السباب لأنني تأخرت؛ لكني قلت له إنني سقطت في النهر، وهو ما أخرني. كنت أدرك أنه سيلاحظ أنني مُبتل، ومن ثم سيطرح عليَّ أسئلة كثيرة. حصلنا على خمسة قراميط من الصنانير وعدنا إلى الكوخ.

حين استلقينا بعد الإفطار لكي ننام، كنا مُرهقين معًا، وفكرت فيما لو استطعتُ تدبير طريقة تمنع أبي والأرملة من تعقبي، فسيكون ذلك أمرًا أكثر طمأنينة من اعتمادي على الحظ في الابتعاد مسافة كافية قبل أن يبحثوا عني؛ وكما ترون، فيمكن أن يحدث أي شيء. حسنًا، فلوهلة لم أجد مخرجًا، لكن أبي نهض بعد برهة لكي يشرب من برميل الماء، ثم قال:

- "إذا حاول أحدهم أن يقتحم المكان مرةً أخرى وأنا نائم، فعليك أن توقظني، أفهمت؟ فهذا الرجل لا يحوم هنا إلا لهدف ما. وسوف أطلق عليه الرصاص. في المرة القادمة يجب أن توقظني، أفهمت؟"

ثم استلقى ونام من جديد؛ لكن ما قاله منحني الفكرة التي كنت أحتاجها. قلت لنفسي، إنني أستطيع الآن تدبير الطريقة التي لن تجعل أحدًا يفكر في تعقبي.

خرجنا في نحو الثانية عشرة ومشينا على ضفة النهر. كان الماء سريع الجريان، ويحمل معه الكثير من الأخشاب الطافية على المد. بعد قليل، حمل الماء قطعة خشب من طوف- ثم تسعة ألواح خشبية مرةً واحدة. ذهبنا إلى



fb/mashro3pdf

قاربنا وسحبناه إلى الشاطئ. ثم تناولنا طعام الغداء. أي شخص عدا أبي كان سينتظر حتى ينقضي النهار، ليلتقط المزيد من الأشياء؛ لكن هذا لم يكن أسلوب أبي. فتسعة ألواح كانت كافية بالنسبة لمرة واحدة؛ ولا بد أن يتوجه مباشرةً إلى المدينة لبيعها. لذلك حبسني وأخذ القارب، ليبدأ التجديف في حوالي الثالثة والنصف. انتظرت حتى أيقنت أنه ابتعد مسافة كافية، ثم أخرجت منشاري، وبدأت أعمل على نشر ذلك اللوح الخشبي مرةً أخرى. وقبل أن يصل بقاربه إلى الضفة الأخرى، كنت قد خرجت من الفتحة؛ كان هو وقاربه قد أصبحا بُقعة صغيرة على سطح الماء بعيدًا هناك.

حملت جوال دقيق الذرة إلى حيث خبأت الزورق، وأزحت فروع الشجر والنباتات المعترشة، ووضعت الجوال فيه؛ ثم فعلت الشيء نفسه مع لحم الخنزير؛ ثم قنينة الويسكي. أخذت كل الموجود من القهوة والسكر، وكل المؤونة؛ كما أخذت الحشو؛ وأخذت الدلو وثمرة اليقطين؛ وأخذت مغرفة وكوبًا من صفيح، ومنشاري القديم وبطانيتين، والمقلاة وإناء القهوة. وأخذت الصنانير وعلبة الكبريت وأشياء أخرى- كل شيء له قيمة ولو ضئيلة. أفرغتُ الكوخ. كنت أريد فأسًا، لكنني لم أجد سوى الفأس الموجودة مع كومة الأخشاب، وكان لدي سبب لتركها. أحضرت البندقية، وبذلك انتهت مهمتي.

مسحت الأرض بجسمي وأنا أزحف خارجًا من الفتحة، وأنا أجرجر الكثير من الأشياء. لذلك انتهيت إلى أن أخفي آثاري من الخارج قدر ما أستطيع بأن أنثر عليه التراب، الذي غطى على النعومة ونشارة الخشب. ثم قمت بتثبيت قطعة الخشب مكانها، ووضعت صخرتين تحتها وأخرى عليها

fb/mashro3pdf

حتى تثبت في مكانها، لأنها قصرت قليلًا في هذا المكان ولم تعد تلمس الأرض جيدًا في ذلك الموضع. وإذا وقفت على بعد أربعة أو خمسة أقدام من دون أن تدري أنها قُطعت بالمنشار، فلن تلحظها أبدًا؛ كما أنها كانت في الجدار الخلفي للكوخ، ولم يكن ليخطر ببال أحد أن يتمازح هناك.

كان الطريق إلى الزورق عُشبيًا تمامًا، لذلك لم أترك خلفي أي أثر. استدرت لأتأكد. ثم وقفت على الضفة لأنظر عبر النهر. كل شيء آمن. حملت البندقية واتجهت إلى الغابة، وكنت أصطاد بعض الطيور حين رأيت خنزيرًا بريًا؛ أحد الخنازير الأليفة التي سرعان ما تتحول إلى برية بعد أن تهرب من مزارع المرج. أطلقت عليه النار وحملته إلى الكوخ.

أخذت الفأس وحطمت الباب. ضربته ودخلت. أدخلت الخنزير، وجررته قرب المنضدة وضربت رقبته بالفأس، ومددته على الأرض لينزف؛ أقول الأرض لأنها كانت فعلًا أرضًا- مدكوكة صلبة، بلا ألواح خشبية. حسنًا، ثم أخذت جوالًا قديمًا وملأته بالكثير من الأحجار الكبيرة- كل ما استطعت جره- وبدأت أجره من موضع الخنزير حتى الباب، ثم عبر الغابة حتى النهر، وألقيت به فيه، فغرق واختفى عن النظر. يُمكنك أن ترى بسهولة أن شيئًا ما تم جره على الأرض. تمنيت لو كان "توم سوير" موجودًا؛ أعلم أنه كان سيهتم بمثل هذا النوع من الأفعال، ويضفي عليه مسحة من الخيال. فلا يمكن لأحد غير "توم سوير" أن يستفيض عن أشياء كهذه.

حسنًا، في النهاية قصصت بعضًا من شعري، ولطخت الفأس بالدماء جيدًا، وعلقتها في الجانب الخلفي. ثم حملت الخنزير على صدري وأحطته بمعطفي (حتى لا يقطر الدم) إلى أن وجدت مكانًا مناسبًا أسفل الكوخ،



fb/mashro3pdf

فألقيت به في النهر. ثم فكرت بعدها في شيء آخر. لهذا ذهبت لأحضر جوال الطحين والمنشار القديم من القارب إلى الكوخ. وضعت جـوال الطحـين في مكانه المُعتاد، وصنعت فتحة في قاعه بالمنشار، فلم تكن هناك أية شوك أو سكاكين- كان أبي يفعل كل شيء يتعلق بالطبخ باستخدام مُدية الجيـب. ثـم حملت الكيس حوالي مائة ياردة فوق العشب وبـين أشـجار الصفـصاف في الناحية الشرقية من الكوخ، نحو بحيرة ضحلة عرضها خمسة أميـال، يكـثر فيها البوص- والبط أيضًا، في موسمه. وبها مستنقع أو رافد يؤدي إلى الناحية الأخرى التي تمتد لأميال، لا أعرف أين، لكنها لا تنـتهي في النهـر. تـساقط الطحين وصنع مسارًا بامتداد الطريق إلى البحيرة. كما ألقيت بحجر الشحذ الخاص بأبي هناك، كأنه سقط بالخطأ. وربطت فتحة جوال الطحـين بخـيط، لكي لا يتسرب المزيد منه، وحملته هو والمنشار إلى الزورق مرةً أخرى.

كان الظلام قد حل تقريبًا الآن؛ فسحبت الزورق إلى النهر تحت فـروع الصفصاف المعلقة فوق الضفة، وانتظرت ظهور القمر. ذهبـت بـسرعة نحـو صفصافة، وتناولت بعض الطعام، وبعد قليل استلقيت في الـزورق لأدخـن الغليون وأضع خطة. قلت لنفسي، إنهم سوف يتبعـون آثـار الجـوال المـليء بالأحجار حتى الشاطئ ثم يبحثون عني على طول النهر. وسوف يتبعون آثار الطحين إلى البحيرة، ثم يفتشون الجدول الذي يـؤدي إلى الناحيـة الأخـرى بحثًا عن اللصوص الذين قتلوني وسرقوا الأشياء. لن يفتشوا أبدًا النهر سوى عن جثتي. وسرعان ما سيتعبون من ذلك، ولن يهتموا بي بعد ذلـك. حـسنًا؛ فيمكنني أن أتوقف في أي مكان أريد. جزيرة "جاكسون" مكان مُناسـب لي؛ أعرف تلك الجزيرة جيدًا، ولا أحد يـذهب إليهـا أبـدًا. وآنئـذٍ يمكنـني أن



fb/mashro3pdf

أجذف بالزورق إلى المدينة ليلًا، وأتسلل لأحضر ما أريد. جزيرة "جاكسون" هي المكان المناسب.

كنت مُتعبًا جدًا، وأول ما أدركته هو أنني قد نمت. وحين صحوت لم أدرك أين أنا للحظات. جلست وتلفت حولي، وأنا خائف بعض الشيء. ثم تذكرت. بدا النهر بعيدًا بأميال وأميال. كان القمر شديد السطوع حتى إنني رصدتُ قطع الخشب التي يجرفها التيار، سوداء وساكنة، على بعد مئات الياردات من الشاطئ. كان كل شيء شديد الهدوء، وبدا الوقت مُتأخرًا، وشممتُ ذلك. تفهم قصدي- لا أعرف كيف أعبر عن هذه الفكرة.

تمطيت وتثاءبت، وكنت على وشك فك حبل الزورق والانطلاق حين سمعت صوتًا بعيدًا على المياه. أصغيت. سرعان ما أدركته. كان نوعًا رتيبًا لصوت منتظم يصدر عن ارتطام المجاذيف بمساندها حين يكون الليل ساكنًا. تلصصت عبر أغصان الصفصاف، وهناك ما كان- قارب على البُعد في الماء. لم أتمكن من تمييز عدد من كانوا به. واصل التقدم، وحين اقترب رأيت به شخصًا واحدًا. خمنت أنه ربما كان أبي، رغم أنني لم أتوقع حضوره. دفعه التيار بالقرب مني، وبعد قليل انحرف إلى الشاطئ في المياه الهادئة، وكان قريبًا لدرجة أنني كان يمكن أن ألمسه إن مددت البندقية. حسنًا، كان أبي، مؤكد- كما كان مُتزنًا، أيضًا، بفعل الطريقة التي وضع بها المجدافين.

لم أهدر وقتًا. ففي اللحظة التالية كنت أجدف أسفل التيار بهدوء لكن بسرعة في ظل الضفة. قطعت ميلين ونصف الميل، ثم جذفتُ لنصف ميل أو أكثر نحو منتصف النهر، لأنني كنت على وشك المرور بمرسى القوارب، ويمكن أن يراني الناس وينادون عليَّ. مضيت بين الأخشاب الطافية، ثم



fb/mashro3pdf

تمددت في قاع الزورق وتركته يطفو.

تمددت هناك، ونلت استراحةً وتدخينًا جيدًا بالغليون، متطلعًا إلى السماء، لا سحابة واحدة فيها. تبدو السماء عميقة حين تنظر إليها وأنت تستلقي على ظهرك في ضوء القمر؛ لم أعرف ذلك من قبل. وعن أي بُعد يمكن للمرء أن يسمع عبر الماء في الليل! فقد سمعت الناس يتحدثون عند مرسى القوارب. سمعت ما قالوه، أيضًا- كل كلمة نطقوا بها. قال أحدهم إن النهار بدأ يطول والليل يقصر هذه الأيام. قال الآخر إنه لا يظن أن هذه إحدى الليالي القصيرة، فيما يظن- فضحكوا، أعاد كلامه وضحكوا مرةً أخرى؛ ثم أيقظوا شخصًا آخر وأخبروه، وضحكوا، لكنه لم يضحك؛ انتزع شيئًا ما سريعًا، وطلب منهم أن يتركوه وشأنه. قال الشخص الأول إنه يمكنه أن يقولها لزوجته العجوز- ربما ضحكت عليها؛ إلا أنه قال إن هذه بلا قيمة بجانب بعض ما كان قد قاله من قبل. وسمعت رجلًا يقول إن الساعة الثالثة تقريبًا، وأنه يتمنى ألا يتأخر ضوء النهار للأسبوع التالي. بدأت الأصوات تخبو بعد ذلك، ولم أعد أتبين الكلمات؛ ولكني ما أزال أسمع الهمهمات، وضحكة من حين لآخر، أيضًا، لكنها كانت تبدو بعيدة جدًا.

ابتعدت إلى أسفل مرسى القوارب الآن. نهضت، ورأيت جزيرة "جاكسون"، على بعد ميلين ونصف الميل أسفل المجرى، كثيفة الأشجار وتقف في وسط النهر، كبيرة وداكنة وصلبة، كأنها باخرة بلا أضواء. ولم يكن ثمة أثر للحاجز الرملي في مقدمتها- فقد كان الآن تحت الماء.

لم يستغرق الوصول إلى الجزيرة وقتًا طويلًا. استدرت حول مقدمتها بحذر، فقد كان التيار سريعًا، حتى وصلت إلى مياه ساكنة، ورسوت على



fb/mashro3pdf

الجانب المواجه لشاطئ "إلينـوي". دفعـت الـزورق في فجـوة عميقـة كنـت أعرفها في الضفة؛ كان عليَّ أن أزيح فروع الصفصاف حتى أدخل فيها؛ وحين قمت بالأمر سريعًا لم يكن باستطاعة أحد أن يرى الزورق من الخارج.

خرجت وجلست فوق قطعة خشب في مقدمة الجزيرة، ونظرت إلى النهر الكبير وقطع الخشب السوداء الطافية، ثم بعيدًا نحو المدينة، على بعـد ثلاثـة أميال، حيث تومض ثلاثة أو أربعة أضواء. كان طوف خشبي ضخم على بعد ميل بالمجرى، قادمًا، وفانوس في منتصفه. راقبته وهو يقترب زاحفًا، وعندما أصبح محاذيًا للمكان الذي أقف به، سـمعت صـوت رجـل يقـول: "مجـاذيف المؤخرة، إلى هناك! حولوا الاتجـاه إلى اليمـين!" سـمعت ذلـك بوضـوح كـأن الرجل كان إلى جواري.

كان ثمة ضوء رمادي قليل في السـماء؛ فقفـزت إلى الغابـة، واسـتلقيت لغفوة قصيرة قبل أن أتناول الإفطار.

fb/mashro3pdf

# الفصل الثّامن

كانت الشمس قد ارتفعت عاليًا في السماء حين استيقظت، فخمنت أن الساعة قد تجاوزت الثامنة. استلقيت هناك على العشب في الظل المنعش أفكر في أشياء عديدة، وأنا أشعر بالراحة والارتياح والرضى إلى حد كبير. كان بمقدوري أن أرى الشمس عبر ثغرة أواثنتين، لكنها كانت أشجارًا ضخمة تحيط بي، وموحشةً هناك وسطها. وهناك بقع من الضوء على الأرض، في الأماكن التي يتسلل فيها نور الشمس من بين أوراق الشجر، واهتزت تلك البقع قليلاً، فكشفت وجود بعض النسيم بالأعلى. وسنجابان يجلسان على فرع شجرة، ويثرثران قربي من دون خوف.

كنت في قمة الراحة والكسل- لا أرغب في النهوض وإعداد الإفطار. حسنًا، فقد كنت أنعس مرةً أخرى حين ظننتُ أنني سمعت صوتًا عميقًا "بووم!" يأتي من النهر بعيدًا. نهضت، واتكأت على مرفقيَّ وأنصت؛ سرعان ما سمعته من جديد. قفزت، وتقدمت لأرى ما يحدث عبر فجوة بين أوراق

fb/mashro3pdf

الشجر، ورأيت سحابة من دخان تتمدد فوق النهر لمسافة بعيدة- ملاصقةً للمعدية. كانت المعدية ممتلئة بالناس وتتجه جنوبًا. أدركت الأمر الآن. "بووم"! ورأيت الدخان يندفق من جانب المعدية. وكما ترى، فهم يُطلقون المدفع فوق الماء ليدفعوا بجثتي إلى الطفو.

كنتُ شديد الجوع، لكن لم يكن من المنطقي إشعال النار، وإلا لمحوا الدخان. فجلست هناك أشاهد دخان طلقات المدفع وأستمع إلى أصواتها. كان النهر عريضًا في هذه البقعة، ويبدو دائمًا جميلًا في صباح الصيف- لذلك قضيت وقتًا ممتعًا وأنا أراقبهم وهم يبحثون عن بقاياي، وتمنيت أن أحظى ببعض الطعام. حسنًا، ثم تذكرت كيف أنهم دائمًا ما يضعون بعض الزئبق في أرغفة الخبز، ويتركونها تطفو، لأنها تتجه مباشرة نحو مكان الجثة الغريقة وتتوقف هناك. لهذا، قلت لنفسي إنني سأظل أراقبهم، وإذا طفا أحد الأرغفة بالقرب من مكاني فسوف ألتقطه. انتقلت إلى الناحية المُقابلة لولاية "إلينتوى" من الجزيرة لأرى ما يحمله الحظ لي، ولم يخب ظني. فقد ظهر رغيف كبير مزدوج طافيًا، وكدت ألتقطه بعصا طويلة، لكن قدمي انزلقت فابتعد الرغيف. بالطبع كنت حيث كان التيار أقرب إلى الشاطئ- ولم أحاول التقاطه من جديد. وبعد قليل اقترب رغيف آخر، والتقطته هذه المرة. انتزعت الحشو وأفرغتُ الزئبق، وأعملت فيه أسناني. كان رغيفًا من "مخبز"- جودته عالية، لا كخبزكم الرديء المصنوع من دقيق الذرة.

اخترت مكانًا جيدًا بين أوراق الشجر، وجلست هناك على قطعة خشب، ألتهم الرغيف، وأراقب المعدية، برضاء تام. وآنئذٍ خطر لي خاطر. فكرت في أن أي شخص قام بالصلاة على هذا الخبز، سواء كانت الأرملة أو القس،



fb/mashro3pdf

فسوف يعثر عليَّ، وينتهي بذلك كل شيء. لا شك في هذا، لكن هناك أمرًا ما في الموضوع- وهو، أن هذا الأمر سيتحقق إذا مَا قام بالصلاة شخص مثل الأرملة أو القس، لكنه لن يُجدي معي، وقدرت أن هذا الأمر لا يُجدي سوى مع الصالحين فحسب.

أشعلت الغليون ودخنت لوقت طويل وممتع، وأنا مستمر في المراقبة. كانت المعدية تطفو مع التيار، وخطر لي أن أرى مَن على متنها عندما تمر بي، لأنها سوف تقترب ملاصقة كما حدث مع الرغيف. وعندما وصلت إلى ذلك الحد قربي، أطفأت الغليون واتجهت إلى حيث التقطت الرغيف، واستلقيت خلف قطعة من الخشب على الضفة في مكان مفتوح إلى حدٍّ ما. وحيث تفرعت الخشبة استطعت التلصص من خلالها.

بعد قليل اقتربت المعدية، وانساقت قريبةً جدًّا لدرجة أن من عليها كان يمكنهم إلقاء لوح خشبي والنزول إلى الشاطئ. كان الجميع تقريبًا على متن العبارة. أبي والقاضي "تاتشر"، و"بيسي تاتشر" و"جو هاربر" و"توم سوير"، وخالته العجوز "بولي"، و"سِيد" و"ماري"، وكثيرون غيرهم. كانوا يتحدثون عن جريمة القتل، لكن القبطان تدخل وقال:

- "انظروا جيدًا، الآن؛ فالتيار قوي هنا، وربما انجرف نحو الشاطئ وعلِق وسط النباتات على حافة الماء. آمل ذلك، على أية حال".

لم أكن آمل ذلك. تجمعوا وانحنوا على سياج المعدية، تقريبًا في وجهي، ساكنين، يراقبون الماء بكل تركيز. كنت أراهم بوضوح، لكنهم لا يستطيعون رؤيتي. ثم صاح القبطان:

- "تراجعوا!"، وأطلق طلقة المدفع تلك أمامي مباشرة، فأصابي الصمم من



fb/mashro3pdf

صوتها، وكدت أفقد بصري بسبب الدخان، واعتقدت أنني على وشك المـوت. فإن أطلقوا المزيد من الطلقات، فأظن أنهم سيحـصلون على الجثـة يـسعون وراءها. حسنًا، فأنا لم أتعرض لإصابة، بفضل الله. ابتعدت المعدية واختفت عن ناظري خلف جانب الجزيرة. وكان بإمكاني سماع دوي طلقـات المـدفع بين الحين والآخر، ولكن الصوت اختفى بعد مرور ساعة.

يبلغ طول الجزيرة ثلاثة أميال. وأظنهم وصولوا إلى طرفها الآخر، وتوقفوا عن البحث. لكنهم لم يستسلموا بعد. داروا حول طرف الجزيرة، ودخلوا إلى القناة ناحية ولاية "ميسوري"، عكس التيار، وأطلقوا المدفع من جديد، مرةً واحدة وهم ينسحبون. عبرت إلى الجانب الآخر وشاهدتهم. عندما وصلوا إلى أول الجزيرة توقفوا عن إطلاق المدفع، واتجهوا نحو شاطئ "ميسوري"، وعادوا إلى المدينة.

أدركت أنني بأمان الآن. لن يبحث عني أحد آخر بعـد ذلـك. أخرجـت أشيائي من الزورق، وقررت أن أُخيم بين الأشجار الكثيفة. صنعت خيمة من البطاطين لأضع الأشياء تحتها فلا يطالها المطر. اصطدت قرموطًـا، وشـققت بطنه بالمنشار، وقرب غروب الشمس أشـعلت نـارًا وتناولـت العـشاء. ثـم ألقيت بالصنارة في الماء لتصطاد سمكًا للإفطار.

عندما حل الظلام جلست أدخن بجوار النار، وأنا أشـعر بالرضـا التـام؛ لكن سرعان ما شعرت بالوحدة، فاتجهتُ نحـو الـضفة وأنـصتُ إلى صـوت جريان الماء، وقمت بعد النجوم وقطع الأخشاب الطافيـة، والقـوارب الـتي تمر، ثم ذهبت للنوم؛ فليس هناك ما هو أفضل من ذلك حين تشعر بالوحدة؛ فلا يمكنك البقاء هكذا، فسرعان ما تتغلب عليه.



fb/mashro3pdf

وهكذا الأمر لثلاثة أيام وليالٍ. لا فرق- نفس الشيء تمامًا. لكني بدأت في اليوم التالي استكشاف أنحاء الجزيرة. كنت رئيسها؛ وكلها لي، إن جاز التعبير، وأردت معرفة كل شيء عنها؛ والأهم أنني كنت أريد قضاء الوقت. وجدت الكثير من الفراولة، الناضجة والنيئة؛ وعنبًا صيفيًّا أخضر، وتوتًا أخضر، وكان العليق على وشك الإثمار. قدرت أن كل الثمار ستنضج بعد أيام قليلة.

حسنًا، مضيت أعبث في قلب الغابة حتى أدركت أنني لست بعيدًا عن نهاية الجزيرة. كنت أحمل البندقية، لكنني لم أصوب على شيء؛ كانت فقط للحماية؛ وفكرت في اصطياد بعض الطيور قرب الخيمة. في ذلك الحين تقريبًا كدت أخطو فوق ثعبان ضخم الحجم، لكنه انسل مبتعدًا بين الحشائش والزهور، وأنا وراءه، محاولاً إطلاق النار عليه. اختصرت الطريق، وفجأةً تمامًا قفزتُ مباشرةً في رماد نار مخيم ما يزال الدخان يتصاعد منها.

قفز قلبي بين ضلوعي. ولم أنتظر لأرى أكثر من هذا، بل هيأت بندقيتي وتراجعت متسللاً على أطراف أصابعي بأسرع ما يمكنني. ومن حين لآخر، كنت أتوقف للحظة بين الأوراق المُتشابكة وأنصت، لكن صوتي أنفاسي كان قويًا لدرجة أنني لم أسمع سواه. تسللت إلى مكان أبعد، ثم أنصتُّ من جديد؛ وهكذا، وهكذا. فإذا رأيت جذع شجرة، ظننته رجلًا؛ وإن خطوت على عصى وكسرتها، أحسستُ كأن أحدهم شق صدري إلى نصفين ولم يتبق لي سوى نصف واحد، بل النصف الأصغر.

عندما وصلت إلى المخيم، لم أكن أشعر بالتهور، لم ينتبني الذعر؛ لكني قلت لنفسي إنه لا وقت للعبث بالمنطقة. لذلك حملت كل حاجياتي إلى



fb/mashro3pdf

الزورق مرةً أخرى حتى لا يراها أحد، وأطفأت النار ونثرت الرماد لتبدو كأنها من مخيم قديم العام الماضي، ثم تسلقت شجرة.

أظن أنني بقيت فوق الشجرة ساعتين؛ من دون أن أرى شيئًا، من دون أن أسمع شيئًا- لكني **تخيلت** أنني رأيت وسمعت آلاف الأشياء. حسنًا، فلم يكن بمقدوري أن أبقى فوق الشجرة إلى الأبد؛ لذلك نزلت في النهاية، لكني بقيت في المنطقة كثيفة الأشجار، وفي حالة ترقب دائم. وكل ما استطعت تناوله هو بعض التوت وما بقي من الإفطار.

بمرور الوقت حل الظلام، وتزايد شعوري بالجوع. لذلك انتهزت فرصة الظلام وانسللت من الشاطئ قبل سطوع القمر وجذفتُ إلى شاطئ "إلينوي"- حوالي ربع ميل. خرجت إلى الغابة وطهوتُ عشاءً، وكنت على وشك أن أقرر البقاء هناك طوال الليل حين سمعت **بلَنكِتي-بلَنك، بلَنكِتي-بلَنك**، وقلت لنفسي هناك خيول قادمة؛ ثم سمعت بعد ذلك أصوات ناس. وضعت كل شيء في الزورق بأسرع ما يمكنني، ثم زحفت بين الأشجار لأستكشف الأمر. سمعتهم يقولون:

- "من الأفضل أن نُخيم هنا إذا وجدنا مكانًا مُناسبًا؛ فالخيول على وشك الهلاك. فلننظر حولنا".

لم أنتظر، لكني انطلقت وجذفتُ مبتعدًا بسرعة. اتجهت إلى مكاني القديم، وفكرت في النوم في الزورق.

لم أنم طويلًا. لم أستطع، إلى حدٍّ ما بسبب التفكير. وكل مرةً أستيقظ فيها أتخيل أن أحدهم يقبض على رقبتي. لذلك لم يكن للنوم جدوى. وبعد قليل قلت لنفسي، لا يمكنني العيش بهذه الطريقة؛ لابد من اكتشاف مَن



fb/mashro3pdf

هم هؤلاء الناس الذين يعيشون معي على الجزيرة؛ سأكتشف ذلك وإلا انفجرت. حسنًا، فقد فشعرت بعدها بالارتياح.

لهذا أمسكت بالمجذاف وابتعدت بالزورق عن الشاطئ خطوة أو اثنتين، وبعدها تركته ينزلق وسط الظلال. كان القمر مشرقًا، وخارج الظلال كان أقرب إلى ضوء النهار. تقدمت إلى الأمام بالزورق قرابة ساعة، وكان كل شيء ساكنًا كالصخور وفي سبات عميق. حسنًا، ففي ذلك الحين كنت قد شارفت على بلوغ آخر الجزيرة. بدأ نسيم بارد يهب، بصورة متماوجة قليلاً، وكان هذا علامة واضحة على انقضاء الليل. درتُ بالزورق باستخدام المجذاف لتوجيه مقدمته إلى الشاطئ؛ ثم حملت البندقية، وتسللت إلى مشارف الغابة. جلست هناك فوق قطعة من الخشب، ونظرت من بين أوراق الشجر. غاب ضوء القمر عن نظري، وبدأ الظلام يغطي النهر. لكن خلال لحظة لمحت شعاعًا باهتًا على قمم الأشجار، فأدركت أن النهار قد حان. لذلك حملت البندقية وتسللت إلى حيث عثرت على نار المخيم، متوقفًا كل دقيقة أو دقيقتين لأنصت. لكن الحظ لم يحالفني على نحوٍ ما؛ فلم أستطع العثور على المكان فيما يبدو. لكن بعد قليل، أيقنت أنني رأيت لهبًا عن بُعد خلال الأشجار. تقدمت نحوه، ببطء وحذر. بعد قليل، كنت قريبًا لدرجة تمكنني من الرؤية، فرأيت رجلًا ينام على الأرض. كاد قلبي يتوقف من الرعب. كان يلف رأسه ببطانية، وتكاد رأسه تلمس النار. كمنتُ هناك خلف أجمة، على بعد ستة أقدام منه، وثبت نظري عليه. كان ضوء النهار يبدأ في الظهور الآن. سرعان ما تثاءب وتمطى وأزاح البطانية عن نفسه، لقد كان "جيم" خادم الآنسة "واتسون". كنت في غاية السرور



fb/mashro3pdf

لرؤيته. قلت له وأنا أخرج من مكمني:

- "أهلًا يا "چيم"!"

انتفض وحدق في وجهي برعب. ثم جثا على ركبتيه، وشبك أصابع كفيه وهو يقول:

- "لا تؤذني- لا! فأنا لم أتعرض للأشباح بأي أذى. دائمًا أحب الموتى، وأفعل ما بوسعي من أجلهم. عد إلى النهر من جديد، إلى حيث تنتمي، ولا تؤذ "چيم" العجوز، فلقد كان دائمًا صديقك".

لم أستغرق وقتًا طويلًا لأشرح له أنني لم أمت. كنت في غاية السعادة لرؤية "چيم". فلم أعد وحيدًا الآن. أخبرته أنني لا أخشى أن يشي بمكاني. كنت أتحدث وهو قابع هناك ينظر نحوي؛ لم ينطق أبدًا. ثم قلت له:

- :إن ضوء النهار جيد. فهيا نتناول الإفطار. أشعل نار مخيمك جيدًا".

- "ماذا سنفعل بإشعال نار المخيم، هل سنطهو عليها الفراولة أم لحاء الأشجار؟ لكن لديك بندقية، أليس كذلك؟ إذن فيمكننا الحصول على طعام أفضل من الفراولة".

- "فراولة ولحاء أشجار. هل ذلك ما تعيش عليه؟"

- "لا أستطيع الحصول على شيء آخر".

- "لماذا، كم مضى على وجودك في الجزيرة، يا "چيم"؟"

- "وصلت إلى هنا في الليلة التي تم قتلك فيها".

- "ماذا؟ كل هذا الوقت؟"

- "أجل- بالتأكيد".

- "ولم يكن لديك سوى على هذه النفايات لتأكلها؟"



fb/mashro3pdf

- "لا لم أحصل على شيء سواها".

- "حسنًا، لا بد أنك تتضور جوعًا، أليس كذلك؟"

- "أظن أنني قادر على التهام حصان. أظن ذلك. كم من الوقت مضى على وجودك هنا في الجزيرة؟"

- "منذ الليلة التي تم قتلي فيها".

- "لا! حقًا، وماذا كنت تأكل؟ ولكن لديك بندقية. آه، أجل، لديك بندقية. هذا جيد. الآن اذهب لتصطاد شيئًا حتى أشعل النار".

هكذا عدنا إلى مكان الزورق، وفيما كان يقوم بإشعال النار في مكان عشبي مفتوح وسط الأشجار، أحضرت بعض الخبز ولحم الخنزير والبن، وإناء القهوة، ومقلاة، وبعض السكر وكوبين من الصفيح، فتراجع الزنجي وهو خائف، إذ ظن أنني أحضرت هذه الأشياء باستخدام السحر. اصطدت قرموطًا كبيرًا، وقام "چيم" بتنظيفه بسكينه، ثم قام بقليه.

عندما أصبح الإفطار جاهزًا، افترشنا العشب والتهمناه وهو ساخن. أكل "چيم" بكل قوته، فقد كان يتضور جوعًا. وعندما انتهينا من ملء بطوننا جيدًا، تمددنا على العشب في كسل. بعد قليل قال "چيم":

- "استمع إليّ يا "هاك"، مَن الذي قُتل في الكوخ إن لم يكن أنت؟"

آنئذٍ أخبرته بالقصة كاملة، فقال إن ذلك كان ذكاءً مني. وحتى "توم سوير" لا يستطيع وضع خطة مثل خطتي. فسألته:

- "لماذا أتيت إلى هنا يا "چيم"، وكيف وصلت؟"

بدا عليه عدم الارتياح تمامًا، ولم يقل شيئًا لدقيقة. ثم قال:

- :من الأفضل ألا أخبرك".



fb/mashro3pdf

- "لماذا يا "چيم"؟"

- "حسنًا، هناك العديد من الأسباب. ولكن لا تخبر أحدًا بما أخبرتك، هل تعدني يا "هاك"؟"

- "فليلعني الرب إذا فعلت".

- "حسنًا، أنا أثق بك، يا "هاك". أنا- هربت".

- "ماذا تقول يا "چيم"!"

- "تذكر أنك قد وعدتني ألا تخبرأحدًا بذلك- تعرف أنك وعدتني يا "هاك"."

- "أجل، لقد وعدتك. قلت إنني لن أفعل، وأنا مُلتزم بوعدي. أقسم أن أفعل. ولربما وصفني الناس بأنني "إبطالي"(*) مخادع، واحتقروني لأنني لالتزامي الصمت- لكن هذا لا يهم. فلن أخبر أحدًا، ولن أعود إلى هناك، على أية حال. فهيا، الآن، أخبرني بالقصة كاملة.

- "حسنًا، كما ترى، حدث الأمر كما يلي. الآنسة العجوز- الآنسة "واتسون"- اعتادت على توبيخي طوال الوقت، ومعاملتي بفظاظة، إلا أنها كانت تقول إنها لن تبيعني في "نيو أورليانز". لكني لاحظت أن هناك تاجر عبيد يتردد على المنطقة مؤخرًا، فبدأت أقلق. حسنًا، وذات ليلة تسللت في وقت متأخر قرب الباب، الذي لم يكن مُحكم الغلق، فسمعت الآنسة العجوز تقول للأرملة إنها سوف تبيعني في "نيو أورليانز"(**)، رغم أنها لا

(*) الإبطالي Abolitionist: مصطلح دال على مَن كانوا يتبنون المطالبة بـ"إبطال الرق".

(**) أكبر سوق للرقيق في الولايات المتحدة في ذلك الوقت.



fb/mashro3pdf

تريد ذلك، لكنها ستحصل على ثمانمائة دولار من ورائي، وهو مبلغ كبير من المال لا يمكنها مقاومته. حاولت الأرملة أن تحصل منها على وعد بعدم بألا تفعل، لكني لم أنتظر حتى أسمع بقية الحوار. وسارعت بالهرب.

"أسرعت في نزول التل، وتوقعت أن أتمكن من سرقة أحد القوارب التي يتركها أصحابها على الشاطئ ويتجهون إلى المدينة. لكن كان هناك بعض الناس على الشاطئ، فاختبأت في محل قديم متهدم لصناعة البراميل قرب الضفة إلى أن يرحل الجميع. حسنًا، حل الليل. كان هناك البعض موجودين طوال الوقت. وفي حوالي السادسة صباحًا بدأت القوارب في الرحيل، وفي حوالي الثامنة أو التاسعة، كان كل من في القوارب يتحدثون كيف وصل والدك إلى المدينة وهو يقول إنك قُتلت. فاحتشدت القوارب الأخيرة بالسيدات والرجال في طريقهم لرؤية موقع الجريمة. أحيانًا كانوا يعودون إلى الشاطئ ليرتاحوا قليلًا قبل أن يعاودوا البحث من جديد، ومن خلال حديثهم عرفت بمقتلك، وحزنت كثيرًا على أنك قُتلت، يا "هاك"، لكني عرفت أن هذا ليس صحيحًا الآن.

"اختبأت طوال النهار تحت نشارة الخشب. كنت جائعًا، لكنني لم أكن خائفًا؛ إذ كنت أعلم أن الآنسة والأرملة ستذهبان إلى اجتماع إحياء الإنجيلية المسيحية بعد الإفطار، وستقضيان اليوم بطوله هناك، وستظنان أنني ذهبت إلى المرعى مع الماشية، ولن تتوقعا رؤيتي في البيت، ولن تشعرا بغيابي حتى المساء. ولن يشعر الخدم الشبان بغيابي، لأنهم سوف يمنحون أنفسهم إجازة بمجرد أن تبتعد السيدتان عن المنزل.

"حسنًا، حين حل الظلام، اتخذت طريق النهر، وسرت لميلين أو أكثر



fb/mashro3pdf

حتى وصلت إلى خلاء بلا منازل. فكرت فيما يمكن أن أفعل. فكما تعرف، فإن واصلت محاولتي الهروب سيرًا على الأقدام، فستقتفي الكلاب أثري؛ وإن سرقت قاربًا لأعبر به، فسوف يبحثون عنه، كما تعرف، وسيدركون أنني رسوت على الجانب الآخر، حيث يمكنهم اقتفاء أثري. لذلك قلت لنفسي إنني أحتاج إلى طوف؛ فلن يترك أي أثر.

"رأيت ضوءًا يقترب نحوي، فنزلت إلى الماء ودفعت قطعة خشب أمامي وأنا أسبح لأكثر من نصف المسافة في النهر، واختبأت بين كتل الخشب التي جرفها التيار، خافضًا رأسي، وسبحت ضد التيار حتى اقترب الطوف. ثم سبحت نحوه وتشبثت به. حجبت غيمة ضوء القمر فحل الظلام لبرهة. فصعدت وتمددت فوقه. كان الرجال جميعًا يتجمعون في المنتصف، حيث يوجد فانوس. كان النهر يرتفع، ويشتد التيار؛ فقدرت أنني في نحو الرابعة صباحًا سأكون قد ابتعدت بخمسة وعشرين ميلًا، وحينها أنسل منه قبل ضوء النهار وأسبح إلى الشاطئ، ثم أتجه إلى الغابة على ضفة ولاية "إلينوى".

"لكن الحظ لم يحالفني. فعندما كان الطوف بمحاذاة رأس الجزيرة، راح رجل يتقدم نحوي وهو يحمل الفانوس، فأدركت أن الانتظار بلا جدوى، فقفزت إلى الماء من جديد وسبحت نحو الجزيرة. حسنًا، كنت أظن أنني أستطيع الصعود إلى الجزيرة من أي مكان، لكني لم أستطع- فالضفة كانت موحلة للغاية. وكان عليَّ وضع قدمي على الجزيرة قبل أن أجد مكانًا مناسبًا. ذهبتُ إلى الغابة، وقررت ألا أتعامل مع الأطواف مرةً ثانية، طالما كان الفانوس موجودًا بهذا الشكل. كان معي الغليون في فتحة ملتوية، وبعض أعواد الكبريت في القبعة، لذلك لم تبتل، وأصبحتُ على ما يرام.



fb/mashro3pdf

- "ولم تحصل على أي لحم أو خبز كل هذا الوقت؟ لماذا لم تقم باصطياد الضفادع؟"

- "كيف يمكن الحصول عليها؟ فلا يمكنك التسلل والقبض عليها؛ وكيف يمكن للشخص أن يصيبها بحجر؟ كيف يمكن أن يفعل هذا في الليل؟ وبالطبع فلم يكن عليَّ الظهور في ضوء النهار على الضفة".

- "حسنًا، فهمت. كان عليك أن تظل مُختبًا بين الأشجار طوال الوقت، بالطبع. هل سمعتهم يطلقون المدفع؟"

- آه، أجل. كنت أعلم أنهم يبحثون عنك. رأيتهم يمرون من هنا- راقبتهم من بين الأجمات".

جاءت بعض الطيور الصغيرة، تطير لياردة أو ياردتين في كل مرةً وتحط على فروع الأشجار. قال "جيم" إنها علامة على هطول المطر. قال إن طيران الدجاج الصغير بهذا الشكل دليل على الهطول، واعتقد أنه نفس الأمر حين تفعل الطيور الصغيرة ذلك. كنت أنوي اقتناص بعضها، لكن "جيم" منعني. قال إنه يعني الموت. وقال إن والده كان يستلقي مريضًا ذات مرة، وقام أحد إخوته باقتناص طائر، وقالت جدتهم العجوز إن والدهم سوف يموت، ومات.

وقال "جيم" إنه لا يجب على المرء عد الأشياء التي سيطهوها للعشاء، لأن هذا يجلب سوء الحظ. وهو ما يحدث إن نفضت مفرش المنضدة بعد غروب الشمس. كما قال أيضًا إنه إذا مات رجل لديه خلايا نحل، فلابد من إخبار النحل بوفاته قبل صباح اليوم التالي، وإلا فسيذوي النحل ويهجر العمل ويموت. وقال "جيم" إن النحل لا يلدغ الحمقى؛ لكني لم أصدق هذا، لأنني لعبت قرب خلايا النحل مرات عديدة بنفسي، من دون أن يلدغني.



fb/mashro3pdf

سمعت عن بعض هذه الأشياء من قبل، لكن ليس كلها. وكان "جيم" يعرف كل أنواع العلامات. قال إنه يعرف كل شيء تقريبًا. قلت إنه يبدو لي أن كل العلامات لا تتعلق سوى بسوء الحظ، فسألته إن كانت هناك علامات على حُسن الحظ. قال:

"نادرة جدًا- وليست بذات جدوى لأي شخص. لماذا تريد أن نعرف عند اقتراب حُسن الحظ؟ هل تريد إبعاده؟" وأضاف: "إذا كنت غزير الشعر في ذراعيك، وكذلك صدرك، فهذه علامة على أنك ستصبح غنيًا. حسنًا، هناك فائدة من علامة كهذه الآن؟ إنها تخبرك بما سيحدث في المستقبل. وكما ترى، فربما تُعاني من الفقر لفترة طويلة في البداية، وإن عرفت هذا فربما يصيبك الإحباط وتنتحر إذا لم تكن تعرف من علامة الشعر الغزير أنك ستصبح ثريًا في المستقبل".

- "وهل أنت غزير شعر اليدين والصدر، يا "جيم"؟"

- "ما فائدة طرح هذا السؤال؟ ألا ترى بنفسك أنني كذلك؟"

- "إذًا، فهل أنت ثري؟"

- "لا، لكني كنت ثريًا ذات مرة، وسوف أصبح ثريًا من جديد. كان عندي أربعة عشر دولارًا ذات مرة، لكني خسرتها في المضاربة".

- "المضاربة على ماذا، يا "جيم"؟"

- "حسنًا، في البداية ضاربتُ على السندات".

- "أي نوع من السندات؟"

- "السندات الحية- الماشية، كما تعرف. وضعتُ عشرة دولارات في بقرة. لكني لن أخاطر بالمزيد من النقود في السندات. فلقد ماتت البقرة بين

fb/mashro3pdf

يدي".

- "وهكذا خسرت دولاراتك العشرة".

- "لا، لم أخسرها كلها. خسرت نحو تسعة دولارات فقط. فقد بعت الجلد بدولار وعشرة سنتات".

- "إذن تبقى معك خمسة دولارات وعشرة سنتات. هل ضاربتَ من جديد؟"

- "أجل. أنت تعرف ذلك الزنجي الأعرج الذي يمتلكه السيد "براديش"؟ حسنًا، لقد أسس بنكًا، وقال إن أي شخص يودع دولارًا لديه، سوف يأخذ مقابله أربعة دولارات في نهاية العام. حسنًا، لقد أودع كل الزنوج أموالهم لديه، لكنهم لم يحصلوا على الكثير. أنا الوحيد الذي حصل على الكثير. لهذا ضاربتُ بأكثر من أربعة دولارات، وقلت إن لم أحصل عليها فسأقوم بتأسيس بنك بنفسي. وبالطبع حاول ذلك الزنجي إبعادي عن هذا العمل، حيث قال إن العمل المتاح لا يكفي بنكين، ومن ثم أخبرني أنه سيأخذ الخمسة دولارات ويمنحني خمسة وثلاثين في نهاية العام،

"فوافقت. ثم قررت أن أستثمر الخمسة وثلاثين دولارًا حين أحصل عليها وتدور العجلة. وكان هناك زنجي يُدعى "بوب"، يمتلك قطعة كبيرة من الخشب، صنع منها قاربًا مسطحًا، من دون علم سيده؛ اشتريتها منه وقلت له إنني سأعطيه الخمسة وثلاثين دولارًا حين أحصل عليها في نهاية العام؛ لكن أحدهم سرق القارب المسطح في تلك الليلة، وفي اليوم التالي قال الزنجي الأعرج إن البنك قد أفلس. ولهذا فلن يعطوا أحدًا منا نقودًا".

- "وماذا فعلت بالعشرة سنتات، يا "چيم"؟"



fb/mashro3pdf

- "حسنًا، كدت أصرفها، لكنني رأيت حلمًا، وفي الحلم قيل لي أن أعطي العشرة سنتات إلى زنجي اسمه "بالوم"- ينعتونه باسم "مؤخرة بالوم" على سبيل الاختصار؛ كان أحد الأشخاص الأغبياء، الذين تعرفهم. إلا إنه كان محظوظًا، كما يقولون، بينما كنت أعتقد أنني لست محظوظًا. أخبرني الحلم أن أدع "بالوم" يستثمر العشرة سنتات، وأنه سوف يحصل لي على ربح. حسنًا، أخذ "بالوم" النقود، وعندما ذهب إلى الكنيسة، استمع إلى الواعظ وهو يقول إن من يُقرض الرب أمواله، سيحصل على مائة ضعف. فقام "بالوم" بإقراض العشرة سنتات للرب، وانتظر ما يجيء منها".

- "حسنًا، وماذا جاء منها، يا "چيم"؟"

- "لم يجئ أي شيء. ولم أتمكن من الحصول على نقودي مرةً أخرى، بأية حال؛ ولا تمكن "بالوم" من استعادتها أيضًا. تعلمتُ ألا أُقرض أموالي من دون اتخاذ احتياطات كافية. قال الواعظ إنني سأحصل على مائة ضعف! إلا أنني لو استعدتُ العشرة سنتات، فسأعتبر ذلك إنجازًا كبيرًا، وأكون في غاية السعادة".

- "حسنًا، لا بأس يا "چيم" على أية حال، طالما أنك ستصبح ثريًا مرةً أخرى ذات يوم".

- "أجل؛ كما أنني غني الآن، فانظر لذلك. فأنا أمتلك نفسي، ونفسي تساوي ثمانمائة دولار. أتمنى الحصول على هذا المبلغ، لا أريد أكثر منه".

fb/mashro3pdf

# الفصل التاسع

أردت البحث عن موقع في منتصف الجزيرة كنت قد عثرت عليه وأنا أستكشفها؛ فبدأنا البحث ووجدناه سريعًا، لأن طول الجزيرة لا يتجاوز ثلاثة أميال، وعرضها ربع ميل فقط.

كان هذا المكان على بُعد معقول، وقمته تل أو نتوء منحدر يرتفع بنحو أربعين قدمًا. كان صعودنا إلى القمة شاقًّا، والأجناب بالغة الانحدار، والأجمات شديدة الكثافة. واصلنا الصعود والتقافز في كل مكان، وبعد قليل عثرنا على كهف كبير بين الصخور، أقرب إلى القمة، على الجانب المواجه لـ"إلينوى". كان الكهف كبيرًا بحجم حجرتين أو ثلاث مفتوحة معًا، واستطاع "چيم" الوقوف مُنتصب القامة فيه. كان الهواء رطبًا بداخله. رأى "چيم" أن ننقل أمتعتنا إلى الكهف على الفور، لكني قلت له إننا لا نريد الصعود والهبوط هناك طوال الوقت.

قال "چيم" إننا إذا أخفينا الزورق في مكان جيد، ونقلنا كل الأمتعة إلى



fb/mashro3pdf

الكهف، فيمكننا أن نسرع إليه إذا ما أتي أحدهم إلى الجزيرة، ولن يعثر علينا إلا إذا استعان بالكلاب. كما ذكرني بالطيور الصغيرة التي أخبرتنا أن المطر سوف يهطل، وما إن كنت أريد أن تبتل الأمتعة.

لذلك عدنا إلى الزورق، وجدفنا به في اتجاه الكهف، ثم أفرغنا كل الأمتعة هناك. ثم اخترنا مكانًا قريبًا لنخفي الزورق فيه، وسط الصفصاف الكثيف. أخرجنا بعض الأسماك من الصنانير، وجهزناها مرةً أخرى، ثم بدأنا في تجهيز العشاء.

كان باب الكهف واسعًا إلى درجة تكفي لدحرجة برميل من خلاله، كما كانت الأرضية على أحد جانبي الباب بارزة قليلًا ومُسطحة، وتصلح لإشعال النار عليها. فقمنا بإشعال النار وطهونا طعام العشاء.

فردنا البطاطين على الأرض كأنها سجاجيد، وتناولنا العشاء فوقها. ثم وضعنا الأمتعة في مؤخرة الكهف، كيفما اتفق. وسرعان ما حل الظلام، وبدأ البرق والرعد؛ لهذا كانت الطيور على حق في ذلك. سقط المطر من فوره، وانهمر بغزارة، أيضًا، كما هبت الرياح بطريقة لم أرها في حياتي من قبل. كانت إحدى عواصف الصيف المُعتادة. بدأ الظلام يزداد حتى أصبح لون السماء بين الأسود والأزرق، وكان مشهدًا رائعًا في الخارج؛ بينما استمر المطر ينهال بغزارة حتى بدت الأشجار البعيدة داكنة وأشبه بشبكة العنكبوت؛ ثم هبت رياح عاصفة فانحنت الأشجار وظهر الوجه السفلي لأوراقها؛ تبعتها رياح عاتية جعلت فروع الأشجار تلاطم أذرعها كأنها قد توحشت؛ وبعدها، حين أصبحت الدنيا أكثر زرقةً وسوادًا- "بانجا"، أشرقت كما المجد، ولديك لمحة صغيرة من قمم الأشجار التي تغوص بعيدًا هناك في العاصفة،



fb/mashro3pdf

أبعد مما كان بمقدورك أن تراها من قبل بمئات الياردات؛ وظلام كالخطيئة مرةً أخرى بعد لحظة واحدة، وتسمع الآن الرعد ينفجر بارتطام مرعب، ثم يمضي هادرًا، متذمرًا، متقهقرًا، هابطًا نحو الجانب السفلي من العالم، كبراميل فارغة تتدحرج من أعلى سُلم- وكأن السُلم طويل، وهي تتقافز بقوة، كما تعرف.

- "هذا رائع، يا "چيم"، لا أود أن أذهب إلى أي مكان آخر سوى هنا. ناولني قطعة سمك أخرى ورغيفًا ساخنًا من خبز الذرة".

- "حسنًا، فلم تكن لتوجد هنا، لولا "چيم". كنت ستظل بالأسفل في الغابة، من دون أي طعام، ومبتلًا إلى حد الغرق، أيضًا، يا عزيزي. الدجاج يعلم متى سيسقط المطر، وكذلك الطيور، يا بُني".

استمر ماء النهر في الارتفاع والارتفاع على مدار عشرة أيام، أو اثني عشر يومًا، حتى فاض في النهاية على الضفتين. كان الماء بعمق ثلاثة أو أربعة أقدام في المناطق المنخفضة على الجزيرة، ناحية "إلينوي". أصبح عرض النهر في تلك الجهة عدة أميال، بينما ناحية "ميسوري" ظل عرضه كما هو- نصف ميل- لأن ضفة "ميسوري" كانت مجرد جدار صخري مرتفع.

جذفنا في أنحاء الجزيرة بالزورق نهارًا، كان الجو شديد البرودة وظليلاً في عمق الغابة، حتى إن كانت الشمس متوهجة بالخارج. كنا ندور داخلين خارجين من بين الأشجار، وأحيانًا كانت الكروم المتدلية بالغة الكثافة إلى حد أن تفرض علينا الرجوع، والبحث عن طريق آخر. حسنًا، كنا نرى الأرانب والثعابين وغيرها على كل شجرة عجوز متهاوية، وحين انغمرت الجزيرة لمدة يوم أو يومين، أصبحت تلك الحيوانات أليفة للغاية، بسبب



fb/mashro3pdf

جوعها، لدرجة أنك تجذف عندها وتضع يدك عليها إن أردت؛ عدا الثعابين والسلاحف- فقد كانت تنسل في المياه. اكتظت قمة التل أمام كهفنا بهذه الحيوانات. وكان بمقدورنا الحصول على ما يكفينا من الحيوانات الأليفة إن أردنا.

وذات ليلة، التقطنا قطعة صغيرة من طوف خشبي -ألواح صنوبر جيدة. عرضها اثنا عشر قدمًا وطولها خمسة عشر أو ستة عشر قدمًا، ومقدمتها ترتفع فوق الماء بست أو سبع بوصات- أرضية مسطحة، قوية. كما رأينا جذوع أشجار تمضي في النهار أحيانًا، لكننا تركنها تمضي؛ فلم نكن لنظهر في ضوء النهار.

وذات ليلة أخرى، حين كنا فوق رأس الجزيرة، قبل الشروق تمامًا، إذا بمنزل خشبي صغير قادم من الناحية الغربية. كان يتكون من طابقين، ويميل كثيرًا. جدفنا بالزورق وصعدناه- دخلناه من نافذة علوية. لكن الظلام كان حالكًا إلى حد انعدام الرؤية، فعدنا إلى الزورق بسرعة وربطناه في المنزل انتظارًا لضوء النهار.

بدأ الضوء في الظهور قبل أن نصل إلى آخر الجزيرة. فنظرنا من النافذة. استطعنا تمييز سرير ومنضدة، وزوج من الكراسي القديمة، والكثير من الأشياء المُبعثرة على الأرضية، كما كان هناك بعض الملابس المُعلقة على الحائط. كان هناك شيء يتمدد على الأرضية في الزاوية البعيدة، كان يبدو أنه رجل. لذلك صاح "چيم":

- "أهلًا- أنت!"

لكنه لم يتزحزح، فصحت عليه مرةً أخرى، ثم قال "چيم":



fb/mashro3pdf

- "هذا الرجل ليس نائمًا- إنه ميت. ابق ساكنًا- سوف أذهب لأرى".

ذهب إليه، انحنى وتطلع فيه، وقال:

- "إنه رجل ميت. نعم، فعلاً؛ كما أنه عارٍ أيضًا. أطلق أحدهم عليه النار من الخلف. أظن أنه ميت منذ يومين أو ثلاثة. تعال، يا "هاك"، لكن لا تنظر إلى وجهه- إنه داهٍ للغاية".

لم أنظر إليه على الإطلاق. وألقى "چيم" بعض الخرق عليه، لكنه لم يكن بحاجة لفعل ذلك؛ فلم أكن أرغب في النظر إليه. كان هناك الكثير من أوراق اللعب القديمة الملوثة بالشحم مُبعثرة على الأرضية، وبعض زجاجات الويسكي القديمة، وقناعان مصنوعان من قماش أسود اللون؛ وعلى الجدران كلها نوعٌ بدائي من الكلمات والرسوم بالفحم. وكان هناك ثوبان قذران من القطن، وقبعة شمس نسائية، وبعض الملابس الداخلية النسائية مُعلقة على الحائط، وبعض الملابس الرجالية أيضًا. نقلنا كل شيء إلى الزورق- فربما نفعتنا. كما كانت هناك قبعة أطفال قديمة ومبقعة من القش، مُلقاة على الأرضية؛ أخذتها، أيضًا. كما كانت هناك زجاجة بها بعض اللبن، لها حلمة من القماش لكي يرضع منها طفل. كنا سنأخذ الزجاجة، لكنها انكسرت. وكان هناك صندوق قديم بائس، وحقيبة من الوبر القديم ذات مفاصل مكسورة. كانا مفتوحين، لكن لم يكن بهما شيء ذو قيمة. استنتجنا الطريقة التي بُعثرت بها الأشياء أن أصحاب المنزل قد غادروا على عجل، ولم يكونوا بحال تسمح بحمل معظم متاعهم.

كما حصلنا على فانوس قديم من الصفيح، وسكين جزار بلا يد، وسكين جديد من نوع "بارلو" يساوي دولارين في أي متجر، والكثير من الشموع



fb/mashro3pdf

المصنوعة من الشحم، وشمعدان من الصفيح، وقرعة يقطين، وكوب من الصفيح، ولحاف قديم بائس من السرير، وعلبة بها إبر ودبابيس، وشمع عسل، وأزرار وخيط وغيرها من الأشياء، وشاكوش صغير وبعض المسامير، وخيوط صنارة في سُمك إصبعي الصغير به خطاطيف رهيبة، ولفة من الخيش، وطوق كلاب جلدي، وحدوة حصان، وبعض قوارير الدواء من دون أوراق تدل على ما بها؛ وحين كنا على وشك الرحيل، وجدت مشطًا جيدًا لتمشيط الخيل، كما وجد "چيم" قوس كمان قديمًا ومهلهلًا، وساق خشبية. كانت أشرطتها منزوعةً منها، لكنها عدا ذلك، كانت ساقًا في حالة جيدة، على الرغم من كونها طويلة بالنسبة لي، وصغيرة بالنسبة لـ"چيم"، ولم نستطع العثور على الساق الأخرى، رغم بحثنا عنها في كل مكان.

وهكذا، فعندما أخذنا هذه الأشياء، أطلقنا صيحة فرح. وعندما تأهبنا للانطلاق، كنا على بعد ربع ميل من الجزيرة، وأصبحنا في وضح النهار؛ لذلك طلبت من "چيم" أن يتمدد في الزورق ويغطي نفسه باللحاف، لأنه لو جلس فسيمكن للناس أن يخبروا أنه زنجي من مسافة بعيدة. جذفتُ بالزورق نحو شاطئ "إلينوي"، واندفعتُ مسافة نصف ميل تقريبًا. زحفتُ في الماء الساكن إلى جوار الضفة، ولم يحدث سوء، ولم أشاهد أي شخص. وعدنا إلى الكهف في أمان.

fb/mashro3pdf

# الفصل العاشر

بعد أن تناولنا الإفطار، وددت أن نتحدث بشأن القتيل، ونُخمن كيف تم قتله؛ لكن "چيم" لم يرغب في ذلك. قال إن مثل هذا الحديث قد يجلب سوء الحظ؛ وفضلاً عن ذلك- كما قال- فإن شبحه يمكن أن يأتي ويطاردنا؛ قال إن شبح الرجل الذي لم يدفن مرجح أن يحوم بالمكان أكثر من شبح مَن دُفن ارتاح في قبره. بدا كلامه معقولًا تمامًا، فلم أتحدث في الأمر بعد ذلك؛ لكنني لم أستطع منع نفسي من التفكير في الأمر، وتمني أن أعرف من أطلق عليه الرصاص، ولماذا فعلوا ذلك.

فتشنا الثياب التي حصلنا عليها، ووجدنا ثمانية دولارات من الفضة، مُخبأة في بطانة معطف صوفي قديم. قال "چيم" إنه يعتقد أن مَن كانوا يسكنون المنزل سرقوا المعطف، لأنهم لو علموا بأمر المال لما تركوه. قلت له إنني أظن أنهم قتلوا الرجل أيضًا؛ لكن "چيم" رفض الحديث في هذا الموضوع. قلت له:

fb/mashro3pdf

- "أنت تظن الآن أن هذا يجلب سوء الحظ؛ فماذا قلت عندما فتشت جلد الثعبان(*) الذي وجدته أعلى القمة أمس الأول؟ قلت إن أسوأ أنواع سوء الحظ في العالم أن ألمس جلد الثعبان بيدي. حسنًا، هذا هو سوء الحظ! لقد جرفنا كل هذه الأشياء، بالإضافة إلى ثمانية دولارات. أتمنى أن يُصيبني سوء حظ كهذا كل يوم، يا "چيم".

- "لا تقلق، يا عزيزي، لا تقلق. لا تتسرع. فهو قادم. تذكر أنني أخبرتك أنه قادم".

وقد أتى، أيضًا. كان حديثنا يوم ثلاثاء. حسنًا، فبعد تناولنا الغداء يوم الجمعة، تمددنا على العشب على حافة القمة العليا، وأخرجت الغليون. توجهت إلى الكهف لأحضر بعض الطباق، فوجدت أفعى مجلجلة هناك. قتلتها، ولففتها في طرف بطانية "چيم"، بشكل طبيعي تمامًا، مُعتقدًا أنه سيكون موقفًا مُضحكًا حين يجدها "چيم" هناك. حسنًا، في الليل نسيت أمر الأفعى تمامًا، وعندما رمى "چيم" بنفسه على البطانية وأنا أشعل المصباح، ظهر وليفُ الأفعى، ولدغه.

قفز وهو يصرخ، وأول ما أظهره الضوء هو التفاف الثعبان على نفسه واستعداده للدغة جديدة. قتلته في لحظة واحدة بضربة عصى، وجذب "چيم" قنينة ويسكي أبي، وبدأ يصب منها.

كان حافي القدمين، وجاءت لدغة الأفعى في الكاحل تمامًا. كل ذلك كان نتيجة حماقتي أنني نسيت أنك أينما تقتل الأفعى، فدائمًا ما يأتي وليفها إليها

---

(*) هو جلد قشري، ينسلخ منه الثعبان ويحصل على جلد جديد.



fb/mashro3pdf

ويلفها بجسمه. طلب "چيم" مني أن أقطع رأس الأفعى وألقي بها بعيدًا، ثم أسلخ الجلد، وأشوي قطعة من لحمها. فعلت ما طلب، وأكل قطعة اللحم وقال إنها ستساعد في شفائه. ثم طلب مني أن أقطع جلاجل الأفعى وأربطها حول معصمه، أيضًا. قال إن هذا سوف يساعد أيضًا. تسللت بعد ذلك بهدوء وألقيت بالثعبانين بعيدًا تمامًا بين الأشجار؛ حتى لا يكتشف "چيم" أن ما حدث له كان كله بسببي.

ظل "چيم" يجرع ويجرع من القنينة، ومن حين لآخر كان يفقد صوابه ويتلوى وهو يصرخ؛ لكنه كل مرةً عاد فيها إلى رشده كان يجرع من القنينة من جديد. تورمت قدمه للغاية، وكذلك ساقه؛ لكن سرعان ما أتى الشراب بمفعوله، فأدركت أنه يتحسن؛ لكني كنت أفضل أن تلدغني أفعى بدلًا من خسارة ويسكي أبي.

ظل "چيم" راقدًا لمدة أربعة أيام وأربع ليالٍ. بعدها اختفى التورم تمامًا وبدأ يتحرك من جديد. قررت ألا أمسك بجلد ثعبان مرةً أخرى بيدَي، بعد أن رأيت عاقبة ذلك. وقال لي "چيم" إنه يعتقد أنني سوف أصدقه بعد ذلك. وقال إن إمساك جلد الثعبان نحس رهيب وربما لم نتخلص منه بعد. وقال إنه يفضل أن يرى البدر عبر كتفه اليسرى آلاف المرات عن الإمساك بجلد ثعبان بيده. حسنًا، كنت قد بـ ت أقتنع بكلامه، على الرغم من أنني كنت أعتقد دائمًا أن النظر إلى البدر عبر الكتف اليسرى لهو أكبر حماقة وطيش يمكن أن يرتكبه إنسان. لقد فعلها العجوز "هانك بنكر" ذات مرة، وكان يتفاخر بذلك؛ لكنه في أقل من عامين شرب حتى سَكِر، وسقط من أعلى برج إطلاق المقذوفات النارية، وتبعثرت جثته على الأرض كأنها طبقة مُسطحة،



fb/mashro3pdf

إذا جاز القول؛ وزلقوه بصورة جانبية بين بابي حظيرة، بدلًا من تابوت، ودفنوه على تلك الشاكلة، لكني لم أشاهد ما حدث. والدي هو مَن أخبرني. لكن على أية حال، فكل ما حدث له كان نتيجة نظره إلى البدر بتلك الطريقة، كالأحمق.

حسنًا، مرت الأيام، وانخفض منسوب النهر بين ضفتيه من جديد؛ وكان أول شيء نقوم به هو وضع أرنب نحيل كطُعم في خطاطيف الصنارة الكبيرة، ونصبها، فاصطدنا قرموطًا بحجم رجل، طوله ستة أقدام وبوصتان، ويزن أكثر من مائتي رطل. لم نتمكن من التعامل معه، بالطبع؛ فقد كان قادرًا على سحبنا حتى "إلينوي". اكتفينا بالجلوس هناك ومشاهدته وهو يندفع ويتلوى حتى غرق. وجدنا في معدته زرارًا نحاسيًا وكرة مستديرة، والكثير من القمامة. شطرنا الكرة ببلطة، فوجدنا بداخلها بكرة. قال "چيم" إنها كانت بداخله لوقت طويل، لأنها مكسوة وتتحول إلى كرة. كانت أكبر سمكة تم اصطيادها في نهر "الميسيسبي"، على ما أعتقد. وقال "چيم" إنه لم ير سمكة في حجمها من قبل. ولو أننا بعناها في القرية لحصلنا على ثروة. فهم يبيعون السمكة من هذا القبيل بالرطل هناك في المتجر؛ وكل واحد يشتري منها لنفسه؛ لحمها أبيض كالثلج، وسيكون طعمه جميلًا عند القلي.

في الصباح التالي، قلت له إن الحياة أصبحت بطيئة ومملة، وإنني أحتاج إلى القيام بشيء مثير. قلت إنني فكرت في التسلل على النهر لمعرفة ما يجري. أعجب "چيم" بالفكرة؛ لكنه قال إنني يجب أن أذهب في الليل وأن أكون على حذر. ثم فكر في الأمر وقال، ألا يمكنك ارتداء بعض الأشياء القديمة والملابس النسائية لتبدو كأنك فتاة؟ وكانت تلك فكرة جيدة أيضًا. فقمنا



fb/mashro3pdf

بتقصير أحد الفستانين القطن، وثنيت طرفي بنطلوني إلى ما فوق الركبة ثم ارتديته. قام "چيم" بتثبيت المشابك من الخلف، فناسبني تمامًا. ارتديت القبعة النسائية وربطت شريطيها تحت ذقني، فإذا ما نظر إليّ أحدهم حينها، سيبدو له وجهي كأنها مدخنة فرن موجهة لأسفل. قال "چيم" إن أحدًا لن يستطيع التعرف عليّ، حتى في ضوء النهار. قضيت النهار في التدرب على الأمر، وبعد قليل قال "چيم" إن بمقدوري أن أتصرف بشكل جيد هكذا، إلا أنه قال إنني فحسب لا أمشي بطريقة الفتيات؛ وقال إنني يجب أن أكف عن رفع الفستان كلما أردت وضع يدي في جيبي. التزمت بملاحظته، وتحسن أدائي.

اتجهت بالزورق إلى شاطئ "إلينوي" بعد حلول الظلام مباشرةً. توجهت عابرًا إلى المدينة بالقرب من مرسى القوارب، ودفعني انسياب التيار حتى آخر المدينة. ربطت الزورق ثم سرت بمحاذاة الضفة. كان ثمة ضوء ينبعث من كوخ صغير كان مهجورًا لفترة طويلة من الزمن، وتساءلت مَن الذي اتخذه سكنًا هناك. تسللت واختلست النظر من النافذة. كانت هناك سيدة في نحو الأربعين من عمرها، تغزل بالإبرة على ضوء شمعة مثبتة على منضدة من خشب الصنوبر. لم أكن أعرف وجهها؛ كانت غريبة، لأنني أعرف وجوه كل سكان المدينة. وكان ذلك من حسن حظي، لأنني بدأت أشعر بالتوتر؛ بدأت أخاف من قدومي إلى هنا، فيمكن أن يتعرف الناس عليَّ من صوتي، ويكتشفونني. لكن إذا ما كانت هذه السيدة قد جاءت إلى تلك المدينة الصغيرة منذ يومين، فبإمكانها أن تخبرني بما أريد معرفته؛ لذلك طرقت الباب، وقررت ألا أنسى أنني فتاة.



fb/mashro3pdf

# الفصل الحادي عشر

قالت السيدة: "ادخل"، فدخلت. قالت: "فلتجلسي".

جلست. نظرت إليَّ كُلي بعينين لامعتين، وسألتني:

- "ما اسمك؟"

- "سارة وليامز".

- "أين تقيمين؟ هل تقيمين في هذه المنطقة؟"

- "كلا. في "هوكرفيل"، على بعد سبعة أميال. لقد مشيت كل هذه المسافة حتى أصابني الإرهاق".

- "والجوع، أيضًا، فيما أظن. سأحضر لك بعض الطعام".

- "كلا، لست جائعة. شعرت بالجوع فتوقفت في مزرعة على بُعد ميلين من هنا وأكلت؛ لذلك فلم أعد أشعر بالجوع. وهذا ما جعلني أتأخر. لقد تركت أمي هناك مريضة، وبلا نقود وكل شيء، وأتيت لأخبر عمي "أبنر مور". وهو يعيش في الطرف الآخر في المدينة، كما قالت لي. ولم آت إلى هنا من





fb/mashro3pdf

قبل. فهل تعرفينه؟"

- "لا، ولكني لا أعرف الجميع بعد. فلقد أقمت هنا منذ حوالي أسبوعين فقط. إنها مسافة كبيرة إلى الطرف الآخر من المدينة. من الأفضل أن تبيتي ليلتك هنا. اخلعي القبعة".

- "كلا، أظن أنني سأرتاح قليلًا، ثم أمضي. فأنا لا أخاف الظلام".

قالت إنها لن تتركني أمضي وحدي، وإن زوجها أوشك على الوصول، ربما في غضون ساعة ونصف تقريبًا، وستجعله يقوم بتوصيلي. ثم بدأت تتحدث عن زوجها، وعن أقاربها الذين يعيشون عند منبع النهر، وأقاربها عند المصب، وكيف كان حالها أفضل في السابق، وكيف أخطأوا حين حضروا إلى هذه المدينة، بدلًا من البقاء حيث كانوا- وهلمجرًا وهلمجرًا، حتى أدركت أنني أخطأت في القدوم إليها لأعرف منها أحوال المدينة؛ لكنها بعد قليل تحدثت عن أبي وعن جريمة القتل، فتمنيت أن تستمر في الحكي بلا توقف. تحدثت عن عثوري أنا و"توم سوير" على الستة آلاف دولار (لكن ما وصلها أن المبلغ كان عشرة آلاف دولار)، وكل ما يتعلق بأبي وكيف كان قاسيًا، وكيف كنت أنا مُشاكسًا، وفي النهاية وصلت إلى حيث قُتلت. قلت:

- مَن الفاعل؟ لقد سمعنا عن الكثير من الأحداث في "هوكرفيل"، لكننا لم نعرف من قتل "هاك فِن".

- "حسنًا، أظن أن هناك فرصة جميلة لدى الناس هنا ليعرفوا القاتل. البعض يظن أن "فن" العجوز هو من قتله".

- "لا- أهو كذلك؟"

- "غالبية الناس اعتقدوا ذلك في البداية. ولن يدرك أبدًا أنه كاد يُعدم



fb/mashro3pdf

من دون مُحاكمة. لكن قبل حلول الليل غير الناس رأيهم، وقرروا أن من قتله زنجي هارب اسمه "چيم".

- "ولماذا هو-"

توقفتُ عن الكلام. ظننت أنه من الأفضل أن أصمت. أكملت حديثها، ولم تنتبه إلى أنني التزمتُ الصمت على الإطلاق:

- "لقد هرب الزنجي في الليلة نفسها التي قُتل فيها "هاك فن". ولذلك فهناك مُكافأة لمن يعثر عليه- ثلاثمائة دولار. وهناك مُكافأة أخرى لمن يعثر على "فن" العجوز، أيضًا- مائتا دولار. وكما ترى، فقد عاد إلى المدينة في الصباح بعد القتل، وأخبر الجميع به، وكان بصحبتهم على الزورق أثناء البحث عن الجثة، لكنه اختفى بعدها مباشرةً. قبل الليل أرادوا أن يقوموا بإعدامه من دون مُحاكمة، لكنه اختفى، كما ترى. حسنًا، في اليوم التالي اكتشفوا اختفاء الزنجي؛ واكتشفوا أن أحدًا لم يره منذ الساعة العاشرة في تلك الليلة التي تمت فيها الجريمة. لذلك ألصقوها به، كما ترى؛ وبينما هم مقتنعون بذلك، عاد العجوز "فن" إلى الظهور، في اليوم التالي، وتشاجر مع القاضي "تاتشر" ليحصل منه على نقود ليتمكن من مُطاردة الزنجي في جميع أنحاء "إلينوي". أعطاه القاضي بعض النقود، إلا أنه شرب الخمر حتى سَكِر في تلك الليلة، وظل يجول في أنحاء المدينة حتى بعد منتصف الليل بصحبة اثنين من الغرباء لهما بنية قوية ونظرات حادة، ثم اختفى معهما. حسنًا، ولم يعد منذ ذلك الحين، وتوقع الجميع ظهوره حين تهدأ الأمور قليلًا، إذ بدأ الناس يعتقدون من جديد أنه قتل ابنه ورتب الأمر ليبدو أمام الناس كأن لصوصًا هم من فعلوا ذلك، ثم يُطالب بنقود "هاك" من دون الحاجة إلى إزعاج



fb/mashro3pdf

نفسه طويلاً بالإجراءات القضائية. يقول الناس إنه قد يفعل هذا نظرًا لطبيعته الشريرة. آه، إنه ماكر، حسب ظني. فإذا لم يرجع قبل عام، فسيكون في أمان. فلن يستطيع أحد إثبات أي شيء ضده، كما تعلم؛ فكل شيء سيكون آنذاك قد خمد، ويمكنه ساعتها الحصول على أموال "هاك" بمنتهى السهولة".

- "أجل، أظن ذلك أنا أيضًا، يا سيدتي. ولا أرى شيئًا يعوق خطته. ولكن ألا يزال الناس يعتقدون أن الزنجي ارتكب الجريمة؟"

- "آه، لا، ليس الجميع. هناك كثيرون يعتقدون أنه فعلها. ولكنهم سيلقون القبض على الزنجي قريبًا، وربما استطاعوا الحصول منه على اعتراف".

- "لماذا، هل ما يزالون يُطاردونه حتى الآن؟"

- "حسنًا، يا لك من فتاة بريئة! وهل يتسنى للناس فرصة الحصول على ثلاثمائة دولار كل يوم؟ فالبعض يعتقد أنه ما يزال قريبًا من هنا. وأنا واحدة منهم- ولكن لا أتحدث في ذلك مع أحد. فمنذ بضعة أيام كنت أتحدث مع عجوزين يعيشان في الكوخ الخشبي المجاور، وحدث أن قالوا إنه نادرًا ما يذهب أحد إلى تلك الجزيرة هناك التي يطلقون عليها اسم "جزيرة جاكسون". سألتهما: "ألا يعيش هناك أحد؟" فقالا: "كلا، لا يعيش هناك أحد". لم أقل ما هو أكثر، لكنني أخذت أفكر. فأنا أكاد أثق بأنني رأيت دخانًا ينبعث من هناك، عند أول الجزيرة، قبل ذلك الحديث بيوم أو يومين، لذلك قلت لنفسي، حتى إن لم يكن الزنجي يختبئ هناك، فالأمر على أية حال يستحق القيام بجولة في المكان. إلا أنني لم أشاهد أي دخان ينبعث من



fb/mashro3pdf

هناك مرةً أخرى، فظننت أنه ربما رحل، إن كان هو؛ لكن زوجي سيذهب إلى هناك ليرى- إن كان هو أو شخصًا آخر. لقد كان على سفر أعلى النهر؛ لكنه عاد اليوم. فأخبرته بشكوكي بمجرد وصوله إلى هنا منذ ساعتين".

شعرت بقلق جعلني لا أستطيع السكون. كان عليَّ أن أشغل يديَّ بأي شيء؛ فالتقطت إبرة من فوق المنضدة، وحاولت أن ألضمها. كانت يداي ترتجفان، فلم أتمكن من ذلك. وحين توقفت السيدة عن الحديث نظرتُ إلى أعلى، فنظرت نحوي باهتمام وهي تبتسم ابتسامة صغيرة. وضعتُ الإبرة والخيط، وتظاهرت بالاهتمام بما تقول- وفي الحقيقة كنت مهتمًا- وقلت:

- "ثلاثمائة دولار مبلغ كبير. أتمنى أن تحصل أمي عليه. وهل سيذهب زوجك هناك الليلة؟"

- "آه، أجل. لقد ذهب إلى شمالي المدينة مع الرجل الذي أخبرتك بشأنه، ليحصلا على قارب، ويحاولا اقتراض بندقية إضافية. سوف يذهبان إلى هناك بعد منتصف الليل".

- "ألن يتمكنا من الرؤية بشكل أفضل إذا ما انتظرا حتى النهار؟"

- "نعم. لكن ألن يتمكن الزنجي من الرؤية بشكل أفضل في النهار أيضًا؟ فالأرجح أن يكون نائمًا في منتصف الليل، فيستطيعان التسلل خلال الغابة والبحث عن نار مُخيمه أفضل في الظلام، إذا كانت لديه نار مُخيم".

- "لا أعتقد ذلك".

استمرت السيدة تحدق في وجهي بفضول، فلم أشعر بأي ارتياح. وسرعان ما قالت:



fb/mashro3pdf

- "أي اسم قلتِ إنه اسمك، يا عزيزتي؟"

- "م- ماري ويليامز".

إلى حدٍّ ما تشككت في أنني قلت اسم "ماري" من قبل، لذلك لم أنظر إليها- بدا لي أنني قلت لها أن اسمي "سارة"؛ وشعرت بنوع من الانزواء، ثم خشيت أن يكون ذلك باديًا عليّ، أيضًا. تمنيت أن تسترسل في الكلام؛ فكلما طال صمتها، تزايد قلقي. لكنها نطقت وقالت:

- "عزيزتي، أظن أنك قلت لي إن اسمك "سارة" حين دخلتِ".

- "أجل، صحيح يا سيدتي. اسمي "سارة ماري وليامز". فـ"سارة" هو اسمي الأول. فالبعض يناديني "سارة"، والبعض يناديني "ماري".

- "آه، أهذا هو السبب؟"

- "أجل يا سيدتي".

شعرت بالارتياح حينئذٍ، لكنني تمنيت أن أغادر هذا المكان، بأية طريقة. ولم أستطع رفع رأسي بعد.

حسنًا، بدأت السيدة تتحدث عن صعوبة الحياة، وعن حياة الفقر التي كانت تعيشها، وكيف كانت الفئران حرةً كأنها صاحبة المكان، وهلمجرًا وهلمجرًا، فشعرت بالاسترخاء من جديد. كانت مُحقة في حديثها عن الفئران، إذ يُمكنك رؤية أحد الفئران يطل بأنفه من جُحر في الزاوية من حين لآخر. قالت إنها تضع شيئًا في متناول يدها لتقذفهم به حين تكون وحدها، وإلا فلن يجعلوها تنعم بالراحة. ثم أظهرت لي قضيبًا من الرصاص ربطت طرفه بخيط، وقالت إنها تستخدمه عادة في ضرب الفئران، لكنها كادت تجرح ذراعها منذ يوم أو يومين، وليست واثقة بقدرتها على الضرب



fb/mashro3pdf

بشكل صحيح الآن. لكنها كانت تراقب لانتهاز فرصة، وقذفته مباشرة في فأر؛ لكنها أخطأته كثيرًا، وقالت "أوخ!" لأنها آلمت ذراعها بذلك. ثم طلبت مني أن أحاول في المرة القادمة. أردت أن أخرج قبل أن يعود الرجل العجوز، ولكني لم أتمكن من ذلك بالطبع. أخذت منها القضيب، وأول فأر أطل بأنفه سددت نحوه ضربة، ولو أنه ثبت مكانه لكانت إصابته بالغة. قالت لي إنه الفأر الأول، وخمنت أنني سأصيب الثاني. نهضَت وأحضرت قضيب الرصاص، وأحضرت معه كرة من الخيط، طلبت مني أن أساعدها في فكها. فردت ذراعي ووضَعت الخيط حولهما، ومضت في الحديث عن شؤونها وشؤون زوجها. لكنها توقفت لتقول:

- "راقبي الفئران جيدًا. من الأفضل أن تضعي القضيب في حجرك، ليكون في متناول يدك".

ألقت القضيب على حِجري في تلك اللحظة، فأطبقتُ ساقيَّ عليه، ومضت في الحديث. لكن لمدة دقيقة فحسب. ثم أخذت مني الخيط ونظرت مباشرةً في وجهي، وعلى وجهها علامات السعادة، وقالت:

- "هيا أخبرني، ما اسمك الحقيقي؟"

- "ما- ماذا، يا سيدتي؟"

- "ما اسمك الحقيقي؟ هل هو "بيل"، أو "توم"، أم "بوب"؟- أم ماذا؟"

أظن أنني ارتجفت كورقة شجرة، ولم أعرف كيف أتصرف، لكنني قلت:

- "من فضلك لا تسخري من فتاة فقيرة مثلي، يا سيدتي. إذا كان وجودي هنا يضايقك، فسوف-"

- "لا، لن تفعل. اجلس حيث أنت. لن أتعرض لك بأي أذى، ولن أخبر



fb/mashro3pdf

أحدًا عنك، أيضًا. كل ما عليك أن تبوح لي بسرك، وأن تثق بي. سوف أكتم السر؛ والأكثر من هذا، أنني سوف أساعدك. وكذلك سيساعدك رجلي العجوز إن أردت. لابد أنك صبي هارب من ورشة، هذا كل ما في الأمر. إنه أمر بسيط، لا مشكلة فيه. لقد عاملوك في الورشة بقسوة، فقررت أن تهرب. باركك الرب، يا بُني، لن أخبر أحدًا عنك. هيا، أيها الولد الطيب، أخبرني بالحقيقة كاملة.

هكذا قلت إنه لا فائدة من التنكر أكثر من ذلك، وإنني سوف أفضي بمكنون صدري وأعترف لها بكل شيء، لكن عليها ألا تتراجع عن وعدها. ثم قلت لها إن أبي وأمي قد توفيا، فوضعني القانون في حضانة فلاح عجوز لئيم، يعيش في قرية على بعد ثلاثين ميلًا فيما وراء النهر، وكان يُعاملني بقسوة لم أعد أحتمل معها المزيد؛ وغاب عن المنزل يومين، فانتهزت الفرصة وسرقت بعض الملابس القديمة لابنته وهربت، وقطعت الثلاثين ميلًا في ثلاث ليالٍ. كنت أسافر في الليل، وأختبئ وأنام نهارًا، وحقيبة الخبز واللحم التي حملتها معي من البيت كفتني طوال الطريق، وما يزال معي المزيد. وقلت إنني أعتقد أن عمي "أبنر مور" سوف يرعاني، لذلك قطعت كل هذه المسافة إلى مدينة "جوشن".

- "جوشن"، يا ولدي؟ هذه ليست "جوشن". إنها "سان.بيترسبورج". "جوشن" ما تزال على بعد عشرة أميال أعلى النهر. من قال لك إن هذه هي "جوشن"؟

- "غريبة، هو رجل قابلته في الفجر اليوم، وأنا على وشك الدخول إلى الغابة لأنام كالمعتاد. قال لي إنه عندما يتفرع الطريق، فعليَّ أن أتجه ناحية



fb/mashro3pdf

يدي اليمنى، وسوف أصل إلى "جوشن" بعد خمسة أميال".

- "لابد أنه كان مخمورًا، فيما أظن. لقد أخطأ تمامًا".

- "حسنًا، لم يكن يتصرف كشخص مخمور، ولكن لا يهم الآن. يجب أن أتحرك في التو. وسأعثر على "جوشن" قبل طلوع النهار".

- "انتظر لحظة. سأحضر لك شيئًا سريعًا تأكله. ربما احتجت إليه".

وأحضرت لي بعض الطعام السريع، وقالت:

- "قل لي، إذا كانت البقرة مستلقية، وحاولت النهوض، فأي طرف فيها ينهض أولًا؟ أجب فورًا- ولا تفكر في الأمر. أي طرف ينهض أولًا؟"

- "المؤخرة، يا سيدتي".

- "حسنًا، وماذا عن الحصان؟"

- "بالمقدمة، يا سيدتي".

- "وعلى أي جانب من الشجرة تنمو الطحالب؟"

- "الجانب الشمالي".

- "وإذا كانت هناك خمس عشرة بقرة ترعى على جانب تل، فكم بقرة تأكل وهي تنظر في نفس الاتجاه؟"

- "الخمسة عشرة كلها، يا سيدتي".

- "حسنًا، أظن أنك قد عشت في الريف. ظننت أنك تحاول خداعي مرةً أخرى. والآن، ما هو اسمك الحقيقي؟"

- "جورج بيتر، يا سيدتي".

- "حاول أن تتذكره جيدًا، يا "جورج". لا تنس وتخبرني أن اسمك "الكسندر" قبل أن تنصرف، وساعتها ينتهي بك الأمر لتقول إن اسمك



fb/mashro3pdf

"جورج الكسندر" حين أكتشف الأمر. ولا تقترب من النساء بهذا الثوب القديم. فأنت لا تجيد تمثيل دور الفتاة، ولكنك قد تخدع الرجال، ربما. باركك الرب، يا ولدي، وعندما تلضم الإبرة، فلا تثبت الخيط وتحرك الإبرة إليه، بل ثبتها وحرك الخيط نحوها؛ هذه هي الطريقة الغالبة التي تلضم بها النساء الإبرة، لكن الرجال يقومون بالأمر بطريقة مُختلفة. وحين تحاول التصويب على الفأر أو أي شيء آخر، فعليك أن تقف على أطراف أصابعك، وأن ترفع يدك أعلى من مستوى رأسك بطريقة خرقاء قدر استطاعتك، وعليك أن تصوب بعيدًا عن الفأر بستة أو سبعة أقدام. كما يجب أن تصوب وذراعك ثابتة من الكتف، كما لو أن ذراعك تدور حول محور، مثل الفتيات؛ وليس من المعصم والمرفق، وذراعك في جانب واحد كما يفعل الأولاد. وأيضًا، انتبه إلى أن الفتاة حين تلتقط شيئًا في حجرها، فإنها تباعد بين ركبتيها؛ فهي لا تضمهما معًا، كما فعلت وأنت تلتقط قضيب الرصاص. لقد عرفت أنك ولد من طريقة لضمك الإبرة؛ والتقطتُ الأشياء الأخرى فقط للتأكد. والآن، أسرع إلى عمك، يا "سارة ماري وليامز جورج الكسندر بيترز"، وإذا ما وقعت في ورطة، فأرسل رسالة إلى "جوديث لوفتس" التي هي أنا، وسوف أفعل ما أستطيع كي أُخرجك منها. تقدم على ضفة النهر على امتداد الطريق، وحين تتنكر في المرة القادمة فعليك بارتداء حذاء وجوارب. فطريق النهر صخري، وأظن أن قدميك سوف تصبحان في حالة سيئة عندما تصل إلى "جوشن".

تقدمت مسافة خمسين ياردة على الضفة، ثم رجعت على آثار أقدامي وتسللت عائدًا إلى حيث تركت زورقي، على مسافة كبيرة من الكوخ. قفزت



fb/mashro3pdf

فيه، وانطلقت بسرعة. أبحرت مع التيـار بعيـدًا في اتجـاه رأس الجزيـرة، ثـم عبرت نحوها. خلعت القبعة، فلم أكن بحاجة إلى التخفي حينها. وحين كنـت في منتصف النهر، سمعت الـساعة تبـدأ في الدق، فتوقفـت وأصـغيت؛ كان الصوت يأتي واهيًا فوق المياه لكنه واضح- الحادية عشرة. وعندما رسوت على الجزيرة لم أتوقف لألتقط أنفـاسي، رغـم إرهـاقي البـالغ، لكـن انـدفعتُ مباشرةً نحو الأخشاب حيثُ كان مخيمي القديم، وأشعلت نـارًا كبـيرة هنـاك في مكان جاف ومرتفع.

ثم قفزت إلى الزورق واتجهت نحو مكاننا، على بُعد ميل ونـصف، بأقـصى ما استطعتُ من سرعة. رسوت، واندفعت بين الأشجار وصعدت القمة حتى ومنها إلى الكهف. كان "چيم" مُـستلقيًا هنـاك، ويبـدو نائمًـا على الأرض. أيقظته وقلت له:

- "انهض واستعد، يا "چيم"! ليس أمامنا دقيقة واحـدة لنـضيعها. إنهـم يطاردوننا".

لم يطرح "چيم" أي سؤال، لم ينطق بكلمة؛ لكن الطريقة التي تصرف بها في النصف ساعة التالية أظهرت مدى رعبه. في ذلك الحين نقلنا أمتعتنا كلها إلى الطـوف، الذي كان جـاهزًا للإبحـار مـن خلـيج الصفـصاف الذي أخفيناه فيه. أطفأنا نار المخيم في الكهف أولاً ، ثم أخفينا الشموع من بعد.

أبعدت الزورق عن الشاطئ قليلًا، وألقيت نظرة؛ لكن إذا ما كان هناك قارب يجول فلن أتمكن من رؤيته، حيث لم تكن النجوم والظلال جيـدةً للرؤية على ضوئها. ثم أخرجنـا الطـوف، وانطلقنـا نحـو الأسـفل في الظـل، وتجاوزنا نهاية الجزيرة ونحن نجلس في ثبات- ولا ننطق.



fb/mashro3pdf

# الفصل الثاني عشر

لا بد أن الساعة كانت تقترب من الواحدة حين أصبحنا أسفل الجزيرة في النهاية، وكان الطوف يبدو شديد البطء. وإذا كنا قد رأينا قاربًا يقترب، لعدنا لاستقلال الزورق واتجهنا إلى شاطئ "إلينوي"؛ ولكن من حسن الحظ لم يظهر أي قارب، لأننا لم نفكر حتى في نقل البندقية إلى الزورق، أو صنانير الصيد، وأي طعام نأكله. كنا في عجلة بالغة من أمرنا فلم نفكر في العديد من الأشياء. لم يكن من الحكمة وضع كل شيء في الطوف.

إذا وصل الرجلان إلى الجزيرة فأتوقع أن يعثرا على نار المخيم التي أشعلتها، وينتظران وصول "چيم" طوال الليل. على كل حال، فهما على مبعدة منا، وإن لم تخدعهما النار التي أشعلتها فهي ليست غلطتي. لقد قمت بحيلة ذكية قدر الإمكان.

وعندما بزغ أول ضوء للنهار التجأنا إلى برزخ عند منحنى كبير للنهر على شاطئ "إلينوي"، وقطعنا بعض أغصان أعواد القطن ببلطة، وغطينا



fb/mashro3pdf

الطوف بها ليبدو كأنه كهف في ضفة النهر. كان البرزخ شاطئًا رمليًا تنمو عليه أشجار القطن بكثافة كأسنان المشط.

وهناك جبال على شاطئ "ميسوري" وغابة كثيفة على شاطئ "إلينوي"، وكانت القناة تنتهي عند هذا المكان على شاطئ "ميسوري"، لذلك لم نكن نخشى من اصطدام أحد بنا.

استلقينا هناك طوال اليوم، وراقبنا الأطواف والبواخر التي تبحر بقرب شاطئ "ميسوري"، وتلك التي تبحر عكس التيار في منتصف النهر الكبير وهي تحدث جلبة. أخبرت "چيم" عن الوقت الذي ثرثرت فيه مع السيدة؛ فقال إنها سيدة ذكية، وإذا كانت هي مَن يقتفي أثرنا فلن تنطلق لتشاهد نار المخيم- لا، يا سيدي، سوف تحاول الحصول على كلب. حسنًا، إذن، قلت له ولماذا لم تطلب من زوجها الحصول على كلب إذن؟ فقال "چيم" إنه يراهن على أن السيدة فكرت في ذلك عندما كان الرجال على وشك الانطلاق، وخمن أن الرجلين لابد أنهما ذهبا إلى المدينة للحصول على كلب، ولهذا تأخرا كل هذا الوقت، وإلا لما كنا هنا على برزخ يبعد ستة عشر أو سبعة عشر ميلًا من القرية- لا، بالتأكيد، وإلا كنا في المدينة القديمة مرةً أخرى. قلت له إنني لا يعنيني سبب عدم تمكنهم من القبض علينا، طالما أنهم لم يقبضوا علينا.

عندما بدأ الظلام يحل، أطللنا برأسينا من بين أعواد القطن الكثيفة، ونظرنا في جميع الاتجاهات: لا شيء على مرمى البصر؛ لذلك أخذ "چيم" بعض الألواح من مقدمة الطوف ليبني كوخًا صغيرًا مستدير الشكل نحتمي به من حرارة الشمس اللاهبة ومن المطر، وللاحتفاظ بالأشياء جافة. صنع "چيم" أرضية للكوخ، وقام برفعها قدمًا أو أكثر أعلى من مستوى الطوف، وبهذا



fb/mashro3pdf

أصبحت البطاطين وكل الأشياء بعيدة عن منال أمواج البواخر. وفي منتصف الكوخ تمامًا، وضعنا طبقة من الطين بسُمك خمس أو ست بوصات مع إطار حولها لتثبيتها في موضعها؛ حتى يتسنى لنا إشعال نار عليها في الطقس الضبابي أو الصقيعي؛ وسوف يُخفيها الكوخ عن العيون. كما صنعنا مجداف توجيه إضافيًا، كذلك، خشية كسر أحد المجدافين في نتوءٍ ما أو شيءٍ ما. وثبتنا عصًا قصيرة بشُعبتين لنعلق الفانوس القديم فيها، فقد كان علينا إضاءة الفانوس دائمًا حين نرى باخرةً قادمةً عكس اتجاه التيار، حتى لا تصطدم بنا؛ ولكننا قررنا عدم إضاءته للقوارب التي تبحر مع اتجاه التيار إلا إذا رأينا أننا فيما يُسمونه "تقاطع"؛ فكما تعلم، كان النهر ما يزال مرتفعًا، والضفاف المنحفضة ما تزال تحت الماء قليلاً؛ لذلك لا تدخل القوارب التي تبحر في اتجاه التيار في المياه الضحلة دائمًا، ولكن تبحث عن مياه يسهل الإبحار فيها.

وفي هذه الليلة الثانية أبحرنا لمدة سبع أو ثماني ساعات، مع تيار بسرعة تتجاوز الأربعة أميال في الساعة. كنا نصطاد السمك ونتحدث، ونسبح من حين لآخر حتى نطرد النعاس. كان إبحارًا مهيبًا فوق صفحة النهر الكبير الهادئ، ونحن نستلقي على ظهورنا، متطلعين في الأعلى إلى النجوم، وليست بنا رغبة في الحديث بصوت مرتفع، ولم نضحك كثيرًا- مجرد قهقهة بصوت خفيض. كان الطقس جميلًا بشكل عام، ولم يحدث لنا أي شيء أبدًا- في تلك الليلة، أو الليلة التالية لها، أو التي تليها.

كنا نمر بالمدن كل ليلة، بعضها كان بعيدًا فوق التلال السوداء، لا يظهر منها سوى قاع الأضواء اللامعة؛ ولا نتمكن من رؤية منزل واحد. وفي



fb/mashro3pdf

الليلة الخامسة مررنا بمدينة "سانت لويس"، وكانت كأن العالم كله يضيؤها. كان الناس يقولون في "سانت بيتسبورج" إن سكان "سانت لويس" يبلغون عشرين أوثلاثين ألف نسمة، إلا أنني لم أصدق حتى رأيت هذا الانتشار الرائع للأضواء في الثانية بعد منتصف الليل في تلك الليلة الهادئة. لم يكن هناك أي صوت؛ كان الجميع نائمًا.

وكنت قد اعتدت على التسلل كل ليلة في حدود الساعة العاشرة إلى إحدى القرى على الشاطئ، وأشتري بعض الطعام أو لحم الخنزير بعشر سنتات أو خمسة عشر سنتًا؛ وأحيانًا كنت أمسك بدجاجة بلا مأوى، وآخذها معي. كان أبي يقول دائمًا، اقتنص الدجاجة حين تتاح لك فرصة، حتى إن لم تكن تريدها فيمكنك بسهولة مُصادفة شخص آخر يريدها، والعمل الطيب لا يضيع أبدًا. ولم أر أبي أبدًا يرفض دجاجة، لكنه كان يقول ذلك، على أية حال.

وفي الصباح، قبل بزوغ ضوء النهار، كنت أتسلل إلى حقول الذرة وأستعير بطيخة، أو شمامة، أو قرعًا عسليًا، أو كوز ذرة، أو أي شيء من هذا القبيل. وكان أبي يقول دائمًا إنه لا ضرر من استعارة هذه الأشياء إن كنت تنوي دفع ثمنها بعد ذلك في وقت لاحق؛ لكن الأرملة قالت إن هذا مجرد اسم آخر للسرقة، وليس على الولد المُحترم أن يفعل ذلك. قال "چيم" إنه يعتقد أن الأرملة معها بعض الحق، وأن أبي معه بعض الحق؛ ومن ثم فأفضل طريقة هي أن نختار شيئين أو ثلاثة من القائمة ونقرر ألا نستعيرها مرةً أخرى مستقبلًا- وأضاف أنه لا ضرر من استعارة باقي الأشياء. هكذا ناقشنا الأمر بكامله ذات ليلة، ونحن نبحر في النهر، محاولين أن نتخذ



fb/mashro3pdf

قرارًا بشأن ترك البطيخ أم الكانتالوب أم الشمام، أم أي شيء آخر. لكن مع اقتراب ضوء النهار من البزوغ، استقر رأينا بشكل مُرضٍ على ترك الكاكا والتفاح الأمريكي من قائمة الاستعارة. لم نكن لنشعر بالارتياح من قبل، لكننا شعرنا بالارتياح تمامًا الآن. كما فرحت لما وصلنا إليه، أيضًا، لأن التفاح لم يكن جيدًا أبدًا، والكاكا لن تنضج قبل شهرين أو ثلاثة.

ومن حين لآخر، كنا نصطاد دجاجة مائية، كلما وجدنا واحدة استيقظت مبكرًا للغاية في الصباح، أو تأخرت في النوم في المساء. وخلاصة القول، إن حياتنا كانت ممتعة.

في الليلة الخامسة أسفل "سانت لويس"، واجهنا عاصفة شديدة بعد منتصف الليل، مع قوة البرق والرعد، وانصب المطر مُشكلاً ملاءةً صلدة. مكثنا في الكوخ، وتركنا الطوف لشأنه. وحين سطع البرق، استطعنا رؤية نهر مستقيم أمامنا، وكتل صخرية عاليًا على الجانبين. بعد قليل قلت: "انظر، يا "چيم"، انظر إلى هناك!" كانت باخرة مُحطمة فوق الصخور. اتجهنا نحوها مباشرة. فقد كشف البرق موضعها على نحوٍ بالغ الوضوح. كانت مائلة، ويظهر جزء من سطحها العلوي فوق سطح الماء، ويمكنك رؤية كل سلك صغير محيط بالمدفئة نظيفًا وواضحًا، وكرسي بجوار الجرس الكبير، مع قبعة محدبة قديمة معلقة في ظهره، حين تأتي الومضات.

حسنًا، كنا بعيدين في الظلام والعاصفة، وكل شيء يكتنفه الغموض، فشعرت بما قد يشعر به أي ولد غيري حين رأيت هذا الحطام ملقًى هناك حزينًا، وحيدًا في وسط النهر. شعرت برغبة في الصعود على سطحه والتجوال قليلًا، ورؤية ما كان هناك. لذلك قلت:



fb/mashro3pdf

- "هيا نرسو عليه، يا "چيم".

لكن "چيم" رفض في البداية، وقال:

- "أنا لا أود العبث في الحطام. يجب ألا نفعل شيئًا قد يكون خطيئة، فلنبتعد عن الخطيئة، كما يقول الكتاب المقدس. وربما كان هناك حارس على هذا الحطام".

قلت له: "حارس، وحياة جدتك! لا يوجد ما يستحق الحراسة سوى القمرات وحجرة القيادة؛ وهل تظن أن هناك مَن يجازف بحياته من أجل القُمرات وحجرة القيادة في ليلة كهذه، وهو مُعرض للانزلاق والغرق في النهر في أية لحظة؟"

لم يجد "چيم" ما يرد به على ذلك، لذلك فلم يحاول. قلت: "وإضافة إلى ذلك، فقد نستعير شيئًا له قيمة من مقصورة القبطان. أراهن أن هناك العديد من السيجار- الواحد منه يُساوي خمسة سنتات، نقدًا. قباطنة البواخر أثرياء دائمًا، ويحصلون على ستين دولارًا في الشهر، وهم لا يبالون على الإطلاق بسعر الشيء، كما تدري، طالما يريدونه. ضع شمعة في جيبك يا "چيم"؛ فلن أهدأ حتى أقوم بتفتيشها بدقة. هل تظن أن "توم سوير" كان ليهدر مثل هذه الفرصة؟ بالطبع لا، بكل تأكيد. كان سيطلق عليها اسم مغامرة- هذا هو الاسم الذي سيستخدمه؛ وكان سيصعد على هذا الحطام، حتى إن كان آخر ما يفعله في حياته. وألم يكن ليضفي على الأمر أسلوبه الخاص؟- ألم يكن ليُبالغ في الوصف كما حدث؟ كنت لتظنه كريستوفر كولومبوس وهو يستكشف العالم الجديد. ليت "توم سوير" هنا الآن".

تمتم "چيم" قليلًا، لكنه استسلم. قال إننا ينبغي ألا نتحدث بعد الآن إلا



fb/mashro3pdf

عند الضرورة، وأن يكون حديثنا آنئذٍ بصوت خفيض للغاية. أرانا ضوء البرق الحطام مرةً أخرى في الوقت المناسب، فأمسكنا بالرافعة اليمنى، وتحركنا بسرعة إلى هناك.

كان سطح الباخرة مرتفعًا في الماء. اتجهنا متسللين إلى منحدرها الأيسر، المواجه لتكساس، ونحن نتحسس الطريق بأقدامنا ببطء، ونمد أيدينا لنتقي أي حارس يقابلنا، لأننا لم نستطع رؤية أي أثر لهم بسبب الظلام. وسرعان ما وصلنا إلى الواجهة الأمامية لكوة الباخرة، وقفزنا فيها؛ أوصلتنا الخطوة التالية إلى باب قمرة القبطان، الذي كان مفتوحًا، رباه! فبعيدًا في الأسفل لمحت ضوءًا ينبعث من القمرة! وفي اللحظة نفسها تمامًا بدا أننا نسمع أصواتًا خفيضة هناك!

همس "جيم" وقال إنه يشعر بغثيان شديد، وطلب مني العودة. وافقته، لكننا سمعنا صوت نحيب ونحن نتأهب للرحيل، وهو يقول:

- "آه، أتوسل إليكم ألا تفعلوا هذا يا شباب؛ أقسم لكم أنني لن أخبر أحدًا!"

قال صوت آخر، مرتفع تمامًا: "إنها كذبة، يا "جيم تيرنر". لقد تصرفتَ بالطريقة نفسها من قبل. كنت تريد دائمًا أكثر من نصيبك من الشحنة، وكنت دائمًا ما تحصل عليه لأنك كنت تهدد بإفشاء السر إن لم تحصل على ما تريد. لكنك تماديت كثيرًا هذه المرة. أنت أحقر الكلاب وأكثرها وضاعة في البلاد".

في تلك اللحظة، كان "جيم" في طريقه نحو الطوف. أما أنا فقد كان الفضول يسيطر عليَّ؛ وقلت لنفسي إن "توم سوير" لم يكن ليتراجع في مثل



fb/mashro3pdf

هذا الموقف، ولهذا فلن أتراجع أنا أيضًا؛ سأرى ما قد يحدث هنا. وتقدمت في الممر الصغير على يديّ وقدميّ، وزحفت ناحية مؤخرة الباخرة في الظلام، حتى لم يعد يفصل بيني وبين ردهة القمرات سوى مقصورة واحدة. آنئذٍ رأيت هناك رجلًا ممدًدا على الأرض وهو مربوط اليدين والقدمين، ويقف رجلان إلى جواره، أحدهما يحمل مصباحًا خافت الضوء، بينما يحمل الآخر مسدسًا. كان الرجل يسدد فوهة المسدس نحو رأس الرجل المطروح على الأرضية، وهو يقول:

- "كم أحب فعل هذا! والآخر أيضًا- وغد حقيرا"

انكمش الرجل الراقد على الأرض وقال: "آه، أرجوك لا تفعل ذلك، يا "بيل"، فلن أشي مطلقًا".

وحين نطق هذه العبارة، ضحك الرجل الذي يحمل المصباح وقال:

- "طبعًا لن تفعل! هذه أكثر العبارات التي نطقت بها صادقًا في حياتك كلها". وقال في الحال: "ها أنت تسمعه يتوسل! فإن لم نتمكن منه ولم نشد وثاقه لكان قد قتلنا نحن الاثنين. ومن أجل ماذا؟ بلا سبب. فقط لأننا طالبنا **بحقوقنا**- هذا هو السبب. ولكني سأقتلك حتى لا تهدد أحدًا بعد ذلك، يا "جيم تيرنر". ضع مسدسك جانبًا يا "بيل".

قال "بيل": "لا، يا "جاك باكارد". أنا من سيقوم بقتله- ألم يقتل العجوز "هاتفيليد" بالطريقة نفسها - ألا يستحق الموت؟"

- "ولكني لا أريد قتله، ولدي أسبابي".

قال الرجل الراقد على الأرض، في انتحاب: "بارك الله فيك، يا "جاك باكارد" على هذا الكلام! لن أنسى لك هذا ما حييت".



fb/mashro3pdf

لم يهتم "باكارد" بما قال، بل قام بتعليق المصباح في مسمار، واتجه إلى حيث أختبئ في الظلام، وأشار إلى "بيل" كي يتبعه. تراجعتُ بأسرع ما يمكنني لياردتين تقريبًا، لكن الباخرة مالت، فلم أتمكن من التقهقر؛ ثم زحفت ودخلت إحدى المقصورات في الجزء العلوي حتى لا يرتطما بي ويقبضا عليَّ. تقدم "باكارد" متخبطًا في الظلام، وحين وصل إلى المقصورة التي دخلتها، قال:

- "هنا- ادخل هنا".

دخل إلى المقصورة، وتبعه "بيل". لكني صعدت إلى سرير علوي قبل أن يدخلا، وأنا منزوٍ ونادم على الدخول هنا. وقفا وأيديهما على قمة السرير، وتحدثا. لم أكن أستطيع رؤيتهما، لكني حددت مكانهما من رائحة الويسكي الذي تناولاه من قبل. كنت سعيدًا لأنني لم أشرب ويسكي؛ ولكن في كل الأحوال، ليس هناك فارق، حيث كتمت أنفاسي، ولن يتمكنا من تحديد مكاني. كنت مرعوبًا للغاية. وفضلاً عن ذلك، فلا يستطيع أي شخص التنفس وهو يسمع مثل هذا الحوار. كانا يتحدثان بصوت خفيض وجاد. كان "بيل" يريد قتل "ترنر". قال:

- "لقد قال إنه سيشي بنا، وسوف يقوم بذلك. وحتى لو منحناه نصيبينا الآن فلن يغير من الأمر شيئًا، خاصة بعد الشجار والطريقة التي عاملناه بها. أقسم لك أنه سيصبح شاهد ملك ضدنا؛ الآن اسمعني جيدًا. أنا أعتقد أننا يجب أن نقتله".

أجاب "باكارد" بهدوء تام: "وأنا كذلك".

- "اللعنة، لقد أعتقدت أنك لا تريد التخلص منه. حسنًا، إذن، إنه



fb/mashro3pdf

الرأي الصحيح. هيا نذهب ونقتله".

- "انتظر لحظة؛ لم أكمل كلامي بعد. أنصت إليّ. إطلاق النار عليه أمر جيد، ولكن هناك طريقة أكثر هدوءًا إن كان علينا القيام بالأمر. ما أراه هو ما يلي: ليس من الحكمة السعي إلى حبل المشنقة إذا كان بإمكانك الحصول على ما تريد بطريقة جيدة، وفي الوقت نفسه لا تجلب على نفسك المخاطر. أليس كذلك؟"

- "بالطبع. ولكن كيف ستتصرف في ذلك هذه المرة؟"

- "حسنًا، فكرتي هي: علينا أن نجول في الباخرة ونجمع ما نستطيع جمعه من المقصورات، ثم نتوجه إلى الشاطئ ونخفي آثارنا. ثم ننتظر. وأقول لك الآن إن هذا الحطام سوف يتداعى ويغرق في النهر في أقل من ساعتين. أترى؟ سوف يغرق، ولن يُوجه اللوم سوى له. أظن أن هذا منظر أفضل من قتله. فأنا لا أحبذ قتل رجل طالما كانت هناك طريقة أخرى للتخلص منه؛ كما أن القتل ليس من الحكمة، ليس من الأخلاق الحميدة. ألستُ على حق؟"

- "نعم، أظن أنك على حق. ولكن افترض أن الباخرة لم تتداع وتغرق؟".

- "حسنًا، يمكننا الانتظار لمدة الساعتين ونرى ما يحدث، أليس كذلك؟"

- "صحيح؛ هيا بنا، إذن".

هكذا، غادر الرجلان، وخرجت من مكاني، وجسمي ينضح عرقًا باردًا، وزحفت إلى الأمام. كان الظلام دامسًا كالزفت؛ ومع ذلك ناديت على "جيم" في نوع من الهمس المبحوح، فجاء رده، عند مرفقي تمامًا، بنوع من الأنين،



fb/mashro3pdf

فقلت له:

- "بسرعة، يا "چيم"، ليس هناك وقت للمزاح أو الأنين؛ هناك عصابة من القتلة هنالك، وإذا لم نجد قاربهم، ونطلقه ينجرف أسفل النهر، فسيغادورن الحطام، وسيقع أحدهم في مأزق حرج. ولكن إذا وجدنا قاربهم، سنضعهم جميعًا في مأزق حرج- لأن الشريف سيلقي القبض عليهم. أسرع- أسرع! ساذهب أنا إلى الناحية اليسرى، واتجه أنت نحو اليمنَى. اذهب إلى الطوف و-"

- "آه، يا إلهي، يا إلهي! الطوف؟ لا يوجد طوف؛ لقد انقطع الحبل وانطلق مع التيار- وها نحن في مأزق!"

fb/mashro3pdf

# الفصل الثالث عشر

حسنًا، التقطتُ نفَسي، وكدت أفقد الـوعي. كنـت محجـوزًا على حطـام باخرة مع عصابة كتلك العصابة! إلا أن الوقت لم يكـن مناسـبًا للتأمـل. فعلينا أن نجد قارب العصابة في الحال- لكي نستولي عليه. لذلـك تقـدمنا في الناحية اليُمنى من الباخرة ونحن نرتجف من الخـوف، كنـا نتحـرك بـبطء، أيضًا- بدا كأن أسبوعًا قد انقضى قبل أن نصل إلى الحـاجز المعـدني لمـؤخرة الباخرة. لا أثر لقارب. قال "چيم" إنه لا يظن أنه يستطيع التقـدم أكـثر مـن ذلك- قال إن قواه خارت جراء الخوف. لكنني قلت له: "هيا، تقدم، فإذا بقينا على هذا الحطام فسنتعرض إلى مأزق خطير، بكـل تأكيـد". لذلـك بـدأنا في التحرك من جديد. تقـدمنا نحـو الحـاجز المعـدني للمقـصورات، ووجـدناه، وتشبثنا بالكوة ونحن نتقدم إلى الأمام، متعلقين بمصراع نافذة بعـد الآخـر، لأن الماء غمر حافة الكوة. وحين اقتربنا جدًا من باب الردهـة تأكـدت مـن وجود القارب! كنت أستطيع رؤيته بالكاد. شعرت بامتنان لم أشـعر بـه مـن



fb/mashro3pdf

قبل. قبل أن نقفز إلى القارب بلحظة واحدة، فُتح الباب. أطل أحد الرجلين برأسه منه، ولا يفصل بيني وبينه سوى قدمين، حتى ظننت أنني انتهيت؛ لكنه أدخل رأسه مرةً أخرى، وهو يقول:

- "أبعد هذا المصباح عن الأنظار، يا "بيل".

ألقى بحقيبة بها بعض الأشياء إلى القارب، ثم نزل إليه وجلس. لقد كان "باكارد". ثم ظهر "بيل" ونزل إلى القارب. قال "باكارد"، بصوت خفيض:

- "كل شيء على ما يُرام- انطلق!"

لم أكن قادرًا على التشبث بالكاد بمصراع النافذة أكثر من هذا، فقد أحسست بضعف شديد. لكن " بيل" قال:

- "انتظر- هل ذهبت إليه؟"

- "كلا. هل ذهبت أنت؟"

- "كلا. إذن فما يزال يحتفظ بنصيبه من النقود".

- "حسنًا، هيا بنا، إذن؛ فلا فائدة من أخذ المنقولات وترك النقود".

- "ولكن، ألن يشك في ما سنفعل معه؟"

- "ربما لا يشك. لكن يجب أن نحصل على النقود بأية حال. هيا بنا".

هكذا غادرا القارب، ودخلا الباخرة.

انصفق الباب خلفهما لأنه كان في الناحية المائلة؛ وفي نصف ثانية قفزت إلى القارب، ثم تبعني "جيم" وهو يتعثر. أخرجت المُدية وقطعت بها الحبل، وانطلقنا بعيدًا.

لم نلمس مجدافًا، ولم نتحدث ولو همسًا، ولم نتنفس حتى إلا بالكاد. انطلقنا منزلقين بسرعة، في صمت رهيب، مُتجاوزين طرف حجرة المحرك،



fb/mashro3pdf

ومؤخرة الباخرة؛ وفي لحظة أو اثنتين، كنا على بُعد مائة ياردة عن حطام الباخرة، ولفه الظلام بكل معالمه، وكنا آمنين، ومدركين لذلك.

عندما أصبحنا على بعد ثلاثمائة أو أربعمائة ياردة أسفل المجرى، رأينا المصباح يبدو كأنه ومضة صغيرة على باب المقصورات للحظة واحدة، وعرفنا بذلك أن الوغدين اكتشفا ضياع قاربهما، وبدآ في استيعاب أنهما في المأزق نفسه، شأنهما شأن "جيم تيرنر".

جهز "جيم" المجدافين، وبدأنا نبحث عن الطوف. الآن هي المرة الأولى التي بدأت أقلق فيها بشأن الرجال- فلم يكن لديَّ وقت للقلق بشأنهما من قبل، حسب ما أعتقد. بدأت أفكر في كم كان مرعبًا، حتى بالنسبة لقتلة، أن يكونوا في مثل هذا المأزق. قلت لنفسي: ليس هناك ما يدل بعد على أنني سأصبح قاتلًا، ووقتها كيف سيبدو لي الأمر؟ لذلك قلت لجيم:

- "سوف نرسو على بعد مائة ياردة قبل أو بعد أول ضوء يقابلنا، في مكان يمكن أن نخفيك ونخفي القارب فيه بشكل جيد، ثم أذهب وأحبك حكايةً ما، وأجد شخصًا ليذهب إلى العصابة، وينقذهم من ورطتهم، ومن ثم يمكن شنقهم حين يئون أوانهم".

لكنها كانت فكرة فاشلة؛ لأن العاصفة سرعان ما هبت من جديد، بل أسوأ من ذي قبل. انصب المطر، ولم نر أي ضوء؛ لا بد أن الجميع نائمون، فيما أظن. تقدمنا في النهر بسرعة، ونحن نبحث عن أي ضوء ونبحث عن الطوف. توقف المطر بعد فترة طويلة، لكن السُحب لم تنقشع، واستمر البرق يدوي، ولكن سرعان ما لمحنا شيئًا أسود اللون على ضوء البرق، يطفو أمامنا، فتوجهنا نحوه.



fb/mashro3pdf

كان الطوف، وغمرتنا السعادة حين صعدنا إلى متنه مرةً أخرى. ثم رأينا ضوءًا بعيدًا ناحية اليمين، على الشاطئ. قلت إنني سأتوجه إليه. كان القارب نصف ممتلئ بالغنائم التي سرقتها العصابة من الحطام. جمعناها في كومة على الطوف، وطلبت من "چيم" أن يواصل الطفو نحو أسفل النهر، ويظهر ضوءًا حين يعتقد أنه مضى لمسافة ميلين، ويتركه مشتعلًا إلى أن أعود إليه؛ ثم ضبطتُ المجاذيف واندفعتُ نحو الضوء. وحين اقتربت منه ظهر ثلاثة أضواء أخرى أو ربما أربعة- أعلى جانب التل. كانت قرية. اقتربت من ضوء الشاطئ، ورفعت المجذافين وتركت القارب يطفو. وحين مررتُ به، رأيت أنه فانوس مُعلق على سارية "معدية". بحثت بالمنطقة عن الحارس، متسائلاً عن مكان نومه؛ وسرعان ما وجدته يقبع على مرابط الحبال في الأمام، وهو يضع رأسه بين ركبتيه. هززت كتفه مرتين أو ثلاثًا، وبدأتُ في البكاء.

انتفض وقد بدا عليه الفزع؛ لكنه حين رأى أنني وحدي تثاءب وتمطى، ثم قال:

- "أهلًا، ما الأمر؟ لا تبك، يا بني. ما المشكلة؟"

قلت له: "أبي وأمي وأختي و-"

عاودت البكاء. فقال لي:

- "آه، اهدأ، لا تحزن هكذا؛ لكل منا متاعبه، وسوف ينتهي كل شيء على ما يرام. ماذا حدث لهم؟"

- "هُم- هُم- هل أنت حارس هذا القارب؟"

- "أجل، يمكنك أن تعتبرني الحارس. فأنا الكابتن والمالك والبحار والمرشد والحارس والعامل؛ وأحيانًا أكون الشحنة والركاب. لست ثريًا مثل

fb/mashro3pdf

"جيم هورنباك" العجوز، كما أنني لست في كرمه وطيبته مع الجميع، ولا أكسب قدر ما يكسب من مال؛ ولكني قلت له مرارًا إنني لا أقبل أن نتبادل أماكننا؛ لأن حياة البحَّار- كما قلت له- هي الحياة بالنسبة لي، وسأكون ملعونًا إن عشت بعيدًا عن المدينة ولو بميلين، حيث لا يحدث شيء على الإطلاق، ولو مقابل كل ثروته وأكثر منها. قلت له-"

قاطعته وقلت:

- "إنهم في مأزق كبير، و-"

- "من؟"

- "عجيبة، أبي وأمي وأختي والآنسة "هوكر"؛ وإذا أخذت المعدية وذهبت إلى هناك-"

- "إلى أين؟ أين هم؟"

- "في الحطام".

- "أي حطام؟"

- "ليس هناك سوى حطام واحد".

- ماذا، أتقصد حطام الباخرة "والتر سكوت"؟

- "أجل".

- "يا إلهي! وماذا يفعلون **هناك** بحق السماء؟

- "حسنًا، لم يذهبوا إلى هناك عمدًا".

- "واثق أنهم لم يذهبوا عن عمد! ولكن، يا إلهي العظيم، ليست لديهم فرصة للنجاة إن لم يبتعدوا عنها بسرعة! غريبة، كيف وصل بهم الأمر إلى مثل هذا المأزق؟"



fb/mashro3pdf

- "سأشرح لك. كانت الآنسة "هوكر" تزورنا في مدينة-"

- "أجل، مدينة "بوث لاندنج"- أكمل".

- "كانت تزورنا في "بوث لاندنج"، وعلى حافة المساء تمامًا، اتجهت هي وخادمتها الزنجية في معدية الخيول لتقضي الليلة في بيت صديقتها الآنسة، ما-هو- اسمها-يا-ترى؟ لقد نسيت اسمها- أفلتت منهم الدفة، فدارت المعدية حول نفسها، وجرفها التيار إلى الأسفل، وهي تتقدم بمؤخرتها لمسافة ميلين تقريبًا، حتى ارتطمت بالحطام، وفُقد قائد المعدية والخادمة الزنجية والخيول، لكن الآنسة "هوكر" تمكنت من الصعود على الحطام. حسنًا، فبعد حلول المساء بساعة، كنا نمر في النهر بقاربنا التجاري، وكان الظلام حالكًا، فلم نلحظ الحطام إلى أن ارتطمنا به؛ لكننا نجونا جميعًا عدا "بيل ويبيل"- يا إلهي، لقد كان أفضل مخلوقا- ليتني كنتُ بدلًا منه، ليتني".

- "يا إلهي! إنه أقسى موقف سمعته. وماذا فعلتم بعد ذلك؟"

- "حسنًا، أخذنا نصرخ ونصيح، لكن النهر هناك عريض ولم يسمعنا أحد. لهذا قال أبي إنه يجب أن يذهب أحدنا إلى الشاطئ ليستدعي النجدة بطريقة ما. كنت أنا الوحيد القادر على السباحة، فتقدمت للمهمة، وقالت لي الآنسة "هوكر" إذا لم تحصل على مساعدة بسرعة، فتعال إلى هذه المنطقة وابحث عن عمي، فسوف يتدبر الأمر. سبحت حتى وصلت إلى الشاطئ على بعد ميل من هنا، وبحثت منذ ذلك الحين، محاولاً أن أستحث الناس ليفعلوا أي شيء، لكنهم قالوا: "ماذا؟ هل في مثل هذه الليلة ومثل هذا التيار؟ فلا معنى لذلك؛ اذهب إلى المعدية البخارية". والآن، هلا ذهبت و-"

- أقسم لك أنني أود الذهاب، هذا ما أرغب فيه؛ ولكن من سيدفع لي؟



fb/mashro3pdf

هل تظن أن والدك يمكن أن-"

- "اطمئن. ذلك لك. لقد أخبرتني الأنسة "هوكر"، **على وجه الخصوص**، أن عمها "هورنباك"-"

- "يا إلهي! هل **هو** عمها؟ اسمعني، فلتتوجه إلى ذلك الضوء هناك، ثم اتجه غربًا، وعندما تصل إلى هناك، على بعد ربع ميل تقريبًا، توجه إلى الحانة؛ اطلب منهم أن يوجهوك إلى منزل "جيم هورنباك"، وهو سيدفع الفاتورة. وحاذر من التسكع بالمنطقة، لأنه سيود معرفة الأخبار. أخبره أنني سأنقذ ابنة أخيه قبل أن يصل إلى المدينة. هيا أسرع، الآن، وأنا سأتوجه إلى الناصية هناك لأوقظ المهندس".

عدوت ناحية اتجاه الضوء، ولكن بمجرد أن استدار ناحية الناصية، رجعت لأذهب إلى القارب وانطلقتُ به، ثم أبحرت حوالي ستمائة ياردة في المياه الهادئة، واختبأت بين بعض القوارب الخشبية؛ فلم أكن لأهدأ حتى أرى المعدية تتحرك. ولكن عند مناقشة الموضوع من كافة جوانبه، كنت أشعر بالارتياح لأنني تجشمت كل هذا العناء من أجل تلك العصابة، فهناك كثيرون لن يفعلوا ما فعلت. تمنيت لو تعرف الأرملة هذا. أظن أنها ستفتخر بي لأنني ساعدت هؤلاء الأوغاد، لأن الأرملة وغيرها من الناس الطيبين يهتمون أكثر ما يهتمون بالأوغاد والموتى.

حسنًا، قبل أن يمر وقت طويل انزلق الحطام، المُعتم والداكن، وغرق في الماء! انتابتني رجفة باردة، فانطلقت بالقارب نحو الحطام. كان يغوص عميقًا، وقدرت أنه لا فرصة للبقاء على قيد الحياة لأي واحد فيها. درت حولها وصحت قليلًا، فلم أسمع ردًا؛ لقد ماتوا جميعًا. شعرت بقليل من



fb/mashro3pdf

الحزن من أجل العصابة، لا كثيرًا، لأنهم في ظني لـم يكونـوا ليحزنـوا مـن أجلي.

ظهرت المعدية بعد قليل؛ فاتجهت بالقارب إلى منتصف النهر، مـع تيـار ماء منحدر؛ وحين تأكدت أنني صرت بعيدًا عن العيون، أوقفت المجذافين، ثم استدرت لأنظر إلى الحطام وهو يغرق، وأشم عبق جثـة الآنـسة "هـوكر"، لأن القبطان يعرف أن "هورنباك" سوف يريدها؛ لكن المعديـة استـسلمت سريعًا وعادت إلى الشاطئ، فعدت إلى شأني واتجهت بالقارب إلى أسفل النهر.

بدا أن وقتًا طويلا قد مضى قبل أن ألمح ضوء "چيم"؛ وعنـدما ظهـر بـدا كأنه على بُعد آلاف الأميال. وحين وصلت إلى هناك، كانت السماء قد بدأت في اكتساب اللون الرمادي بعض الشيء من ناحية الشرق؛ لذلك انطلقنا إلى جزيرة، وأخفينا الطوف، وأغرقنا القارب، واستدرنا ونمنا كالموتى.

fb/mashro3pdf

# الفصل الرابع عشر

بعد قليل، حين استيقظنا من النوم، بدأنا في فحص الأشياء التي سرقتها العصابة من الحطام، فوجدنا أحذية برقبة، وبطاطين، وملابس، وجميع أنواع الأشياء، بالإضافة إلى العديد من الكتب، ونظارة معظمة، وثلاثة صناديق من السيجار. لم نكن بمثل هذا الثراء من قبل في حياتينا. وكان السيجار من النوع الممتاز. استلقينا طوال الظهيرة في الغابة نتحدث، وأقرأ في الكتب، وأقضي عمومًا وقتًا طيبًا. حكيت لـ"چيم" ما حدث داخل الحطام وفي المعدية، وقلت له إن هذا النوع من الأفعال يُعتبر مغامرات؛ لكنه قال إنه لا يرغب في المزيد من المغامرات.

قال لي إنه كاد يموت عندما توجهتُ ناحية المقصورات، وتراجع زاحفًا ليقفز إلى الطوف ولم يجده، لأنه ظن حينها أن أمره قد انتهى على أية حال؛ فإن لم يتم إنقاذه فسوف يغرق؛ وإن تم إنقاذه، أيًّا كان من أنقذه، فسوف يقوم بإرساله إلى المنزل مرةً أخرى ليحصل على المكافأة، وساعتها سوف تبيعه



fb/mashro3pdf

الآنسة "واتسون" في إحدى ولايات الجنوب، بكل تأكيد. حسنًا، لقد كان على حق؛ غالبًا ما يكون على حق دائمًا؛ فله طريقة تفكير غير عادية بالنسبة لزنجي.

قرأت لـ"چيم" الكثير عن الملوك والدوقات، والإيرلات، وغيرهم، وكيف كانوا يرتدون الثياب المزركشة، ومدى تكلفهم في الحديث، وكيف ينادون أحدهم الآخر قائلين: "يا صاحب الجلالة"، و"يا صاحب السمو"، و"يا صاحب السعادة"، وهكذا، بدلًا من كلمة "يا سيدي"؛ جحظت عينا "چيم" وبدا عليه الاهتمام. قال:

- "لم أكن أعلم أن هناك الكثير منهم. فلم أعرف ملوكًا سوى الملك "سليمان"، إلا إذا حسبت ملوك الكوتشينة- كم يكسب الملك؟"

- "يكسب؟ إنهم يكسبون آلاف الدولارات كل شهر إذا أرادوا؛ يمكنهم الحصول على كل ما يريدون؛ فهم يملكون كل شيء".

- "أليس هذا مُبهجًا؟ وماذا يفعلون، يا "هاك"؟"

- "لا يفعلون شيئًا! غريبة، كيف تفكر! إنهم يجلسون على العرش فحسب".

- "كلا؛ أذلك كذلك؟"

- "بالطبع كذلك. إنهم يجلسون فحسب- إلا في حالة الحرب ربما؛ حينها يذهبون إلى الحرب. ولكن في الأوقات العادية يتسكعون؛ أو يصطادون الصقور- فقط يصطادون الصقور و- اصمت!- هل تسمع ضوضاء؟"

تسللنا ونظرنا؛ إلا أننا لم نجد سوى دقات عجلات باخرة تدور بعيدًا



fb/mashro3pdf

في الأسفل، حول طرف الجزيرة؛ فعدنا إلى مكاننا.

- "أجل، وفي أوقات أخرى، عندما يشعرون بالملل، يتشاجرون مع البرلمان، وأي شخص لا يتصرف بالشكل الصحيح يقومون بقطع رأسه. لكنهم في الغالب يقضون الوقت في الحريم".

- "أين؟"

- "الحريم".

- "ما هو الحريم؟"

- "المكان الذي يضعون فيه زوجاتهم. ألا تعرف شيئًا عن الحريم؟ كان "سليمان" لديه حريم؛ كان له حوالي مليون زوجة".

- "غريبة، أجل، ذلك كذلك؛ أنا- أنا نسيت هذا الأمر. الحريم هو فندق، على ما أظن. والأرجح أن حجرات الأطفال تمر بأوقات صاخبة. وأظن أن الزوجات يتشاجرن كثيرًا؛ مما يزيد من الصخب. ومع ذلك يقولون إن "سليمان" هو أكثر الرجال حكمة على الإطلاق. لا أصدق هذا. فكيف يعيش رجل حكيم في وسط هذه الضوضاء طوال الوقت؟ لا- بالطبع لا. على الرجل الحكيم أن ينشغل في بناء مصنع مراجل بخارية، ليذهب إليه عندما يحتاج إلى الراحة!"

- "حسنًا، لقد كان أكثر الرجال حكمة، على أية حال؛ لأن الأرملة أخبرتني بذلك، بنفسها".

- "لا يهمني ما قالت الأرملة، فلم يكن الرجل حكيمًا أبدًا. لقد كانت له طريقة غريبة في التعامل مع الأمور. هل تعلم قصة الطفل الذي كان سيقسمه إلى نصفين؟"



fb/mashro3pdf

- "أجل، لقد حكتها الأرملة لي".

- "حسنًا، إذن! ألم تكن هذه أكثر الأفكار جنونًا في العالم؟ فكر فيها لدقيقة. ها هو جذع شجرة، هذا- هذا الجذع هو إحدى السيدتين؛ وأنت- السيدة الأخرى؛ أنا سليمان؛ وهذا الدولار الورقي هو الطفل. أنت والسيدة الأخرى تدعيان أنه لكما؛ فماذا أفعل؟ هل ألف وأدور وأسأل الجيران عن صاحبة الدولار وأسلمه إلى المرأة الصحيحة، بصورة آمنة ومنطقية، بالطريقة التي سيقوم بها أي صاحب تفكير سليم؟ لا؛ بل أقسم الدولار إلى نصفين، وأعطيك نصفه، وأعطي النصف الآخر للسيدة الأخرى. هذا ما كان "سليمان" ينوي فعله مع الطفل. والآن، سأوجه إليك سؤالًا: ما هي فائدة نصف دولار ورقي؟- لن تستطيع أن تشتري به أي شيء. وما هي قيمة نصف طفل؟ لا قيمة له على الإطلاق".

- "ولكن انتظر، يا "چيم"، لقد فاتتك النقطة الجوهرية- ابتعدت عنها بألف ميل".

- "من؟ أنا؟ أكمل. ولكن لا تحدثني عن النقاط الجوهرية التي تراها أنت. فأنا أظن أنني أعرف المنطق السليم حين أراه؛ وليس هناك أي منطق فيما فعل "سليمان". لم يكن الخلاف حول نصف طفل، بل الخلاف حول طفل كامل؛ لكن الرجل حاول أن يسوي الخلاف على طفل كامل بنصف طفل، أنت لا تعرف الكثير لكي تجادلني. لا تحدثني عن "سليمان"، يا "هاك"، فأنا أعرفه عن ظهر قلب".

- "لكني أقول لك إن المغزى فاتك".

- "اللعنة على المغزى! أظن أنني أعرف ما أعرف. هل تعلم أن الشيء



fb/mashro3pdf

الحقيقي يكمن بعيدًا- يكمن في العمق. يكمن في الطريقة التي نشأ عليها "سليمان". فأنت تضرب المثل برجل لديه طفل أو اثنان؛ فهل لهذا الرجل أن يفرط في الأطفال؟ كلا- لن يُفرط في الأطفال، لن يحتمل ذلك. فهو يعرف قيمة الطفل. لكن فلتضرب المثل برجل لديه حوالي خمسة ملايين طفل يجرون في المنزل، فالأمر مختلف. فهو لن يتردد في شطر طفل إلى نصفين كأنه قطة. فهناك الكثير من الأطفال. ينقص طفل أو يزيد طفل، فلن يهتم "سليمان" بالأمر، اللعنة على هذا".

لم ألتق في حياتي بزنجي مثل "چيم". فإذا ما استقرت فكرة في رأسه ذات مرة، فلن يغيرها أبدًا. لقد كان يحط من شأن "سليمان" أكثر من أي زنجي عرفته من قبل. فانتقلت بالحديث إلى ملوك آخرين، ونحيتُ "سليمان" جانبًا. أخبرته عن "لويس السادس عشر" الذي فصلوا رأسه عن جسمه في فرنسا منذ زمن بعيد؛ وعن ابنه الصغير ووريث العرش، الذي كان يمكن أن يصبح ملكًا، لكنهم سجنوه، وتحدث البعض عن موته في السجن.

- "يا له من ولد مسكين".

- لكن البعض يقولون إنه خرج وهرب، وجاء إلى أمريكا".

- "هذا جيد! لكنه سيشعر بالوحدة- فلا يوجد ملوك هنا، أليس كذلك، يا "هاك"؟"

- "صحيح، لا ملوك هنا".

- "إذن، فلن يحصل على أية مكانة لائقة. فماذا سيفعل؟"

- "حسنًا، لا أعلم. بعضهم يعمل في الشرطة، وبعضهم يعلم الناس اللغة الفرنسية".



fb/mashro3pdf

- "كيف، يا "هاك"، ألا يتكلم الفرنسيون لغتنا نفسها؟"

- "لا يا "چيم"؛ إنك لا تستطيع فهم كلمة واحدة من كلامهم- ولا كلمة واحدة".

- "حسنًا، الآن، هو أمر مربك! كيف حدث هذا؟"

- "لا أعلم؛ ولكن الأمر هكذا. لقد درست بعض ثرثرتهم في أحد الكتب. افترض أن رجلًا جاء إليك وقال لك "بولِي فوفرانزي"(*) فماذا سيخطر ببالك؟"

- "لن يخطر ببالي شيء؛ أظن أنني سأضربه على رأسه- هذا ما سأقوم به، إن لم يكن رجلًا أبيض. لن أسمح لأحد من الزنوج أن يسُبني".

- "اللعنة، إنها ليست سبابًا من أي نوع. إنه فقط يسألك، هل تتحدث الفرنسية؟"

- "حسنًا، إذن، فلماذا لا يستطيع قولها بهذه الطريقة؟"

- "غريبة، إنه يقولها هكذا. هذه هي طريقة الشخص الفرنسي في قولها".

- "حسنًا، إنها طريقة سخيفة، ولا أريد سماع المزيد منها. أليس لديهم عقل؟"

- انظر، يا "چيم"؛ هل تتحدث القطة لغتنا نفسها؟"

- "كلا، لا تفعل".

- "حسنًا، وهل تتحدث البقرة لغتنا؟"

- "كلا، لا تفعل، هي الأخرى".

(*) ينطقها "هاك" بشكل غير صحيح.



fb/mashro3pdf

- وهل تتحدث القطة كالبقرة، أو تتحدث البقرة كالقطة؟"

- "لا، لا يحدث".

- "فمن الطبيعي ومن حقهم أن يتحدثوا بشكل مُختلف عن بعضهم البعض، أليس كذلك؟"

- "بالطبع".

- "أليس من الطبيعي ومن حق القطة والبقرة أن يتحدثا بطريقة تختلف عنَّا؟"

- "بكل تأكيد".

- "حسنًا، إذن، فلماذا ليس من الطبيعي ومن حق **الشخص الفرنسي** أن يتحدث لغة تختلف عن لغتنا؟ أجبني".

- "وهل القطة رجل، يا "هاك"؟"

- "كلا".

- حسنًا، إذن، فليس من المنطقي أن تتحدث قطة مثل الرجل. هل البقرة رجل؟- أو هل البقرة قطة؟"

- "لا، ليست رجلًا أو قطة".

- "حسنًا، إذن، فليس من شأن البقرة أن تتحدث كالرجال أو القطط. هل الفرنسي رجل؟"

- "أجل".

- "حسنًا، إذن! فلماذا لا **يتحدث** كما يتحدث الرجل؟ أجبني".

لم تكن هناك فائدة من من إهدار الكلام- فلا يمكنك تعليم زنجي طريقة النقاش، لذلك توقفت.

fb/mashro3pdf

# الفصل الخامس عشر

قدَّرنا أن ثلاث ليالٍ أخرى ستصل بنا إلى "كايرو"، جنوبي "إلينوي"، حيث يصب نهر "أوهيو" في "الميسيسبي"، وتلك كانت غايتنا. يمكن أن نبيع الطوف، ونركب باخرة، نُبحر على متنها في نهر "أوهيو" بين الولايات التي حررت العبيد، وحينها نكون خارج المشاكل.

حسنًا، في الليلة الثانية بدأ الضباب في الظهور، واتجهنا إلى حاجز طمي نركن إليه، لأنه لم يكن من الحكمة الإبحار في الضباب؛ لكنني حين جذفتُ إلى الأمام، باستقامة لنُسرع، لم أجد ما أربط به الزورق سوى بعض الشجيرات الصغيرة. ربطت الحبل حول إحدى الشجيرات على حافة الضفة تمامًا، لكن التيار كان قويًا، فاندفع الطوف بقوة وانتزع الشجيرة من جذورها، وانطلق بعيدًا. رأيت الضباب ينتشر، فشعرت بالغثيان والخوف، لدرجة أنني لم أستطع أن أتزحزح من مكاني لنصف دقيقة تقريبًا فيما بدا لي- وآنئذٍ لم يكن ثمة طوف في مدى الرؤية؛ فلم تكن لتستطيع أن ترى



fb/mashro3pdf

لعشرين ياردة. قفزت إلى الزورق واتجهت بسرعة نحو مؤخرته، أحضرت المجداف وبدأت أضرب الماء بهما. لكن الزورق لم يتحرك. فقد أنستني لهفتي أن أفك الحبل الذي يربطه إلى الشاطئ. نهضت وحاولت أن أفك الحبل، لكنني كنت قلقًا إلى حد ارتجاف يدَي، فلم أتمكن إلا بالكاد من استخدامهما.

ما إن بدأتُ حتى انطلقت في أثر الطوف، بحمية وقوة، أسفل حاجز الطمي مباشرةً. كان ذلك جيدًا بقدر ما تم، لكن حاجز الطمي لم يتعد طوله ستين ياردة. بعدها، ولحظة أن اندفعتُ إلى نهايته اصطدمتُ في ضباب أبيض صلد، ولم تعد لديَّ أية فكرة عن أي اتجاه أسلك، كأنني جثة هامدة.

فكرت في أنه لا جدوى من التجذيف؛ كان أول ما أدركته هو أنني قد أرتطم بالضفة أو حاجز الطمي، أو أي شيء آخر؛ فكان عليَّ أن أبقى ساكنًا، طافيًا، رغم أن بقاء يديك مغلولتين في مثل هذا الوقت أمر عصيب للغاية. صحتُ وأنصت. عن بُعد في مكانٍ ما سمعت صيحة ضعيفة، فتنفست الصعداء. اتجهت بلهفة نحو مصدر الصوت، مرهفًا السمع من جديد. عندما سمعت الصوت مرةً أخرى، أدركت أنني لم أكن أتجه نحو مصدره، بل بعيدًا إلى يمينه. وفي المرة التالية كنت أتجه بعيدًا إلى يساره- ولا أحرز تقدمًا يُذكر في أي الطريقين، إذ كنت أدور حوله، سواء سلكت هذا الطريق أو ذاك، رغم أنني كنت أتقدم إلى الأمام مباشرةً طوال الوقت.

تمنيت أن يفكر الغبي في قرع وعاء معدني، ويستمر في القرع طوال الوقت، لكنه أبدًا لم يفعل، وكانت هناك فترات صمت بين الصيحات تُربكني. حسنًا، جاهدت لكي أتقدم، ثم سمعت الصيحات تأتي مباشرةً من



fb/mashro3pdf

الخلف. ارتبكت أكثر هذه المرة. إما أنها صيحة شخص آخر، أو أنني درتُ حول نفسي.

تركت المجذاف. سمعت الصيحة مرةً أخرى؛ كانت ما تزال تصدر من خلفي، ولكن من موضع مختلف؛ ظلت تجيء، وظلت تغير مكانها، وظللت أجاوبها، إلى أن أصبحت بعد قليل أمامي من جديد، فأدركت أن التيار قد أدار مقدمة نحو أسفل المجرى، وأدركت أن الأمر سيكون على ما يُرام إذا ما كانت صيحات "چيم"، لا صيحات صاحب طوف آخر. فلم أستطع التمييز بين الأصوات في الضباب، فالأشياء والأصوات لا تبدو طبيعية في الضباب.

تواصلت الصيحات، وفي غضون دقيقة وصلت إلى حافة حادة ذات أشباح دخانية من أشجار عالية، وأطاح بي التيار إلى اليسار، وسط الكثير من الأغصان التي تهدر بقوة، فيما كان التيار يتخللها مندفعًا بسرعة.

في لحظة أو لحظتين خيم بياضٌ صلد وساكن من جديد. جلست بلا حراك على الإطلاق آنئذٍ، وأنا أسمع ضربات قلبي، وأظن أنني لم ألتقط نفَسي قبل أن تبلغ المائة ضربة.

استسلمت في ذلك الحين. أدركت حقيقة الأمر. هذه الضفة الحادة هي جزيرة، وقد مضى "چيم" إلى الجانب الآخر منها. لم تكن حاجز طمي يمكنك تجاوزه في عشر دقائق. كما أن بها أشجارًا كبيرة كأية جزيرة عادية؛ ربما تبلغ خمسة أو ستة أميال طولًا، وعرضها أكثر من نصف ميل.

بقيت هادئًا، وأصخت السمع، حوالي خمس عشرة دقيقة، حسب ما أعتقد. كنت أطفو، بالطبع، بسرعة أربعة أو خمسة أميال في الساعة؛ إلا أنني لم أفكر في ذلك من قبل. لا، فأنت تحس كأنك تستلقي ثابتًا فوق سطح الماء؛



fb/mashro3pdf

ولكن إذا ما لمحت غصنًا مكسورًا يمر عليك، لن تدرك مدى السرعة التي تندفع بها، بل ستأخذ نفسًا عميقًا وتفكر، عجبًا! كيف لهذا الغصن أن يندفع هكذا. وإذا ما كنت تظن أن وجودك في الليل وسط الضباب على هذا النحو ليس موحشًا أو كئيبًا، فعليك أن تجرب مرةً واحدة- وسترى.

بعد ذلك، وعلى مدار نصف ساعة، كنت أصيح من حين لآخر؛ أخيرًا سمعت الرد على مسافة بعيدة، وحاولت أن أتجه إليه، فلم أستطع، وقدرت مباشرةً أنني دخلت في شبكة من البرازخ، فقد لمحتها بصعوبة على الجانبين- أحيانًا تبدو كقناة ضيقة فاصلة، وأحيانًا كنت لا أراها ولكني أسمع صوت ارتطام التيار بالغصون القديمة الميتة والنفايات المعلقة على الضفتين. حسنًا، لم أفقد طويلاً الصيحات وسط البرازخ؛ ولم أحاول تتبعها طويلًا، على أية حال، لأن تتبعها كان أسوأ من تتبع شبح "الهلويين". لم أعرف من قبل صوتًا مراوغًا إلى هذا الحد، يتنقل كثيرًا، وبسرعة كبيرة من مكان إلى مكان.

كان عليّ أن أبتعد عن الضفة بمسافة كافية أربع أو خمس مرات، لأتجنب الارتطام بإحدى الجُزر الناتئة في النهر؛ وقدرت أن الطوف لا بد أن يقترب من الضفة من حين لآخر، وإلا لكان ابتعد كثيرًا، ولن أتمكن من سماع الصيحات- لقد كان الطوف يبحر أسرع قليلًا من زورقي.

حسنًا، بدا لي أنني في عرض النهر من جديد بعد قليل، إلا أنني لم أستطع سماع أية إشارة أو صيحة تصدر من أي مكان. اعتقدت أن "چيم" قد علق في غصنٍ ما، ربما، وهذا هو كل ما حدث له. كنت منهكًا إلى حد كبير، لذلك تمددت في الزورق وقررت ألا أزعج نفسي أكثر من ذلك. لم أكن



fb/mashro3pdf

أرغب في النوم، بالطبع؛ إلا أنني شعرت بالنعاس ولم أستطع مقاومته؛ لذلك فكرت أن أغفو غفوة سريعة كالقطط.

لكني أظن أنها كانت أكثر من مجرد غفوة سريعة كالقطط، فحين استيقظت رأيت النجوم تتلألأ في السماء، كما انقشع الضباب تمامًا، وكان الزورق يدور حول أحد المنحنيات بمؤخرته. لم أدرك في البداية أين أنا؛ ظننتُ أنني أحلم؛ وحين بدأت الأشياء في العودة إليَّ، بدت أنها تأتي ضبابية وقد مر عليه أسبوع.

كان النهر ضخمًا للغاية في تلك البُقعة، وعلى ضفتيه أشجار سامقة وكثيفة الأغصان إلى أقصى مدى؛ جدار صلب، بقدر ما يمكنني أن أرى في ضوء النجوم. نظرت بعيدًا على امتداد النهر، فلمحت بقعة سوداء على سطح الماء. توجهت نحوها؛ فلم أجد سوى جذعين مربوطين معًا. ثم رأيت بقعة أخرى، فتوجهت نحوها؛ ثم بقعة ثالثة، وكنت على صواب هذه المرة. إذ وجدت الطوف.

عندما وصلت إليه، كان "چيم" نائمًا وقد وضع رأسه بين ركبتيه، ويده اليمنى معلقة بمجذاف التوجيه. كان المجذاف الآخر محطمًا، كما امتلأ الطوف بأوراق الشجر والأغصان والوحل. لا بد أنه مر بفترة عصيبة.

أسرعت، واستلقيت تحت أنف "چيم" على الطوف، وبدأت في التثاؤب، وفردت قبضة يدي نحوه، ثم قلت:

- "أهلا يا "چيم"، هل نمت؟ لماذا لم توقظني؟"

- "يا إلهي الكريم، أهذا أنت، يا "هاك"؟ ألم تمت؟- ألم تغرق؟- عدت مرةً أخرى؟ إنه شيء طيب، يا عزيزي، شيء طيب للغاية. دعني أنظر إليك



fb/mashro3pdf

يا ولدي، دعني أتحسس جسمك. لا، لست ميتًا! لقد عدت مرةً أخرى، "حيًا ومُعافى"، "هاك" الذي عهدته- "هاك" الذي أعرفه، شكرًا للسماء!"

- "ماذا جرى لك يا "چيم"؟ هل سكرت؟"

- "سكرت؟ هل كنت أشرب الخمر؟ هل واتتني فرصة لأشرب الخمر؟"

- "حسنًا، إذن، فلماذا تتحدث بانفعال؟"

- "كيف أتحدث بانفعال؟"

- "كيف؟ ألا تتحدث عن عودتي، وما شابه، كأنني كنت غائبًا؟"

- "هاك"- "هاك فِن"، انظر في عيني؛ انظر في عيني. ألم تكن غائبًا؟"

- "غائبًا؟ ماذا تقصد، بحق السماء؟ لم أذهب إلى أي مكان. أين يمكن أن اذهب؟"

- "حسنًا، انصت إليَّ، يا زعيم، هناك خطأ ما، بالتأكيد. هل أنا أنا، أم مَن أنا؟ هل أنا هو، أم ماذا أنا؟ هذا ما أريد معرفته".

- "أعتقد أنك هنا، هذا واضح، ولكن أصابك الخرف أيها العجوز "چيم" الأحمق".

- "هل أنا، هو أنا؟ أجبني عن هذا السؤال: ألم تسبقني بالزورق لتصل بسرعة إلى البرزخ؟"

- "لا، لم يحدث. أي برزخ؟ لم أر أي برزخ".

- "ألم تر أي برزخ؟ انتبه معي، ألم ينقطع الحبل وينجرف الطوف مع التيار في النهر، وتركتك في الزورق يلفك الضباب؟"

- "أي ضباب؟"

- "الضباب!- الضباب الذي لفنا طوال الليل. ألم تطلق صيحات، ألم



fb/mashro3pdf

أطلق صيحات، حتى ضللنا الطريق بين الجُزر، وتاه كل منا عن الآخر، ولـم يتمكن من تحديد موقعه؟ ألم أندفع مرةً أخرى بين تلك الجزر، وأمر بوقت عصيب، وكدت أموت غرقًا؟ ألم يحدث كل هذا، يا زعيم- ألم يحـدث حقًـا؟ أجبني عن ذلك".

- "هذا أكثر مما أحتمل، يا "چيم". لم يحدث أن رأيت أي ضباب، أو جُزر، أو مشاكل، أو أي شيء. لقد كنت جالسًا هنا أتحدث إليك طوال الليل حـتى نمتَ منذ عشر دقائق، وأعتقد أنني نمتُ أيضًا؛ وإن لم تـستطع شُرب الخمـر في هذا الوقت، فلا بد أنك كنت تحلم".

- "اللعنة، كيف لي أن أحلم بكل هذا في عشر دقائق فقط؟"

- "حسنًا، لا عليك، لقد كنت تحلم بذلك، فلم يحدث شيء مما قلت".

- "ولكن، يا "هاك"، كانت الأحداث واضحة كأنها-"

- "مدى وضوحها لن يغير من الأمر شيئًا، لأنها لم تحدث. أعرف ذلـك، لأنني كنت هنا طوال الوقت".

لم ينطق "چيم" لنحو خمس دقائق، ولكنه جلس يفكر في الأمر. بعـدها قال:

- "حسنًا، إذن، أظن أنني حلمت بذلك، يا "هاك"؛ ولكنني أقسم أنه أقوى حلم عرفته في حياتي. ولم أحلم حلمًا أرهقني من قبل مثل هذا الحلم".

- "أوه، حسنًا، هذا طبيعي، فالأحلام ترهـق الجـسم أحيانًـا كـكل شيء. لكن هذا الحلم يبدو فريدًا من نوعه؛ احكه لي يا "چيم".

بدأ "چـيم" يقـص الحكايـة، وأخـبرني بكـل التفاصـيل، كمـا حـدثت بالضبط، وإن كان قد بالغ بعض الشيء. ثم قال إنه يجـب أن يبـدأ في تفـسير



fb/mashro3pdf

الحلم، لأنه يحمل في طياته تحذيرًا. قال إن البرزخ الأول يمثل رجلًا حاول أن يصنع معروفًا لنا، لكن التيار رجل آخر يحاول أن يبعدنا عنه. والصيحات إنذارات لما قد سيحدث لنا من حين لآخر، وإن لم نجتهد في محاولة فهمها، فسوف تنقلب إلى نذير شؤم، بدلًا من إبقائنا بعيدين عنه. وكثرة البرازخ مشاكل كنا سنقع فيها مع بعض الأشرار ومن على شاكلتهم، ولكن إذا انتبهنا لشؤوننا، ولم نتحدث عنهم ونثيرهم ضدنا، فسوف ننجو ونخرج من الضباب إلى النهر الصافي العظيم، الذي يرمز إلى الولايات التي حررت العبيد، ولن تكون هناك مشاكل أخرى.

كانت السماء مظلمةً تمامًا بالغيوم فور صعودي إلى الطوف، إلا أنها كانت تنقشع الآن.

- "آه، حسنًا، إنه تفسير جيد ومنطقي يا "چيم"، ولكن ماذا تمثل هذه الأشياء؟

أشرت إلى أوراق الشجر والقمامة على الطوف، والمجداف المُحطم. يمكن أن تراهم بوضوح الآن.

نظر "چيم" إلى النفايات، ثم نظر نحوي، ثم إلى النفايات مرةً أخرى. لقد اقتنع تمامًا أن ما حدث كان حلمًا، لدرجة أنه لم يعد مُستعدًا على ما يبدو أن يقبل بالحقيقة بدلاً منه مرةً أخرى. لكنه حين أيقن ما حدث، نظر نحوي بثبات من دون أن يبتسم، وقال:

- "على أي شيء تدل؟ سأخبرك. عندما أصابني الإرهاق من العمل، ومن النداء عليك، وغلبني النوم، كاد قلبي يتمزق من الحسرة على فقدك، ولم أعد أدري ما حدث لي وللطوف. وعندما استيقظت، واكتشفت عودتك مرةً



fb/mashro3pdf

أخرى، سليمًا ومعافى، بكيت، وكدت أجثو على ركبتي وأقبل قدميك، شكرًا للرب على عودتك. وكل ما كنت تفكر فيه أنت هو كيف تسخر من "چيم" بالكذب عليه. هذه الأغصان نفايات؛ والنفايات هي ما يضعها الناس على رؤوس أصدقائهم ليجعلوهم يشعرون بالخزي".

ثم نهض ببطء ومضى إلى الكوخ، ودخل من دون أن يتفوه بكلمة أخرى. لكن ما قال كان فيه الكفاية. فقد جعلني أشعر بالوضاعة لدرجة أنني كنت على استعداد لأقبل قدميه حتى يتراجع عن ما قال.

مرت خمس عشرة دقيقة قبل أن أتغلب على كبريائي وأعتذر لزنجي؛ لكني فعلتها، ولم أندم أبدًا بعد ذلك لأنني اعتذرت منه. ولم أحاول أن أقوم معه بألاعيب خبيثة مرةً أخرى، ولو كنت أعلم أن تلك المزحة ستجرح شعوره إلى هذا الحد، لما فعلتها.

fb/mashro3pdf

# الفصل السادس عشر

قضينا معظم اليوم في النوم، ثم تحركنا ليلًا، تتبعنا طوفًا هائلاً طويلًا للغاية كان يتقدم كأنه أسطول. له أربعة مجاديف طويلة في كل طرف، لذلك اعتقدنا أنه يحمل ما يصل إلى ثلاثين شخصًا، على الأرجح. كما أن به خمس خيام كبيرة، بين كل خيمة والأخرى مسافة، وموقد نار مخيمات في المنتصف، إضافة إلى سارية علم طويلة على كل طرف منه. كانت يتمتع بالمهابة. كما أن قيادة مثل هذا الطوف لها شأن كبير.

مضينا منساقين مع التيار إلى انحناءة كبيرة، وظهرت السحب في سماء الليل، وأصبح الجو حارًا. كان النهر شديد الاتساع، ومسوَّرًا على جانبيه بأشجار سامقة؛ لا يمكنك رؤية ثغرة بالكاد أبدًا، أو شعاع ضوء. تحدثنا عن "كايرو"، وتساءلنا ما إذا كنا سنعرفها حين نصل إليها. قلت إننا في الغالب لن نعرفها، فقد سمعت أنها لا تحتوي إلا على القليل من البيوت، وإذا لم يكونوا مضائين، فكيف سيمكن لنا معرفة أننا نمر بمدينة؟ قال "چيم" إن

fb/mashro3pdf

النهرين الكبيرين لو تقابلا عندها، فذلك سيدلنا. لكني قلت ربما ظننا أننا نمر بطرف جزيرة، وندخل النهر نفسه مرةً أخرى. أربكت هذه الفكرة "چيم"- وأربكتني أيضًا. وكان السؤال المطروح هو: ماذا سنفعل؟ قلت، علينا أن نجذف إلى الشاطئ حين نرى أول ضوء، ونقول لهم إن أبي خلفنا، قادمًا في قارب تجاري، وهو تاجر جديد في السوق، ونود أن نعرف كم تبعد "كايرو". رأى "چيم" أنها فكرة جيدة، فقمنا بالتدخين وانتظرنا.

لم يكن هناك ما نفعله الآن سوى إمعان النظر بحثًا عن المدينة، حتى لا نتجاوزها من دون أن نراها. قال إنه متأكد تمامًا من أنه سيراها، لأنه سيصبح رجلاً حرًّا لحظة أن يراها، لكنه إن تجاوزها، فقد يذهب إلى مدينة ما تزال تستعبد الزنوج، ويضيع الأمل في الحرية. ومن حين لآخر كان يقفز ويقول:

- "هل هذه هي المدينة؟"

لكنها لا تكون المدينة. ربما كان ضوء الهلويين، أو حشرات مضيئة؛ فكان يجلس من جديد، ويراقب، كما كان يفعل من قبل. أخبرني أن إحساسه بقرب الحرية يجعله يرتجف كله وبصورة محمومة. حسنًا، في الواقع، فقد ارتجفتُ كلي وبصورة محمومة- أنا أيضًا- حين سمعت كلماته، لأن رأسي اجتاحتها فكرة أنه على وشك أن يكون حرًّا- فعلى من أُلقي اللوم على ذلك؟ عجبًا، أنا. فأنا لا أستطيع خداع ضميري؛ بأية طريقة. راحت الفكرة تزعجني فلم أستطع السكون؛ لم أستطع البقاء ساكنًا في موضع واحد. لم يخطر ذلك ببالي أبدًا من قبل، فماذا أفعل. إلا أن هذا ما حدث، وأصبحت الفكرة تلازمني، وتستحوذ عليَّ أكثر فأكثر. حاولت أن أبرر ما حدث



fb/mashro3pdf

لنفسي، وأن اللوم لا يقع عليَّ، لأنني لم أدفع "چيم" إلى الهرب من مالكه الشرعي؛ إلا أن الفكرة كانت بلا جدوى، حيث يستيقظ ضميري، كل مرة، ويقول: "لكنك كنت تعرف إنه هارب من أجل حريته، وكان بمقدورك أن تجذف إلى الشاطئ وتخبر أي شخص". كان ذلك كذلك- ولم أتمكن من الإفلات من ضميري. لهذا كنت أتعذب. كان ضميري يقول لي: "وماذا فعلت لك الآنسة "واتسون" المسكينة لترى عبدها الزنجي يهرب أمام عينيك من دون أن تنطق بكلمة واحدة؟ ماذا فعلت لك تلك العجوز المسكينة لكي تعاملها بهذه الوضاعة؟ عجبًا، لقد حاولت أن تعلمك في كتبك المدرسية، وحاولت أن تعلمك الأخلاق، وحاولت أن تكون طيبةً معك بكافة السبل التي تعرفها. هذا ما فعلت من أجلك".

شعرت بالوضاعة والبؤس لدرجة أنني تمنيت الموت. كنت أذرع الطوف جيئة وذهابًا، وأنا أوبخ نفسي، بينما كان "چيم" يتحرك جيئةً وذهابًا في عكس اتجاهي. كلانا يشعر بالقلق ولا يستطيع السكون. وكلما قفز في الهواء وهتف: "ها هي "كايرو"!"، كان هتافه يشبه رصاصة أصابتني، وأعتقد أنني سأموت من البؤس إن **كانت** "كايرو" فعلًا.

كان "چيم" يتحدث بصوت مرتفع طوال الوقت، فيما كنت أحدث نفسي. قال إن أول شيء سيفعله حين يصل إلى ولاية حررت العبيد، هو ادخار المال، وعدم إنفاق سنت واحد، وعندما يحصل على ما يكفي من المال سيقوم بشراء زوجته، التي يتملكها صاحب مزرعة بجوار منزل الآنسة "واتسون"؛ وحينها سوف يعملان معًا حتى يشتريا طفليهما، وإن رفض مالكهما بيعهما، فسوف يستأجران أحد أنصار تحرير العبيد ليخطفهما منه.



fb/mashro3pdf

تجمدتُ تقريبًا وأنا أسمع هذا الكلام. لم يكن يجرؤ على الحديث بهذه الطريقة من قبل. فانظر إلى التغير الذي طرأ عليه لحظة ظنه أنه على وشك نيل حريته. لقد انطبق عليه المثل القديم "إن أعطيت الزنجي بوصة، فسيأخذ الحبل كله". فكرت في نتيجة غفلتي. ها هو الزنجي، الذي ساعدته بقدر استطاعتي على الهرب، يأتي بوضوح ويقول إنه سيسرق طفليه- الذين يملكهما رجل لا أعرفه حتى؛ رجل لم يسبق له أن أساء إليّ.

أحسست بالأسف عند سماع ما قال "چيم"، لقد حط من قيمته. تزايد عذاب ضميري بأكثر من ذي قبل، حتى قلت له في النهاية: "إليك عني- لم يفت الوقت بعد- سأجذف نحو الشاطئ عندما ألمح أول ضوء وأقول الحقيقة". أحسست براحة وسعادة وخفة كأنني ريشة تحملها الرياح. تبخر كل قلقي. ثم رحت أمعن النظر بحثًا عن ضوء، أو علامة بنفسي. وبعد قليلن لاح ضوء. هتف "چيم":

- "وصلنا إلى بر الأمان، يا "هاك"، وصلنا إلى بر الأمان! هيا اقفز وحرك قدميك! إنها "كايرو" أخيرًا، أنا واثق بذلك!".

قلت: "سأذهب بالقارب لأتأكد، يا "چيم". ربما لم تكن هي، كما تظن".

قفز إلى القارب وأعده للإبحار، ووضع معطفه القديم في قاع الزورق لكي أجلس عليه، ثم ناولني المجذاف؛ وقال لي وأنا أنطلق:

- "بعد لحظات سأصيح فرحًا- سوف أهتف، أنا حر بفضل "هاك"؛ أنا رجل حُر، لولا "هاك" لما أصبحت حرًّا. لن أنسى فضلك أبدًا يا "هاك"؛ أنت أفضل صديق لي في العالم، أنت صديقي الوحيد كل ما لدى "چيم" الآن".

كنت أجذف بحماسة، يغمرني العرق حتى أشي به؛ إلا أنه حين قال ذلك،



fb/mashro3pdf

بدا كأن قد بخر حماسي. أبطأت من التجذيف حينها، ولم أعد متأكدًا تمامًا مما إذا كنتُ سعيدًا بأنني انطلقتُ أم لا. وعندما ابتعدت مسافة خمسين ياردة، قال:

- "ها أنت تذهب، يا "هاك" الأصيل؛ أنت الرجل الأبيض الوحيد الذي وفى بوعده لـ"چيم" العجوز".

حسنًا، أحسست بالغثيان. إلا أنني قلت لنفسي: **يجب** أن أفعل ما عزمت عليه- لن أستطيع التنصل منه. آنئذٍ ظهر قارب به رجلان مُسلحان، توقفا وتوقفت. سألني أحدهما:

- "ما هذا الشيء هناك؟"

- "إنه جزء من طوف".

- "هل كنت على متنه؟"

- "أجل، يا سيدي".

- "هل فيه أي رجال؟"

- "واحد فقط، يا سيدي".

- "حسنًا، هناك خمسة زنوج فروا الليلة هناك، عند رأس منحنى النهر. هل الرجل أبيض أم أسود؟"

لم أتمكن من الإجابة بسرعة. حاولت، إلا أن الكلمات لم تخرج من فمي. حاولت للحظات أن أتماسك وأخبرهم بالحقيقة، إلا أنني لم أكن رجلاً بما يكفي- لم تكن لديَّ شجاعة أرنب حتى. أدركت أنني أضعف؛ فتخليت عن المحاولة، وقلت:

- "إنه أبيض".



fb/mashro3pdf

- "أعتقد أننا يجب أن نتأكد بأنفسنا".

- "كم أتمنى هذا، لأن أبي هو الموجود، ويمكنكما مساعدتي في سحب الطوف إلى الشاطئ وربطه عند ذلك الضوء هناك. فأبي مريض- وكذلك أمي و"ماري آن".

- "آه، اللعنة! نحن في عجلة، أيها الصبي. إلا أننا يجب أن نأتي. هيا، ثبت مجدافك لنذهب".

قمت بتثبيت مجدافي وأوقفا مجدافيهما. وعندما قمنا بضربة مجداف أو اثنتين، قلت لهما:

- "أنا واثق أن أبي سيمتن كثيرًا لصنيعكما. فكل الناس يهربون عندما أطلب منهم مساعدتي في جر الطوف إلى الشاطئ، وأنا لا أستطيع فعل ذلك بنفسي".

- "حسنًا، يا لها من وضاعة جهنمية. وغريبةٌ، أيضًا. أخبرني، يا بني، ماذا أصاب والدك؟"

- إنه- إنه- حسنًا، إنه ليس أمرًا خطيرًا".

توقفا عن التجديف. لم تكن سوى مسافة صغيرة من الطوف الآن. قال أحدهما:

- "أنت تكذب، أيها الولد، ماذا أصاب والدك؟ قل الحقيقة الآن، من أجل مصلحتك".

- "حاضر، يا سيدي، سأكون صادقًا معك- ولكن أتوسل إليك ألا تتركنا. إنه مُصاب بالـ- الـ- أيها السادة، يمكنكما سحب القارب من بعيد، سوف ألقي لكما بالحبل، وليس عليكما الاقتراب من الطوف- أتوسل



fb/mashro3pdf

إليكما".

قال أحدهما للآخر: "ابتعد بالقارب، يا "جون"، ابتعدا". تراجعا للخلف قليلًا. ثم قال لي: "ابتعد أيها الصبي - ابتعد عنا. اللعنة، أظن أن الرياح نقلت العدوى إلينا. إن أباك مصاب بالجدري، وأنت تعلم هذا بالقطع. لماذا لم تصارحنا؟ هل تريد أن ينتشر المرض في المنطقة؟"

أجبت مُتلعثمًا: "لقد أخبرت الجميع بالحقيقة من قبل، إلا أنهم فروا وتركونا".

- "أيها الشيطان البائس، إنهم على حق. بالطبع نأسف لحالك، لكننا - لا نود الإصابة بالجدري، كما تعلم. ولكن اسمع، سأقولك لك كيف تتصرف. لا تحاول أن ترسو بالطوف وحدك، وإلا فستحطم كل شيء. عليك أن تتقدم في النهر مسافة عشرين ميلًا، وسوف تصل إلى مدينة على الضفة اليسرى للنهر. ستصل بعد شروق الشمس بفترة طويلة، وحين تطلب المساعدة، يجب أن تقول لهم إن عائلتك مصابة بالارتجاف والحمى. ولا تكن أحمق مرةً أخرى، وتترك الناس يُخمنون المرض. نحن نحاول أن نسدي لك معروفًا؛ فعليك أن تبتعد عنا بعشرين ميلًا، أيها الولد الطيب. فليس هناك نفع أن ترسو حين ترى الضوء - إنه مجرد ضوء مستودع أخشاب. أظن أن أباك فقير، وأنا متأكد أن حظه عاثر. خُذ، سوف أضع لك قطعة من فئة العشرين دولارًا فوق هذا اللوح، فالتقطها حين يطفو إليك. أشعر بالخسة لأنني أتركك؛ ولكن ماذا أفعل! فمن الحماقة الاستخفاف بالجدري، كما ترى".

قال الرجل الآخر: "انتظر، يا "باركر"، وها هي عشرين دولارًا مني أنا أيضًا. وداعًا يا بُني؛ نفذ ما قال لك السيد "باركر"، وسوف تصبح على ما يُرام".



fb/mashro3pdf

- "أجل، يا بني- وداعًا، وداعًا. وإذا رأيت أي زنجي هارب فابحث عن من يساعدك، واقبض عليه، فقد تحصل على بعض المال".

- "وداعًا، يا سيدي، لن أدع زنجيًا هاربًا يفلت من يدي إن استطعت".

ابتعدا وصعدت إلى الطوف، وأنا أشعر بالسوء والخسة، لأنني كنت على يقين أنني أخطأت، وألا فائدة من محاولة تعلم الصواب؛ فالشخص الذي لم يبدأ على صواب منذ الصغر، فلن يتمكن من ذلك- فحين يواجه اختبارًا، فليس لديه ما يدعمه ليؤدي واجبه حتى النهاية.

ثم فكرت لدقيقة، وقلت لنفسي، تماسك؛ وافترض أنك فعلت ما تراه صوابًا وقمت بتسليم "چيم"، فهل كنت ستشعر بأنك أفضل حالًا من الآن؟ لا، قلت، كنت سأشعر بالسوء- كنت سأشعر بشعوري نفسه الآن. حسنًا، إذن، قلت لنفسي، وما جدوى تعلم فعل الصواب، إن كان فعله مزعجًا لك، فيما ليس من المزعج ارتكاب الخطأ، والنتيجة واحدة في الحالين؟ كنت مأزومًا. ولم أتمكن من الإجابة. لهذا فكرتُ ألا أزعج نفسي أكثر من ذلك بهذا الأمر، وأن أفعل ما يتسنى لي فعله في حينه.

دخلت الكوخ الصغير؛ فلم أجد "چيم". بحثت عنه؛ لم يكن موجودًا في أي مكان، ناديت:

- "چيم"!

- "أنا هنا، يا "هاك"، هل ابتعدوا؟ لا ترفع صوتك".

كان يختبئ في النهر تحت المجذاف الخلفي، وأنفه فقط فوق الماء. أخبرته أنهم ابتعدوا، فصعد إلى الطوف. قال:

- كنت أنصت لكل ما تقول، فانزلقتُ في الماء، وكنت سأسبح نحو



fb/mashro3pdf

الشاطئ إن صعدا إلى الطوف. ثم أسبح عائدًا من جديد بعد رحيلهما. إلا أنك خدعتهما، أيها الماكر، "هاك"!؛ إنه أفضل خداع على الإطلاق! وأقول لك، يا ولدي، أنك أنقذت "چيم" العجوز- و"چيم" العجوز لن ينسى لك هذا، يا عزيزي".

تحدثنا بعد ذلك عن النقود. عشرون دولارًا لكل واحد منا- مبلغ طيب. قال "چيم" إنه بمقدورنا السفر على سطح باخرة الآن، وسوف تكفينا النقود حتى نصل إلى أي مكان نريد في الولايات التي حررت العبيد. قال إن عشرين ميلًا إضافية ليست كثيرة على الطوف، إلى أنه يتمنى لو كنا قد وصلنا إلى هناك الآن.

قُرب بزوغ ضوء النهار، جهزنا الطوف، وحرص "چيم" على إخفائه تمامًا. ثم انشغل طوال اليوم بحزم الأمتعة، وتجهيز كل شيء استعدادًا لمغادرة الطوف.

وفي تلك الليلة، في حدود الساعة العاشرة، لمحنا أضواء مدينة بعيدًا قرب انحناءة النهر ناحية اليسار.

انطلقت بالزورق لأسأل عن المدينة. سرعان ما وجدت رجلًا في قارب بالنهر، يُعد صنارة صيد. اقتربت وسألته:

- "هل هذه هي مدينة "كايرو"، يا سيد؟"

- "كايرو"؟ لا. لابد أنك أخرق".

- "وما اسم هذه المدينة، يا سيد؟"

- "إذا كنت تريد أن تعرف، فاذهب لتكتشف بنفسك. فإن بقيت تزعجني لنصف دقيقة أخرى، فسوف يحدث لك ما لا تحب".

fb/mashro3pdf

جذفتُ نحو الطوف. كان "چيم" بالغ الإحباط، فقلت له: لا تقلق، فربما كانت "كايرو" هي المدينة القادمة، حسب ظني.

ثم مررنا بمدينة أخرى قبل بزوغ ضوء النهار، وكنت سأذهب بالزورق من جديد؛ لكن الضفة كانت مرتفعة، فلم أذهب. قال "چيم" إن الضفة ليست مرتفعة عند "كايرو". كنت قد نسيت هذه المعلومة. قضينا النهار مُختبئين فوق برزخ بالقرب من الضفة اليسرى للنهر. بدأت أشك في شيءٍ ما، وكذلك "چيم". قلت:

- "ربما تجاوزنا "كايرو" في الضباب تلك الليلة".

قال "چيم": "من الأفضل ألا نتكلم عن هذا، يا "هاك". الحظ لا يساند الزنوج التعساء. توقعت ألا يتوقف شؤم ثوب الثعبان".

- "ليتني ما رأيت جلد الثعبان هذا، يا "چيم"- ليت بصري لم يقع عليه".

- "ليست غلطتك، يا "هاك"؛ فلم تكن تعلم. لا توجه اللوم لنفسك على ذلك".

عندما لاح ضوء النهار، كانت تلك مياه "أوهيو" الصافية قُرب الشاطئ، بكل تأكيد، وبعيدًا كانت المياه الطينية المعتادة! هكذا تجاوزنا "كايرو".

ناقشنا الأمر كله. لم يكن ثمة جدوى من التوجه نحو الضفة؛ ولم يكن بمقدورنا الإبحار بالطوف ضد التيار، بالطبع. ولم يعد هناك من سبيل سوى الانتظار حتى يحل الظلام، ثم ننطلق عائدين بالزورق ونقوم بالمجازفة. لهذا قضينا النهار في النوم في دغل كثيف من أعواد القطن، حتى نرتاح ونصبح قادرين على العمل. وعندما عدنا إلى الطوف مع حلول الظلام، لم نجد



fb/mashro3pdf

الزورق!

لم ننطق بكلمة لوقت طويل. لم يكن هناك ما يقال. أدرك كلانا أن هذا بسبب نحس جلد الأفعى؛ فما جدوى الحديث عنه إذن؟ سيبدو الأمر وكأننا نلقي اللوم على بعضنا البعض، وهو ما سيجلب المزيد من سوء الحظ- ويجعله يستمر أيضًا إلى أن نتعلم الصمت.

بعد قليل ما تناقشنا عن أفضل ما يجب القيام به، وتوصلنا إلى أنه لم يعد لدينا سوى الاستمرار في الإبحار مع التيار بالطوف حتى تتسنى لنا فرصة لشراء زورق لنعود به. لن نقترضه على طريقة أبي إن لم يكن أحد بقربه، فقد يطاردنا الناس بسبب ذلك.

لهذا انطلقنا بالطوف بعد أن حل الظلام.

وإذا لم يكن أحد يؤمن بعد بغباء الإمساك بجلد أفعى، بعد كل ما فعلته الأفعى لنا، فلسوف يؤمن الآن عندما يقرأ ويرى المزيد مما جره علينا.

أفضل مكان لشراء الزوارق هو قرب مرسى الأطواف على الشاطئ. إلا أننا لم نجد أي طوف يرسو هناك؛ فتقدمنا في النهر على مدار ثلاث ساعات وأكثر. حسنًا، أصبح الظلام حالكًا، والسماء رمادية؛ وهو أسوأ شيء بعد الضباب. فلا تستطيع تحديد شكل النهر، وتنعدم الرؤية تقريبًا. أصبح الوقت مُتأخرًا وخيم السكون، ثم اقتربت باخرة في عكس اتجاهنا. أضأنا الفانوس، وقدَّرنا أنها سترانا. وإن كانت البواخر التي تبحر ضد التيار لا تقترب منا عادة؛ إذ تبحث عن المسارات الهادئة بجوار الحواجز الرملية بعيدًا عن الصخور؛ إلا أنها في ليلة حالكة الظلمة كهذه الليلة، قد تتجه إلى منتصف النهر، في عكس كل القوارب التي تبحر في النهر.



fb/mashro3pdf

سمعنا صوت الباخرة وهي تمضي، لكننا لم نتمكن من رؤيتها جيدًا إلا حين اقتربت. كانت تتجه نحونا مباشرةً. أحيانًا ما يفعل القباطنة هذا ليروا مدى قدرتهم على الاقتراب من القوارب الأخرى من دون لمسها؛ وقد ترتطم إحدى عجلات الباخرة بأحد المجاذيف، فيخرج القبطان رأسه ويضحك، حيث يظن أنه في غاية المهارة. حسنًا، كان يقترب، وظننا أنه سيحاول الاحتكاك بنا ثم يبتعد؛ إلا أنه لم ينحرف عن مساره قيد أنملة. كانت باخرة ضخمة، وتأتي مندفعة، أيضًا، فتبدو كأنها سحابة مع صفوف من ديدان مضيئة حولها؛ فكنها فجأةً اندفعت نحونا، ضخمة ومخيفة، مع صف طويل من أبواب أفران مفتوحة على اتساعها، كأنها أسنان حمراء ملتهبة، ومقدمة الباخرة الضخمة والحراس يتعلقون فوقنا مباشرة. سمعنا أصوات صياح علينا، وقرع أجراس لإيقاف المحركات، وغمغمة لعنات تنصب، وصفير البخار- قفز "جيم" إلى الماء من ناحية وقفزت من الناحية الأخرى، فيما اندفعت الباخرة محطمةً الطوف.

غُصت- وأنا أهدف الوصول إلى القاع، أيضًا، لأن عجلة بقُطر ثلاثين ذراعًا يمكن أن تسحقني، فأردت الابتعاد مسافة كافية. كنت أستطيع البقاء تحت الماء عادةً لمدة دقيقة؛ إلا أنني أظن أني بقيت- هذه المرة- في الماء دقيقة ونصف الدقيقة. ثم اندفعت نحو سطح الماء بسرعة، فقد أوشكت على الاختناق. خرجت من الماء حتى إبطيَّ، ودفعت الماء من أنفي، وتنفست من فمي لبعض الوقت. بالطبع كان التيار قويًا للغاية؛ وبالطبع تم تشغيل مُحركات الباخرة من جديد بعد عشر لحظات من توقفها، إذ لا يهتم طاقمها أبدًا لأمر ركاب الأطواف؛ وكانت قد تحركت بالفعل في النهر الآن، خارج مجال رؤيتي



fb/mashro3pdf

في هذا الطقس الكثيف، إلا أنني كنت أسمع صوتها.

ناديت على "چيم" عشر مرات، فلم أتلق أي رد؛ تعلقت بلوح خشبي لامسني وأنا "أصارع الماء"، واتجهت نحو الضفة، وأنا أدفعه أمامي. لكني أدركت أن التيار يسحبني إلى الضفة اليسرى، ومعنى هذا أنني في منطقة التقاء تيارين؛ لذلك غيرت اتجاهي وسبحت مع التيار.

كانت منطقة التقاء تيارين طويلة مائلة، بطول ميلين؛ فاستغرقت وقتًا طويلًا حتى عبرتها. وصلت إلى الأرض بسلام، وتسلقت الضفة. لم أستطع رؤية سوى القليل من الطرق، لكنني تقدمت فوق أرض وعرة لمسافة ربع ميل أو أكثر، وبعدها اجتزت بيتًا خشبيًا قديم الطراز من طابقين، قبل أن ألحظ وجوده. قررت أن أندفع وأبتعد عنه، إلا أن العديد من الكلاب اندفعت خلفي وهي تنبح، فأدركت أنه من الأفضل لي ألا أتحرك خطوة أخرى.

fb/mashro3pdf

# الفصل السابع عشر

خلال نحو دقيقة تحدث شخص ما من النافذة من دون أن يطل برأسه، وقال:

- "اهدأوا، يا أولاد! من هناك؟"
- "أنا".
- "ومن أنت؟"
- "جورج جاكسون"، يا سيدي".
- "وماذا تريد؟"
- "لا أريد شيئًا، يا سيدي. كنت أريد فقط المرور من هنا، لكن الكلاب اعترضت طريقي".
- "ولماذا تتسكع هنا في مثل هذا الوقت من الليل- لماذا؟"
- "لم أكن أتسكع، يا سيدي. لقد سقطت من فوق سطح باخرة".
- "يا إلهي! هل سقطت، حقًا؟ فليشعل أحدكم مصباحًا، هناك. ما هو



fb/mashro3pdf

اسمك، مرةً أخرى؟"

- "جورج جاكسون"، يا سيدي. أنا صبي".

- "اسمع، إذا كنت تقول الحقيقة فلا تخش شيئًا- ولن تتعرض لأي أذى. لكن لا تحاول أن تتحرك؛ قف حيث أنت. انهض يا "بوب" أنت و"توم"، أو أحدكما، والتقطا البنادق. وأنت يا "جورج جاكسون"، هل معك أحد؟"

- لا، يا سيدي، ليس معي أحد".

سمعت حركة في أنحاء المنزل، ولمحت ضوءًا. هتف الرجل:

- :أبعدي هذا المصباح، أيتها العجوز الخرقاء، "بيستي"- أليس لديك عقل؟ ضعيه فوق الأرضية خلف الباب الأمامي. اتخذا موضعيكما، يا "بوب" أنت و"توم"، إن كنتما مستعدين".

- "نحن جاهزان".

- "والآن، يا "جورج جاكسون"، هل تعرف آل "شيبردسون"؟"

- "لا، يا سيدي؛ لم أسمع بهم من قبل".

- "حسنًا، ربما كنت صادقًا، وربما لا. والآن، استعد. تقدم إلى الأمام، يا "جورج جاكسون". وحاذر، لا تتقدم بسرعة- تقدم ببطء شديد. إذا كان معك أي شخص آخر، فاجعله يتراجع- فسوف نطلق عليه الرصاص حال ظهوره. تقدم الآن. اقترب ببطء؛ وادفع الباب بنفسك- لما يكفي لمرورك فقط، هل سمعت؟"

لم أسرع الخطو؛ ولم أكن أستطيع إن أردت ذلك. تقدمت خطوة واحدة ببطء كل مرة، ولم أسمع أي صوت، خلت أنني أسمع فقط صوت دقات قلبي.



fb/mashro3pdf

كانت الكلاب ساكنة كأنها آدميون، لكنها تبعتني على مسافة قريبة. وعندما وصلت إلى السلم ذي الثلاث درجات، سمعت صوت فتح المزلاج ورفع الحواجز وفتح الأقفال. وضعت رأسي على الباب ودفعته قليلًا، ثم دفعته قليلًا مرةً أخرى حتى سمعت صوتًا يقول: "أنت، ذلك يكفي- أدخل رأسك". أدخلت رأسي، ولكنني ظننت أنهم سيبترونها".

كانت الشمعة على الأرض، وكلهم هناك، ينظرون إليَّ، وأنظر إليهم، للحظات: ثلاثة رجال ضخام ببنادق مصوبة نحوي، مما جعلني أجفل، كما أقول لك؛ أكبرهم أشيب الشعر في الستين من عمره تقريبًا، بينما الاثنان الآخران في الثلاثين أو أكثر- كانوا جميعًا أنيقين وسيمين- أجملهم سيدة عجوز رمادية الشعر، يقف خلفها سيدتان شابتان لم أستطع رؤيتهما بوضوح. قال السيد العجوز:

- "أنت؛ أظن أن ذلك معقول. اقترب".

بمجرد أن دخلت، قام السيد العجوز بإغلاق الباب بالأقفال والمزلاج، وطلب من الشابين الدخول بأسلحتهما، واتجهوا جميعًا نحو حجرة استقبال واسعة أرضيتها مفروشة بسجادة جديدة، وجلسوا جميعًا في أحد الزوايا بعيدًا عن مجال النوافذ الأمامية- حيث لم يكن هناك نوافذ جانبية.

أمسكوا بالشمعة، وتمعنوا في ملامحي، ثم قالوا جميعًا: "غريبة، إنه ليس من عائلة "شيبردسون"- لا، ليست فيه ملامحهم على الإطلاق". ثم قال الرجل العجوز إنه يتمنى ألا يكون لديَّ مانع من تفتيشي بحثًا عن سلاح، لأنه لا يقصد الإساءة لي بذلك- من أجل التأكد فحسب. لهذا فلم يضع يده في جيوبي، وإنما اكتفى بتحسسها بيده من الخارج، ثم قال إن كل شيء على ما



fb/mashro3pdf

يرام. طلب مني أن أكون على راحتي كـأنني في بيـتي، وأن أحـدثهم عـن مـا حدث لي؛ إلا أن السيدة العجوز قالت:

- "عجيبة، فليباركك الرب، يا "سول"، فملابس هـذا الـشيء المـسكين مُبتلة؛ ألا تظن أنه قد يكون جائعًا؟"

- "أنت على حق، يا "راشيل"- لقد نسيت".

فقالت السيدة العجوز: "بيتسي" (كانت سيدة زنجية)، اذهبي بأسرع مـا يمكنك وأحضري له شيئًا يأكله، هذا الـشيء المـسكين؛ ولتـذهب واحـدة منكن، يا بنات، لتوقظ "باك" وتخبره- آه، إنه هنا بنفسه. "بـاك"، خـذ هـذا الغريب الـصغير ليخلـع ملابـسه المُبتلـة وأحـضر له ملابـس جافـة مـن ملابسك".

كان "باك" يبدو في عمري نفسه تقريبًا- ثلاثة عشر أو أربعة عشر عامًا أو حولها، رغم أنه كان أضخم مني قليلًا. لم يكـن يرتـدي سـوى قمـيص، وشعره أشعث للغاية. اقترب وهو يتثاءب ويفرك عينيـه بقبـضة يـده، ويجـر بندقية بيده الأخرى. قال:

- "ألا يوجد أحد من آل "شبيرسون" هنا؟"

أجابوه بلا، لقد كان إنذارًا كاذبًا.

فقال: "حسنًا، طالما لم يظهر منهم أحد، فأظن أنني سأحـصل على واحـد منهم".

ضحكوا جميعًا، وقال "بوب":

- "عجيبة، يا "باك"، فقد كان يمكـن أن يقـضوا علينـا جميعًـا، لأنـك أبطأت في الحضور".



fb/mashro3pdf

- "حسنًا، لم يناد عليَّ أحد، وليس من الصواب أن تتجاهلوني؛ ولا أحضر الحدث".

قال له الرجل العجوز: "لا عليك، يا "باك"، يا ولدي، سوف تشهد الكثير من الأحداث، ولكن في الوقت المناسب، لا تقلق بهذا الشأن. اذهب الآن، وافعل ما طلبت والدتك منك".

عندما صعدنا إلى غرفته بالطابق الثاني، منحني قميصًا خشنًا وجاكت، وسروالًا، من ملابسه، فارتديتهم. وفيما كنت أرتدي، سألني عن اسمي، وقبل أن أتمكن من الإجابة بدأ يحدثني عن طائر أبي زريق والأرنب اللذين اصطادهما من الغابة أمس الأول، ثم سألني أين كان "موسى" حين انطفأت الشمعة. أخبرته أنني لا أعرف، ولم أسمع بهذا الأمر من قبل. فقال:

- "حسنًا، خمِّن".
- "وكيف لي أن أخمن، وأنا لم أسمع بهذا الأمر من قبل؟"
- "لكنك تستطيع التخمين، أليس كذلك؟ إنه أمر سهل للغاية".
- "أية شمعة تقصد؟"
- "غريبة، أية شمعة".
- "ولكني لا أعلم مكانه؛ أين كان يقف؟"
- "غريبة، كان يقف في الظلام! هذا هو مكانه".
- "حسنًا، ولماذا تسألني وأنت تعرف مكانه".
- "غريبة، اللعنة، إنها لغز، ألم تفهم؟ أخبرني، كم من الوقت ستمكث لدينا؟ يمكنك أن تمكث هنا إلى الأبد. يمكن أن نقضي أوقاتًا ممتعة- فلا مدرسة الآن. هل لديك كلب؟ أنا لديَّ كلب- سينزل إلى النهر ويحضر قطع



fb/mashro3pdf

الخشب التي تلقيها في الماء. هل تحب تمشيط شعرك أيام الآحاد، وغير ذلك من السخافات؟ أنا لا أحب ذلك على الإطلاق، لكن أمي تُجبرني على ذلك. اللعنة على هذه السراويل الطويلة! أعتقد أنه من الأفضل أن أرتديها، وإن كنت لا أحب ارتداءها، لأنها تشعرني بالحرارة. هل أنت جاهز؟ جيد. هيا بنا، يا صديقي القديم".

قدموا لي خبز ذرة باردًا، ولحمًا بقريًا باردًا، وزبدًا، وقشدة- ولم أتذوق طعامًا بمثل هذه الحلاوة من قبل. كان "باك" وأمه والجميع يدخنون الغليون المصنوع من الطين اللبِن، عدا السيدة الزنجية، التي كانت قد ذهبت، والشابتين. كانوا جميعًا يدخنون وهم يتحدثون، وكنت أتحدث وأنا أتناول الطعام. كانت الشابتان ملتفتين في لحافين، وشعرهما ينسدل على ظهريهما. كانوا جميعًا يوجهون لي الأسئلة، فحكيت لهم كيف كنت أعيش مع أبي وبقية أفراد العائلة في مزرعة صغيرة، في نهاية "آركانسو"، وكيف هربت أختي "ماري آن" وتزوجت ولم نعد نسمع أي أخبار عنها، وكيف ذهب "بل" ليبحث عنهما وانقطعت أخباره، وكيف مات كل من "توم"، و"مورت"، وآنئذٍ لم يتبق سوى أنا وأبي، الذي تدهور حتى العدم، بسبب ما مر به من مشاكل؛ لذلك فعندما مات، أخذتُ ما تبقى لنا، لأن المزرعة لم تكن ملكنا، وانطلقت على النهر، مسافرًا على سطح باخرة، إلا أنني سقطت عنها في الماء؛ وهكذا وصلت إلى هنا. قالوا إنني أستطيع الإقامة لديهم بقدر ما أريد. آنئذٍ كان ضوء النهار على وشك البزوغ، ومضى الجميع للنوم، ومضيت للنوم مع "باك"، وعندما استيقظت في الصباح، لسوء الحظ، نسيت إسمي الذي أخبرتهم به. لذلك استلقيت هناك قرابة الساعة أحاول التفكير، وعندما



fb/mashro3pdf

استيقظ "باك" سألته:

- "هل تستطيع التهجي، يا "باك"؟"

- "أجل".

- "أراهن أنك لا تستطيع تهجي اسمي".

- "أتحداك أنني أستطيع".

- "حسنًا، فلتفعل".

- "ج-و-ر-ج-ج-ا-ك-س-و-ن- ها قد فعلت".

- "حسنًا، لقد تهجيته، توقعت ألا تستطيع. إنه اسم يصعب تهجيه- بشكل صحيح من دون أن تدرسه".

بدأت أحفظه، وأنا جالس وحدي، فربما طلب مني أحدهم أن أتهجاه بعد ذلك، وأخذت أكرره حتى يبدو أنني معتاد عليه".

كانت عائلة لطيفة للغاية، وبيت جميل للغاية، أيضًا. لم أر في البلدة بيتًا في مثل جماله ورونقه من قبل. لم يكن لبابه الأمامي "سقاطة" من الحديد أو الخشب، تُشد بقطعة من الخيط فيفتح، وإنما مقبض نحاسي تلفه فيُفتح، كما هي الحال في بيوت المدينة. ولم يكن لديهم أسِرَّة في الصالون، ولا علامة على وجود سرير؛ لكن الكثير من صالونات منازل المدينة كانت تحتوي على أسرَّة. وكانت هناك مدفأة كبيرة، قاعدتها من الطوب الأحمر، ويظل الطوب نظيفًا وأحمر اللون على الدوام، عن طريق صب الماء عليه ودعكه بقطعة طوب أخرى؛ وأحيانًا كانوا يغسلونه بماء به صبغة حمراء، يسمونها اللون البني-الإسباني، نفس ما يفعلونه في المدينة. كما كان لها كلابات نحاسية يمكن أن يعلق بها مقبض منشار. وهناك ساعة في منتصف رف المدفأة،



fb/mashro3pdf

وعلى النصف السفلي من زجاجها الأمامي صورة ملونة لمدينة ما، وفي منتصفها تمامًا جزء مستدير يُمثل الشمس، ويمكنك رؤية البندول وهو يتأرجح خلفها. وكان سماع دقات الساعة يثير البهجة في النفس؛ وحين كان يمر أحد مَن يصلحون الساعات، ويقوم بصيانتها، كانت تدق مائة وخمسين دقة متوالية قبل أن تتوقف. وكانوا يرفضون بيعها بأي ثمن.

حسنًا، كان هناك ببغاء على كل جانب من جانبي الساعة، مصنوعان من مادة تشبه الجبس، ومطليان بألوان زاهية. إلى جوار أحدهما قطة من الخزف، وفي الناحية الأخرى كلب خزفي؛ وإذا ضغطت على أي منهما يطلق أزيزًا، إلا أنهما لا يفتحان فمها، أو يبدو عليهما اختلاف، أو أي شيء يثير الاهتمام. كانا يصدران الأزيز من قاعدة كل منهما. وهناك مروحتان كبيرتان من ريش أجنحة الديك الرومي مفرودتان خلف كل هذه الأشياء. وفوق المنضدة في منتصف الحجرة، سلة جميلة من الخزف، بها تفاح وبرتقال وخوخ وعنب، مكومة فيها، وألوانها الحمراء والصفراء أزهى وأجمل من ألوان الفاكهة الطبيعية، ويمكنك اكتشاف أنها غير حقيقية لأنك يمكن أن ترى بعض القطع مكشوطة ويظهر منها لون الجبس الأبيض، أو أيًا ما كانت المادة التي صُنعت تلك الأشياء منها.

وكان لهذه المنضدة مفرشٌ من المشمع الجميل المُقاوم للماء، ومرسوم عليه نسر مفرود الجناحين بالأحمر والأزرق، وحوله إطار مزركش. قالوا إنهم جلبوه من "فيلاديلفيا". وكان هناك بعض الكتب، أيضًا، المرصوصة بإحكام في زوايا المنضدة. أحدها نسخة كبيرة الحجم من الكتاب المقدس، مليئة



fb/mashro3pdf

بالصور. وكتاب آخر اسمه "رحلة الحاج"(*) ، يحكي قصة رجل ترك أهلـه، وإن لم يذكر السبب. كنت أقرأ كثيرًا في هذا الكتاب من حين لآخر. فقد كان مـا ورد به شيق، لكنه خشن. وآخر بعنوان "قربان الصداقة"، مليء بأشياء وشعر جميل؛ لكني لم أقرأ الشعر. وآخر كان "خطـب هـنري كلاي"، وآخـر بعنـوان "دواء الأسرة للطبيب جان"، كان يخبرك كل ما يمكن فعله إزاء مرض أحـد الأشخاص أو وفاته. وكان هناك كتاب تراتيـل، وغـيره الكثـير مـن الكتـب. وكانت هناك مقاعد منفصلة، لطيفـة، ذات حـواشٍ تبـدو في حالـة ممتـازة أيضًا- ليست مرتخية من المنتصف، ولم يخرج حشوها، كسلة قديمة.

كمـا كانـوا يعلقـون صـورًا على الحـوائط- أغلبهـا لـصور لواشـنطون، ولافاييت(**)، وللمعارك، وماري الاسكتلندية(***)وواحـدة تُـسمَّى "توقيـع إعلان الاستقلال". بالإضافة إلى بعض اللوحات المرسومة بـالفحم، على حـد قولهم، رسمتها إحدى بناتهم، قبل وفاتها، عندما كانت في الخامسة عشرة من عمرها فقط. كانت تختلف عن كافة اللوحات التي رأيتها في حياتي- فـاللون الأسود يُسيطر عليها أكثر من المُعتاد. إحداها كانت لامرأة ترتـدي فـستانًا ممشوقًا أسود اللون، ضـيقًا تحـت الإبطـين، وواسـعًا جـدًا كالكرنـب عنـد منتصف الأكمام، وتضع قبعة كبيرة سوداء اللون لها وشاح أسود يخفي الوجه،

---

(*)كتاب عن رحلة قام بها أحد الحجاج إلى روما في القرن السابع عشر، ألفه "جون بونيان"، ورغم كونه كتابًا دينيًا، إلا أنه ذو طابع قصصي.

(**) نبيل فرنسي، حارب إلى جانب الأمريكان في حرب التحرير.

(***) شخصية شهيرة في القرن السابع عشر لأنها كانت عشيقة الشاعر الانجليزي "روبرت بيرنز".



fb/mashro3pdf

وكاحلاها نحيلان ولونهما أبيض، وحولهما شريط أسود، وفي قدميها نعل أسود اللون، كإزميل، وكانت تتكئ متأملةً على شاهد قبر بمرفق يدها اليمنى، تحت شجرة صفصاف، ويدها الأخرى تتدلى إلى جوارها وهي تمسك منديلًا أبيض اللون وحقيبة نسوية، وكتبت عبارة تحت الصورة "لن أراك مرةً أخرى، وا حسرتاه". ولوحة أخرى لفتاة شعرها مُمشط ومرفوع إلى أعلى فوق رأسها، ومربوط بتوكة تشبه ظهر كرسي، كانت تبكي في منديل، وفي يدها الأخرى طائر ميت ممدد على ظهره، رافعًا ساقيه، وتحت الصورة عبارة: "وا حسرتاه، لن أسمع تغريدك العذب مرةً أخرى". وفي لوحة أخرى تنظر فتاة عبر النافذة إلى القمر، ودموعها تجري على خديها؛ وفي يدها خطاب مفتوح على حافته شمع أسود، وهي تعض على قلادة تتدلى من سلسلة، وتحت اللوحة عبارة: "واحسرتاه! لقد رحلت- أجل رحلت".

كانت كلها لوحات لطيفة، في ظني، إلا أنني لم أحبها بشكل ما، لأنها كانت تثير الشجن داخلي. كانوا جميعًا يشعرون بالحزن لموتها، لأنها كانت قد بدأت في رسم المزيد من تلك اللوحات التي لم تكملها، ويمكن للمرء أن يستنتج من تلك اللوحات فداحة فقدهم. وإن كنت أظن من سمات شخصيتها أنها تقضي الآن وقتًا أفضل في القبر. قالوا إنها كانت تعكف على ما اعتبروه أعظم لوحاتها على الإطلاق، حين مرضت، وكانت تصلي ليل نهار حتى يمنحها الرب العمر كي تتمها، إلا أنها لم تحظ بتلك الفرصة. كانت لوحة لفتاة ترتدي ثوبًا أبيض، تقف بجوار سور أحد الكباري مستعدةً للقفز في الماء؛ وشعرها ينسدل على ظهرها وهي تنظر إلى القمر، ودموعها تنهمر على وجهها، وقد عقدت ذراعيها على صدرها، وبسطت ذراعين آخرين أمامها، ورفعت



fb/mashro3pdf

ذراعين نحو القمر- كانت تفكر في أفضل وضع للذراعين، ثم تمحو الأذرع الأخرى؛ إلا أنها- كما كنت أقول، ماتت قبل أن تقرر. والآن قاموا بتعليق تلك اللوحة أعلى السرير في حجرتها، وكانوا يضعون فوقها الزهور كلما حل عيد ميلادها. أما في الأيام الأخرى، فهم يغطونها بستارة صغيرة. وكان للفتاة في اللوحة وجه لطيف وجميل، إلا أن كثرة الأذرع جعلتها تبدو لي عنكوبتية الشكل.

وكانت الفتاة تحتفظ بدفتر من القصاصات خلال حياتها، ودأبت على لصق حالات النعي والحوادث، وحالات المرضى الذين يتعذبون أثناء سكرات الموت أمام راعي الكنيسة، وتكتب فيهم الأشعار. وهي أشعار جيدة للغاية. وهذا ما كتبته في رثاء طفل اسمه "استيفن دولنج بوتس" كان قد سقط في بئر ومات غرقًا:

## قصيدة غنائية إلى "استيفن دولنج بوتس"، المتوفَّى

وهل مرض حقًا الصغير "استيفن"،
وهل مات حقًا الصغير "استيفن"؟
وهل أُدميت حقًا القلوبُ الحزينة،
وذرف المُعزون الدموع؟

لا؛ لم يكن هذا مصير
الصغير استيفن دولنج بوتس؛
رغم معاناة القلوب الحزينة التي أحاطت به،
لم يكن موته جراء ضربات المرض.



fb/mashro3pdf

لم يكن السعال هو ما حطم جسمه،
لم تكن الحصبة ببثورها الجلدية؛
ليست هذه الأمراض مَا خطفت الاسم المقدس
لاستيفن دولنج بوتس.

لم يضرب عذابُ الحب بويلاته
على ذلك الرأس مجعد الشعر،
ولا مشاكل المعدة هي مَا قضت عليه،
ذلك الطفل استيفن دولنج بوتس.

آه لا. ثم أدوِّن بعيون تفيض بالدمع،
فيما أحكي مصيره.
لقد رحلت روحه عن هذا العالم البارد
بموته غرقًا في بئر.

أخرجوه من البئر وأفرغوا جوفه؛
وا أسفاه أن الأوان كان قد فات؛
كانت روحه ترفرف في الفضاء
في مملكة المجد والعظمة.

إذا كانت "إيميلين جرانجرفورد" قد تمكنت من كتابة مثل هذا الشعر قبل أن تبلغ الرابعة عشرة من عمرها، فلا يمكن أن أتخيل ما كانت ستفعل



fb/mashro3pdf

إن امتد بها العمر. قال "باك" إنها كانت ترتجل الشعر بسهولة مُطلقة. لم تكن تتوقف أبدًا لتفكر. قال إنها كانت تكتب شطرة شعرية وإن لم تجد شطرة أخرى تشكل لها القافية، تتخلى عن هذه الشطرة وتبحث عن أخرى، وتستمر في القصيدة. لم تتخصص في كتابة شيء بعينه؛ كان بمقدورها الكتابة عن أي موضوع تختاره أنت لها، شريطة أن يتسم بالحزن. وكل مرةً كان يموت فيها رجل أو امرأة أو طفل، كانت تنجز "تكريمــ"ـها له قبل أن يبرد جسمه. كانت تسمي قصائدها تكريمات. وكان الجيران يقولون، في البداية يأتي الطبيب، ثم "إيميلين" ثم الحانوتي- ولم يحدث أبدًا أن وصل متعهد الدفن قبل أن تنجز قصيدتها إلا مرةً واحدة، وآنئذٍ تأخرت بسبب قافية اسم المتوفَّى، "ويسلر". ولم تعد سيرتها الأولى بعد ذلك أبدًا؛ لم تكن تشكو أبدًا من الأمراض، إلا أن الهزال أصاب جسمها ولم تعش طويلًا. يا لها من مسكينة، كثيرًا ما ذهبتُ إلى غرفتها الصغيرة وأخرجتُ دفتر قصاصاتها القديمة البائس، وقرأتُ فيه حين تحرك لوحاتها مشاعري، ويتعكر مزاجي قليلًا.

أحببت كل أفراد الأسرة، حتى الموتى منهم، ولم أكن أسمح لأي شيء أن يفرق بيننا. لقد كتبت المسكينة "إيميلين" الشعر عن كل مَن ماتوا حين كانت على قيد الحياة، وليس من الإنصاف ألا يكتب عنها أحد بعد موتها؛ لذلك حاولت أن أكتب شطرة شعرية أو اثنتين بنفسي، إلا أنني لم أتمكن من القيام بذلك. كانوا يحافظون على حجرة "إيميلين" مُرتبة ولطيفة، وكل ما فيها على وضعه كما كانت تحب أثناء حياتها، ولم يكن هناك أحد ينام فيها. كانت السيدة العجوز ترتبها بنفسها، على الرغم من كثرة الخدم من الزنوج،



fb/mashro3pdf

وكانت تقضي فيها وقتًا طويلًا وغالبًا ما كانت تقرأ في الكتاب المقدس.

حسنًا، طالما كنت أتحدث عن الصالون، فقد هناك ستائر جميلة على النوافذ: ستائر بيضاء، وعليه صور ملونة لقلاع تتسلق تعريشات الكروم جدرانها، وقطيع يهبط ليشرب. وكان فيه أيضًا بيانو قديم صغير، به كريات من القصدير، فيما أظن، ولم يكن هناك أجمل من الاستماع إلى الآنسات وهن يغنين "تحطم الحلقة الأخيرة من السلسلة" ويعزفن "معركة براغ" على البيانو. كانت جدران كل الحجرات مُجصصة، وفي مُعظمها سجاجيد مفروشة على الأرضية، وجدران المنزل مدهونة بالكامل من الخارج بالأبيض.

وكان المنزل يتكون من جزأين، وكانت المساحة الكبيرة المفتوحة بين الجزأين مسقوفة وأرضيتها مستوية، يضعون فيها المنضدة أحيانًا وقت الظهيرة، لأنها كانت رطبة ومريحة. لا شيء يفوق هذا المكان. أما الطعام فلم يكن جيدًا فحسب، بل كثيرًا أيضًا.

fb/mashro3pdf

# الفصل الثامن عشر

كان الكولونيل "جرانجرفورد" شخصًا نبيلًا، كما تـرى. كان نبـيلًا في كل تصرفاته، وكذلك كل أفراد عائلته. كان من أصل طيب، كما يُقال، وهي سـمة لها أهميـة كبـيرة في البـشر والخيـول على الـسواء، على حـد قـول "الأرملـة دوجلاس"، التي لم يُنكر أحـد أنهـا مـن الطبقـة الأرسـتقراطية الراقيـة في مدينتنا؛ ودائمًا ما كان أبي يقول ذلك، أيضًا، رغم أن أصله يعـود إلى فـصيلة القراميط. كان الكلونيل "جرانجرفورد" فارع الطول، ونحيلًا للغاية، وبـشرته خمرية اللون، ليس بها أي أثر لاحمرار في أي موضع؛ وكان حليقًـا نظيفًـا كل صباح في أنحاء وجهه النحيل، وشفتاه نحيلتان، وفتحتا أنفه دقيقتـان للغايـة، مع أنف كبير، وحاجبين كثيفين، ولم أر عيونًا في مثل سواد عينيه، الغائرتين في محجريهما، إلى حد أن يمكنك القول إنهما تطـلان عليـك مـن كهفـين. كانت جبهته مرتفعة، وشعره أسود، طويل، ويتهـدل حـتى كتفيـه. أمـا يـداه فطويلتان ونحيلتان، ويرتدي كل يوم قميصًا جديدًا وسترة كاملة مـن رأسـه



fb/mashro3pdf

إلى قدميه، مصنوعة من كتان ناصع البياض لدرجة تعشي عينيك حين تنظر إليها؛ وفي أيام الآحاد، كان يرتدي سترة زرقاء لها ذيل، ومرصعة بـأزرار مـن نحاس. كان يمسك دائمًا بعصًى من الماهوجني لها رأس من الفضة. ولم يكن به أدنى ميل إلى اللهو، ولم يكـن مُتفـاخرًا. كان يتسم بالطيبـة بقـدر مـا يستطيع- يمكنك أن تحس بذلك، كما تعرف، فتشعر بالارتياح نحـوه. وكان يبتسم أحيانًا، ومن اللطيف أن تراه يبتسم؛ إلا أنك قد تقفز إلى أقرب شجرة حين تراه منتصبًا كسارية العلم، والشرر يتطاير من عينيه، ثـم تحـاول فهـم السبب بعد ذلك. لم يكن عليه نهر الآخرين حتى يحسنوا التـصرف- فقـد كان الجميع يتصرفون أمامه بأدب جم دائمًا. وكان الجميـع يحبـون صـحبته، أيضًا؛ كان مثل الشمس المشرقة على الدوام- أقصد أنـه كان يجعـل الأجـواء لطيفة. وحين يتغير مزاجه، يتحول إلى سـحابة قاتمـة الـسواد لمـدة نـصف دقيقة، فيها الكفاية؛ فلن يحدث خطأ ما مرةً أخرى على مدار أسبوع.

وعندما ينزل من غرفته مع السيدة الكبـيرة في الـصباح، يـنهض جميـع أفراد العائلة عن كراسيهم ويلقون عليهما تحية الـصباح، ولا يجلـس أحـد حتى يجلسا. يتجه بعـدها "تـوم" و"بـوب" نحـو البوفيـه حيـث المـشروبات الروحية، ويصبان له كأسًا من البيرة ويقدمانه له، يمسكه بيده حـتى ينتهيـا من صب كأسيهما، ثم ينحنيان ويقولان: "خالص احترامنا لك، يـا سـيدي، ولك يا سيدتي". ينحنيان انحناءة بـسيطة ويوجهـان لهمـا الـشكر، ويـشرب الثلاثة كؤوسهم، ثم يصب "توم" و"بوب" ملعقة من الماء على السكر وقليـل من الويسكي أو براندي التفاح في قـاع كأسـين ويقـدمانهما لي أنـا و"بـاك"، فنشرب في صحة السيد والسيدة أيضًا.



fb/mashro3pdf

"بوب" هو الأكبر سنًا، يليه "تـوم"- رجلان يتسمان بـالطول والوسـامة، لهما أكتاف عريضة وبشرة خمرية اللون، وشعر طويل أسود وعيـون سـوداء. كان يرتديان ملابس من الكتان الأبيض من الرأس إلى القدم، مثل الـسيد، ويرتديان قبعات بناما(*) العريضة.

تليهما الآنسة "شارلوت"؛ كانت في الخامسة والعشرين، طويلـة وفخـورة بنفسها ولها هيبة، إلا أنها كانت طيبـة للغايـة إن لـم يُغـضبها شيء؛ وحـين تغضب، فإن نظرتها تجعلك تذوي في مكانك، مثل نظـرة أبيهـا. كمـا كانـت جميلة.

أختها الآنسة "صوفيًا" جميلة مثلها، وإن كان جمالهـا مـن نـوع مختلـف. كانت في رقة وجمال اليمامة، وكانت في العشرين من عمرها فقط.

لكل فرد من العائلة خادم زنـجي- حـتى "بـاك". وكان المُكلـف بخدمتي يقضي وقتًا طيبًا، فلم أعتد أن يقوم شخص آخر بعمل أي شيء من أجلي، أما خادم "باك" فكان مشغولًا طوال الوقت.

هؤلاء هم كل أفراد العائلة الآن، إلا أنهم كانوا أكـثر عـددًا في المـاضي- ثلاثة أولاد؛ تعرضوا للقتل؛ و"إيميلين" التي ماتت.

يمتلك السيد العجوز العديد من المزارع ومـا يربـو عـن مائـة زنـجي. وأحيانًا كان يحضر عدد من الناس إلى هناك، فوق ظهور الخيل، مـن مـسافة عشرة أميال أو خمسة عشر ميلًا، ويمكثون لخمسة أو ستة أيام، يولمون حول النهر وعليه، ويرقصون ويذهبون في نزهات خلوية في الغابة نهارًا، ويقيمون

(*) قبعة مصنوعة من القش.



fb/mashro3pdf

حفلات راقصة في المنزل ليلًا. كانوا في الغالب أقارب العائلة. وكان الرجال يُحضرون بنادقهم معهم. كانوا يتسمون جميعًا بالأصل الطيب، أؤكد لك هذا.

وكانت هناك مجموعة أخرى من العائلات الأرستقراطية في الجوار – خمس أو ست عائلات- أغلب أسمائهم تنتهي بلقب "شيبردسون". كان لهم السمو والأصل والثراء والمهابة نفسها التي تتمتع بها عائلة "جرنجرفوردز". وكانت عائلات "جرنجرفوردز" و"شيبردسون" يستخدمون مرفأ القوارب نفسه، على بُعد ميلين تقريبًا عن منزلنا؛ لذلك، فعندما كنت أذهب أحيانًا إلى هناك مع العديد من أفراد لعائلة، كنت أرى العديد من أفراد عائلة "شيبردسون" يمتطون جيادهم الأصيلة.

وحدث أن توغلنا ذات يوم أنا و"باك" في الغابة ونحن نصطاد، وسمعنا صوت حصان قادم. كنا نعبر الطريق. قال "باك":

- "أسرِع! فلنقفز إلى الغابة!"

فعلنا ذلك، وتلصصنا على أسفل الغابة من بين أوراق الشجر. وسرعان ما ظهر شاب رائع يعدو بحصانه على الطريق، وقد أرخى اللجام لحصانه، ويبدو مثل الجنود. كان يضع بندقيته في غِمد في سرج الحصان. كنت قد رأيته من قبل. إنه الشاب "هارني شيبردسون". سمعت صوت رصاصة تنطلق من بندقية "باك" قرب أذني، فطارت قبعة "هارني" من فوق رأسه. أخرج بندقيته وانطلق نحو المكان الذي نختبئ فيه. إلا أننا لم ننتظر. انطلقنا نعدو بين الأشجار. لم تكن الغابة كثيفة، لذلك كنت أنظر خلفي كي أتفادى الرصاص، ورأيت "هارني" يصوب نحو "باك" مرتين، قبل أن يبتعد بحصانه، ويعود من حيث أتى- ليحضر قبعته، فيما أظن، لكنني لم أستطع أن أراه. لم



fb/mashro3pdf

نتوقف عن الجري حتى وصلنا إلى المنزل. التمعت عينا السيد الكبير للحظة- من السعادة، بالأساس، حسب ظني- ثم هدأت ملامح وجهه، وقال بنوع من الرقة:

- "لا أحب إطلاق النار من خلف الأشجار. لماذا لم تخرج إلى الطريق، يا بُني؟"

- "إن آل "شيبردسون" لا يفعلون هذا، يا أبي. إنهم ينتهزون الفرص".

رفعت الآنسة "شالوت" رأسها عاليًا كأنها ملكة و"باك" يقص عليهم ما حدث، كما انتفخت فتحتا أنفها وارتجفت عيناها. أما الشابان فقد كانا عابسين، إلا أنهما لم يقولا شيئًا. شحب وجه الآنسة "صوفيا"، إلا أنه عاد إلى لونه الطبيعي حين عرفت أن الرجل لم يُصب بأذى.

وبمجرد أن انفردتُ بـ"باك" تحت الأشجار قرب مخزن الذرة، سألته:

- "أكنت تريد قتله حقًا، يا "باك"؟"

- "حسنًا، مؤكدٌ أنني كنت أريد قتله".

- "وماذا فعل لك؟"

- "هو؟ هو لم يفعل لي شيئًا".

- "حسنًا، ولماذا تريد قتله إذن؟"

- "لا شيء- بدافع الثأر".

- "وما الثأر؟"

- "أين نشأت؟ ألا تعرف معنى كلمة الثأر؟"

- "لم أسمع بها من قبل- أخبرني بمعناها".

- "الثأر هو كما يلي: رجل في نزاع مع رجل آخر، فيقتله؛ ثم يقتله أخو



fb/mashro3pdf

القتيل، ثم يسعى الإخوة من كلا الطرفين إلى قتل الإخوة الآخرين، بعدها يتدخل أبناء العمومة في الأمر- وبعد قليل يُقتل الجميع، وينتهي الثأر. لكن الأمر بطيء، ويستغرق وقتًا طويلًا".

- "وهل استمر هذا الأمر لوقت طويل، يا "باك"؟"

- "حسنًا، عليَّ أن أفكِّر! لقد بدأ منذ ثلاثين عامًا، أو نحوها. كان هناك خلاف حول شيء ما، ثم قضية لتسوية الخلاف؛ وصدر الحكم ضد أحد الرجال، فاستشاط غضبًا وأطلق النار على الرجل الذي ربح القضية- الذي كان سيفعل الشيء نفسه، بالطبع. أي شخص كان سيفعل".

- "وعلى أي شيء كان الخلاف، يا "باك"؟- أرض زراعية؟"

- "أظن ذلك- لا أعرف".

- "حسنًا، ومن أطلق الرصاص؟ أكان من عائلة "جرنجرفورد" أم من عائلة "شيبردسون"؟"

- "اللعنة، وكيف لي أن أعرف؟ لقد كان الأمر منذ زمن طويل".

- "ألا يعرف أي شخص آخر؟"

- "آه، أجل، أبي يعرف، فيما أظن، وبعض أفراد العائلة من كبار السن؛ إلا أنهم لا يعرفون الآن كيف كان تسلسل الأحداث في البداية".

- "وهل قُتل كثيرون، يا "باك"؟"

- "أجل؛ كانت هناك الكثير من الجنازات. لكن الأمر لا يتسبب في القتل دومًا. فقد أصيب أبي بعدة طلقات من الخلف؛ إلا أنه لا يعير الأمر اهتمامًا لأنه نحيل الجسم، على أية حال. كما أصيب "بوب" في صدره، وجُرح "توم" مرةً أو اثنتين".



fb/mashro3pdf

- "وهل قُتل أحد هذا العام، يا "باك"؟"

- "أجل؛ قُتل منا واحد ومنهم واحد. كان ابـن عـمي "بـاد" منـذ ثلاثـة أشهر، كان في الرابعة عشرة من عمـره، كان يركـب حـصانه في الغابـة مـن الناحية الأخرى من النهر، ولم يحمل سلاحًا معه، وهو ما اعتبرناه حماقة. وفي مكان منعزل، سمع وقع بحصان يأتي من الخلف، ورأى "بـلادي شيبردسـون" العجوز يعدو في إثره شاهرًا البندقية بيده، وشعره الأبـيض يطـير في الـريح؛ وبدلًا من الترجل عن ظهر الحصان والتوجه نحو أجمة، ظن "باد" أنه يستطيع الهرب منه؛ وهكذا استمرت السجال لمسافة خمسة أميـال أو يزيـد، والرجـل العجوز يتفوق عليه طوال الوقـت؛ وفي النهايـة رأى "بـاد" ألا جـدوى مـن الاستمرار في الهرب، فتوقف واستدار ليتلقى الرصاص في صدره، كما تعلـم، فاقترب الرجل منه وأرداه قتيلًا. إلا أنه لم يهنأ بفعلته، فقد قتلته عائلتنـا في الأسبوع نفسه".

- "أظن أن ذلك الرجل كان جبانًا، يا "باك".

- "لا أعتقد أنه كان جبانًا، ولا حتى من باب التوبيخ. ليس هناك جبناء في عائلة "شيبردسون"- ليس بينهم جبان واحد. وليس هناك جبناء في عائلة "جرنجرفورد" أيضًا. فلقد لقي هذا الرجل حتفه في مواجهة اسـتمرت نـصف ساعة مع ثلاثـة مـن عائلـة "جرنجرفـورد"، عادوا مُنتـصرين. كانـوا جميعًـا يمتطون خيولهم؛ أما هو فقد ترجـل وتحـصن خلـف كومـة مـن الخـشب، وأوقف حصانه كدرع يتلقى زخات الرصاص؛ أمـا هـم فلـم يترجلـوا عـن خيولهم، وتصرفوا بحماقة مـع الرجـل، فـأمطروه بالرصـاص، وأمطـرهم. عاد الرجل إلى مـنزله هـو وحـصانه كـسيحين وهمـا ينزفـان، أمـا أفـراد عائلـة



fb/mashro3pdf

"جرنجرفورد" فكان لا بد من حملهم إلى المنزل- كان أحدهم ميتًا، ومات آخر في اليوم التالي. لا، يا سيدي؛ إذا كان المرء يبحث عن جبناء، فلن يعثر عليهم بين أفراد عائلة "شيبردسون"، لأنه لا يخرج من نسلهم مثل هذا النوع من البشر".

يوم الأحد التالي، ذهبنا جميعًا على ظهر الخيول إلى الكنيسة، على بُعد ثلاثة أميال. حمل الرجال بنادقهم معهم، وكذلك "باك"، كانوا يضعونها بين ركبهم أو يسندونها إلى الحائط في متناول أيديهم. وهو ما فعله أفراد عائلة "شيبردسون". كانت الموعِظة مملة- كلها عن الحب الأخوي، وغيرها من مُثيرات الضجر؛ إلا أن الجميع اتفقوا على أنها موعظة جيدة، وتحدثوا عنها ونحن في طريقنا إلى المنزل، ثم تطرقوا في حديثهم إلى الإيمان والأعمال الصالحة، والإحسان، والآخرة، وغيرها من الموضوعات التي لا دراية لي بها، مما جعل هذا اليوم أثقل أيام الأحد التي مررت بها في حياتي.

بعد تناول الغداء بساعة، كان الجميع يقضون القيلولة، بعضهم فوق كراسيهم، والبعض الآخر في غرفهم، فشعرت بالملل. كان "باك" وأحد الكلاب في الخارج يتمددان فوق العشب في الشمس ويبدوان نائمين. صعدت إلى غرفتنا، وفكرت في أن أغفو قليلًا. وجدت الآنسة "صوفيا" اللطيفة تقف على باب حجرتها، المجاور لباب حجرتنا، وأخذتني إلى حجرتها، وأغلقت الباب بحرص، وسألتني إن كنت معجبًا بها، فأجبتها إن هذا صحيح؛ فسألتني إن كان بمقدوري أن أفعل لها شيئًا من دون أن أخبر أحدًا، فوافقت. قالت لي إنها نسيت كتابها المقدس على المقعد في الكنيسة، فيما بين كتابين آخرين، وطلبت مني أن أتسلل في هدوء إلى هناك وأحضره لها، وألا أخبر



fb/mashro3pdf

أحدًا بذلك، فوافقت.

تسللت إلى الخارج، وانطلقت في الطريق حتى وصلت إلى الكنيسة، فلم أجد هناك سوى خنزير أو اثنين، فلم يكن باب الكنيسة مغلقًا، والخنازير تحب التمرغ على البلاط البارد في مثل هذا الوقت من الصيف. وكما تلاحظ، لا يذهب الناس إلى الكنيسة إلا حين يضطرون لذلك؛ إلا أن الأمر مختلف بالنسبة للخنازير.

قلت لنفسي، لا بد أن في الأمر سرًّا ما؛ فليس منطقيًا أن تتلهف فتاة على الكتاب المقدس بهذه الطريقة. لذلك هززته، فسقطت منه ورقة مكتوب عليها بالقلم الرصاص:"**الثانية والنصف**". فتشت فيه فلم أجد شيئًا آخر. لم أفهم معنى هذه الكلمات، فأعدت الورقة إلى الكتاب من جديد، وحين عدت إلى المنزل وصعدت إلى الطابق الثاني، وجدت الآنسة "صوفيا" تنتظرني على بابها. سحبتني إلى الداخل وأغلقت الباب؛ ثم بحثت في الكتاب المقدس حتى وجدت الورقة؛ وحين قرأتها ظهرت عليها السعادة؛ وقبل أن يمكن للمرء التفكير جذبتني إليها بسرعة شديدة واحتضنتني وقالت إنني أفضل صبي في العالم، وطلبت مني ألا أخبر أحدًا. اشتد احمرار وجهها ولمعة عينيها للحظات، مما ضاعف من جمالها. أصابتني الدهشة، إلا أنني سألتها بعد أن التقطت أنفاسي عن معنى ما جاء بالورقة، سألتني إن كنت قد قرأتها فأنكرت؛ سألتني إن كنت أستطيع القراءة، فقلت لها "لا، الكتابة المطبوعة فحسب"، فقالت لي إنها مجرد ورقة تستخدمها كعلامة لتحديد الصفحة التي توقفت عندها، وطلبت مني الذهاب للعب الآن.

انطلقت ناحية النهر، أفكر في هذا الأمر، وسرعان ما اكتشفت أن



fb/mashro3pdf

خادمي الزنجي كان يتبعني على مسافة بعيدة. وعندما ابتعدنا عن المنزل، نظر خلفه وحوله للحظة ثم جرى نحوي، وهو يقول:

- "سيد "جورج"، إذا ذهبت ناحية المستنقع فسوف أرشدك إلى مكان به الكثير من ثعابين الماء".

أثار الأمر ريبتي؛ فقد قال ذلك بالأمس. كان عليه أن يُدرك أنني لست شغوفًا بثعابين الماء إلى الحد الذي يجعلني أذهب للبحث عنها. فما هدفه، على أية حال؟ قلت له:

- "حسنًا؛ تقدم".

تبعته لنصف ميل؛ ثم نزل إلى المستنقع حتى وصل الماء إلى كاحله وخاض فيه لمسافة نصف ميل آخر. وصلنا إلى مساحة صغيرة مسطحة من الأرض، كانت جافة وبها الكثير من الأشجار والأجمات وأشجار الكروم، وحينها قال:

- "تقدم يا سيد "جورج" بضع خطوات فقط؛ فذلك مكانها. لقد رأيتها هناك من قبل، ولا أرغب في رؤيتها مرةً أخرى".

ثم انطلق إلى الأمام ومضى بعيدًا، وسرعان ما حجبته الأشجار. تقدمت حتى وصلت إلى بقعة صغيرة خاوية بحجم غرفة نوم، تحيطها أشجار الكروم من كل جانب، ووجدت رجلًا نائمًا هناك- يا إلهي، لقد كان صديقي "جيم" العجوز!

أيقظته، وتوقعت أن تكون مفاجأة كبيرة له أن يراني مرةً أخرى، لكن الأمر لم يكن كذلك. فلقد بكى تقريبًا من السعادة، إلا أنه لم يكن مُندهشًا. حكى لي أنه سبح خلفي في تلك الليلة، وسمع كل صيحاتي، إلا أنه



fb/mashro3pdf

لم يرد عليها، خشية أن يتعرف عليه أحدهم ويسوقه إلى العبودية مرةً أخرى. وقال:

- "لقد أصابني جرح بسيط، ولم أتمكن من السباحة بسرعة، لذلك تخلفت عنك بمسافة كبيرة؛ وحين وصلتَ إلى اليابسة، اعتقدتُ أنني قادر على اللحاق بك من دون أن أضطر لرفع صوتي لأنادي عليك، ولكنني أبطأت من سيري حين رأيت ذلك المنزل. كنت بعيدًا ولم أسمع ما قالوا لك- وكنت خائفًا من الكلاب؛ ولكن حين هدأت الأمور مرةً أخرى، أدركت أنك دخلت المنزل، فاتجهت نحو الغابة لأنتظر لمدة يوم. وفي الصباح مر بي بعض الزنوج، في طريقهم إلى الحقول، فأخذوني وأروني هذا المكان، حيث لا تستطيع الكلاب أن تتعقبني بسبب الماء، وأحضروا لي الطعام كل ليلة، وأخبروني بأحوالك".

- "ولماذا لم تطلب من خادمي "جاك" أن يُحضرني إلى هنا من قبل، يا "چيم"؟"

- "حسنًا، لم يكن هناك داعٍ لإزعاجك، يا"هاك"، حتى يمكننا فعل شيء ما- وها نحن بخير الآن. لقد كنت أشتري الأواني والأوعية والضروريات كلما سنحت لي فرصة، كما أنني أصلح الطوف في الليل عندما-"

- "أي طوف يا "چيم"؟"

- "طوفنا القديم".

- "أتقصد أن طوفنا القديم لم يتحطم إلى قطع صغيرة؟"

- "كلا، لم يحدث. وإن كان قد تضرر كثيرًا- فأحد المجدافين تحطم



fb/mashro3pdf

تمامًا؛ إلا أن الضرر لم يكن بالغًا، معظم حاجاتنا ضاعت فقط. كان بمقدورنا إنقاذ الطوف إذا لم نكن قد غصنا في عمق كبير تحت الماء، ولم يكن الليل حالك الظلمة، ولم نكن خائفين وأبلهين إلى ذلك الحد. ولكن الأمر سيان الآن، فقد تم إصلاحه تمامًا مرةً أخرى، وأصبح كأنه جديد، وصار لدينا الكثير من الأشياء عوضًا عن ما فقدناه".

- "غريبة، كيف تمكنت من الحصول على الطوف يا "چيم"- هل بحثت عنه؟"

- "كيف أبحث عنه وأنا هنا في الغابة؟ لا؛ وجده بعض الزنوج عالقًا عند المنحنى القريب من هنا، وأخفوه في خليج صغير بين أشجار الصفصاف، وتشاجروا كثيرًا على الأحقية في ملكيته، إلا أنني وصلت إلى هنا بسرعة، وحسمت الخلاف بأن أخبرتهم أنه ليس ملكًا لأحد منهم، بل لك ولي؛ وسألتهم إن كان بمقدورهم الاستيلاء على ممتلكات شاب أبيض، أو إخفاؤها؟ ثم منحت كل واحد منهم عشرة سنتات، فشعروا بالرضا التام، وتمنوا العثور على المزيد من الأطواف حتى يصبحوا أثرياء مرةً أخرى. كانوا يعاملونني معاملة حسنة، هؤلاء الزنوج، ويلبون جميع طلباتي من المرة الأولى، يا عزيزي. و"جاك" هذا زنجي طيب، وذكي للغاية".

- "صحيح، إنه ذكي. لم يخبرني إطلاقًا أنك هنا؛ وطلب مني الحضور لكي أرى الكثير من ثعابين الماء. فإن حدث شيء ما لا يبدو متورطًا فيه. ويمكنه أن يقسم أنه لم يرنا معًا، وهي الحقيقة".

لا أود الحديث كثيرًا عن اليوم التالي. أعتقد أنني سأختصر ما حدث. استيقظت قرب الفجر، وكنت على وشك أن أغير وضعية جسمي وأنام من



fb/mashro3pdf

جديد، حين لاحظت مدى السكون الذي يُخيم على المنزل- فلم يكن هناك أحد يتحرك على ما يبدو. لم يكن هذا مألوفًا. بعد ذلك لاحظت أن "باك" استيقظ وخرج من الحجرة. حسنًا، نهضت من السرير، وتجولت في أنحاء المنزل، ونزلت إلى الطابق الأرضي- ولم أجد أحدًا هناك؛ السكون يُخيم تمامًا على المنزل. والشيء نفسه في الخارج. فكرت، ما معنى هذا؟ التقيتُ بخادمي "جاك" قرب كومة من الخشب، وسألته:

- "ما الموضوع؟"

- "ألا تدري ما حدث، يا سيد "جورج"؟"

- "كلا، لست أدري".

- "حسنًا، إذن. لقد هربت الآنسة "صوفيا"! هربت بالتأكيد. هربت في وقتٍ ما ليلًا- لا يعلم أحد متى بالضبط؛ هربت لتتزوج ذلك الشاب "هارني شيبردسون"، كما تعرف، على أية حال، هذا ما قالوه. اكتشفت العائلة الأمر منذ نحو نصف ساعة- وربما أكثر بقليل- وأقول لك إنهم لم يضيعوا أي وقت. أعدوا الخيول والأسلحة بسرعة رهيبة لم ير أحد مثلها! وذهبت النساء لاستدعاء الأقارب، وأخذ السيد "سول" العجوز والأولاد بنادقهم واتجهوا بالخيول على طريق النهر لكي يعثروا على الشاب ويقتلوه قبل أن يعبر النهر بالآنسة "صوفيا". أعتقد أننا سوف نمر بأوقات عصيبة".

- "لقد انطلق "باك" من دون أن يوقظني".

- "أعتقد أنه فعل هذا عن عمد، فهم لا يريدون توريطك في الأمر. لقد حشا السيد "باك" بندقيته بالرصاص وقال إنه ذاهب إلى بيت "شيبردسون" وإلا انفجر غيظًا. حسنًا، سيكون هناك الكثير من آل "شيبردسون" هناك،



fb/mashro3pdf

فيما أظن، وأؤكد لك أنه سيقتل أحدهم إذا واتته الفرصة".

انطلقت في طريق النهر بأسرع ما أستطيع، وسرعان ما سمعت صوت طلقات الرصاص على مسافة بعيدة. وحين وصلتُ إلى مخزن الأخشاب وكومات الحطب عند المرسَى، مضيتُ تحت الأشجار والأجمات حتى وصلت إلى مكان جيد، ثم صعدتُ إلى مفترقات شجرة حُور التي كانت بعيدة المنال، وشاهدت ما يحدث. كانت هناك مجموعة ألواح خشبية مرصوصة بارتفاع أربعة أقدام، أمام الشجرة بقليل، وكنت سأختبئ في البداية خلفها؛ لكن ربما كنت محظوظًا بألا أفعل ذلك.

كان هناك أربعة رجال أو خمسة يتقافزون بجيادهم في المنطقة المفتوحة أمام مخزن الأخشاب، وهم يسبون ويصيحون، ويحاولون الوصول إلى غلامين خلف كومة من الحطب بالقرب من مرسى القوارب؛ إلا أنهم لا يستطيعون. وكل مرةً يُظهر فيها أحدهما نفسه من خلف المرسى من ناحية النهر، يطلقون النار عليه. كان الغلامان يجلسان القرفصاء ظهرًا إلى ظهر خلف الكومة، حتى يتمكنا من مراقبة كلا الجانبين.

بعد قليل، توقف الرجال عن التقافز بجيادهم وعن الصياح. واتجهوا ناحية المخزن؛ فنهض أحد الغلامين وأعد بندقيته فوق مجموعة الألواح المرصوصة وأسقط أحدهم عن سرجه. نزل جميع الرجال عن خيولهم وحملوا الجريح واتجهوا به ناحية المخزن؛ وفي تلك اللحظة بدأ الغلامان في الركض. وصلا إلى نصف المسافة نحو الشجرة التي كنت أحتمي فوقها، قبل أن يراهما الرجال. رآهما الرجال، فقفزوا فوق ظهور خيولهم وانطلقوا في إثرهما. تفوقوا على الغلامين، لكن بلا فائدة، فقد قام الغلامان بانطلاقة جيدة؛ انطلقا



fb/mashro3pdf

نحو كومة الحطب أمام شجرتي، وانسلاً خلفها، وأصبحا بمأمن من الرجال مرةً أخرى. كان "باك" أحد الغلامين، أما الآخر فقد كان شابًا نحيلًا في التاسعة عشرة من عمره.

ناور الرجال بخيولهم لبرهة، ثم رحلوا. وبمجرد أن اختفوا عن ناظري، ناديت "باك" وأخبرته. لم يفهم في البداية كيف يأتي صوتي من فوق الشجرة. كان في غاية الاندهاش. طلب مني أن أراقب بدقة وأخبره إذا ما ظهر الرجال من جديد؛ قال لابد أنهم يضعون خطة شيطانية- ولن يطول غيابهم. تمنيت لو كان بمقدوري النزول عن الشجرة. بدأ "باك" يصرخ ويتمزق، وهو يقول إن مهمته هو وابن عمه "جو" (الشاب الآخر الذي كان بصحبته) لم تنته بعد. قال إن أباه وأخويه قد قتلوا، كما قُتل اثنان أو ثلاثة من الأعداء. وقال إن عائلة "شيبردسون" قد أعدت كمينًا لهم. وكان على أبيه وأخويه الانتظار حتى وصول أقاربهم- فقد فاقهم أفراد عائلة "شيبردسون" قوة. سألته عن مصير "هارني" والآنسة "صوفيا". قال إنهما عبرا النهر وصارا في أمان. سعدت لذلك؛ إلا أنني لم أر في حياتي ندمًا مثل ندم "باك" لأنه لم يتمكن من قتل "هارني" يوم أطلق النار عليه.

فجأةً، "بانج! بانج! بانج!" من ثلاث أو أربع بنادق- انسل الرجال عبر الغابة وأتوا من الخلف بدون أحصنتهم! قفز الغلامان في النهر- وقد أصيب كلاهما- وسبحا مع التيار، فيما الرجال يجرون على الشاطئ ويطلقون الرصاص عليهم ويصحيون "اقتلوهم! اقتلوهم!" أصابني دوار فكدت أسقط عن الشجرة. لن أحكي كل ما حدث- فقد يصيبني الغثيان مرةً أخرى إن حكيت. تمنيت لو لم أذهب إلى الشاطئ في تلك الليلة وأرى مثل تلك



fb/mashro3pdf

المشاهد. لن أنسى ما حدث أبدًا- وكثيرًا ما كنت أراه في أحلامي.

بقيت على الشجرة حتى بدأ الظلام يحل، خوفًا من النزول. أحيانًا كنت أسمع طلقات الرصاص عن بُعد من ناحية الغابة؛ ورأيت مرتين عصابة صغيرة العدد من الرجال تركض ما وراء مخزن الأخشاب بالبنادق؛ فأدركت أن المعركة لم تنته بعد. كنت في حزن بالغ؛ لذلك قررت ألا أقترب من المنزل مرةً أخرى، لأنني اعتقدت أنني السبب في ما حدث، بشكلٍ ما. انتهيت إلى أن المكتوب في الورقة كان يعني أن تقابل الآنسة "صوفيا" "هارني" في مكانٍ ما في الثانية والنصف ويهربان؛ وانتهيت إلى أنني كان يجب أن أخبر أباها عن الورقة، وعن الطريقة المريبة التي تصرفت بها، وآنئذٍ ربما قام بحبسها، ولم تكن تلك المذبحة الفظيعة لتحدث أبدًا.

عندما نزلت عن الشجرة، زحفت على ضفة النهر لمسافةٍ، وعثرت على جثتين ممددتين على حافة الماء، جاهدت حتى سحبتهما إلى الشاطئ؛ ثم غطيت وجهيهما، وانطلقت بعيدًا بأقصى سرعة. كنت قد بكيت قليلًا وأنا أغطي وجه "باك"، حيث كان طيبًا للغاية معي.

كان الظلام قد حل. لم أقترب من المنزل، بل تخبطتُ في الغابة واتجهتُ إلى المستنقع. لم يكن "جيم" في جزيرته، فانطلقت بسرعة نحو الخليج، أشق طريقي بين أشجار الصفصاف، وأن أتحرق توقًا إلى القفز على متن الطوف ومغادرة تلك البلدة المشئومة. اختفى الطوف! يا إلهي، أصابني الفزع! ولم أتمكن من التقاط نفَسي للحظات. ثم أطلقت صيحة. وسمعت صوتًا على بعد خمسة وعشرين قدمًا يقول:

- "أحسنت يا فتى! أهو أنت، يا عزيزي؟ لا تُحدث ضجة".



fb/mashro3pdf

كان صوت "چيم"- لم أسمع صوتًا في مثل روعة هذا الصوت من قبل. جريت نحو الشاطئ لمسافةٍ، وصعدت على متن الطوف، جذبني "چيم" وعانقني، كان سعيدًا للغاية لرؤيتي. قال:

- "باركك الرب، يا بُني، لقد اعتقدت مرةً أخرى أنك مت. كان "جاك" هنا؛ قال إنه يظن أنهم أطلقوا النار عليك، لأنك لم تعد إلى المنزل مرةً أخرى؛ لذلك أعددت الطوف للرحيل عن الخليج، بمجرد أن يعود "جاك" ويؤكد لي وفاتك. يا إلهي، كم أنا سعيد لعودتك، يا عزيزي".

قلت: "حسنًا- هذا أمر جيد للغاية؛ لن يجدوني، وسوف يعتقدون أنني قُتلت، وجرف التيار جثتي- هناك على الضفة ما سيدعم تفكيرهم هذا- لذلك عليك ألا تضيع الوقت، يا "چيم"، عليك الانطلاق نحو النهر بأسرع ما يمكن".

لم أشعر بالارتياح حتى ابتعد الطوف مسافة ميلين، وأصبح في منتصف نهر "الميسيسبي". حينها قمنا بتعليق فانوس الإشارة، واعتقدنا أننا أحرار وفي أمان مرةً أخرى. لم أكن قد تناولت أي طعام منذ الأمس، لذلك أعد لي "چيم" وجبة من خبز الذرة والزبد ولحم الخنزير والكرنب والفاصوليا- لا شيء في العالم ألذ من طعام مطهو بشكل جيد- وحين كنت أتناول العشاء، تحدثنا معًا وقضيت وقتًا طيبًا. كنت سعيدًا للغاية لأنني هربت من الثأر، وكذلك "چيم" لأنه غادر المستنقع. واتفقنا أن الطوف هو أفضل منزل على الإطلاق، في النهاية. فالأماكن الأخرى تبدو مزدحمة وخانقة، على عكس الطوف. تشعر بقمة الحرية والاسترخاء والراحة وأنت على متنه.

fb/mashro3pdf

# الفصل التاسع عشر

مر يومان وليلتان، وربما ثلاثة؛ وأظن أنه يمكنني القول إنها مرت سريعًا، انزلقت بهدوء ونعومة ولطف. هذه هي الطريقة التي قضينا بها الوقت. كان النهر عريضًا للغاية في تلك المنطقة- أحيانًا كان يصل عرضه إلى ميل ونصف الميل؛ وكنا نبحر ليلًا وننام ونختبئ نهارًا؛ فحين يوشك الليل على الانتهاء، نتوقف عن الإبحار ونربط الطوف- غالبًا إلى جوار برزخ في المياه الراكدة؛ ونقطع بعض أعواد الحُور وفروع الصفصاف لنخفي الطوف بها. ثم نلقي بالصنانير. بعدها ننسل إلى النهر ونسبح قليلًا، لننتعش ونبترد؛ ثم نجلس على قاع النهر الرملي في موضع يصل فيه الماء إلى الركبة، ونشاهد ضوء النهار وهو يبزغ. لا صوت من أي مكان- سكون تام- كأن العالم كله في سُبات عميق، عدا نقيق الضفادع في بعض الأحيان. وكان أول ما تراه، حين تنظر بعيدًا فوق الماء، ما يشبه الخط غير المنتظم- تلك هي الغابة التي تقع في الناحية الأخرى؛ ولا يمكنك تمييز شيء سواها؛ ثم تظهر بقعة



fb/mashro3pdf

شاحبة في السماء؛ ثم شحوب أكبر يتسع؛ ثـم يـصبح لـون النهـر فاتحًـا على مسافة بعيدة، ولا يعود أسود بعد، بل بلون رمادي؛ ويمكنـك رؤيـة بعـض النقاط الصغيرة السوداء تنجرف فوق الماء على مسافة بعيدة- إنها القـوارب التجارية، وغيرها؛ وخطوط طويلة داكنة اللـون- هي الأطـواف؛ ويمكنـك أحيانًا سماع صوت صرير مرتفع؛ أو مزيج من الأصوات، فالسكون ما يزال مخيمًا، والأصوات تصل من بعيد؛ وبعد قليل ترى خطًّا على الماء، فتعرف من شكل الخط أنه فرع شجرة وسط التيار السريع يتكسر عليـه ويشكل ذلـك الخط بهذا الشكل. وترى الضباب يخرج متلويًّا من الماء، ويحمر الشرق عاليًا، وماء النهر، فيمكنك ساعتها تمييز كوخ خشبي على طرف الغابة، بعيدًا على الضفة الأخرى للنهـر، ربمـا كان مخـزن أخـشاب، على الأرجـح، تحـيط بـه حشائش البرومس، فيمكنك أن تطيح بشخص وغد خلالها في أي مكان؛ ثم تهب نسمات لطيفة، وتأتي فترطب جسمك من هناك، فـهي بـاردة ومنعـشة وعذبة الرائحة، بسبب الغابة والأزهار؛ إلا أنها ليست كـذلك دائمًـا، لأنهـم يتركون الأسماك الميتة وغيرها من القاذورات مرميةً حتى تتعفن؛ بعدها ترى النهار مكتملاً، وكل شيء يبتسم في الشمس، وتبدأ الطيور المُغردة شدوها!

لا يمكن ملاحظة الدخان الخفيف الآن، لذلك أخرجنا بعض الأسـماك من الصنانير، وطهونا إفطارًا ساخنًا. بعدها نتأمل عزلة النهر، مع نـوع مـن الكسل، وبعد قليل تحول الكسل إلى نوم. صحونا بعد قليل، نظرنا لنرى مـا جرى، وربما رأينا باخرة تنفث الدخان فوق التيار، وبعيدًا جدًّا قُرب الضفة الأخرى، لا يمكنك تحديد ما إذا كان للباخرة عجلة دفع خلفية أو جانبيـة؛ ثم يعقب ذلك ساعة من الزمن لا شيء فيها لتراه ولا شيء لتـسمعه- مجـرد



fb/mashro3pdf

وحدة مُصمتة. بعدها يمكنك رؤية طوف يتهادى، على مسافة بعيدة هناك، وربما ترى أحدهم يقطع الأخشاب عليه، لأنهم غالبًا ما يفعلون هذا على متن الأطواف؛ فترى الفأس وهي تلمع وتهوي- لكنك لن تسمع صوتًا؛ وترى الفأس ترتفع مرةً أخرى، ومع الوقت ترتفع فوق رأس الرجل، ثم تسمع الـ **كشونك**!- ذلك الصوت الذي استغرق كل هذا الوقت ليأتي فوق المياه. وهكذا كان يمر اليوم، متكاسلين هنا وهنالك، منصتين إلى السكون. وحدث ذات مرةً أن هبط ضباب كثيف، وكان ركاب الأطواف والقوارب يقرعون آنية قصديرية التنبيه البواخر حتى لا تدهسهم. مر بنا طوف أو قارب قريبًا جدًّا لدرجة أننا سمعنا ركابه يتكلمون ويسبون ويضحكون- سمعناهم بوضوح؛ إلا أننا لم نتمكن من رؤيتهم؛ وكان هذا مُخيفًا، كان يشبه الأرواح التي تطفو في الهواء. قال "چيم" إنه يعتقد أنها أشباح، فقلت له:

- "كلا؛ الأشباح لا تقول "اللعنة على الضباب القذر".

وبمجرد أن حل الليل، انطلقنا؛ وحين وصلنا بالطوف إلى نحو منتصف النهر تركناه وشأنه، تركناه يطفو أينما يشاء له التيار؛ ثم أشعلنا الغليونين، ودلّينا أرجلنا في الماء، ونحن نتحدث في شتى الأمور- كنا دائمًا عراة تقريبًا، ليلًا ونهارًا، حين يسمح لنا البعوض- كانت الملابس التي صنعها لي أهل "باك" فخمة لدرجة تجعلها غير مريحة، بالإضافة إلى أنني لا أحب الملابس كثيرًا، على أية حال.

وأحيانًا يتملكنا شعور لفترات طويلة بأننا نملك النهر. هناك كانت الضفتان والجُزُر، عبر الماء؛ وربما وميض- كان شمعة في نافذة كوخ؛ وأحيانًا نرى في الماء وميضًا أو اثنين- على طوف أو قارب، كما تعلم؛ وربما أمكن



fb/mashro3pdf

أن تسمع صوت كمان أو أغنية تنبعث من أحد الأطواف. رائعةٌ الحياة على الطوف. فالسماء هناك عاليًا، مبرقشةٌ كلها بالنجوم، وقد اعتدنا الاستلقاء على ظهورنا والنظر إليها، ونتجادل حول ما إن كان أحدٌ قد صنعها أم وجدت فحسب. كان "چيم" يرى أنها مصنوعة، أما أنا فكنت أرى أنها وجدت؛ كنت أعتقد أن صنع كل هذه النجوم يستغرق وقتًا طويلًا للغاية. قال "چيم" إنها قد تكون بيض القمر؛ حسنًا، بدا هذا معقولًا، فلم أجادله في ذلك، لأنني رأيت ضفدعةً تضع الكثير من البيض، وبالتالي فيمكن أن يحدث. وكنا نشاهد النجوم التي تهوي، أيضًا، ونراها تهوي في لمح البصر. كان "چيم" يرى أنها قد فسدت وسقطت من العش.

وكان يحدث أن نرى باخرة تتهادى على صفحة الماء في الظلام، مرةً أو مرتين في الليلة، وهي تنفث عالمًا كاملاً من الشرر من مداخنها، فتهطل في النهر في مشهد بديع؛ ثم تستدير عند أحد منحنيات النهر فيختفي وميضها ويتلاشى ضجيجها، ويعود النهر إلى السكون مرةً أخرى؛ وبعد قليل تصل الأمواج التي خلفتها إلينا، بعد وقت طويل من رحيلها، فتهز الطوف قليلًا، ثم لا تسمع شيئًا آخر لفترة طويلة، ربما عدا صوت الضفادع أو ما شابه.

وبعد انتصاف الليل ينام الناس، ويظلم الشاطئ لساعتين أو ثلاث- فلا مزيد من الوميض في نوافذ الأكواخ. هذا الوميض هو الساعة بالنسبة لنا- فأول وميض سيظهر مرةً أخرى يدل على أن النهار يوشك على البزوغ، فنبحث عن مكان نختبئ فيه ونربط الطوف.

وذات صباح، مع الفجر، عثرت على زورق. عبرت منحدرًا صغيرًا حتى وصلت إلى الشاطئ- لم يكن سوى مائتي ياردة- ثم جذفت في جدول ماء



fb/mashro3pdf

تحيط به أشجار السرو لمسافة ميل، بحثًا عن بعض التوت. وحين مررت بمكان يشبه طريقًا للأبقار يتقاطع مع الجدول، رأيت رجلين يجريان بأقصى سرعة على الطريق. ظننت أنني هلكت، فحين أرى مطاردة أظن أنهم يُلاحقونني، أو ربما يلاحقون "چيم". كنت على وشك الهرب بسرعة، لكنهما كانا قد أصبحا على مسافة قريبة مني، وصاحا وتوسلا إليَّ كي أنقذ حياتيهما- قالا إنهما مُطاردان بسبب جرم لم يقترفاه- وقالا إن هناك رجالًا وكلابًا يتبعونهما. أرادا القفز، إلا أنني قلت لهما: "لا تفعلا هذا. أنا لا أسمع صوت كلاب أو خيول بعد؛ فلديكما وقت للدخول إلى الأجمات ثم الخروج بعد مسافة قصيرة إلى الجدول؛ بعدها تنزلان إلى المياه وتتجهان نحوي وتركبان الزورق- وبهذه الطريقة لن تتمكن الكلاب من تتبع الرائحة".

قاما بفعل ذلك، وبمجرد أن أصبحا على متن الزورق، انطلقت بسرعة نحو البرزخ الذي نربط إليه الطوف، وبعد خمس أو عشر دقائق، سمعنا نباح الكلاب وصيحات الرجال تأتي من بعيد. كانت الأصوات تأتي من ناحية جدول الماء، إلا أننا لم نر أحدًا منهم؛ لا بد أنهم توقفوا وتسكعوا في المكان لبعض الوقت؛ وفيما كنا نبتعد طوال الوقت أكثر فأكثر، كنا بالكاد نسمعهم؛ مع الوقت ابتعدنا عن الغابة مسافة ميل وبلغنا النهر، فأصبح كل شيء هادئًا، وجذفنا نحو البرزخ واختبئنا في أشجار الحَور وأصبحنا في أمان.

كان أحد الرجلين في نحو السبعين من عمره أو أكثر، أصلع الرأس وله سوالف رمادية. كان يضع على رأسه قبعة قديمة مكرمشة ومترهلة، ويرتدي قميصًا مُتسخًا من الصوف أزرق اللون، وبنطلونًا قديمًا مهلهلاً من الجينز الأزرق أطرافه محشوة في حذاء طويل الرقبة، ويرتدي حمالات منزلية



fb/mashro3pdf

الصنع- لا، كان يرتدي حمالة واحدة. وكان يضع على ذراعه سترة زرقاء قديمة من الجينز لها ذيل طويل وأزرار نحاسية بارزة، وكان كل منهما يحمل حقيبة كبيرة مصنوعة من قماش السجاجيد، مُمتلئة، ومُهلهلة.

أما الرجل الآخر فكان في الثلاثين من عمره تقريبًا، يبدو من ملابسه أنه مشاكس. بعد الإفطار تمددنا جميعًا وتحدثنا، وأول ما فهمناه أن هذين الرجلين لا يعرفان أحدهما الآخر.

قال الرجل الأصلع للآخر: "ما سبب المشكلة؟"

- "حسنًا، كنت أبيع مستحضرًا يزيل الرواسب عن الأسنان- وبالفعل يقوم بذلك، كما يزيل عمومًا لون مينا الأسنان- إلا أنني مكثت ليلة إضافية بأكثر من المفروض، وكنت على وشك الانسلال من المدينة حين التقيت بك في الطريق بذلك الجانب من المدينة، وقلت لي إنهم قادمون، وتوسلت إليّ كي أساعدك في الهرب منهم. فأخبرتك أنني مهدد بالمشاكل أنا أيضًا، وسوف أختفي معك. هذه هي قصتي كلها- فما قصتك؟"

- "حسنًا، كنت أعقد جلسات توعية للإقلاع عن الخمر هناك منذ أسبوع، وكنت مدللًا لدى النساء، كبيرات وصغيرات، لأنني كنت أُضيق على السكارى في المدينة. وأقول لك إنني كنت أكسب خمسة أو ستة دولارات في الليلة- عشرة سنتات للفرد، والأطفال والزنوج مجانًا- وكان الربح يزيد مع الوقت، إلا أن شائعة صغيرة سرت الليلة الماضية بطريقة أو بأخرى أنني أشرب الخمر سرًا. أيقظني زنجي في ذلك الصباح، وأخبرني أن الناس يتجمعون في هدوء ومعهم الكلاب والخيول، وسوف يأتون إليّ سريعًا، وهو ما يعطيني فسحة من الوقت بنحو نصف ساعة، قبل أن يقوموا بمُطاردتي إن



fb/mashro3pdf

استطاعوا؛ وإن أمسكوا بي، لكانوا دهنوا جسمي بالقار، وألصقوا بـه الـريش وحملوني فوق لوح خشبي(*)، بكل تأكيد. لم أنتظر لتناول إفطاري- فلم أكن جائعًا".

قال الأصغر سنًا: "أيها العجوز، أعتقد أننا قد نكون فريقًا مزدوجًا معًا؛ ما رأيك؟"

- "ليس لديَّ مانع. ما هي وظيفتك الأساسية؟"

- "مهنتي عامل طباعة؛ وعملت قليلًا في مجال الأدويـة؛ وعملـت مُمثلًا مسرحيًا- في التراجيديا، كما تعلم؛ وأحيانًا أمارس التنويم المغناطيسي وعلم الفراسة، عندما تسنح الفرصة؛ ومن باب التغيير أدرس الجغرافيـا والغنـاء؛ وأحيانًا أقوم بإلقاء المحاضرات– آه، لقد مارسـت العديـد مـن الوظـائف- تقريبًا أقوم بعمل أي شيء مُتاح، لذلك لا يخالفني الحظ. وما هي مهنتك؟"

- "لقد مارست الطب لوقت طويل في شبابي. عن طريق وضع اليد(**) - لعلاج السرطان والشلل الرعاش وغيرها؛ وكان بمقـدوري أن أكـون عرافًـا جيدًا لو كان معي شريك يُساعدني في اكتشاف المعلومـات. كمـا أن الـوعظ مهنتي أيضًا، وأعقد لقاءات دينية، وأقوم بجولة تبشيرية".

ساد الصمت لبرهة؛ ثم تنهد الرجل الأصغر سنًا، وقال:

- "وا اسفاه!"

---

(*) طريقة عقاب يقوم بها الناس بأنفسهم كانت شائعة في ذلك الوقت.

(**) ممارسة دينية يقوم المُعالج فيهـا بوضـع يـده على مـكان المـرض ليطـرده مـن الجـسم، وتستخدم كذلك لطرد الأرواح الشريرة.



fb/mashro3pdf

سأله الرجل الأصلع: "لماذا تتأسف؟"

أجاب: "لأنني تذكرت أنني عشت مثل تلك الظروف، وانحدرت إلى مرافقة مثل هذه الصحبة". وبدأ يجفف زوايا عينيه بخرقة.

قال الأصلع بتكبر وصفاقة، ونوع من الإحباط:

- "عليك اللعنة، أليست هذه الصحبة جيدة بالنسبة لك؟"

- "بلى، هي جيدةٌ بالنسبة لي؛ جيدةٌ بقدر ما أستحق؛ فمَن الذي حط من قدري عندما كنت في مقام رفيع؟ أنا فعلت هذا بنفسي. لا ألومك، يا سيدي- حاشاي؛ أنا لا ألوم أحدًا. فأنا أستحق كل ما حدث لي. فلتفعل الدنيا الباردة القاسية ما يحلو لها بي؛ فأنا على يقين من شيء واحد- أن ثمة قبرًا ينتظرني في مكان ما. فلتستمر الحياة على ما فعلته معي، وتسلبني كل شيء- أحبائي، وأملاكي، وكل شيء؛ إلا أنها لن تستطيع سلبي قبري. فسوف أرقد فيه ذات يوم وأنسى كل ما حدث لي، وسوف يرتاح ساعتها قلبي الحزين". وراح يبكي.

قال الرجل الأصلع: "اللعنة على قلبك الحزين المسكين، لماذا تفضي لنا بمكنون قلبك الحزين المسكين؟ نحن لم نؤذك في شيء".

- "لا، أعلم ذلك. فأنا لا ألومكم، يا سادة. لقد حططت من شأن نفسي- أجل، أنا من فعلت هذا بنفسي. ومن العدل أن أُعاني- قمة العدل- من دون أن أشكو".

- "حططت نفسك من أين؟ من أين حططت نفسك؟"

- "آه، ربما لا تصدقونني؛ العالم لا يصدق أبدًا – فلنتجاوز تلك النقطة- ليست مهمة. سر مولدي-"



fb/mashro3pdf

- "سر مولدك! هل تريد أن تقول-".

قال الرجل الأصغر، بوقار شديد: "أيها السادة، سأكشف لكم السر، فأنا أشعر بالثقة فيكم. أنا دوق بحكم القانون".

جحظت عينا "چيم" حين سمع ذلك؛ وأظن أن الشيء نفسه حدث لي، أيضًا. بعدها قال الرجل الأصلع: "كلا! أتعني ما تقول حقًا؟"

- "أجل. فقد هرب جدي الكبير، أكبر أبناء دوق "بريدجووتر"، إلى هذه البلاد في نهاية القرن الماضي، حتى يتنفس عبق الحرية الصافي؛ وتزوج هنا ومات، وترك إبنًا، وفي الوقت نفسه تقريبًا مات والده. استولى الأخ الثاني للدوق المتوفَّى على اللقب والأملاك- وتم تجاهل الدوق الحقيقي الرضيع. أنا حفيد ذلك الرضيع- أنا دوق "بريدجووتر" الشرعي؛ وها أنا هنا وحيد، منزوعة مني أملاكي، يطاردني الرجال، ويحتقرني العالمَ البارد، أرتدي الخرق البالية، مُحطم القلب، وتدهور بي الحال إلى صحبة مجرمين على متن طوف!"

تعاطف "چيم" معه للغاية، وكذلك أنا. حاولنا مواساته، لكنه قال لنا إن هذا بلا جدوى، وأننا لن نتمكن من مواساته؛ وقال إننا لو عرفنا قدره، فقد يواسيه هذا أكثر من أي شيء آخر؛ فوعدناه بذلك إذا دلنا على الطريقة. قال إنه ينبغي علينا أن ننحني عند الحديث إليه، ونقول "يا صاحب السمو"، أو "يا سيدي اللورد"، أو "يا صاحب السعادة"- ولن يمانع إن ناديناه "بريدجووتر" فحسب، لأنه- كما قال- لقب وليس اسمًا؛ وعلى أحدنا أن يخدمه على العشاء، ويُلبي كافة طلباته التي يريدها.

حسنًا، كان كل ذلك سهلًا، فلبيناه. وأثناء العشاء، وقف "چيم" يخدمه، ويقول له: أتفضل هذا أم ذاك، يا "صاحب السمو"؟ وما إلى ذلك، وكان هذا



fb/mashro3pdf

المشهد أمرًا ممتعًا للغاية لمن يراه.

إلا أن الرجل العجوز سرعان ما ركن إلى الصمت- لم يكن لديه ما يقول، ولم يبد مرتاحًا لحالة التعاطف هذه التي أحاطت بالدوق. ويبدو أنه كان يفكر في أمر ما. لذلك، قال وقت الظهيرة:

-" اسمع، يا "بيلجووتر"، أسفي عميق على ما حدث لك، لكنك لست الشخص الوحيد الذي تعرض لمشاكل من هذا النوع".

- "حقًا؟"

- "أجل. لست الشخص الوحيد الذي حرمته الظروف السيئة من مكانته المرموقة".

- "وا أسفاه!".

- "لا، ولست الشخص الوحيد الذي لديه سر يتعلق بمولده". ثم انخرط في البكاء.

- "انتظر! ماذا تقصد؟"

قال الرجل، وهو ما زال ينتحب: "هل يمكن أن أثق فيك، يا "بيلجووتر"؟(*)

أمسك بيد العجوز وضغطها بقوة: "سأحتفظ بسر مولدك حتى الموت؛ ذلك السر المتعلق بمولدك: تحدث!"

- "بيلجووتر"، أنا "دوفين"(*). الذي أعلنوا وفاته".

---

(*) ينطق اسمه بشكل غير صحيح، ويستمر في ذلك فيما بعد.

(*) لقب ولي العهد في فرنسا في ذلك الحين.



fb/mashro3pdf

تخيل ما حدث لنا، حملقت أنا و"چيم" عند سماع هذا. ثم سأل الدوق:

- "أنت ماذا؟"

- "أجل، يا صديقي، إنها الحقيقة- فعيناك تريان في هذه اللحظة "دوفين" المسكين الذي اختفى، "لويس السابع عشر"، ابن "لويس السادس عشر" و"ماري أنطوانيت".

- "أنت! في مثل عمرك هذا! لا! ربما تقصد أنك المرحوم "شارلمان"؛ فلابد أن يكون عمرك ستة أو سبعة قرون، على الأقل".

- "المشاكل هي ما فعلت بي هذا، يا "بيلجووتر"، المشاكل هي ما فعلت بي كل هذا؛ المشاكل جعلت هذا الشعر يشيب، وجعلتني أصلع قبل الأوان. أجل، يا سادة، أنت ترون بأعينكم ملك فرنسا الشرعي، وهو يرتدي الجينز ويعيش في بؤس، ويهيم على وجهه، منفيًّا، ومسحوقًا، ومُعذبًا".

حسنًا، بكى وواصل البكاء حتى لم ندر أنا و"چيم" بالكاد ما نفعل، كنا نشعر ببالغ الأسف- وأيضًا بالسرور والفخر لوجوده معنا. لذا فعلنا معه ما فعلنا من قبل مع الدوق، وحاولنا مواساته. لكنه قال إن هذا بلا جدوى، فلن يجلب له الراحة سوى الموت؛ على الرغم من قوله إن حالته تتحسن إذا ما عامله الناس لبعض الوقت بحسب حقوقه الشرعية، فيركعون على ركبة واحدة وهم يتحدثون إليه، وينادونه دائمًا "يا صاحب الجلالة"، ويقدمون له الوجبات قبل غيره، ولا يجلسون في حضرته إلا حين يطلب منهم ذلك. لذلك عاملته أنا و"چيم" كملك، وكنا نقوم ببعض الأشياء من أجله، ولا نجلس حتى يطلب منا الجلوس. منحه ذلك سعادة غامرة، وابتهج وشعر بالارتياح. إلا أن هذا ضايق الدوق، ولم يكن راضيًا عن ما يحدث؛ ومع ذلك، تصرف



fb/mashro3pdf

الملك بود حقيقي تجاهه، وقال إن والده كثيرًا ما كان يذكر جد الدوق الأكبر، وكل دوقات "بيلجووتر" بالخير، وكان يسمح لهم بزيارة قصره كثيرًا؛ إلا أن الدوق ظل ممتعضًا لفترة، إلى أن قال الملك، بعد قليل:

- "شئنا أم أبينا، فسنبقى معًا لوقت طويل على متن هذا الطوف، يا "بايلجووتر"، فلماذا تبتئس؟ لن يؤدي هذا إلا إلى تعقيد الأمور. فليست غلطتي أنني لم أولد دوقًا-كما أنها لست غلطتك أنك لم تولد ملكًا- لذلك ما جدوى الانزعاج؟ استمتع بالمُتاح حين تجده، هذا هو شعاري في الحياة. كما أنه ليس شيئًا سيئًا أن التقينا هنا – خذ الأمور ببساطة- هيا، أيها الدوق، دعنا نصبح جميعًا أصدقاء".

صافحه الدوق، فسررتُ أنا و"چيم" لرؤية ذلك. فقد أزال كل التوتر وشعرنا جميعًا بالارتياح بعدها، فمن المُحزن وجود خلافات على متن الطوف؛ وأكثر ما نسعى إليه، قبل كل شيء، هو أن يكون الجميع راضين، على متن الطوف، وأن تكون مشاعرهم طيبة وودية تجاه بعضهم البعض.

ولم أستغرق وقتًا طويلًا حتى أدركت أن هذين الكاذبين ليسا دوقًا ولا ملكًا على الإطلاق، وإنما مجرد مُحتالين وضيعين. إلا أنني لم أتحدث في الأمر، ولم أسمح بالخوض فيه؛ واحتفظت به لنفسي؛ كانت هذه هي الطريقة المُثلى؛ وآنئذٍ لا تقع نزاعات، ولا مشاكل. فليس لديَّ اعتراض إذا كانا يريدان أن نطلق عليهما لقب ملك ودوق، طالما يؤدي هذا إلى الوئام بيننا؛ ولم تكن هناك جدوى من إخبار "چيم"، لذلك لم أخبره. فإذا كنت لم أتعلم شيئًا من أبي، فقد تعلمت أن الطريقة المُثلى للتعامل مع هذا الصنف من البشر هي تركهم وشأنهم.



fb/mashro3pdf

# الفصل العشرون

وجها إلينا العديد من الأسئلة؛ أرادا أن يعرفا سبب تغطيتنا للطوف بهذه الطريقة، ولماذا ننام نهارًا بدل الإبحار- وهل "چيم" زنجي هارب؟ فقلت:

- بحق السماء! هل يهرب زنجي نحو الجنوب؟"

قالا كلا، لا يمكن ذلك. وكان عليَّ أن أحبك قصة لأشرح بها الأمر بطريقة ما، لذا قلت لهما:

- "كان أهلي يعيشون في مُقاطعة "بايك"، بولاية ميسوري، حيث وُلدت، وماتوا جميعًا عدا أبي وأنا وأخي "أيك". قرر أبي أن يصفي أعماله ويرحل ليعيش مع عمي "بن"، الذي كان يمتلك بيتًا صغيرًا على ضفة النهر، على مسافة أربعة وأربعين ميلًا جنوب "أورليانز". كان أبي فقيرًا للغاية، وعليه بعض الديون؛ وحين باع أملاكه وسدد ديونه، لم يبق لنا سوى ستة عشر دولارًا، وعبدنا الزنجي "چيم". ولم يكن المبلغ كافيًا لسفرنا أربعة وأربعين ميلًا، على سطح عَبارة أو بأية طريقة أخرى. حسنًا، فحين ارتفع منسوب



fb/mashro3pdf

النهر، حالف الحظ أبي ذات يوم؛ عثر على هذا الطوف؛ ففكرنا في السفر على متنه إلى "أورليانز". إلا أن الحظ تخلى عن أبي؛ ارتطمت باخرة بالركن الأمامي للطوف ذات ليلة، وسقطنا جميعًا عن الطوف وغصنا تحت عجلات الباخرة؛ خرجت أنا و"چيم" من الماء سالمين، لكن أبي كان مخمورًا، وأخي "أيك" في الرابعة من عمره، لذلك لم يطفوا أبدًا بعد ذلك. حسنًا، واجهنا الكثير من المتاعب في اليوم أو اليومين التاليين، لأن الناس كانوا يأتون دائمًا بقواربهم ويحاولون أخذ "چيم" مني، ظنًا منهم أنه زنجي هارب. فقررنا ألا نبحر نهارًا بعد ذلك؛ ففي الليل لن يضايقنا أحد.

قال الدوق:

- "دعوني أفكر في طريقة تمكننا من الإبحار نهارًا إذا أردنا. سوف أفكر في هذه المُشكلة- وأضع خطة لحلها. لن نبحر اليوم نهارًا، لأننا بالطبع لا نود المرور على تلك المدينة هناك في وضح النهار- قد لا يكون هذا في صالحنا".

قرب حلول الليل، بدأ الظلام يهبط فيما يشبه حالة المطر؛ كان البرق يشتعل في السماء حولنا على ارتفاع منخفض، وبدأت أوراق الأشجار ترتعش- كان الطقس ينذر بالسوء، ومن السهل رؤية ذلك. لذا احتل الدوق والملك الكوخ، لكي يُعاينا الأسِرة. كان سريري عبارة عن كومة من القش، إلا أنه أفضل من سرير "چيم"، المصنوع من قشر الذرة؛ كان ثمة عناكب دائمًا حول قشر الذرة، تخِز الشخص وتؤذيه؛ وحين تتقلب على قشر الذرة الجاف يبدو كأنك تتقلب فوق كومة من أوراق الشجر اليابسة؛ ويصدر عنها صوت خشخشة يوقظ النائم. حسنًا، رأى الدوق أن يأخذ سريري؛ إلا أن الملك رفض. قال:



fb/mashro3pdf

- "كنت أعتقد أن التفاوت في المكانة سيُرجح لديك أن سريرًا من قشر الذرة لا يُناسبني كي أنام عليه. سوف تأخذ أنت سرير قشر الذرة، يا صاحب السمو".

انتابني القلق أنا و"چيم" للحظات، خشية أن يدب خلاف أكبر بينهما؛ لذا سعدنا حين قال الدوق:

- "إنه قدري دائمًا أن أتمرغ في الوحل تحت العقِب الحديدية للكبت. لقد حطم سوء الحظ روحي التي كانت سامية ذات يوم؛ سوف أخضع، سوف أمتثل، إنه قدري. فأنا وحيد في هذه الدنيا- عليَّ أن أُعاني؛ وأن أحتمل ذلك".

انطلقنا بمجرد أن تحسن الطقس وأصبح الظلام تامًا. طلب الملك منا أن نُبحر نحو منتصف النهر، وألا نُظهر أي ضوء حتى نتجاوز المدينة بمسافة كبيرة. وبعد قليل مررنا بمجموعة صغيرة من الأضواء- كانت تلك هي المدينة، كما تعلم- وتجاوزناها بمسافة نصف ميل، على ما يرام. وعندما ابتعدنا عنها بمسافة ثلاثة أرباع الميل، أشعلنا فانوس الإشارة؛ ومع الساعة العاشرة تقريبًا، بدأ المطر يهطل والرياح تهب وانطلق البرق والرعد وكل شيء؛ لذلك طلب الملك منا أن نبقى في الخارج ونراقب إلى أن يتحسن الطقس، ثم زحف هو والدوق إلى الخيمة ليقضيا الليل بداخلها. كانت نوبة المراقبة الخاصة بي حتى الثانية عشرة، إلا أنني لم أكن لأنام على أية حال حتى لو كان لديَّ سرير، فالإنسان لا يرى مثل هذه العاصفة كل يوم- ولا تُتاح له رؤيتها عن كثب. يا إلهي، كم كان صراخ الرياح قويًا! وكل ثانية أو اثنتين يضيء وهجُ الزبَد الأَبيض لنصف ميل من كل حولنا، وترى الجُزر مُغبَرَّةً خلال المطر، والأشجار تتلاطم في الرياح؛ ثم يأتي هـ-واك!- بام! بام! بامبل-



fb/mashro3pdf

آمبل-أم-بام-بام- بام- بينما يقعقع الرعد ويدمدم بعيدًا، ويختفي- ثم مندفعًا يأتي وميض آخر وضربة قوية أخرى. كادت الأمواج تطيح بي من فوق الطوف أحيانًا، لكني لم أكن أرتدي ملابس، ولم أبال بالأمر. ولم تواجهنا عقبات؛ فضوء البرق كان ينير ويرفرف حولنا بشكل مستمر لدرجة تمكننا رؤيتها بما يكفي لتوجيه مقدمة الطوف إلى هذا الاتجاه أو ذاك لنتفاديها.

كان دوري هو نوبة المراقبة الوسطى، كما تعرفون، إلا أنني كنت أود النوم حين حل وقتها، فقال "چيم" إنه سوف يستمر في المراقبة نصف وقتها نيابةً عني؛ لقد كان بالغ الطيبة كعهدي به. زحفت داخلًا الخيمة، إلا أن الملك والدوق كانا يفردان ساقيهما في المساحة الخالية، ولم أجد مكانًا لأنام فيه؛ فتمددت في الخارج- لم أبال بالمطر، لأنه كان دافئًا، ولم تعد الأمواج عاليةً الآن. في حوالي الساعة الثانية، ارتفع الموج مرةً أخرى، وكان "چيم" على وشك أن يوقظني؛ إلا أنه غيّر رأيه، فقد ظن أن الأمواج لم ترتفع بالقدر الذي يمكن أن يسبب لي الأذى؛ لكنه أخطأ في تقديره، فسرعان ما أتت فجأةً موجة عاتية وأطاحت بي إلى الماء. كاد "چيم" يموت من الضحك. على أية حال، كان أسهل زنجي في الضحك على أقل شيء.

توليت نوبة المراقبة، بينما استلقى "چيم" وراح يغط في نومه؛ وبعد قليل انداحت العاصفة تمامًا من تلقاء ذاتها؛ وأيقظتُه عند ظهور أول ضوء كوخ بدا على الضفة، وانسللنا بالطوف إلى مأوى خبيء نهارًا.

أخرج الملك مجموعة قديمة من ورق اللعب بعد الإفطار، ولعب مع الدوق لفترة، الدور بخمس سنتات. ثم انتابهما الملل، واقترحا عمل ما أسمياه



fb/mashro3pdf

"منشورات دعائية". أحضر الدوق حقيبته، وأخرج منها الكثير من الإعلانات المطبوعة الصغيرة، وقرأها بصوت مرتفع. جاء في أحد هذه الإعلانات "الطبيب الشهير "أرمان ديمونتالبان"، من باريس، سوف يُلقي محاضرة عن علم الفراسة" في أماكن مختلفة، وبتواريخ مختلفة، ورسم الدخول عشرة سنتات، و"الأماكن المميزة بخمسة وعشرين سنتًا". قال الدوق إنه هو الشخص نفسه. وفي إعلان آخر كان هو "الممثل العالمي التراجيدي لمسرحيات شكسبير، "جاريك ذا ينجر"، الممثل بمسارح دروري لين(*). في لندن". وفي إعلانات أخرى، كان له العديد من الأسماء وكان يقوم بأشياء مُدهشة، مثل العثور على الذهب والمياه الجوفية باستخدام "قضيب الاستشعار"(**)، و"علاج التعاويذ السحرية"، وغيرها الكثير. وسرعان ما قال:

- "إلا أن ربة المسرح هي حبيبتي. هل وطأت قدمك خشبة مسرح، يا صاحب الجلالة؟"

أجاب الملك: "كلا".

فقال الدوق: "سوف تقوم بهذا، إذن، قبل مرور ثلاثة أيام، يا صاحب المجد الغابر. سوف نستأجر صالة في أول مدينة مناسبة نصل إليها، ونقدم مشهد مبارزة السيوف في مسرحية "ريتشارد الثالث"، ومشهد الشرفة من مسرحية "روميو وجولييت"، ما رأيك؟"

---

(*) حي المسارح في لندن.

(**) عصا من الخشب، يُعتقد أن لها قدرة على تحديد مواقع الماء والذهب.



fb/mashro3pdf

- أنا على أتم استعداد لفعل أي شيء يُدر مالًا، يا "بيلجووتر"؛ ولكن، اسمع، أنا لا أعرف شيئًا عن التمثيل المسرحي، ولم أشاهد سوى القليل منه طوال حياتي. كنت صغيرًا للغاية حين كان أبي يستدعيهم إلى القصر. أتعتقد أنك يمكن أن تعلمني؟"

- "بكل سهولة".

- "جيد. فأنا أتوق لعمل شيء جديد، على أية حال. فلنبدأ في الحال".

حكى له الدوق كل شيء عن "روميو" وعن "جولييت"، وقال إنه اعتاد أداء دور "روميو"، لذلك سيلعب الملك دور "جولييت".

- لكن "جولييت" فتاة صغيرة، أيها الدوق، وربما بدت غريبة عليها رأسي الصلعاء وسوالفي الشيباء".

- "كلا، لا تقلق؛ فلن ينتبه القرويون لذلك. بالإضافة، كما تعلم، إلى أنك سترتدي ملابس نسائية، وهو ما يجعل شكلك يختلف تمامًا عن الواقع؛ "جولييت" في الشرفة، تستمتع بضوء القمر قبل أن تنام، وهي ترتدي ثوب النوم، وعلى رأسها قلنسوة منفوشة. هذه هي ملابس هذا المشهد".

أخرج سُترتين أو ثلاثًا من قماش الستائر القطني، قال إن إحداها مثل دروع القرون الوسطى التي كان يستخدمها "ريتشارد الثالث"، والرجل الآخر الذي كان يُبارزه. كما كان لديه ثوب نوم طويل من القطن الأبيض، وقلنسوة منفوشة مناسبة للثوب. شعر الملك بالرضا؛ فأخرج الدوق كتابًا وبدأ يقرأ المشاهد منه بطريقة رائعة وهو مشرع الذراعين والساقين، متبخترًا وممثلاً في ذات الوقت، ليشرح له كيفية أداء الدور؛ ثم أعطاه الكتاب وطلب منه حفظ دوره عن ظهر قلب.



fb/mashro3pdf

صادفنا مدينة صغيرة على بُعد ثلاثة أميال من انحناءة النهر، وبعد العشاء قال الدوق إنه توصل إلى فكرة تُمكننا من الإبحار نهارًا من دون خطورة على "جيم"؛ واقترح أن يذهب إلى المدينة ليجهز لفكرته. اقترح الملك أن يذهب هو الآخر أيضًا لعله يُصادف شيئًا. كان البُن قد نفد منا، فقال "جيم" إنه من الأفضل أن أذهب معهما في الزورق لأشتري بعض البن.

لم نجد أحدًا يجول في المدينة حين وصلنا إليها؛ كانت الشوارع خاوية، ميتةً وساكنة تمامًا، كيوم الأحد. وجدنا زنجيًا مريضًا يتشمس في فناء خلفي، وأخبرنا أن الجميع عدا الصغار والمرضى والعجائز، ذهبوا إلى اجتماع ديني في الغابة، على بُعد ميلين من المدينة. عرف الملك مكان الاجتماع، واقترح أن يذهب لتقييمه، وأن أذهب معه، أيضًا. أما الدوق، فقال إنه سيبحث عن مكتب طباعة.

وجدنا المكتب بعد قليل من البحث، فوق ورشة نجارة- ذهب النجارون والطباعون إلى الاجتماع، ولم يُغلقوا الأبواب. كان المكان قذرًا، وبه الكثير من القمامة، وعلى الجدران علامات بالحبر، ومُلصقات صغيرة الحجم بصور لخيول يمتطيها زنوج هاربون. خلع الدوق معطفه، وقال إنه وجد ما يريد الآن. فذهبتُ مع الملك إلى مكان الاجتماع.

وصلنا إلى هناك بعد نحو نصف ساعة ونحن نتصبب عرقًا، فقد كان يومًا شديد الحرارة. كان هناك ما يقرب من ألف شخص، حضروا من منطقة قطرها عشرون ميلًا. كانت الغابة مليئة بالدواب والعربات، متناثرة في كل مكان، والدواب تأكل من معالف العربات، وتهز ذيولها بتثاقل لتطرد الذباب. كما كان هناك خيام مصنوعة من أعمدة خشبية ومسقوفة بفروع الشجر،



fb/mashro3pdf

يبيع أصحابها عصير الليمون وكعك الزنجبيل، وكومات من البطيخ وكيزان الذرة، وغيرها من البضائع.

كان الوعظ يتم تحت خيام من النوع نفسه، وإن كانت أكبر حجمًا لتستوعب الأعداد الغفيرة. وكانت الدكك الخشبية مصنوعة من الألواح الخارجية لخشب الأشجار، المثقوبة من الناحية المُقوسة لإدخال عصي تقوم بدور الأرجل. لم يكن لها مساند خلفية. كان الوعاظ يعتلون منصات في نهاية الخيام. وكانت النساء يرتدين قبعات شمسية، وارتدى بعضهن فساتين مصنوعة من الكتان والصوف، بينما ارتدت أخريات فساتين قطنية، وقليل من الفتيات ارتدين فساتين خفيفة من نسيج قطني خشن. بعض الشبان كانوا حفاة الأقدام، وبعض الأطفال لا يرتدون سوى قمصان من الكتان. وبعض العجائز منهمكات في أشغال الإبرة، بينما انشغل بعض الشباب في المُغازلة سرًا.

كان الواعظ، في أول خيمة نصل إليها، يتلو ترتيلة. يتلو سطرين فيرددهما الجميع خلفه، وكان الاستماع إليهم يوحي بالمهابة، فقد كان هناك الكثيرون منهم ويرددون بطريقة حماسية؛ ثم يتلو سطرين آخرين فيرددون خلفه- وهكذا. تتزايد يقظة الناس أكثر فأكثر، وينشدون أعلى فأعلى؛ وقرب النهاية، بدأ البعض ينتحب، والبعض يصرخ. بعدها، بدأ الواعظ في إلقاء موعظته، وهو يتحدث بحماسة، أيضًا؛ وراح يشير بيده إلى أحد جانبي المنصة، ثم يشير إلى الجانب الآخر، وبعدها ينحني إلى الأمام فوق مقدمتها، وهو يحرك جسمه ويديه طوال الوقت، ويصيح بالكلمات بكل قوته؛ ويرفع الإنجيل مفتوحًا بيده من حين لآخر، ويمرره عليهم من ناحية إلى أخرى،



fb/mashro3pdf

وهو يصيح: "إنها الحية الشيطانية في البرية! تمعنوا في الأمر لتحصل على الخلاص!"، فيهتف الناس: "المجد للرب- آمين!"، وهكذا استمر، والناس يئنون ويصرخون ويقولون: "آمين".

"آه، تعالوا إلى دكك النادمين! تعالوا، مُسودين بفعل الخطايا! (آمين) تعالوا، أيها المرضى والمتقرحون! (آمين) تعالوا، أيها المقعدون والعرجان والعميان! (آمين) تعالوا، أيها الفقراء والمعوزون، أيها الغارقون في العار! (آمين) تعالوا بكل رثاثتكم واتساخكم ومُعاناتكم!- تعالوا بأرواح كسيرة! تعالوا بقلوب تائبة! تعالوا بكل خرقكم وخطاياكم وقذارتكم! فالماء الذي سيطهركم بلا مقابل، باب السماء ما يزال مفتوحًا- آه، ادخلوا مملكة السماء وانعموا بالراحة! (آمين! المجد للرب، المجد للرب هللوليا)، وما إلى ذلك.

فلا يمكنك تبين ما يقول الواعظ بعد ذلك، بسبب الصياح والبكاء. نهض الناس في كل مكان من الحشد، وشقوا طريقهم بكل قواهم إلى دكة التائبين، والدموع تسيل على وجوههم؛ وعندما وصل جميع التائبين إلى الدكك الأمامية في حشد كبير، بدأوا في الهتاف والصياح وهم يطيحون بأنفسهم على القش، تمامًا كالمجانين أو الهمج.

حسنًا، أول ما أدركته أن الملك قد قفز بين الحشد، وكان يمكنك أن تسمع صوته أعلى من صوت الجميع؛ وبعدها صعد إلى المنصة، وتوسل إلى الواعظ أن يتحدث إلى الناس، فوافق الواعظ. قال لهم إنه كان قرصانًا- قرصانًا لمدة ثلاثين عامًا في المحيط الهندي- وتم قتل الكثير من طاقمه أثناء معركة في الربيع الماضي، وقد عاد الآن ليبحث عن أفراد جدد، وبفضل طيبة



fb/mashro3pdf

قلبه تعرض للسطو ليلة أمس، ثم ألقوا بـه مـن على مـتن بـاخرة مـن دون "سنت" واحد، إلا أنه كان سعيدًا بذلك؛ فهذا أفضل ما حـدث له في حياتـه، لأنه أصبح شخصًا آخر الآن، وسعيدًا لأول مرةً في حياته؛ ورغـم فقـره فإنـه سيبدأ حياة جديدة ويعود إلى المحيط الهندي، ويُكرس ما بقي من عمره في هداية القراصنة إلى الطريق القويم؛ لأنه يستطيع القيام بذلك أفضل من أي شخص آخر، فهو يعـرف كل أطقـم القراصـنة في ذلـك المحـيط؛ ورغـم أن الوصول إلى هناك سيستغرق وقتًا طويلًا من دون مال، فإنه سيذهب على أيـة حال، وكل مـرة يهـدي فيهـا قرصـانًا سـيقول له: "لا تـشكرني، ولا تـدن لي بالفضل؛ فالفضل يرجع إلى الأعـزاء في اجتمـاع "بوكفيـل" الديـني، أفـضل الإخوة وأهل الإحسان، وذلك الواعظ العزيز هناك، الذي يُعد أعز صديق قد يحظي به قرصان!"

ثم انخرط في البكاء، فبكى الجميع. ثم هتف أحدهم: "اجمعوا له مبلغًا مـن المال! اجمعوا له مبلغًا من المال!" حسنًا، قفز ستة أشخاص ليقوموا بذلك، إلا أن شخصًا ما صاح: "اجعلوه يُمرر قبعته علينا"، ثم ردد الجميع ما قـال، بمـا فيهم الواعظ أيضًا.

راح الملك يخترق الحشد بقبعتـه وهـو يجفـف عينيـه، ويبـارك النـاس ويمتدحهم ويشكرهم لإحسانهم على القراصنة المـساكين، الذيـن يعيـشون بعيدًا؛ ومن حين لآخر، تتقدم إليه فتاة جميلة، ودموعهـا تـسيل على خـديها، وتستأذن في منحه قبلة كي يتذكرها بها؛ فيوافق دائمًا على الفـور؛ وقـد قبـل بعضهن وعانقهن خمس أو ست مرات- وتمت دعوته للإقامة لأسـبوع؛ كان الجميع يرغبون في استضافته بمنازلهم؛ فكان يقول إنه شرف له؛ لكـن قـال



fb/mashro3pdf

طالما كان هذا آخر أيام الاجتماع فلا جدوى من البقاء، إضافة إلى أنه يتعجل الذهاب إلى المحيط الهندي بأسرع ما يمكن ليبدأ عمله في هداية القراصنة.

عندما عدنا إلى الطوف قام بعَد النقود، واكتشف أنه جمع سبعة وثمانين دولارًا وخمسة وسبعين سنتًا. ثم إنه سرق زجاجة ويسكي سعة ثلاثة جالونات أيضًا، كان قد وجدها تحت إحدى العربات في طريق العودة من الغابة. قال الملك إن هذا أكبر إنجاز له في مجال التبشير على الإطلاق. وقال إنه لا جدوى من الكلام، فالوثنيون لا يساوون قشور الذرة مقارنةً بالقراصنة في الاجتماعات الدينية.

كان الدوق يظن أنه يحقق إنجازًا عظيمًا إلى أن ظهر الملك، لكنه غير رأيه بعد ذلك. كان قد احتال على بعض الفلاحين وطبع لهم قصاصات خيول مكتب الطباعة، وأخذ النقود، أربعة دولارات. ثم عرض على الفلاحين إن يبيعهم مساحات إعلانية بإحدى الجرائد بقيمة عشرة دولارات مقابل أربعة دورلات فقط، شرط دفعها مُقدمًا، فدفعوا الأربعة دولارات فعلًا. كما باع ثلاثة اشتراكات في إحدى الجرائد، قيمة الاشتراك دولاران في العام، إلا إنه باع الاشتراكات الثلاثة، الواحد مقابل نصف دولار، بشرط أن يدفعوا له مقدمًا؛ كان الزبائن يأملون الدفع بالحطب والبصل، كالعادة، إلا أنه قال لهم إنه يفضل الدفع النقدي خاصة وإنه قدم لهم خصمًا كبيرًا على الاشتراك. وألَّف قصيدة قصيرة -ثلاث أبيات من الشعر الجميل الحزين: "أجل، حطم، أيها العالم البارد، ذلك القلب المُحطم"- وأعدها للطباعة في الجريدة، مجانًا. حسنًا، فكان كل ما حصل عليه هو تسعة دولارات وخمسون



fb/mashro3pdf

سنتًا، واعتبر أنه يوم جيد للغاية".

ثم أخبرنا عن قيامه بطباعة شيء مجانًا، لأنه يتعلق بنا. كانت صورة لزنجي هارب، يحمل حزمة حطب على كتفه، وتحت الصورة عبارة "200 دولار مُكافأة". كان المكتوب ينطبق على "چيم" ويصف شكله تمامًا. كان يقول إنه هرب منذ الشتاء الماضي من مزرعة "سانت جاك"، على مسافة أربعين ميلًا جنوب "نيو أورليانز"، والأرجح أنه توجه شمالًا، ومَن يقبض عليه ويقوم بإعادته سيحصل على المُكافأة والمصروفات.

قال الدوق: "والآن، يُمكننا بعد الليلة الإبحار نهارًا إن أردنا. وإذا رأينا أي شخص قادم نحونا، نكبل يدَي "چيم" وقدميه بحبل، ونضعه في الكوخ، ونظهر الإعلان ونقول إننا ألقينا القبض عليه في النهر، ونحن أفقر من أن نسافر على متن باخرة، فأخذنا هذا الطوف من أصدقائنا بالدين، ونحن ذاهبون لنحصل على المُكافأة. تبدو الكلبشات والسلاسل أفضل من الحبال على "چيم"، إلا أنها لا تتسق مع قصتنا بأننا فقراء. إنها أشبه بالمجوهرات. الحبال هي أفضل الحلول- فيجب أن نحافظ على السياق، كما يقولون في المسرح".

قلنا جميعًا للدوق إنها فكرة ذكية للغاية، ولن نواجه المتاعب أثناء إبحارنا نهارًا. وقررنا أن نبحر بعض الأميال في تلك الليلة لنبتعد عن المشاكل التي قد تنجم عن ما قام به الدوق في مكتب الطباعة في تلك المدينة الصغيرة؛ وحينها يمكننا أن ننطلق إلى حيث نريد.

استلقينا على الطوف في صمت، ولم نظهر أنفسنا حتى الساعة العاشرة تقريبًا؛ ثم انسللنا بعيدًا عن المدينة بمسافة كافية، ولم نشعل الفانوس حتى



fb/mashro3pdf

ابتعدنا عنها تمامًا.

وعندما نادي "چيم" عليَّ مـن أجـل نوبـة الحراسـة في الـساعة الرابعـة، سألني:

- "هاك"، أتعتقد أننا سنقابل المزيد من الملوك أثناء هذه الرحلة؟"

قلت له: "كلا، لا أعتقد".

فقال: "حسنًا، هذا جيد، إذن. ليس لديَّ مانع من مقابلة ملك أو اثنـين، لكن ذلك يكفي. فهذا الملك سكران للغاية، ولـيس الدوق أفـضل حـالًا منه".

اكتشفت أن "چيم" كان يحاول أن يجعله يتحدث بالفرنسية، ليرى كيف تكون؛ لكنه قال له إنه في هذا البلد منذ زمن طويـل، وواجـه الكثـير مـن المشاكل، وهو ما جعله ينساها.

fb/mashro3pdf

# الفصل الحادي والعشرون

كان الوقت بعد شروق الشمس، لكننا مضينا في طريقنا ولم نتوقف. كان الملك والدوق اللذين تقيآ يبدوان واهنين تمامًا؛ إلا أنهما تحسنا كثيرًا بعد أن قفزا إلى الماء وسبحا فيه قليلًا. وبعد الإفطار، جلس الملك في زاوية من الطوف وخلع حذاءه الطويل، وشمَّر بنطلونه، ودلَّى قدميه في الماء، حتى يشعر بالراحة، وأشعل غليونه، وبدأ يحفظ دوره في مسرحية "روميو وجولييت". وحين حفظه تمامًا، قام هو والدوق بالتدرب معًا. كان على الدوق أن يُعلمه مرارًا وتكرارًا كيف يؤدي كل جملة؛ وجعله يتنهد، ويضع يده على قلبه، وبعد قليل أخبره أنه أدى الدور بشكل جيد؛ وقال: "عدا شيء واحد، يجب ألا تنطق "روميو" بصوت مرتفع كالثور هكذا- يجب أن تنطقه برقة ووهن ولوعة، هكذا ر-و-و- ميو! هذه هي الفكرة الأساسية؛ لأن "جولييت" فتاة صغيرة ورقيقة، كما تعلم، ولا تنهق كالجحش".

حسنًا، أخرجا بعد ذلك سيفين طويلين كان الدوق قد صنعهما من



fb/mashro3pdf

شرائح البلـوط، وبـدآ يتـدربان على المُبـارزة- اختـار الدوق لنفـسه اسـم "ريتشارد الثالث"؛ وكانت الطريقة التي يتحركان ويُناوران بهـا على الطـوف رائعة. لكن بعد قليل تعـثر الملـك وسـقط على أرضـية الطـوف، وبعـدها استراحا قليلًا، وهما يتحدثان عن جميـع مغامراتهمـا الماضـية في كل المـدن الواقعة على امتداد النهر.

بعد العشاء قال الدوق:

-"حسنًا، أيها الملك، يجب أن نجعل منه عرضًا مـن الطـراز الأول، كمـا تعلم، ولهذا فعلينا إضافة المزيد إليه. فنريد التـدرب على شيءٍ مـا في حالـة طلب الجمهور، على أية حال".

- "وما هو المزيد؟"

شرح له الدوق، ثم قال:

- "سوف أستجيب لهم بأداء رقصة المرتفعات أو أغنيـة بـوق البحـارة، وأنت- حسنًا، فلأفكر- آه، وجدتها- يمكنك أداء مشهد مُناجاة "هاملت".

- "ماذا؟"

- "مناجاة "هاملت"، كما تعلم؛ أشهر ما كتب شكسبير. يـا إلـهي، إنهـا مهيبة، مهيبة! ودائمًا ما يُحبها الجمهور. ليست لديَّ في الكتاب- عندي مجلد واحد فقط من أعمال شكسبير- إلا أنـني أظـن أني قـادرٌ على كتابتهـا مـن الذاكرة. سأتمشى لدقائق، وأرى إن كنـت أسـتطيع استعادتها مـن سرداب الذاكرة".

لذا بدأ يمشي جيئة وذهابًا، وهو يفكر، ويعقد جبينه بصورة مخيفـة مـن آنٍ لآخر؛ ثم يرفع حاجبيه، ويعتصر جبهته براحة يده، ويتراجع مُترنحًا بنوعٍ



fb/mashro3pdf

من الأنين؛ بعدها يتنهد، وبعدها تطفر دمعة من عينه. كانت مشاهدته أمرًا رائعًا. وما لبث أن تذكرها. طلب منا الانتباه. ثم اتخذ وضعية أكثر مهابة، ومد إحدى ساقيه إلى الأمام، وفرد ذراعيه على اتساعهما، وتراجع برأسه قليلًا، لينظر إلى السماء؛ وبعدها بدأ يرغي ويزبد ويصر على أسنانه؛ وبعدها، كان يصرخ خلال حديثه كله، ويفرد جسمه وينفخ صدره، وتجاوز تمثيله كل ما شاهدت من تمثيل. هذا هو الحديث- حفظته بسهولة وهو يعلمه للملك:

أكون، أو لا أكون؛ تلك هي الحقيقة العارية
التي تحول الحياة الطويلة إلى كارثة؛
فمن يحتمل المِحن، إلى أن تزحف غابة "بيرنام" إلى
تل "دنسنيان"،
إلا أن الخوف من خطب ما بعد الموت
يقتل النوم البريء،
إنه ثاني طبق تقدمه الطبيعة العظيمة،
ويجعلنا نصبر على سهام القدر الغاضبة
بدل توجيهها إلى آخرين لا نعرفهم.
هنا يجب أن يفرض علينا الإكبارُ التوقف:
فأيقظ "دَنكِن" بطَرقك! ليتك تستطيع؛
فمَن الذي يحتمل سياط الدهر ومهاناته،
وظلم المُستبد، وازدراء الإنسان الأبِي،
ومماطلة القضاء، وضرباته القاضية،
في الخراب الميت، ومنتصف الليل، حين تتثاءب



fb/mashro3pdf

القبور
مرتديَّة الثياب السوداء بهيبتها المُعتادة،
لكن الأرض المجهولة التي لم يعُد عبر حدودها مسافر،
تنفث العدوى على العالم،
ولهذا يصبح اللون الأصلي للعزيمة، مثل لون القطة
في المثل الشائع،
ويرقد مريضًا من الهم،
وتحط كل السحب أمطارها على سقوف بيوتنا،
ويتغير مجرى الأحداث بعيدًا،
ويفقد القدرة على الفعل.
لا أتمنى سوى الوفاء التام، ولكن رويدك يا
أوفيليا الجميلة:
لا تفتحي فكيك الأخرقين الرخاميين،
بل توجهي إلى الدير- اغربي عن وجهي!

حسنًا، أثارت المناجاة إعجاب الرجل العجوز، وسرعان ما تناولها ليمكن له تأديتها بإتقان كامل. بدا كما لو أنه ولد فقط ليؤدي هذا المشهد؛ وحين بدأ وهو في قمة الإثارة، كانت طريقة فاتنة وهو يبكي ويتمزق ويتراجع إلى الخلف وهو ينهي المشهد.

في أول فرصة رأينا فيها الدوق كانت معه بعض الإعلانات المطبوعة؛ وبعد ذلك، بعد يومين أو ثلاثة، ونحن نمضي طافين، تحول الطوف إلى مكان ينبض بالحياة، فلم يكن هناك سوى مبارزات السيوف والإلقاء المسرحي-



fb/mashro3pdf

كما يُسميه الدوق- طوال الوقت. وذات صباح، عندما اقتربنا تمامًا من ولاية "أركانسو"، رأينا مدينة صغيرة عند انحناءة كبيرة في مجرى النهر؛ فقمنا بربط الطوف على بُعد ثلاثة أرباع ميل من المدينة، في فتحة خليج كانت مغلقة كأنها نفق بأشجار السرو، وذهبنا جميعًا على متن الزورق إلى المدينة، عدا "چيم"، بحثًا عن فرصة لتقديم العرض المسرحي.

أسعدنا حظ هائل؛ كان هناك سيرك، سيبدأ بعد الظهر، وكان أهل المدينة يبدأون في التوافد، في كل أنواع العربات القديمة التي تجرها الدواب، وعلى ظهر الخيول. ولن يرحل السيرك قبل حلول الليل، لهذا فهناك فرصة جيدة لتقديم العرض. استأجر الدوق قاعة محكمة، وتجولنا نلصق الإعلانات، وكان نصها كالتالي:

إحياء مسرح شكسبير!!!

فرصة عظيمة!

لمدة ليلة واحدة فقط!

الممثل التراجيدي العالمي "دافيد جاريك ذا ينجر"، الممثل بمسارح "دروري لين" بلندن،

و"إيدموند كين ذا إلدَر"، الممثل بمسرح "هايماركت" الملكي، ومسرح "وايتشابل"، ومسرح "بودنج"، ومسرح "بيساديلي"، ومسرح "لندن"، والمسارح الملكية العالمية، في المشهد الشكسبيري المهيب، المعروف باسم "مشهد الشرفة" بمسرحية روميو وجولييت!!!

روميو---. السيد "جاريك"

جوليت--- السيد "كين"، تدعمهما الشركة بكل إمكاناتها! ملابس



fb/mashro3pdf

جديدة، مشاهد جديدة، وتجهيزات جديدة!

ويقدمان أيضًا:

الصراع المرعب، البارع، بالسيوف الدموية

في مسرحية "ريتشارد الثالث"،

ريتشارد الثالث------. السيد "جاريك"

ريتشموند---------- السيد "كين"

ويقدمان أيضًا (بناءً على الطلبات الخاصة):

مُناجاة هاملت الخالدة!!

يقدمها "كين" الشهير

الذي قدمها ثلاثمائة ليلة متوالية على مسارح باريس!

لليلة واحدة فقط،

بسبب ارتباطات الفرقة للعمل في أوروبا!

سعر الدخول 25 سنتًا؛ الأطفال والخدم 10 سنتات.

ثم تجولنا في جميع أنحاء المدينة. كانت معظم المحلات والبيوت قديمة، وخشبية، لم يمسها الطلاء على الإطلاق؛ ترتفع عن الأرض فوق ركائز خشبية بمقدار ثلاثة أو أربعة أقدام، حتى لا يطالها ماء النهر حين يفيض. وحول البيوت حدائق صغيرة، لكنها لا ينمو بها شيء تقريبًا عدا أعشاب فخ الشيطان ونبات عباد الشمس، بالإضافة إلى أكوام النفايات، والأحذية القديمة الملتوية، وشظايا زجاجات مكسورة، وخرق، علب صفيح مُنبعجة. أما الأسيجة فمصنوعة من ألواح خشب مختلفة، تم تركيبها في أوقات مختلفة؛ وتميل في كل اتجاه، وبوابات الحدائق في الغالب بمفصلة واحدة-



fb/mashro3pdf

مفصلة مصنوعة من الجلد. ويبدو أنه تم طلاء بعض الأسيجة باللون الأبيض ذات مرةً في الماضي، لكن الدوق قال إن الطلاء يرجع إلى زمن كولومبوس، وهو المرجح. وكانت هناك خنازير في الحدائق، والناس يطردونها إلى الخارج.

كل المحال في شارع واحد فقط. وأمامها مظلات بيضاء اللون، ويربط أهل المدينة خيولهم إلى أعمدة المظلات. وتتناثر صناديق بضاعة فارغة أسفل المظلات، يجلس عليها المُتسكعون طوال اليوم، يحفرون فيها بالمُدى؛ ويمضغون التبغ، ويفغرون أفواههم ويتثاءبون ويتمطون- ويبدو أنهم مشاكسون للغاية. كانوا يضعون فوق رؤوسهم قبعات كبيرة من القش، بحجم الشمسية تقريبًا. إلا أنهم لا يرتدون معاطف أو صدريات، وينادون على أحدهم الآخر بأسماء "بل"، و"باك"، و"هانك"، و"جو"، و"آندي"، ويتحدثون بطريقة كسولة متشدقة، ويستخدمون كثيرًا ألفاظ السباب. وهناك ما لا يقل عن متسكع واحد يتكئ على عمود المظلة ، وغالبًا ما يضع يديه في جيب بنطلونه، ولا يخرجها إلا لكي يضع في فمه قطعة من التبغ، أو لكي يهرش. وما سمعت منهم كان عبارات من هذا القبيل:

- "أعطني مضغة تبغ، يا هانك".

- "لا أستطيع، فليس لديَّ سوى مضغة واحدة. اسأل بيل".

وربما يعطيه "بل" مضغة؛ وربما يكذب عليه قائلًا إنه لا يملك تبغًا. وبعض هذا النوع من المُتسكعين لا يملك سنتًا واحدًا، ولا حتى مضغة تبغ. فدائمًا ما يقترضون التبغ؛ يقولون لشخص ما: "ليتك تعطيني مضغة تبغ، يا "جاك"، فقد أعطيت "بن" آخر مضغة تبغ معي للتو"- وهي كذبة



fb/mashro3pdf

مُتكررة كل مرة؛ ولا تنطلي سوى على الغرباء؛ وبالطبع "جاك" ليس غريبًا، لذلك قال:

- "هل أعطيته مضغة تبغ، حقًّا؟ هكذا فعلت جدة قطة أختك. فادفع لي ثمن التبغ الذي اقترضته مني بالفعل يا "لاف باكنر"، وساعتها سأقرضك طنًا أو اثنين من التبغ، من دون أن أتقاضى منك فائدة عن القرض".

- "حسنًا، لقد أعدت إليك بعض ما اقترضت".

- "أجل، لقد فعلت- حوالي ست مضغات. كما اقترضت مني تبغًا جيدًا، ورددت مكانه تبغ "رأس الزنجي" الرديء".

التبغ الذي تبيعه المحال عبارة عن لفافة سوداء مسطحة، إلا أن هؤلاء الناس يمضغون أوراق تبغ طبيعية ملفوفة. وعندما يقترض أحدهم قضمة فهو عادة لا يقطعها بسكين، ولكنه يدس اللفافة بين أسنانه، ويقضمها بأسنانه، ويشد بيده حتى يقسمها إلى جزأين؛ وأحيانًا ما ينظر الذي أقرضه بأسى إلى ما بقي من اللفافة ويقول، ساخرًا:

- "أنت، لقد أعطيتك قضمة، فأخذت كل اللفافة".

كان الطين يكسو كل الشوارع والحارات؛ لم يكن بها شيء **سوى** الطين- طين أسود بلون القار، بعمق نحو قدم في بعض الأماكن، وعمق بوصة أو بوصتين في باقي الأماكن. وكانت الخنازير تتسكع وتنخر في كل مكان. ويمكنك أن ترى خنزيرة يكسوها الطين تتهادى في الشارع، وصغارها بصحبتها، ثم تتمرغ في الوحل في منتصف الطريق، حيث يصبح على المارة أن يدوروا حولها، فتتمطى وتغمض عينيها وتهز أذنيها، والصغار يرضعون منها، وتبدو سعيدة كما لو أنها تتلقى أجرًا عن ذلك. وسرعان ما



fb/mashro3pdf

تسمع أحد المُتسكعين يهتف: "هاي! أيها الصبي اطردها!" وتبتعد الخنزيرة، وهي تئن بصوت رهيب، حيث ينقض كلبان على أذنيها، ويتدافع نحوها المزيد من الكلاب؛ ساعتها ترى كل المُتسكعين يذهبون لمتابعة المشهد، ويضحكون من طرافة ما يحدث، ويطربون للضوضاء. ثم يعودون إلى أماكنهم إلى أن ينشب عراك بين الكلاب. فلا شيء يجعلهم ينهضون ويتحركون، ويجعلهم سعداء تمامًا، سوى عراك الكلاب- عدا صب التربنتين فوق أحد الكلاب الضالة وإشعال النار فيه، أو ربط صفيحة في ذيله، ومشاهدته وهو يجري هربًا بحياته.

على حافة ضفة النهر كانت هناك بيوت عديدة ناتئة، وكانت مائلة ومحنية، وتكاد تسقط في الماء، فهجرها أصحابها. وكانت ضفة النهر قد نُحرت أسفل بعض أركان المنازل، وأصبحت هذه الأركان مُعلقة في الهواء. ومع ذلك فهناك من يعيش فيها، لكنها كانت خطرة، لأن الانهيار قد يصيب شريطًا من الأرض بعرض منزل مع الوقت. وقد يحدث صدع على امتداد ربع ميل بشكل بطيء، بمرور الوقت، إلى أن تنهار كلها في النهر ذات صيف. وعلى مدينة مثل هذه أن تتراجع إلى الخلف باستمرار، إلى الخلف، إلى الخلف، لأن النهر ينحر أرضها على الدوام.

وكلما اقتربنا من وقت الظهيرة في ذلك اليوم، تزايد أكثر فأكثر عدد العربات التي تجرها الدواب والخيول في الشوارع، ويتدفقون أكثر مع الوقت. كانت العائلات القادمة من الريف قد جاءت طعامها، وتتناوله في العربات. وكان هناك تزايد ملحوظ في شرب الويسكي، وقد رأيت ثلاثة شجارات. بعد قليل هتف صبي:



fb/mashro3pdf

- "ها هو "بوجز" العجوز يأتي! – من الريف من أجل حفل الشراب الصغير الذي يقيمه شهريًا منذ زمن، يا أولادا!"

بدت السعادة على كل المُتسكعين؛ أظن أنهم اعتادوا مُشاكسة "بوجز". قال أحدهم:

- "تُرى مَن سيلتهم هذه المرة. إذا كان قد التهم كل مَن هددهم بالالتهام على مدار العشرين عامًا الماضية، لحقق سمعةً كبيرة الآن".

قال آخر: "أتمنى أن يهددني "بوجز" العجوز، لأنني سأعرف ساعتها أني لن أموت إلا بعد ألف عام".

اقترب "بوجز" فوق حصانه مندفعًا، وهو ويصيح ويصرخ كالهنود الحمر، قائلًا:

- "أفسحوا الطريق. أنا قادم، وثمن الأكفان سوف يرتفع".

كان مخمورًا، ويترنح على سرجه؛ كان عمره يتجاوز الخمسين عامًا، ووجهه شديد الاحمرار. صرخ الجميع في وجهه وسخروا منه ووجهوا له السباب، فرد عليهم السباب بالمثل، ثم قال إنه قادم إليهم ليقتلهم جميعًا، إلا أنه سيؤجل هذا الآن لأنه أتى إلى المدينة ليقتل الكلونيل "شيربيرن" العجوز، وكان شعاره هو "ابدأ بأكل اللحم ثم أكمل بملعقة من كل صنف".

رآني، فاتجه بحصانه نحوي، وقال:

- "من أين أنت، يا فتى؟ هل أنت جاهز للموت؟"

ثم انطلق. انتابني الخوف، إلا أن رجلًا قالي لي:

- "إنه لا يعني ما يقول؛ إنه يتصرف بالطريقة نفسها حين يكون مخمورًا. إنه أكثر الكهول الحمقى طيبة في "أركانسو"- ولم يتعرض لأحد



fb/mashro3pdf

بالأذى، سواء كان مخمورًا أم مُتزنًا".

انطلق "بوجز" بحصانه إلى أكبر متجر في المدينة، وانحنى برأسه ليرى من أسفل ستارة المظلة، ثم صاح:

- "اخرج، يا "شيربيرن"! اخرج لكي تواجه الرجل الذي خدعته وسلبت ماله. أنت الصيد الذي أطارده، وسوف أحصل عليه، أيضًا!"

واستمر على هذا المنوال، يسب "شيربيرن" بكل سباب يقع على لسانه، وامتلأ الشارع بالناس الذين يسمعون ويضحكون ثم يمضون في طريقهم. بعد قليل خرج من المحل رجل في الخامسة والخمسين من عمره تقريبًا، يبدو مُعتدًا بنفسه، ويرتدي أفضل ثياب في تلك المدينة، أيضًا، فتراجع الناس إلى الوراء على الجانبين مفسحين له الطريق. خاطب "بوجز" بكل هدوء ورزانة قائلًا:

- "لقد سئمت من هذا، إلا أنني سأتحمله حتى الساعة الواحدة. تذكر- حتى الساعة الواحدة- لا أكثر. فإذا فتحت فمك ضدي ولو لمرة واحدة بعد الساعة الواحدة، فسأعثر عليك أينما ذهبت".

استدار بعدها ودخل إلى المتجر. بدا التوتر على حشد الواقفين؛ لم يتحرك أحد، ولم يعد هناك مزيد من الضحك. انطلق "بوجز" بحصانه إلى نهاية الشارع، وهو يسب "شيربيرن" ويصيح بصوت مرتفع؛ وما لبث أن عاد وتوقف أمام المحل، وهو مُستمر فيما يفعل. تجمع بعض الرجال حوله، وحاولوا إسكاته، إلا أنه لم يتوقف؛ فأخبروه أن الساعة ستصبح الواحدة بعد ربع ساعة، ولابد أن يعود إلى بيته- لابد أن يمضي في الحال. لكن بلا جدوى. واصل السباب بكل قوته، وألقى بقبعته في الطين ودهسها،



fb/mashro3pdf

وسرعان ما اندفع غاضبًا عبر الشارع مرةً أخرى، وشعره الأشيب يتطاير في الهواء. حاول الجميع جاهدين انتهاز أية فرصة لإسقاطه عن حصانه ليمكنهم حبسه وإفاقته؛ لكنهم لم يتمكنوا- فقد عاد من جديد إلى أول الشارع وسب "شيربيرن" مرةً أخرى. بعد قليل قال أحدهم:

- "أحضروا ابنته!- بسرعة، اذهبوا إلى ابنته؛ فأحيانًا ما يسمع لها. لا يستطيع أحد إقناعه سواها".

انطلق أحدهم ليحضرها. سرتِ في الشارع قليلًا ثم توقفت. وبعد خمس أو عشر دقائق، عاد "بوجز" مرةً أخرى، لكن ليس على حصانه. كان يترنح في الشارع وهو قادم نحوي، بلا قبعة، وعلى كل جانب صديق يمسك به من ذراعه، ويسرعان به عبر الشارع. كان هادئًا، وإن بدا عليه عدم الارتياح؛ ولم يكن قد تراجع عن القتال بعد، إلا أنه كان يدفع نفسه إلى الإسراع. هتف أحدهم:

- "بوجز!"

نظرتُ ناحية الصوت لأرى مَن نادى عليه، فكان الكولونيل "شيربيرن". كان يقف ساكنًا تمامًا في الشارع، ويمسك مسدسًا مرفوعًا في يده اليمنى- لا يصوبه، لكن فوهته مائلة نحو السماء. وفي اللحظة نفسها رأيت فتاة قادمةً تجري، ومعها رجلان. استدار "بوجز" والرجلان ليروا من ينادي عليه، وعندما لمح الرجلان المسدس، تنحيا جانبًا، ونزلت فوهة المسدس ببطء وثبات لتصبح في مستوى الإطلاق- وهي جاهزة. رفع "بوجز" ذراعيه إلى أعلى وصاح: "يا إلهي، لا تطلق النار!"، "بانج!" انطلقت الرصاصة الأولى، فتراجع مترنحًا، وهو يتشبث بالهواء- "بانج!" انطلقت الرصاصة الثانية،



fb/mashro3pdf

فتعثر وسقط على الأرض، سقطة قوية وعنيفة، وذراعاه مفرودتان. صرخت تلك الفتاة واندفعت إلى الأمام، وألقت بنفسها فوق أبيها، وهي تبكي وتقول: "آه، لقد قتله، لقد قتله!". شكل الحشد دائرة حولهما، وتلاحمت الأكتاف متكدسين الواحد على الآخر، وامتدت الرقاب، في محاولة لرؤية ما يحدث، والناس في داخل الدائرة يحاولون إبعادهم وهم يصرخون: "تراجعوا، تراجعوا! أفسحوا مجالًا للهواء، أفسحوا مجالًا للهواء!"

ألقى الكولونيل "شيربيرن" مسدسه على الأرض، واستدار على عقبيه وانصرف.

حمل الناس "بوجز" إلى محل عطارة صغير، واستمر الحشد في التزاحم على المنوال نفسه، وتبعهم كل سكان المدينة، بينما اندفعت وحظيت بموقع جيد عند نافذة المحل، حيث كنت ملاصقًا له وأستطيع من خلاله أن أرى. وضعوه على الأرض، ثم وضعوا إنجيلًا كبيرًا تحت رأسه، وفتحوا إنجيلًا آخر وفردوه على صدره؛ لكنهم مزقوا قميصه قبل ذلك، ورأيت موضع اختراق إحدى الرصاصتين. كان يلهث كثيرًا، وصدره يرفع الإنجيل حين يأخذ شهيقًا، ويهبط حين يطلق الزفير- وبعدها تمدد بلا حراك؛ مات. ثم شدوا ابنته بعيدًا عنه، وهي تصرخ وتبكي، فأخرجوها من المحل. كانت في السادسة عشرة من عمرها تقريبًا، وعلى قدر كبير من الجمال والرقة، إلا أنها كانت شاحبة ومذعورة.

حسنًا، سرعان ما تجمع كل أهل المدينة، عند النافذة متزاحمين متدافعين ليصلوا إلى النافذة ويلقوا عليه نظرة، إلا أن الناس الذين يحتلون الأماكن لا يسمحون لهم بذلك، ومن وقفوا في الخلف يقولون طوال الوقت: "أنتم،



fb/mashro3pdf

الآن، شاهدتم ما فيه الكفاية، أيها الزملاء؛ ليس من الصواب، أو العدل البقاء في أماكنكم كل هذا الوقت، من دون إتاحة الفرصة لغيركم؛ فللآخرين الحق نفسه مثلكم".

كان هناك تدافع كبير في الخلف، لذلك انسللت تاركًا مكاني، إذ اعتقدت أنه ربما تحدث مشاكل. كانت الشوارع ممتلئة، والجميع مستثارين. وكل مَن شاهد إطلاق النار يحكي ما حدث، وكل واحد فيهم يقف وحوله زحام كبير، وقد اشرأبت الأعناق للإنصات. ورأيت رجلًا نحيلًا، طويل الشعر، يرتدي قبعة مخروطية على رأسه من الخلف، ويمسك بيده عصى معقوفة اليد، وهو يحدد على الأرض المواقع التي وقف فيه كل من "بوجز" و"شيربيرن"، والناس يتبعونه من مكان لآخر، ويراقبون كل ما يفعل، ويهزون رؤوسهم تعبيرًا عن الفهم، وينحنون قليلًا وقد وضعوا أيديهم على أفخاذهم لكي يتابعوه وهو يرسم العلامات على الأرض بعصاه؛ ثم انتصب بجسمه متصلبًا في المكان الذي وقف فيه "شيربيرن"، وهو عابس وقد أنزل حافة قبعته على عينيه، وصاح: "بوجزا"، ثم أنزل عصاه إلى مستوى إطلاق النار، وقال: "بانجا" وترنح إلى الخلف، ثم قال: "بانجا" مرةً أخرى، وسقط على الأرض ممددًا على ظهره. مَن شاهدوا الواقعة أكدوا أن تقليده دقيق؛ وأن هذا هو كل ما حدث بالضبط. بعدها أخرج عدة أشخاص قنينات الخمر وعزموا عليه.

حسنًا، بعد قليل، صاح أحدهم أنه يجب شنق "شيربيرن". وفي لحظات ردد الجميع قوله؛ واندفعوا بجنون وهم يصيحون، منتزعين كل ما صادفهم من "حبال الغسيل" ليشنقوه بها.

fb/mashro3pdf

# الفصل الثاني والعشرون

تدافعوا نحو منزل "شيربيرن"، يصرخون مهتاجين كالهنود الحمر، وكانوا يدهسون أي شي إن لم يبتعد عن طريقهم، في مشهد يثير الكآبة. ابتعد الأطفال عن طريق الحشد، وهم يصرخون ويحاولون الهرب من أمامهم؛ وامتلأت كل النوافذ على طول الطريق برؤوس النساء، وكان هناك أطفال زنوج فوق كل شجرة، وفتية وفتيات ينظرون عبر الأسيجة؛ وحين يقترب الحشد منهم، يلوذون بالفرار بعيدًا عن المتناول. وبكت نساء وفتيات كثيرات بلا انقطاع، وهن مذعورات.

احتشدوا أمام أسيجة منزل "شيربيرن" بكثافة بقدر ما استطاعوا التزاحم، وكان الصخب عاليًا لدرجة أنك لا تسمع نفسك. كان الفناء صغيرًا بمساحة عشرين قدمًا فقط. هتف بعضهم: "حطموا السياج! حطموا السياج!"، ثم حدثت جلبة كبيرة جراء الاقتلاع والتمزيق والتحطيم، حتى اختفى السياج، وتدافعت الصفوف الأولى من الحشد مثل الموجة.



fb/mashro3pdf

في تلك اللحظة تمامًا، خرج "شيربيرن" إلى شرفة منزله الصغيرة، ببندقية بفوهتين في يده، واتخذ وضع الاستعداد، في هدوء وثقة، من دون أن ينطق حرفًا واحدًا. توقفت الجلبة، وتراجعت الموجة البشرية. لم ينطق "شيربيرن" بكلمة- وقف هناك فقط، ونظر إلى الأسفل. كان السكون مخيفًا، ومثيرًا للقلق. جال "شيربيرن" بنظره في الحشد؛ وأينما توجه بعينيه، كان الناس يحاولون التحديق فيهما، لكنهم لا يقدرون؛ يشيحون بنظراتهم إلى الأرض بجبن. وسرعان ما ضحك "شيربيرن"؛ لم تكن ضحكة ظريفة، لكنها ضحكة من ذلك النوع الذي تحسه حين تأكل خبزًا فيه رمل.

ثم قال، بهدوء واحتقار:

- "تفكرون في أن تقوموا بشنق أي شخص بلا محاكمة! فكرة مُدهشة. فكرتكم أنكم تظنون أن لديكم الشجاعة الكافية لشنق "رجل" بلا محاكمة! لأنكم تملكون الشجاعة الكافية للسخرية من امرأة فقيرة منبوذة بلا أصدقاء وهي تقف وحدها أمامكم، فهل يجعلكم ذلك تظنون أن لديكم الشجاعة لتمسوا "**رجلًا**"؟ غريبة، فأمان "**الرجل**" يكمن في أيدي عشرة آلاف من أمثالكم- طالما أننا في ضوء النهار، وأنكم لستم خلفه.

"هل أعرفكم؟ أعرفكم حق المعرفة لأنني ولدت ونشأت في الجنوب، وعِشت في الشمال؛ لذا أعرف الرجل العادي في كل مكان. فالرجل العادي جبان. في الشمال يسمح لأي شخص بأن يدهسه حين يريد، ثم يعود إلى منزله، ويصلي من أجل روح ذليلة تتحمل الإهانة. وفي الجنوب، استوقف رجل عربة مليئة بالرجال في وضح النهار، وسلب الجميع. تصفكم صحفكم بالشجاعة كثيرًا لدرجة جعلتكم تظنون أنكم أشجع من



fb/mashro3pdf

الآخرين- بينما الحقيقة أنكم في شجاعة الآخرين، لا أكثر شجاعة منهم. لماذا لا يصدر محلفوكم أحكامًا بشنق القتلة؟ لأنهم يخافون أن يُطلق أصدقاؤه النار عليهم من الخلف، في الظلام- وهذا بالضبط ما سيفعلون. لذلك يقضون دائمًا ببراءته؛ فيتحرك رجل في الظلام ومعه مائة من الجبناء المُلثمين في ظهره، ويقتلون الوغد بلا محاكمة. خطأكم هو أنكم لم تحضروا رجلًا معكم؛ ذلك هو الخطأ الأول، والخطأ الثاني هو أنكم لم تحضروا إلى هنا في الظلام، وأنتم مُلثمون. لقد أحضرتم معكم شبه رجل -"باك هاركنس"، هناك- وإذا لم يُحضركم ليحرككم لاكتفيتم بإطلاق زفير في الهواء.

"لم تكن بكم رغبة في الحضور. فالرجل العادي لا يحب المشاكل والمخاطر. أنتم لا تحبون المشاكل والمخاطر. ولكن إذا كان هناك نصف رجل- مثل "باك هاركنس"، هناك- يصيح "اشنقوه بلا محاكمة! اشنقوه بلا محاكمة!"، فإنكم تخشون التراجع- تخشون اكتشاف حقيقة ما أنتم عليه- جبناء- فتتصايحون، وتتعلقون بذيل سترة نصف الرجل هذا، وتأتون إلى هنا مهتاجين، وأنتم تظنون أنكم قادرون على أشياء كبرى. والمثير للشفقة هنا هو الحشد؛ فالجيش هو كذلك أيضًا- حشد؛ لا يحارب الجنود بدافع من شجاعتهم الذاتية، ولكن من الشجاعة المستعارة من كثرتهم، ومن ضباطهم. ولكن الحشد من دون "رجل" يقوده لا يرقى حتى لإثارة الشفقة. والآن، ما ينبغي عليكم عمله هو لملمة ذيولكم والذهاب إلى جحوركم. ولو أن هناك شنقًا حقيقيًا بلا محاكمة فسيحدث في الظلام. على الطريقة الجنوبية؛ وعندما يأتون فسيحضرون معهم أقنعتهم، ومعهم رجل. هيا



fb/mashro3pdf

غادروا الآن- وخذوا نصف الرجل معكم".

قالها وهو يرفع بندقيته بيده اليسرى ويجذب الزناد.

تراجع الحشد فجأة، ثم انفضُّوا متفرقين، متشرذمين في جميع الأنحاء، وتراجع "باك هاركنس" في أعقابهم، ويبدو عليه البؤس. كان يمكنني البقاء إن أردت، إلا أنني لم أرغب في ذلك.

ذهبت إلى السيرك، وتسكعت في الجانب الخلفي إلى أن ابتعد الحارس، فدخلت مُتسللًا من أسفل الخيمة. كان معي قطعة العشرين دولارًا الذهبية وبعض الفكة، إلا أنني اعتقدت أنه من الأفضل توفيرها، فلست أدري متى قد أحتاج إليها، وأنا بين الغرباء بعيدًا عن مدينتي بهذه الطريقة. لا يجب أن تكون بالغ البخل. ولست أعارض إنفاق المال على السيرك إذا لم تكن هناك وسيلة أخرى للدخول، ولكن إهدار المال على السيرك لن يعود بفائدة.

كان سيركًا جيدًا بحق. كان أروع استعراض على الإطلاق حين دخلوا جميعًا على الخيول، اثنان يليهما اثنان، رجل وسيدة، جبنًا إلى جانب، والرجال يرتدون ملابسهم الداخلية فقط، بلا أحذية أو مهاميز، ويضعون أيدهم فوق أفخاذهم بسهولة ويسر- كان هناك ما يقرب من عشرين رجلًا- وكل سيدة بسيماء جميلة، وجميلة تمامًا، كأنهن مجموعة من الملكات الحقيقيات، يرتدين ملابس مُرصعة بالألماس، تساوي ملايين الدولارات. كان مشهدًا عارمًا مُذهلًا؛ لم أشاهد شيئًا في مثل روعته من قبل. ثم هبطوا عن الخيول ووقفوا على حافة الحلبة في رقة وتماوج وجمال، والرجال يبدون بالغي الطول والحيوية واستقامة الجسم، ورؤوسهم تتمايل وتمر بسرعة، مرفوعة عاليًا تحت سقف الخيمة، وذيول فساتين النساء ترفرف بنعومة حريرية حول أردافهن،



fb/mashro3pdf

كأنها مظلات رائعة الجمال.

وبعدها مضوا أسرع فأسرع، يرقصون جميعًا، يرفعون ساقًا في الهواء أولًا ثم يرفعون الأخرى، والخيـول تميـل أكـثر فـأكثر، ومـدير الحلبـة يـدور في المنتصف ويفرقع بالسوط في الهواء وهـو يـصيح "هـاي! - هـاي!"، والمهـرج يطلق النكات من خلفه؛ وبعد قليل تركت الأيدي ألجمة الخيـول، ووضـعت كل سيدة يديها على ردفها، وفرد الرجال أيديهم في الهواء، فيما الخيـول تعـدو وتدور من تلقاء نفسها! ثم غادروا الحلبة الواحد بعد الآخر، وهـم ينحنـون بطريقة لم أر أجمل منها من قبل، وهرولوا بعدها، والجميع يصفقون بجنون.

حسنًا، قدم السيرك عروضًا مُدهشة في كافة الفقرات؛ وطوال الوقت كاد المهرج يقتل الناس من كثرة الضحك. لم يستطع مدير الحلبة أبدًا أن يوبخـه بكلمة، لأنه كان يرد عليه في لمح البصر بـأكثر الكلمـات الـتي يمكـن أن تسمعها إثارة للضحك؛ ولم أستطع حتى الآن فهم كيف تسنى له أن يفكر في الكثير من النكات، بمثل هذه الـسرعة والقـدرة على الإلقـاء. فـلا يمكنـني التوصل إلى ما قال بعد سنة.

وبعد قليل، حاول أحد المخمورين أن يدخل إلى الحلبة- قال إنه يريد أن يركب حصانًا؛ وقال إنه قادر على ركوب الخيل أفضل مـن أي شـخص آخـر. تحاوروا معه وحاولوا منعه، إلا أنه لم يستمع إليهم، فتوقف العرض تمامًا. ثم بدأ الجمهور يصيح ويسخر منه، فجُن جنونه، وراح يرغي ويزبـد؛ ذلـك مـا تسبب في هياج الجمهور، وغادر البعض دككهم وتزاحمـوا نحـو الحلبـة وهـم يهتفون "اضربوه! اطردوه!"، وصرخت سيدة أو سيدتان. لذلـك تحـدث آنئـذٍ مدير الحلبة قليلًا وقال إنه لم يكن يتمنى أن يحـدث أي إزعاج، وإذا وعـد



fb/mashro3pdf

الرجل ألا يثير المزيد من المشاكل، فسوف يجعله يركب حصانًا إن استطاع الثبات عليه. ضحك الجميع ووافقوا، وامتطى الرجل الحصان.

بمجرد أن جلس فوق السرج، بدأ الحصان يرغي ويزبد ويقفز ويجري وهو يتقافز، فتعلق اثنان من العاملين بالسيرك بلجامه في محاولة لإيقافه، فيما تعلق الرجل المخمور برقبته، وقدماه ترتفعان في الهواء مع كل قفزة من الحصان، والجمهور يصيح ويصرخ ويضحك حتى سالت الدموع من العيون. وفي النهاية، فشلت جهود كل رجال السيرك، وأفلت الحصان وانطلق يعدو بعيدًا وهو يدور ويدور في الحلبة، وذلك السكِّير معلق برقبته، وإحدى قدميه معلقة تكاد تلامس الأرض من جانب، والأخرى على الجانب الآخر، وأصيب الجمهور بالجنون. لم يكن الأمر مُضحكًا بالنسبة لي مع ذلك؛ فقد كنت أرتعد لدى رؤية هذا الموقف الخطير. ولكن سرعان ما تمكن الرجل من الاعتدال على السرج واختطف اللجام، وتحكم في الحصان على نحوٍ ما؛ وفي اللحظة التالية نهض وألقى باللجام ووقف على ظهر الحصان! والحصان يعدو كأن النار تشتعل فيه. وقف الرجل ثابتًا في مكانه، يدور بالحصان بسهولة ويُسر، كأنه لم يسكر في حياته- وحينها بدأ يخلع ملابسه ويلقي بها في الهواء. كان يرميها بكثافة حتى زحمت الهواء، ورمى سبع عشرة قطعة من الملابس. وحينها، ظهر الرجل على حقيقته؛ نحيلًا ووسيمًا، ويرتدي ثيابًا فخمة من أجمل ما قد ترى من ثياب، وضرب الحصان بالسوط ليزيد من سرعته- وفي النهاية قفز عن ظهر الحصان، وانحنى ليلقي التحية على الجمهور، وتراقص وهو في طريقه إلى غرفة الملابس، بينما الجمهور في قمة السعادة والدهشة.



fb/mashro3pdf

آنئذٍ اكتشف مدير الحلبة لحظتها كم هو أحمق ومُغفل، وأنه أسوأ مدير حلبة على الإطلاق، في اعتقادي. فقد كان الرجل أحد العاملين معه! وكان قد فكر في الخدعة من دون أن يخبر أحدًا. حسنًا، لقد شعرت بمدى حماقتي حين خُدعت بالحيلة، إلا أنني لم أكن لأتمنى أن أكون في موقف مدير الحلبة، ولو أعطوني ألف دولار. لا أدري؛ فربما كان هناك سيرك أفضل من هذا، لكني لم أشاهده بعد. على أية حال، فقد كان هذا السيرك جيدًا بما فيه الكفاية بالنسبة لي؛ وأينما سأرى سيركًا في المستقبل فسأدخله، وستصبح هذه عادتي دائمًا.

حسنًا، في تلك الليلة قدمنا عرضنا؛ ولكن لم يحضره سوى نحو اثني عشر شخصًا- ما يكفي فقط لسداد المصروفات. كانوا يضحكون طوال الوقت، وهو ما أثار جنون الدوق؛ وغادر الجميع- على أية حال- قبل أن ينتهي العرض، عدا طفل واحد كان نائمًا. لذا قال الدوق إن مغفلي ولاية "أركانسو" لا يستطيعون الارتقاء إلى "شكسبير"؛ فهم يريدون كوميديا رخيصة- وربما يريدون شيئًا أسوأ من الكوميديا الرخيصة، حسب ظنه. وقال إنه يستطيع تقديم ما يناسب ذوقهم. لذا، ففي الصباح التالي، أعد مجموعة من إعلانات الحائط كبيرة الحجم من ورق التغليف، وبعض الرسوم باللون الأسود، ورسم بعض الإعلانات الصغيرة، وقام بلصقها في جميع أنحاء المدينة. وجاء في هذه الإعلانات ما يلي:

**في قاعة المدينة!**

**لمدة ثلاث ليالٍ فقط!**

المـمثل العالمي المعروف



fb/mashro3pdf

**دافيد جارك ذا ينجر**

**و-**

**"إيدموند كين ذا أولدر"**

الممثل بمسارح لندن والكونتيننتال،

في التراجيديا المُثيرة

**زرافة الملك،**

**أو**

**العدم الملكي!!!**

سعر الدخول خمسون سنتًا

وفي نهاية الإعلان سطر أكبر من جميع السطور؛ جاء فيه:

**ممنوع دخول السيدات والأطفال.**

وقال: "إن لم يجذبهم هذا السطر، فإنني لا أعرف "أركانسو".

fb/mashro3pdf

# الفصل الثالث والعشرون

انهمك الدوق والملك في العمل طوال النهار، من أجل تجهيز المنصة والستار، وأضواء المسرح عن طريق صف من الشموع؛ وفي تلك الليلة امتلأ المكان بالرجال في لمح البصر. وحين لم يعد المكان يستوعب المزيد، غادر الدوق شباك التذاكر واستدار من الخلف إلى خشبة المسرح، ثم وقف أمام الستارة وألقى خطبة قصيرة، امتدح فيها مسرحيته، وقال إنها الأكثر إثارة على الإطلاق؛ ومضى في التفاخر بالمسرحية والممثل "إيدموند كين ذا أولدر"، الذي سيؤدي الدور الرئيسي بها؛ وحين أثار حماسة الجمهور بما يكفي، قام بفتح الستار. وفي اللحظة التالية، تقدم الملك عاريًا وهو يتقافز على يديه وقدميه؛ وجسمه كله مطلي بخطوط ودوائر، بكل الألوان، في روعة قوس قزح نفسه. ودعك من باقي ملابسه؛ فقد كانت همجيةً تمامًا، إلا أنها كانت مضحكة للغاية. كاد الناس يموتون من الضحك؛ وعندما كان الملك يتقافز ثم تقافز مُغادرًا خشبة المسرح، قهقه الناس زأروا وصفقوا بحرارة وهاجوا



fb/mashro3pdf

واستمروا في الصياح حتى عاد وقام بأداء المشهد مرةً أخرى، ثم جعلوه يؤدي المشهد من جديد. حسنًا، فقد كان يمكن أن يُضحك بقرة إن رأت ما يقوم به هذا المغفل العجوز على المسرح.

ثم ترك الدوق الستار ينسدل، وانحنى للجمهور، وقال إن العرض العظيم لن يستمر سوى ليلتين فقط، بسبب ضغط الارتباطات المُلحة في لندن، حيث بيعت كل التذاكر في مسرح "دروري لين"؛ ثم انحنى لهم مرةً أخرى، وقال لهم إن كان حقًا نجح في إسعادهم وتعليمهم، فسوف يكون ممتنًا للغاية إن أخبروا أصدقاءهم ليحضروا ويشاهدوا العرض.

هتف نحو عشرين شخصًا: "ماذا، هل انتهى العرض؟ أهذا كل شيء؟"

قال الدوق: "أجل". ثم ساد الهرج. صاح الجميع "خداع"! ونهضوا في غضب، وكانوا على وشك الصعود إلى خشبة المسرح والفتك بالممثلين. إلا أن رجلًا ضخمًا ووسيمًا قفز على إحدى الدكك وصاح:

- "انتظروا! كلمة واحدة يا سادة". توقفوا ليسمعوا. أكمل الرجل: "لقد خُدعنا- خدعنا بشكل مُشين، لكننا لا نريد أن نصبح أضحوكة المدينة، فيما أظن، وألا يعايرنا أحد بما حدث طوال عمرنا. كلا، ما نريده هو أن ننصرف بهدوء، ونتحدث بشكل طيب عن هذا العرض، ونخدع باقي المدينة! آنئذٍ نكون جميعًا في مركب واحد. ألا يبدو هذا منطقيًا؟"

هتف الجميع: "هو منطقي تمامًا!- القاضي على حق!"

- "حسنًا، إذن- فلا كلمة واحدة عن الخداع. اذهبوا إلى بيوتكم، وانصحوا الجميع بالحضور إلى هنا ومشاهدة هذه المسرحية".

في اليوم التالين لم يكن هناك حديث في المدينة سوى عن روعة



fb/mashro3pdf

المسرحية. وامتلأ المكان بالناس مرةً أخرى تلك الليلة، وخدعنا الجمهور بالطريقة نفسها. وحين وصلنا إلى الطوف، أنا والملك والدوق، تناولنا العشاء جميعًا؛ وبعد قليل، في نحو منتصف الليل، طلبا مني ومن "چيم" أن نمضي بالطوف ونبحر في منتصف النهر، وأن نبحث عن مكان لنخبئها فيه على بعد ميلين من المدينة.

وفي الليلة الثالثة، امتلأ المكان مرةً أخرى- لم يكونوا جمهورًا جديدًا هذه المرة، بل مَن حضروا من قبل في الليلتين السابقتين. وقفت إلى جوار الدوق عند الباب، ولاحظت أن كل جيوب الرجال مُنتفخة، أو أنهم يخفون أشياء تحت المعاطف- وبالطبع لم تكن أشياء عطرية، دون حاجة لإمعان النظر. فقد شممت رائحة بيض فاسد، وكرنب عفن، ومثل هذه الأشياء؛ وإذا ما كنت أعرف الدلائل على قطة ميتة بالمكان، وبالتأكيد أعرفها، فقد كانت هناك أربع وستون قطة ميتة دخلت إلى المكان. اندفعت إلى الداخل لمدة دقيقة، إلا أن الرائحة لم تكن تطاق؛ ولم أتحملها. حسنًا، فعندما أصبحت القاعة لا تحتمل المزيد من الناس، أعطى الدوق ربع دولار لأحد الأشخاص وطلب منه الوقوف مكانه على الباب لدقيقة، ثم اتجه إلى باب خشبة المسرح، فتبعته؛ وحين دخلنا الممر وأصبحنا في الظلام، قال لي:

- "سر بسرعة الآن إلى أن تخرج من المكان، ثم انطلق كالريح كأن الشياطين تطاردك إلى أن تصل إلى الطوف".

فعلت ذلك، وفعل هو الشيء نفسه. وصلنا إلى الطوف في الوقت نفسه، وفي أقل من لحظتين كنا نبحر بالطوف، وليس سوى الظلام والسكون، في اتجاه منتصف النهر، دون أن ينطق أحد بكلمة. ظننت أن الملك البائس



fb/mashro3pdf

يمر بوقت عصيب مع الجمهور، إلا أن هذا لم يحدث؛ حيث زحف بعد قليل خارجًا من أسفل الكوخ، وقال: "حسنًا، كيف كانت الخدعة هذه المرة، أيها الدوق؟"، لم يكن قد ذهب إلى المدينة من الأساس.

حرصنا على عدم إظهار أي ضوء حتى أصبحنا على بعد عشرة أميال تقريبًا من القرية. بعدها أشعلنا النار وتناولنا العشاء، وضحك الملك والدوق كثيرًا على الطريقة التي خدعا بها الجمهور. قال الدوق:

-: مغفلون! أغبياء! كنت أعلم أن جمهور الليلة الأولى سيبقى صامتًا ويحاول توريط المدينة كلها؛ وكنت أعلم أنهم سينصبون لنا فخًا في الليلة الثالثة، ويعتبرونها فرصتهم للانتقام. حسنًا، إنها فرصتهم، وأنا على استعداد لدفع مبلغ من المال لأعرف كيف كانت صدمتهم، أتمنى لو أرى كيف سيتصرفون حين يعرفون حقيقة فرصتهم. يمكن أن يحولوا الأمر إلى رحلة خلوية إن رغبوا في ذلك- فلقد أحضروا الكثير من الطعام".

لقد حصل الوغدان على أربعمائة وخمسة وستين دولارًا في الليالي الثلاث. لم أر مبلغًا ضخمًا من المال مثل هذا من قبل. وبعد قليل، حين ناما يشخران، قال "چيم": "ألا تدهشك الطريقة التي يتصرف بها الملكان، يا "هاك"؟"

- "كلا، لستُ مندهشًا".

- "لماذا، يا "هاك"؟"

- "حسنًا، لستُ مندهشًا، لأن الأمر يتعلق بالطباع. وأعتقد أن كل الملوك يتصرفون بالطريقة نفسها".

- "ولكن، يا "هاك"، هذان الملكان مجرد وغدين؛ هذه هي حقيقتهما،



fb/mashro3pdf

مجرد وغدين".

- "حسنًا، هذا ما أقول؛ كل الملوك غالبًا أوغاد، حسب اعتقادي".

- "وهل هذا صحيح؟"

- " إن قرأت عنهم مرةً واحدة فقط، فستعرف(*). إن ملكنا هذا يُعتبر مدرسًا في مدرسة الأحد إذا قارنت بينه وبين "هنري الثامن". وكذلك الأمر بالنسبة لكل من "شارل الثاني"، و"لويس الرابع عشر"، و"لويس الخامس عشر"، و"جيمس الثاني"، و"إدوارد الثاني"، و"رتشارد الثالث"، وأربعين ملكًا غيرهم؛ بالإضافة إلى أن الملوك من أصول سكسونية كانوا يعيثون في الأرض فسادًا، ويعيدون ذكرى قابيل. آه، لو كنت رأيت "هنري الثامن" في شبابه. لقد كان شيئًا مختلفًا. كان يتزوج فتاة جديدة كل ليلة، ويقطع رقبتها في صباح اليوم التالي. كان يفعل هذا من دون مبالاة، كأنه يأمر بإحضار بيضة. يقول: "أحضروا نيل غوين". فيقومون بإحضارها. وفي صباح اليوم التالي يقول: "اقطعوا رقبتها!" فيقطعون رقبتها. ثم يقول: "أحضروا جين شور"؛ فتأتي. وفي صباح اليوم التالي، "اقطعوا رقبتها"- فيقطعون رقبتها. "أرسلوا في طلب فير روثمان". فتلبي "فير روثمان" النداء. وفي صباح اليوم التالي "اقطعوا رقبتها". وكان يطلب من كل واحدة منهن أن تحكي له حكاية كل ليلة؛ واستمر على هذا المنوال حتى أُتخم بألف حكاية وحكاية، ثم جمعها كلها في كتاب، وأسماه "كتاب يوم القيامة"- وقد كان اسمًا على مُسمى، فهو يذكر ما حدث للزوجات. أنت لا تعرف الملوك، يا "چيم"، إلا أنني أعرفهم؛ وهذا

(*) يسرد "هاك" معلومات تاريخية مغلوطة.



fb/mashro3pdf

الوغد العجوز الذي يصحبنا هو واحد من أطهر الملوك في التاريخ. حسنًا، إذا أراد "هنري" إثارة المشاكل مع دولتنا. كيف كان سيتصرف- تخيل؟- هل كان سيقدم لهم عرضًا مسرحيًا؟ كلا. كان سيأتي على حين غرة، ويلقي بكل الشاي الموجود في ميناء "بوسطن" في الماء، ويمزق "إعلان الاستقلال" والويل لمن يعترض. كان هذا أسلوبه- ولن يمنح أحدًا أية فرصة للاعتراض. حدث أن شك في أبيه، دوق "ولينجتون". حسنًا، ماذا فعل؟ هل طلب منه أن يأتي لزيارته؟ كلا- لقد أغرقه في برميل من الويسكي، كأنه قطة. افترض أن الناس تركوا نقودًا في مكان يواجد فيه- ماذا سيفعل؟ سيأخذ النقود. افترض أن أحدهم استأجره ليقوم له بمهمة، ودفع له الأجر، ولم يجلس ليراقبه وهو يقوم بها- فماذا سيفعل؟ سيفعل دائمًا أي شيء آخر. افترض أنه فتح فمه- فماذا سيحدث؟ ستنطلق الأكاذيب من فمه طوال الوقت إن لم يسارع ويغلقه بقوة. هذه هي نوعية الملك "هنري"؛ ولو ان معنا بدلًا من هؤلاء، لكان قد خدع تلك المدينة بطريقة أسوأ منهما عشرات المرات. أنا لا أقول إنهما حملان وديعان، لأنهما ليسا كذلك، حين تواجه الحقيقة المرة؛ إلا أنهما لا شيء مُقارنة بذلك الكبش العجوز "هنري"، على أية حال. كل ما أقوله، إن الملوك هم الملوك، ولك حرية الاختيار. إنهم عينة واحدة مشاكسة، لا فارق بينهم. فلهم جميعًا النشأة نفسها".

- "لكن رائحة هذا الملك كريهة مثل كومة من القمامة، يا "هاك".

- "حسنًا، لهم جميعًا الرائحة نفسها، يا "جيم". ولا نملك شيئًا تجاه رائحة الملك؛ كما أن التاريخ لم يذكر شيئًا عن رائحتهم".

- "ولكن الدوق يبدو رجلًا عاديًا في بعض النواحي".



fb/mashro3pdf

- "أجل، الدوق مختلف. ولكن ليس إلى حد كبير. إنه لا يبدو كدوق. إلا أنه حين يشرب الخمر لا يمكنك التمييز بينه وبين أحد الملوك".

- "حسنًا، على أية حال، لا أريد المزيد منهم، يا "هاك". فأنا بالكاد أحتملهما".

- "وهذا شعوري نفسه، يا "چيم". إلا أنهما معنا بالفعل، وعلينا أن نتذكر طبيعتهما، ونتسامح معهما. أتمنى أحيانًا أن نصل إلى بلد لم يعد به ملوك".

ما الفائدة من إخبار "چيم" بأنهما ليسا ملكًا ودوقًا حقيقيين؟ لن يكون له نفع؛ بالإضافة إلى أنهما، كما قلت؛ لا يمكن تمييز الفارق بينهما وبين الملوك الحقيقيين.

ذهبت للنوم، ولم يوقظني "چيم" عندما حان دوري. كثيرًا ما يفعل هذا. وعندما استيقظت قرب بزوغ ضوء النهار، كان جالسًا ورأسه بين ركبتيه، يبكي وينتحب. تظاهرت أنني لم ألحظ، ولم أتدخل. فقد كنت أعرف السبب. كان يفكر في زوجته وأطفاله، البعيدين هناك، فيما يعاني من البؤس والإحساس بالحنين؛ فهو لم يبتعد- من قبل، طوال حياته- عن المنزل الذي عاش فيه؛ وأنا على يقين أنه يهتم بأهله كما يهتم الرجل الأبيض بأهله. لا يبدو ذلك طبيعيًا، لكنني أظن أن الأمر كذلك. فكثيرًا ما يبكي وينتحب بهذه الطريقة في الليل، حين يظن أنني نمت، ويقول: "صغيرتي المسكينة "ليزابيث"! صغيري المسكين "جوني"! إنه مؤلم للغاية؛ أعتقد أنني لن أراكما مرةً أخرى، لن أراكما مرةً أخرى!"، كان "چيم" زنجيًا بالغ الطيبة.

قررت هذه المرة أن أتحدث معه عن زوجته وأطفاله، وبعد قليل قال:

- "ما جعلني أشعر بالحزن الشديد هذه المرة هو أنني سمعت صوتًا قادمًا



fb/mashro3pdf

من هناك على ضفة النهر يشبه صوت الضرب العنيف، أو الصفعات، منذ برهة، فتذكرت كيف كنت أعامل ابنتي "إليزابيث" بقسوة. كانت في الرابعة من عمرها فقط، حين أصابتها الحمى القرمزية، وساءت حالتها الصحية؛ إلا أنها سرعان ما تحسنت، وذات يوم كانت تقف بالقرب مني، وقلت لها:

- "أغلقي الباب"، فلم تفعل، تسمرت مكانها، وهي تبتسم لي. أصابني الجنون، فقلت بصوت مرتفع:

- "ألا تسمعين؟ أغلقي الباب"، فتسمرت مكانها بالطريقة نفسها وهي تبتسم. كنت أغلي من الغضب، فقلت لها:

- "أقسم أن أجعلك تحترمين كلامي".

"وأمسكت بها وصفعتها على جانب رأسها وألقيت بها أرضًا. ثم ذهبت بعدها إلى الحجرة الأخرى، وخرجت بعد عشر دقائق؛ فرأيت الباب لا يزال مفتوحًا، والطفلة تقف بجواره، وهي تنظر إلى الأرض وتبكي. يا إلهي، لقد أصابني الجنون! اتجهت نحوها، ولكن في تلك اللحظة هبت رياح وأغلقت الباب، خلف الطفلة، بلام!- إلا أنها لم تتحرك! انقطعت أنفاسي؛ وشعرت بـ- شعرت- لا أعرف كيف كان شعوري. تسللت وأنا أرتجف، وفتحت الباب بهدوء، ثم وضعت رأسي خلف ظهر الطفلة، الساكنة، وقلت فجأةً "بووو"! بأقصى قوتي. لم تهتز أبدًا! آه، يا "هاك"، انخرطتُ في البكاء، وضممتها إلى صدري، وقلت لها: "أيها المخلوق الصغير المسكين، بحق الرب القدير سامحي "جيم" المسكين العجوز، لأنه لن يسامح نفسه طوال حياته!" يا إلهي، لقد أصبحت صماء بكماء، يا "هاك"، صماء بكماء- وأنا أعاملها هكذا!"



fb/mashro3pdf

# الفصل الرابع والعشرون

في اليوم التالي، وقرب حلول المساء، اختبأنا تحت برزخ صفصاف صغير في منتصف النهر، حيث تقع قرية على كل جانب من جانبي النهر، وبدأ الدوق والملك يضعان خطة لتنفيذها في كلا القريتين. قال "چيم" للدوق إنه يتمنى ألا يستغرق الأمر سوى بضع ساعات، لأنه يتعب من تركه مربوطًا بالحبال في الكوخ طوال اليوم. فكما ترى، فعندما نغادر الطوف ونتركه بمفرده، نضطر إلى ربطه، فإذا جاء أحدهم ورآه غير مربوط فسوف يظن أنه زنجي هارب، كما تعلم. لذا قال الدوق إنه من الصعب أن نضطر إلى تركه مربوطًا بالحبال طوال اليوم، وقال إنه سوف يفكر في طريقة ما ليجد حلًا لهذا الأمر.

كان الدوق حاد الذكاء، وسرعان ما وجد فكرة. جعل "چيم" يرتدي ثياب "الملك لير"- عباءة طويلة من قماش الستائر القطني، وباروكة بيضاء مصنوعة من شعر الخيل، وسوالف؛ ثم استخدم دهان المسرح في طلاء وجه



fb/mashro3pdf

"چيم" ويديه وأذنيه ورقبته بلون أزرق داكن ثقيل تمامًا، كأنه غريق قضى في الماء تسعة أيام. كان وجهه أبشع ما رأيت في حياتي. بعدها كتب الدوق فوق قطعة من الخشب العبارة التالية:

عربي مريض- لكنه مُسالم طالما لم يتهيج.

ثم ثبت قطعة الخشب على لوح خشبي بالمسامير، ووضعها على بعد أربعة أقدام أو خمسة أقدام أمام الكوخ. وشعر "چيم" بالرضا. قال إن شكله البشع أرحم من الاستلقاء مُقيدًا لوقت طويل كل يوم، والارتجاف كلما سمع صوتًا. طلب منه الدوق أن يتحرك على حريته وراحته، وإذا ما اقترب أحد من الطوف، فما عليه إلا الدخول إلى الكوخ، والتحمل قليلاً، وإطلاق صيحة أو صيحتين كأنه حيوان متوحش، واعتقد أن من يقترب منه سيهرب على الفور ويتركه وشأنه. وبدا كلامه منطقيًا إلى حد كبير؛ ولكن إذا أخذتَ في اعتبارك الرجل العادي، فإنه لن ينتظر ليسمع الصيحة. فهو لا يبدو فحسب كالميت، بل أبشع من ذلك بمراحل.

كان الوغدان يريدان تجربة عرض "العدم الملكي" مرةً أخرى، لأنه جلب الكثير من المال، إلا أنهما فكرا في خطورته، فربما تناثرت الأخبار ووصلت إلى القرية بالفعل. ولم يتوصلا لفكرة مناسبة؛ لذلك قال الدوق في النهاية إنه يظن من الأفضل أن يستلقي ويفكر لمدة ساعة أو ساعتين ليرى ما يمكن عمله في هذه القرية التابعة لـ"أركانسو"؛ واقترح الملك أن ينزل إلى القرية من دون خطة، ويعتمد على الرب في هدايته إلى طريقة مربحة- يقصد الشيطان، فيما أظن.

كنا قد اشترينا ملابس جاهزة من آخر مكان توقفنا فيه؛ ارتدى الملك



fb/mashro3pdf

ملابسه الجديدة، وطلب مني أن أرتدي ملابسي. وبالطبع، فعلت ذلك. كانت كل ملابس الملك سوداء، وبدا فيها منتفخًا فعلاً ومتصلبًا. لم أعرف من قبل كيف يمكن للملابس أن تغير شكل الجسم. فقد كان يبدو من قبل عجوزًا متهتكًا أحمق، إلا أنه الآن، بعد أن خلع قبعته البيضاء، وقام بالانحناء والابتسام، بدا مهيبًا وطيبًا وتقيًا، كأنه قد خرج لتوه من سفينة "نوح"، أو ربما اللاوي العجوز نفسه.

قام "چيم" بتنظيف الزورق، وجهزت مجذافي. كانت هناك باخرة كبيرة ترسو على الشاطئ بعيدًا، على بُعد ثلاثة أميال من القرية- ظلت في موقعها لمدة ساعتين، للتحميل. قال الملك:

- "أترون كيف أبدو أنيقًا، من الأفضل في اعتقادي أن أقول إنني قادم من مدينة "سانت لويس" أو "سينسناتي"، أو أية مدينة كبيرة. اتجه بالزورق إلى الباخرة يا "هاكلبيري"؛ فسوف ننزل إلى القرية منها".

لم يكن عليَّ أن أسمع الأمر مرتين لكي أتجه نحو الباخرة. اتجهت نحو الشاطئ على بُعد نصف ميل شمال القرية، ثم جذفت بمحاذاة الضفة في المياه الهادئة. وسرعان ما اقتربنا من قروي شاب لطيف تبدو عليه البراءة، يجلس على الشاطئ فوق لوح خشبي والعرق يسيل من وجهه، فقد كانت الطقس شديد الحرارة؛ وإلى جواره حقيبتان من قماش السجاجيد.

قال الملك: "توجه بالزورق نحو الشاطئ إليها". ففعلت.

- "ماذا تنتظر، أيها الشاب؟"

- "أنتظر باخرة؛ متجهة إلى "نيو أورليانز"".

- "اقفز إلى الزورق"- قال الملك. "انتظر دقيقة، سوف يساعدك خادمي في



fb/mashro3pdf

حمل الحقائب. اقفز كي تساعد السيد، يا "أدولفوس".

فهمت أنه يقصدني، ففعلت ما طلب مني، ثم انطلقنا نحن الثلاثة مرةً أخرى. كان الشاب ممتنًا للغاية؛ وقال إن حمل الحقائب مرهق للغاية في مثل هذا الطقس. وسأل الملك عن وجهته، فأخبره أنه قادم من الشمال عبر النهر، ورسا في القرية الأخرى صباح اليوم، إلا أنه يتجه لزيارة صديق قديم في مزرعة على بعد بضعة أميال شمالًا.

قال الشاب: "حين وقع بصري عليك قلت لنفسي لا بد أنه السيد "ويلكس"، بكل تأكيد، وجاء في موعده بالضبط". ثم قلت لنفسي، "كلا، لا أظن أنك هو، فهو لن يأتي مجذفًا عبر النهر. لست هو، أليس كذلك؟"

- "كلا، اسمي "بولجيت" -"ألكسندر بولجيت"- **المُحترم** "ألكسندر بولجيت"، وأعتقد أنني يجب أن أقول ذلك، حيث إنني أحد خدم الرب الفقراء. إلا أنني أبدي أسفي لتأخر السيد "ويلكس"، في نفس الوقت، وأتمنى ألا يكون قد فاته شيء بسبب تأخره".

- "حسنًا، لم يفقد أملاكه بسبب تأخره، فسوف يحصل عليها قريبًا؛ ما فاته هو رؤية أخيه "بيتر" وهو يحتضر- ربما لا يهتم بهذا الأمر أيضًا، لا يستطيع أحد أن يجزم بذلك- إلا أن أخاه ود لو يدفع أي شيء في العالم من أجل رؤيته قبل أن يموت؛ فلم يكن له حديث طوال الأسابيع الثلاثة الماضية سوى عن ذلك؛ حيث لم يره منذ كانا طفلين- ولم ير أخاه "ويليام" على الإطلاق- أخوهما الأصم الأبكم- الذي ربما تجاوز عمره الثلاثين أو الخامسة والثلاثين. لم يحضر إلى هنا سوى "بيتر" و"جورج"؛ كان "جورج" هو الأخ المتزوج، مات هو وزوجته العام الماضي. لم يتبق منهم على قيد الحياة



fb/mashro3pdf

سوى "هارفي" و"ويليام" الآن، وكما قلت، لم يصلا في الوقت المناسب".

- "وهل أرسل إليهم أحد خطابًا؟"

- آه، أجل؛ منذ شهر أو شهرين، عندما مرض "بيتر"؛ فقد قال آنذاك إنه لن يتحسن هذه المرة. وكما ترى، فهو كهل؛ وبناته أصغر من يكن رفقةً طيبة له، عدا "ماري جين"، الفتاة ذات الشعر الأحمر؛ لذلك شعر بالوحدة بعد موت "جورج" وزوجته، ولم يبد أنه مهتم كثيرًا بأن يعيش. كان يرغب بشدة في رؤية "هارفي"- و "ويليام" أيضًا، من أجل هذا الأمر- لأنه من ذلك النوع من الناس الذي لا يحتمل كتابة وصية. لقد ترك خطابًا يُفتح بعد وفاته إلى "هارفي"، وقال إنه حدد فيه المكان الذي أخفى فيه نقوده، والطريقة التي يود بها توزيع بقية أملاكه، وبالتالي ستنال بنات "جورج" نصيبًا مرضيًا- لأن "جورج" لم يترك لهن شيئًا. وكان هذا الخطاب هو الشيء الوحيد الذي جعلوه يكتبه".

- "ولماذا تظن أن "هارفي" لن يحضر؟ أين يعيش؟"

- "آه، إنه يعيش في "إنجلترا" –"شيفيلد"- كاهن بروتستانتي- ولم يعش في هذا البلد من قبل. ليس لديه الوقت الكافي للحضور- وفضلاً عن ذلك فربما لم يصله الخطاب على الإطلاق، كما تعلم".

- "أمر مؤسف للغاية، مؤسف للغاية ألا يتمكن من العيش حتى يرى إخوته، ذلك الإنسان المسكين. قلت إنك ذاهب إلى "أورليانز"؟"

- "أجل، إلا أنه جزء من الرحلة فقط. فسوف أركب سفينة، يوم الأربعاء القادم، مُتجهًا إلى "ريو دي جانيرو"، حيث يعيش عمي".

- "يا لها من رحلة طويلة. إلا أنها ستكون ممتعة؛ أتمنى لو ذهبتُ في رحلة



fb/mashro3pdf

مثلها. هل "ماري جين" هي أكبر الفتيات؟ كم عمر الأخريات؟"

- "ماري جين" في التاسعة عشرة من عمرها، و"سوزان" في الخامسة عشرة، و"جوانا" في الرابعة عشرة تقريبًا- إنها الفتاة الي وهبت نفسها للأعمال الخيرية، ولها شفة أرنبية".

- "يا لهن من مسكينات! أن يتُركن وحيدات في هذا العالم القاسي".

- "حسنًا، لا يمكن أن يتعرضن للسوء. فـ"بيتر" العجوز له أصدقاء، ولن يسمحوا بتعرضهن للأذى. هناك "هوبسون"، الواعظ المعمداني، و"ديكون لوت هوفي"، و"بن راكر"، و"أبنر شاكيلفورد"، و"ليفي بل"، المحامي؛ والطبيب "روبينسون"، وزوجاتهم، والأرملة "بارتلي"، و- حسنًا، هناك الكثير منهم؛ لكن هؤلاء هم المقربون إلى "بيتر"، وكان يكتب عنهم أحيانًا حين يرسل خطابات إلى إخوته؛ لذلك سيجد "هارفي" الكثير من الأصدقاء حين يصل إلى القرية".

حسنًا، واصل الرجل العجوز طرح الأسئلة حتى استنفد معلومات الشاب تمامًا. أقسم إنه سأل عن كل فرد وكل شيء في تلك القرية المباركة، وكل شيء عن عائلة "ويليكس"؛ وكل شئون "بيتر"- الذي كان يعمل في دبغ الجلود؛ وعن كل ما يخص "جورج"- الذي كان نجارًا؛ وعن "هارفي"- الذي كان يعمل واعظًا دينيًا؛ إلخ، إلخ. ثم قال:

- "ولماذا كنت تريد السير كل هذه المسافة إلى الباخرة؟"

- "لأنها إحدى بواخر "أورليانز" الكبيرة، وخشيت ألا تتوقف هنا. فعندما تمتلئ بالركاب لا تتوقف لأحد. يمكن أن تقف باخرة من "سنسناتي"، لكن هذه باخرة من "سانت لويس".



fb/mashro3pdf

- "هل "بيتر ويلكس" ميسور الحال؟"

- "آه، أجل، ميسور الحال إلى حـد كبـير. لديـه منـازل وأرض زراعيـة، وهناك اعتقاد أنه يخفي ثلاثة أو أربعة آلاف دولار نقدًا في مكان ما".

- "ومتى مات، حسبما قلت؟"

- "أنا لم أقل، ولكنه مات ليلة أمس".

- "والجنازة في الغد، على الأرجح؟"

- "أجل، في منتصف النهار تقريبًا".

- "حسنًا، إنه لأمر مُحزن للغاية؛ لكن الموت مكتوب علينا، ذات يـوم. لذا علينا الاستعداد؛ وساعتها سنكون على ما يُرام".

- "أجل يا سيدي، هذا هو الصواب، ودائما ما تقول أمي هذا الكلام".

عندما وصـلنا إلى البـاخرة كانـت على وشـك الانتهـاء مـن التحميـل، والانطلاق. لم يتحدث الملك عن الـصعود على متنهـا، وفقـدت فرصـتي في ركوب باخرة. وعندما تحركت الباخرة، طلب مني الملك التجديف لميل آخر إلى مكان مُنعزل، ثم نزل إلى الشاطئ، وقال:

- "عد بسرعة، في الحال، وأحضر الدوق هنا، والحقائب الجديدة. وإذا كان قد ذهب إلى القرية على الجانب الآخر، فاذهب إلى هناك وابحث عنه. اطلـب منه الحضور أيًا كان ما يفعله. هيا انطلق، الآن".

فهمت ما ينتويه؛ إلا أنني لم أنطق، بالطبع. وعندما عدت ومـعي الدوق، أخفينا الزورق، ثم جلسا معًا فوق جذع خشبي، وأخبره الملك بكـل شيء، كما قاله الشاب- كلمة، كلمة. وكان يحاول طوال الوقت التحدث كأنـه رجـل انجليزي؛ ونجح في ذلك إلى حد بعيـد، أيـضًا، بالنـسبة لمتـشرد. لا أسـتطيع



fb/mashro3pdf

تقليده، وبالتالي فلن أحاول ذلك؛ إلا أنه نجح فعلًا إلى حد بعيد. ثم سأل:

- "هل تستطيع أداء دور الأصم الأبكم، يا "بيلجووتر"؟

فأجاب الدوق: "اعتمد عليَّ في هذا"؛ وأضاف أنه لعب دور شخص أصم وأبكم من قبل على خشبة المسرح. وجلسا في انتظار الباخرة.

وعند منتصف النهار تقريبًا، مرت علينا باخرتان صغيرتان، يبدو أنهما قادمتان من أعالي النهر؛ لكن في النهاية مرت باخرة كبيرة، فصاحا عليها. أرسلوا لنا قاربًا صغيرًا، وصعدنا على متنها، كانت قادمة من "سنسناتي"؛ وعندما اكتشفوا أننا لا نريد سوى الذهاب لمسافة أربعة أو خمسة أميال، أصابهم الجنون، ووجهوا إلينا السباب، وقالوا إنهم لن يتوقفوا لإنزالنا. إلا أن الملك تحدث بهدوء، قائلًا:

- "حين يدفع السادة دولارًا لكل ميل، لكي يصعد إلى الباخرة وينزل منها في قارب صغير، فعلى الباخرة أن تقله، أليس كذلك؟"

هكذا هدأوا وقالوا إن هذا على ما يُرام؛ وعندما وصلنا إلى القرية، أنزلونا في القارب إلى الشاطئ. كان هناك دستة من الرجال تجمعوا حين شاهدونا القارب الصغير قادمًا، فقال لهم الملك:

- "هلا تعطف أحد السادة وأخبرنا أين يعيش السيد بيتر ويلكس؟"، تبادلوا النظرات، وهزوا رؤوسهم، وكأنهم يقولون: "ماذا نقول لكم؟"، ثم قال أحدهم، بنبرة رقيقة ومُهذبة:

- "أعتذر، يا سيدي. لكن أفضل ما يمكن أن نقول لكم هو المكان الذي كان يعيش فيه حتى مساء الأمس".

وفجأةً في لمح البصر، اندفع العجوز الحقير نحو الرجل، وانكب عليه،



fb/mashro3pdf

ووضع ذقنه على كتفه، وبكى حتى سالت دموعه على ظهر الرجل، وقال:

- "وا أسفاه، وا أسفاه، أخونا المسكين- مات، ولم نتمكن من رؤيته أبدًا؛ آه، يا إلهي! إنه لأمر عسير على النفس، عسير للغاية!"

ثم استدار، منتحبًا، وقام بعمل إشارات بلهاء بيديه للدوق، الذي ألقى بالحقائب وانخرط في البكاء. كانا أمهر مُحتالين قابلتهما في حياتي.

حسنًا، تجمع الناس حولهما وتعاطفوا معهما، وقالوا لهما كل الكلمات الطيبة، ثم حملوا عنهما الحقائب ونحن نصعد التل، وتركوهما يتكئان عليهم ويبكيان، وأخبروا الملك بكل ما كان من أخيه في لحظاته الأخيرة، والملك يترجم ما يقولون للدوق بلغة الإشارة، وبكيا على ذلك الدباغ الميت كأنهما يبكيان على تلاميذ المسيح الاثني عشر. حسنًا، فلأكن زنجيًّا إن كنت قد رأيت مثل هذا من قبل. فما رأيت كافٍ ليجعلني أشعر بالعار من الجنس البشري.

fb/mashro3pdf

# الفصل الخامس والعشرون

تطايرت الأخبار في أنحاء القرية في دقيقتين، وكان بمقدورك أن ترى الناس وهم يجرون نحونا من كل تجاه، وبعضهم يكمل ارتداء المعاطف في الطريق. وسرعان ما أصبحنا في منتصف حشد من الناس، ووقع أقدامهم كأنه مسيرة عسكرية. كانت النوافذ والأبواب ممتلئة؛ ومن حين لآخر يقول أحدهم، من خلف سياج:

- "هل وصلوا؟"

فيرد عليه أحد السائرين في الموكب قائلًا: "بكل تأكيد".

عندما وصلنا إلى المنزل، كان الشارع قد اكتظ بالناس، وعلى الباب تقف الفتيات الثلاث. كانت "ماري جين" ذات شعر أحمر، إلا أن هذا لا يقلل من جمالها، فقد كانت غاية في الجمال، كما كان وجهها وضاحًا وعيناها لامعتين من السعادة بحضور عميها. فرد الملك ذراعيه فاندفعت إلى صدره، بينما اندفعت ذات الشفة الأرنبية إلى صدر الدوق، وغمرت الفرحة الجميع.



fb/mashro3pdf

بكى الجميع تقريبًا- على الأقل النساء- من السعادة لرؤية هذا اللقاء العائلي بعد طول انتظار، وقضاء مثل هذه اللحظات الممتعة.

ثم انتحى الملك بالدوق جانبًا -رأيته يفعل ذلك- وبعدها نظر حولهما ورأى التابوت، في أحد الزوايا، موضوعًا فوق كرسيين؛ فاتجه إليه هو والدوق ببطء وحزن ومهابة، وقد وضع كل منهما يده على كتف الآخر، واليد الأخرى على عيونهما، فأفسح الجميع المجال لهما، وتوقف الحديث والضجيج، وقال بعضهم "هش"، وخلع الرجال قبعاتهم وخفضوا رؤوسهم، لدرجة أنك تسمع رنة الإبرة على الأرض. وحين وصلا إلى التابوت، انحنيا عليه ونظرا في التابوت نظرةً واحدة، ثم انخرطا في البكاء بصوت مرتفع أراهن أنك غالبًا ستسمعه وأنت في "أورليانز"؛ ثم أحاط كل منهما رقبة الآخر بذراعه ووضع ذقنه على كتف الآخر لمدة ثلاث أو ربما أربع دقائق. لم أر في حياتي رجلين يبكيان مثلما فعلا. وبالطبع، كما تعرف، فعل الجميع مثلهما؛ حتى ابتل المكان بالدموع كما لم أر من قبل. ثم ذهب كل واحد منهما إلى ناحية من التابوت، وركعا ووضعا جبهتيهما على التابوت، واستغرقا في الصلاة في صمت.

حسنًا، عندما حدث ذلك انفعل الحشد على نحو لم تر مثيلاً له من قبل، وانهار الجميع وانخرطوا في النحيب بصوت مرتفع- وكذلك بناته المسكينات أيضًا؛ وذهبت كل السيدات تقريبًا إلى الفتيات، بلا كلمة، وقبلت كل منهن الفتيات في جباههن بحزن، ثم وضعن أيديهن على رؤوسهن، ونظرن إلى السماء، والدموع تنهمر من العيون، قبل أن الطريق لغيرها وتكمل البكاء والنحيب في الخارج. لم أر مثل هذا المشهد المقزز من قبل.



fb/mashro3pdf

حسنًا، بعد قليل نهض الملك وتقدم إلى الأمام قليلًا، وأعد نفسه لإلقاء خطبة، وقد امتلأ بأكمله بالدموع واللغو عن المحاولة الأليمة له ولأخيه المسكين لفقد المريض(*)، وعدم تمكنهم من رؤيته وهو على قيد الحياة بعد رحلة طويلة قطعا فيها أربعة آلاف ميل، إلا أنها محاولة خفف منها وأضفى عليها القدسية بالنسبة لنا بهذا التعاطف العزيز وتلك الدموع القدسية، ولذلك يتوجه إليهم بالشكر من كل قلبه ومن قلب أخيه، لأن ألسنتهم لا تستطيع الشكر؛ فالكلمات تبدو ضعيفة وباردة، ثم استمر في هذا اللغو والبلاهة إلى حد مثير للغثيان؛ وبعدها انتحب مطلقًا بكل تقوى "آمين"، ثم ترك لنفسه العنان ليدخل في نوبة بكاء حقيقية.

وبمجرد أن خرجت الكلمات من فمه، أنشد أحد الحضور ترنيمة، انضم إليه الجميع وأنشدوا بكل قوتهم، مما أشعرني بالاتياح، وانتابتني بهجة كأنني على وشك مغادرة الكنيسة. الموسيقى شيء رائع؛ تغسل الروح وتزيل عنها القاذورات، ولم أسمع من قبل موسيقى مريحة إلى هذا الحد، كما تبدو بسيطة وقوية.

ثم بدأ الملك يتحدث من جديد، وأعرب عن أنه سيكون سعيدًا إن تناول أصدقاء العائلة الأساسيون العشاء معهم هنا في المساء، وساعدوهم بشأن رماد المريض؛ وقال إن أن أخاه المسكين الراقد هنا لو استطاع أن

---

(*) يخلط "الملك" بين كلمتَي diseased (مريض) وdeceased (متوفًى)؛ وهو خلط مقصود من المؤلف إمعانًا في كشف مدى جهل "الملك"؛ شأن استخدامه- في موضع لاحق- لـ funeral orgies (عربدات الجنازة)، وغيرها، مما يخرج عن السياق المباشر.



fb/mashro3pdf

ينطق، لنطق الأسماء بنفسه، لأنها أسماء عزيزة عليه، وذكرها كثيرًا في خطاباته؛ وأظنه كان سينطق هذه الأسماء كما يلي: القس السيد "هوبسون"، و"ديكون لوت هوفي"، والسيد "بن باكر"، و"آبنر شاكلفيلد"، و"ليفي بيل"، والدكتور "روبنسون"، وزوجاتهم، والأرملة "بارتلي".

كان القس "هوبسون" والطبيب "روبنسون" يصطادان معًا في آخر القرية، بمعنى أن الطبيب كان يشحن أحد المرضى إلى العالم الآخر، بينما يحدد له القس الطريق الصحيح. كما كان المحامي "بيل" في رحلة عمل على مسافة بعيدة في مدينة "لويسفيل". إلا أن الباقين كانوا موجودين، فتقدموا لمُصافحة الملك وتبادل الحديث معه وشُكره، ثم صافحوا الدوق من دون أن يقولوا له شيئًا، بل ابتسموا فحسب، وهم يهزون رؤوسهم كمجموعة من البلهاء، فقام هو بعمل كل أنواع الإشارات بيديه، وأصدر صوتًا: "جوو-جوو-جوو-جوو-جوو" طوال الوقت، كأنه طفل صغير لا يستطيع التحدث.

وبدأ الملك يثرثر، واستعلم عن كل كبيرة وصغيرة في القرية، وسأل عن الجميع بأسمائهم، وكان يذكر كل أنواع التفاصيل التي حدثت في القرية ذات يوم، أو لعائلة "جورج"، أو لعائلة "بيتر". وكان دائمًا ما يدعي أن "بيتر" كتب له عن هذه الأشياء، لكنها كانت كذبة؛ فقد علم بكل شيء عنهم من الشاب الذي أوصلناه بالقارب إلى الباخرة.

ثم أحضرت "ماري جين" الخطاب الذي تركه والدها، وقرأه الملك بصوت مرتفع وهو يبكي. أوصى الخطاب للفتيات بالمنزل الذي يقيمون فيه وثلاثة آلاف دولار من الذهب؛ وأوصى بالمدبغة (التي كانت تدر ربحًا جيدًا) وبعض المنازل والأراضي (التي تبلغ قيمتها نحو سبعة آلاف) وثلاثة آلاف دولار



fb/mashro3pdf

ذهبي لكل من "هارفي" و"ويليام"، وذكر أن هناك ستة آلاف دولار قام بإخفائها في القبو. فقال هذان المُحتالان إنهما سيذهبان لإحضارها، ليكون كل شيء واضحًا وصريحًا؛ وطلبا مني أن أذهب معهما بشمعة. أغلقنا باب القبو خلفنا، وعندما وجدا الحقيبة، أفرغا محتوياتها على الأرض، وكان من الرائع رؤية كل هذه القطع الذهبية. يا إلهي، لقد التمعت عينا الملك بطريقة غريبة! وربت على كتف الدوق وقال:

- "آه، هل رأيت جمالًا يفوق هذا! آه، لا، لا شيء يفوق هذا المشهد جمالًا في ظني، إن هذه الخدعة تفوق خدعة مسرحية العدم الملكي، أليس كذلك، يا "بيلي"؟"

وافق الملك على هذا الرأي. قبضا على القطع الذهبية، وتركاها تسقط مجلجلة على الأرض من بين أصابعهما؛ وقال الملك:

- "لا جدوى من الكلام؛ لكوننا أشقاء رجل ثري ميت والورثة الشرعيين لثروة تكونت من دبغ الجلود ولن يرثها سوى أنا وأنت، يا "بيلجي". إنها جزاء ثقتنا في الرب. إنها أفضل شيء على المدى الطويل. لقد جربت كل السُبل، وما من سبيل أفضل من الثقة بالرب".

كان لأغلب الناس أن يشعروا بالرضا وهم ينظرون إلى كومة الذهب، ويثقون بعددها؛ لكن لا، فلابد أن يحصوها. لهذا قاموا بذلك، فاكتشفا نقص أربعمائة وخمسين دولارًا. فقال الملك:

- "عليه اللعنة، ماذا فعل بالأربعمائة وخمسين دولارًا تلك؟"

فكرا في الأمر قليلًا، ثم قاما بتفتيش القبو بحثًا عن المبلغ، ثم قال الدوق:



fb/mashro3pdf

- "حسنًا، لقد كان رجلًا مريضًا تمامًا، وربما أخطأ في الحساب- على حسب اعتقادي. أفضل شيء أن نتجاهل الأمر، ولا نتحدث عنه. يمكننا الاستغناء عن هذا المبلغ".

- آه، للأسف، أجل، يمكننا الاستغناء عنه. أنا لست مهتمًّا أبدًا بذلك- فما يهمني هو العدد، يجب أن نتسم بالصراحة والوضوح في كل شيء علنًا، كما تعرف. يجب أن نصعد بهذه الحقيبة، ونقوم بعد النقود أمامهم جميعًا- حتى لا نثير الشكوك. ولكن طالما قال المرحوم إنها ستة آلاف دولار، كما تعلم، فنحن لا نريد أن-".

قال الدوق: "انتظر، فلنكمل المبلغ"، وبدأ يخرج قطعًا ذهبية من جيبه.

- "إنها فكرة مدهشة للغاية، أيها الدوق- لديك رأس ذكية رائعة. وها هي خدعة عرض العدم الملكي تساعدنا مرةً أخرى".

وبدأ الملك يُخرج المال من جيبه هو الآخر، ويضعه فوق النقود. كادت نقودهما تنفد، إلا أنهما أكملا الستة آلاف دولار بالتمام والكمال.

قال الدوق: "اسمع، عندي فكرة أخرى. هيا نصعد ونقوم بعَد النقود، ثم نمنحها للفتيات".

- يا إلهي، أيها الدوق، دعني أعانقك! إنها أعظم فكرة خطرت ببال أحد. فلديك بالتأكيد رأس مدهشة أكثر مما رأيت قبلك. آه، إنها أفضل خطة على الإطلاق، ولا خطأ فيها، بلا جدال. فسوف تقضي على شكوكهم تجاهنا تمامًا- هذه الفكرة ستبدد كل الشكوك".

عندما صعدنا السلالم، جلسوا جميعًا حول المنضدة، وبدأ الملك في عد النقود ورصها، كل ثلاثمائة دولار في كومة- اثنتي عشرة كومة رشيقة. نظر



fb/mashro3pdf

الجميع إليها بجوع، ولعقوا شفاههم. ثم ألقوا نظرة خاطفة عليها وهي تعود إلى الحقيبة، ورأيت الملك يبدأ في نفخ نفسه استعدادًا لإلقاء خطبة أخرى:

"أيها الأصدقاء جميعًا، لقد كان أخي المسكين الذي يرقد هناك كريمًا مع كل من تركهم خلفه، والحزن يلفهم. كان كريمًا مع حمليه الصغيرين المسكينين اللذين أحبهما ووفر لهما الحماية، واللذين أصبحا بلا أب أو أم. أجل، ونحن من عرفناه نعرف أنه كان من الممكن أن يزيد من كرمه لولا خوفه من الإجحاف بحق عزيزه "ويليام" وبحقي، أليس كذلك؟ لا جدال في ذلك برأيي. حسنًا، إذن، فأي نوع من الأشقاء الذي يمكن أن يعرقل هذا السبيل في مثل هذا الوقت؟ وأي نوع من الأعمام الذي يسلب- أجل، يسلب- هذين الحملين البريئين المسكينين اللذين أحبهما كثيرًا في مثل هذا الوقت؟ وإذا كنت أعرف أخي "ويليام" حق المعرفة – وأنا أعتقد ذلك أنني أعرفه- فإنه- حسنًا، سوف اسأله حالًا".

استدار، وبدأ يتحدث مع الدوق بإشارات وحركات بيديه، نظر الدوق له ببلاهة وغباء في لبرهة؛ ثم بدا عليه فجأةً أنه التقط المعنى، ثم قفز نحو الملك وهو يتأتئ بكل قوته من الفرح، واحتضنه نحو خمسة عشرة مرةً. ثم أكمل الملك: "كنت أعرف ذلك، وأظن أن ذلك سوف يقنع الجميع بالطريقة التي يحس بها فيما يتعلق بالأمر. والآن، "ماري جين"، "سوزان"، "جونا"، فلتأخذن المال- فلتأخذنه كله. إنه هدية من ذلك الرجل الذي يرقد هناك، سعيدًا رغم برودة جسمه".

اتجهت "ماري جين" نحوه، بينما اتجهت "سوزان" وذات الشفة الأرنبية إلى الدوق، وانهالا عليهما بالعناق والقبلات من جديد، بطريقة لم أرها حتى



fb/mashro3pdf

الآن. وملأت الدموع عيون الجميع، وصافح أغلب الحاضرين المُحتالَين، وقالوا لهما:

- "يا أصحاب الأرواح الطيبة! – يا له من شيء رائع! كيف تسنى لكما التصرف بتلك الطريقة!"

حسنًا، فسرعان ما انهمك الجميع في الحديث عن المريض مرةً أخرى، وعن مدى طيبته، وعن فداحة خسارته، وما إلى ذلك؛ وبعد قليل، أقحم نفسه من الخارج رجل ذو فك حديدي(*)، ووقف يستمع وينظر من دون أن ينطق؛ ومن دون أن يتحدث إليه أحد، لأن الملك كان يتحدث، وكانوا مُنهمكين في الاستماع إليه. أكمل الملك حديثه:

"- كانوا الأصدقاء الأقرب إلى المريض. وهذا هو سبب دعوتهم على العشاء هذا المساء؛ أما في الغد، فنحن نود أن يحضر الكُل- الجميع؛ فقد احترم الجميع، وأحب الجميع؛ ومن الأنسب أن تكون عربدة جنازته عامة".

وهكذا استمر في الثرثرة، كأنه معجب بسماع نفسه، ومن حين لآخر يعيد ذكر "طقوس العربدة" من جديد؛ حتى فاض الكيل بالدوق وكتب له على ورقة صغيرة "طقوس الجنازة، أيها العجوز الأحمق"، طوى الورقة في يده ثم نهض يُتأتئ وأعطاه الورقة من دون أن يراه الحضور. قرأ الملك الورقة، ثم وضعها في جيبه، ثم قال:

- "المسكين "ويليام"، المبتلَى كما ترون، قلبه دائمًا يُلهمه الصواب. فهو يطلب مني أن أدعو الجميع لحضور الجنازة- ويطلب مني الترحيب بهم

---

(*) يدعم فكه بدعامة حديدية.



fb/mashro3pdf

جميعًا. ولكن عليه ألا يقلق- فقد كنت على وشك قول ما أراد".

ثم بدأ يتحدث من جديد، بكل هدوء، واستمر يعيد كلمة "طقوس العربدة" من حين لآخر، كما فعل في السابق. وفي المرة الثالثة قال:

- "لقد قلت العربدة لأنها مصطلح شائع، بينما "طقوس الجنازة" مصلح غير شائع- فالعربدة هي المصطلح الصحيح. لم نعد نستخدم "طقوس الجنازة" في انجلترا الآن- لقد اختفى هذا المصطلح. نقول الآن في انجلترا "طقوس العربدة". وهو أفضل، لإنه يُعبر عن قصدك بالضبط. فهي تتألف من مقطعين، الأول ORGO اليوناني، أي الخارج، في الهواء الطلق؛ والثاني JEESUM العبري، أي تزرع أو تغطي؛ أو تدخل. وهكذا، كما تلاحظون، فـ"طقوس العربدة" تعني جنازة عامة، أو في الهواء الطلق".

وكان ذلك من أسوأ ما سمعت. حسنًا، ضحك الرجل ذو الفك الحديدي أمامه تمامًا. أصيب الجميع بصدمة. وقال الجميع: "ماذا حدث يا دكتورا"، وقال "أنبر شاكلفورد": "غريبة، ألم تسمع الأخبار، يا "روبنسون"؟ هذا هو "هارفي ويلكس".

ابتسم الملك بحماسة، ومد يده ليصافح الطبيب، ويقول: "أهذا هو الطبيب والصديق العزيز لأخي المسكين؟ أنا -"

قال الطبيب: "أبعد يدك عني! أنت تتحدث كرجل إنجليزي، أليس كذلك؟ إنه أسوأ تقليد سمعته. أأنت شقيق "بيتر ويلكس"! أنت محتال، هذه هي الحقيقة".

حسنًا، كم رد عليه الحضور! تزاحموا حول الطبيب وحاولوا تهدئته، وشرحوا له وأخبروه كيف أثبت لهم بكل الطرق أنه "هارفي"، وأنه يعرف



fb/mashro3pdf

الجميع بالاسم، بل يعرف أسماء الكلاب، وتوسلوا وتوسلوا إليه ألا يجرح مشاعر "هارفي" ومشاعر الفتيات البائسات، وما إلى ذلك. لكن بلا جدوى؛ فقد اهتاج قائلًا: أي رجل يدعي أنه إنجليزي ويتحدث بمثل تلك اللكنة يكون إما مُحتالًا أو كاذبًا. تعلقت الفتيات البائسات بالملك وهن يبكين؛ فاستدار الطبيب فجأةً نحوهن وقال:

- "لقد كنت صديق والدكن، وأنا صديقكن؛ وأحذركم كصديق وشخص أمين يريد حمايتكن، وإبعاد الأذى والمشاكل عنكن، ابتعدن عن هذا المُحتال، ولا شأن لكن به، ذلك المتشرد الجاهل، بمصطلحاته اليونانية والعبرية البلهاء، كما يدعي. إنه أسوأ أنواع النصابين- جاء إلى هنا بالكثير من الأسماء والحقائق الفارغة، التي التقطها من مكان ما، واعتبرتموها أدلة، وساعدكم هؤلاء الأصدقاء الحمقى على خداع أنفسكن، وكان يُفترض أن يتصرفوا بطريقة أفضل. "ماري جين ويلكس"، أنت تعلمين أنني صديقك، صديقك المُخلص، أيضًا. الآن أنصتي إليّ؛ اطردي هذا الوغد البائس- أرجوكِ أن تفعلي هذا. هل ستفعلين؟"

اعتدلت "ماري جين"، يا إلهي، إنها جميلة! ووضعت حقيبة النقود في يد الملك، ثم قالت:

- "هذه هي إجابتي- خذ الستة آلاف دولار، واستثمرها لي ولأختيَّ بالطريقة التي تراها، ولا تكتب لنا إيصالًا باستلامها".

ثم أحاطت الملك من جانبه بذراعها، وأحاطته "سوزان" وذات الشفة الأرنبية من الجانب الآخر. صفق الجميع وضربوا الأرض بأرجلهم بقوة كالعاصفة، فيما رفع الملك رأسه عاليًا وابتسم بفخر. قال الطبيب:



fb/mashro3pdf

- "وهو كذلك؛ سأنفض يدَيَّ من هذا الأمر. لكنني أحذركم جميعًا من أنه سيأتي وقت تشعرون فيه بالغثيان حينما تفكرون فيما حدث اليوم". ثم انصرف.

قال الملك بسخريةٍ ما: "وهو كذلك، أيها الطبيب، سنحاول، ونجعلهم يطلبونك"؛ وهو ما جعل الحضور جميعًا يضحكون، وقالوا إنه نال من الطبيب ببراعة.

fb/mashro3pdf

# الفصل السادس والعشرون

حسنًا، عندما انصرف الحضور، سأل الملك "ماري جين" عن الحجرات الإضافية، فقالت إن هناك حجرة واحدة، ستفي بالغرض بالنسبة للعم "ويليام"، وأنها ستترك حجرتها، الأكبر قليلًا، للعم "هارفي"، وستذهب هي إلى حجرة أختيها، وتنام فيها على سرير صغير؛ وفي العِلِّية حجرة صغيرة، بها فراش من القش. فقال الملك إنها تصلح لخادمه- وكان يقصدني.

هكذا اصطحبتنا "ماري جين" إلى الطابق العلوي، وقادتهما إلى غرفتيهما اللطيفتين رغم بساطتهما. ثم قالت إنها ستخرج الفساتين وغيرها من الحاجيات من غرفتها إن كانت ستعوق حركة العم "هارفي"؛ لكنه قال إنها لن تعوقه في شيء. كانت الفساتين مُعلقة على الحائط، خلف ستارة من قماش قطني تتدلى إلى أرضية الحجرة. وهناك صندوق قديم في أحد الأركان، وصندوق جيتار في ركن آخر، والكثير من الحُلي وأدوات الزينة التي تملأ بها الفتيات حجراتهن. قال الملك إن هذه التفاصيل تجعل الحجرة مألوفة



fb/mashro3pdf

ومريحة أكثر، ولا داع لنقلها. كانت حجرة الدوق صغيرة إلى حدٍّ ما، لكنها تفي بالغرض تمامًا، وكذلك حجرتي.

في تلك الليلة، أقيمت وليمة عشاء ضخمة، حضرها كل الرجال والنساء، ووقفت خلف كرسي الملك والدوق لأخدمهما، ووقف الزنوج خلف باقي الحضور لخدمتهم. جلست "ماري جين" على رأس الطاولة، مع سوزان إلى جوارها، وقالت كم أن البسكويت رديء، والمخلل سيء، والدجاج المقلي نيء وجامد- وغيرها من الثرثرة التي ترد بها السيدات على عبارات المديح؛ بينما يعرف الجميع أن الطعام ممتاز، وقالوا هذا- قالوا: "كيف تجعلين البسكويت ذهبيًا ولذيذًا هكذا؟"، و"من أين تحصلين، بحق السماء، على هذا المخلل المُدهش؟"، وغيرها من الثرثرة، بذات الطريقة التي يتحدث بها الناس أثناء العشاء، كما تعلم.

وحين انتهى العشاء، تناولت عشائي مع ذات الشفة الأرنبية في المطبخ من البقايا، بينما كانت الأخريان تساعدان الزنوج في التنظيف. سألتني ذات الشفة الأرنبية عن انجلترا، ويجب أن أعترف أنني خشيت من أن ينكشف أمري. سألتني: "هل رأيت ملكًا من قبل؟"

- "من؟ "ويليام الرابع"؟ حسنًا، أقسم أنني رأيته- إنه يذهب إلى كنيستنا". كنت أعلم أنه مات منذ سنوات، لكني لم أخبرها. وحين سمعتني أقول إنه يذهب إلى كنيستنا، قالت:

- "ماذا- يذهب إلى الكنيسة بانتظام؟"

- "أجل- بانتظام. ومقعده مقابل مقعدنا- في الناحية الأخرى من المذبح".



fb/mashro3pdf

- "كنت أظن أنه يعيش في "لندن"؟"

- "أجل، فأين سيعيش؟"

- "ولكني أظن أنكم تعيشون في "شيفلد"؟"

ارتبكت. تظاهرت أنني اختنقت بسبب قطعة من عظام الدجاجة، ليكون لديَّ وقت للتفكير كي أخرج من هذا المأزق. ثم قلت:

- "أقصد أنه يذهب إلى كنيستنا بانتظام حين يكون في "شيفلد". ويحدث هذا صيفًا فقط، حين يأتي ليأخذ حمامًا في البحر".

- "ماذا تقول؟ "شيفلد" ليست على البحر".

- "ومن قال إنها على البحر؟"

- "أنت".

- "لم أقل هذا".

- "بل قلت".

- "لم أقل".

- "بل قلت".

- "لم أقل شيئًا من هذا القبيل".

- "وماذا قلت إذن؟"

- "قلت يأتي ليأخذ حمامات بحرية- هذا ما قلت".

- "وكيف سيأخذ حمامات بحرية إن لم يكن هناك بحر؟"

- "سأشرح لكِ، هل رأيت ماء الكونجرس(*) من قبل؟"

(*)ماء مالح يأتي من نبع في نيويورك.



fb/mashro3pdf

- "أجل".

- "وهل يجب أن تذهبي إلى الكونجرس لتحصلي عليه؟"

- "كلا".

- "كذلك لا يضطر "ويليام الرابع" إلى الذهاب إلى البحر لكي يحصل على حمامات بحرية".

- "وكيف يحصل عليها إذن؟"

- "بالطريقة نفسها التي يحصل بها الناس هنا على ماء الكونجرس- بالبراميل. ففي قصر "شيفلد" أفران، لأنه يريد الماء ساخنًا. ولا تتوافر مثل هذه الكميات من المياه الساخنة عند البحر. ليست لديهم إمكانات تسخينها".

- "فهمت، الآن. كان يمكن أن تقول هذا من البداية وتوفر الوقت".

حين قالت ذلك، أحسست أنني خرجت من الورطة مرةً أخرى، لذلك كنت مرتاحًا وسعيدًا. وبعد ذلك، قالت: "هل تذهب إلى الكنيسة بانتظام؟"

- "أجل- بانتظام".

- "وأين تجلس؟"

- "فوق مقعدنا".

- "مقعد من؟"

- "مقعدنا- مقعد عمك "هارفي".

- "مقعده؟ ولماذا يحتاج إلى مقعد؟"

- "يحتاجه ليجلس عليه. ماذا تظنينه سيفعل بالمقعد؟"

- اعتقدت أنه سيقف إلى المذبح".



fb/mashro3pdf

اللعنة، لقد نسيت أنه واعظ. وقعت في مأزق مرةً أخرى، فادعيت مرةً أخرى الاختناق بسبب عظم الدجاجة، وفكرت قليلًا. ثم قلت: "اللعنة، أتظنين أنه لا يوجد سوى واعظ واحد في الكنيسة؟"

- "ولماذا يحتاجون إلى أكثر من واعظ؟"

- "ماذا!- ليعظ أمام الملك؟ لم أقابل فتاة مثلك. إن لديهم ما يزيد عن سبعة عشر واعظًا".

- "سبعة عشر! يا إلهي! لا يمكنني احتمال مثل هذا العدد، وإلا لما دخلت إلى ملكوت الرب. لا بد أنهم يعظون لمدة أسبوع".

- "إنهم لا يعظون جميعًا في اليوم نفسه - واعظ فقط كل يوم".

- "حسنًا، وماذا يفعل الباقون، إذن؟"

- "آه، لا شيء يُذكر. يجولون، يمررون أطباق المُناولة- ويقومون بعمل شيء أو آخر. ولكن عامة لا يفعلون شيئًا".

- "حسنًا، وما فائدتهم، إذن؟"

- "إنهم من أجل المظاهر. ألا تعرفين أي شيء؟"

- "حسنًا، لا أريد أن أعرف شيئًا عن مثل هذه الحماقة. وكيف يُعاملون الخدم في إنجلترا؟ أيعاملونهم أفضل مما نعامل زنوجنا؟"

- "كلا! الخدم هناك بلا قيمة. يعاملونهم أسوأ من معاملة الكلاب".

- "ألا يمنحونهم إجازات، كما نفعل، في الكريسماس، وأسبوع رأس السنة، والرابع من يوليو؟"

- "آه، اسمعي! فالمرء يستطيع أن يفهم من كلامك أنك لم تذهبي إلى إنجلترا على الإطلاق. اسمعي يا ذات الشفة الأر-، اسمعي يا "جوانا"، إنهم لا



fb/mashro3pdf

يعرفون الإجازات طوال العام؛ ولا يذهبون مُطلقًا إلى السيرك، أو المسرح، أو عروض الزنوج، أو أي مكان".

- "ولا الكنيسة؟"

- "ولا الكنيسة".

- "لكنك تذهب دومًا إلى الكنيسة".

حسنًا، وقعت في مأزق مرةً أخرى. نسيت أنني خادم الرجل العجوز. إلا أنني وجدت تفسيرًا في اللحظة التالية، عن الفارق بين الخادم الخاص والخادم العادي، وأنني يجب أن أذهب إلى الكنيسة شئت أم أبيت، وأجلس مع العائلة، بحسب القانون. لكن يبدو أنني لم أقدم تفسيرًا مُقنعًا، فحين انتهيت من كلامي، لم يبد عليها الاقتناع.

قالت: "والآن، بصدق، ألم تكذب عليَّ كثيرًا؟"

- "بصدق".

- "ولا كذبة واحدة؟"

- "ولا كذبة واحدة. لم أكذب في كلامي".

- "ضع يدك على هذا الكتاب وأقسم".

لم يكن الكتاب سوى قاموس، لذلك وضعت يدي عليه وأقسمت. فبدا عليها الاقتناع، وقالت: "حسنًا، إذن، سوف أصدق بعض ما قلت؛ ولكني أدعو الرب أن أتمكن من تصديق باقي كلامك".

سألتها "ماري جين" وهي تدخل وخلفها "سوزان": "ما الذي لن تصدقيه، يا "جوي"؟ ليس من الصواب أو الطيبة أن تتحدثي إليه بهذه الطريقة، وهو غريب، بعيد عن أهله. أتودين أن يعاملك أحد بالطريقة نفسها؟"



fb/mashro3pdf

- "هذه طريقتك دومًا، يا "مايم" - دائمًا ما تتبرعين لمساعدة الآخرين، قبل أن يتعرضوا للأذى. لم أفعل له أي شيء. لقد قال بعض المُبالغات، فيما أعتقد، وقلت له إنني لا أبتلعها على الإطلاق؛ وهذا كل ما قلته أولًا عن آخر. وأظن أنه سيحتمل شيئًا صغيرًا هكذا، أليس كذلك؟"

- "لا يعنيني إن كان الأمر كبيرًا أو صغيرًا؛ إنه في منزلنا، كما أنه غريب، وليس من اللائق أن توجهي له هذا الكلام. ولو كنتِ في مكانه، لكان عليكِ أن تشعري بالخجل؛ لذا فعليكِ ألا تقولي شيئًا لشخص آخر؛ قد يُشعره بالخجل".

- "مايم"، لقد قال-"

- "لا يهم ما قال، هذا ليس لب الموضوع. لب الموضوع هو أن تعامليه بشكل رقيق، وألا تقولي له ما يجعله يتذكر أنه غريب عن أهله ووطنه.

قلت لنفسي، هذه هي الفتاة التي سأترك الخسيس العجوز يسلبها نقودها!

ثم وافقتها "سوزان" الرأي؛ ووجهت لذات الشفة الأرنبية لومًا يوقظ من في القبور، إن كنت تصدق ما أقول!

قلت لنفسي، هذه فتاة أخرى سأتركه يسلبها نقودها! ثم تدخلت "ماري جين" مرةً أخرى، وواصلت لومها بطريقة لطيفة- هذه هي طريقتها؛ لكنها هلهلت المسكينة ذات الشفة الأرنبية. لذلك تذمرَت.

قالت لها الفتاة الأخرى: "حسنًا، إذن، اطلبي منه الصفح".

طلبت مني الصفح، أيضًا؛ بطريقة جميلة. ذلك بطريقة جميلة سُررت لسماعها؛ وتمنيت أن أكذب عليها ألف كذبة حتى تفعل ذلك من جديد.



fb/mashro3pdf

قلت لنفسي، هذه فتاة ثالثة سأتركه يسلبها نقودها. وبعد أن اعتذرت، قمن بتغيير الموضوع ليجعلنني أشعر بأني في بيتي، وأدرك أنني بين أصدقائي. شعرت بالحقارة والوضاعة والدونية، مما جعلني أحسم أمري، وقلت لنفسي: سأحافظ على نقودهم أو أموت غيظًا.

آنئذٍ تركتهن، وقلت لهن إنني سأذهب للنوم، وأنا أقصد سأنام بعد قليل. وعندما انفردت بنفسي، بدأت أفكر في الأمر. قلت لنفسي، هل أذهب إلى الطبيب سرًّا، وأفضح هذين المُحتالين؟ كلا- لن يجدي هذا نفعًا. فقد يبوح باسم من أخبره؛ وحينها ينتقم الملك والدوق مني. هل أخبر "ماري جين" سرًّا؟ كلا- لن أفعل. فقد يعرفان أنني من أخبرها من تعبيرات وجهها، بكل تأكيد؛ كما أن النقود معهما، وقد يهربان بها. وإذا ما طلبت المُساعدة، فسوف أتورط في الأمر قبل أن يتم حسمه، حسب ما أعتقد. لا؛ ليس هناك سوى وسيلة وحيدة. لابد أن أسرق النقود، بطريقة ما؛ طريقة لا تجعلهما يشكان أنني مَن سرقتها. كما أن لديهما هدفًا يسعيان إليه، لذلك فلن يرحلا حتى يسلبا هذه العائلة وكل القرية كل ما لديهم من أشياء ثمينة، ولذلك سيكون لديَّ الوقت الكافي. سأسرق النقود وأخفيها؛ وبعد قليل، حين أكون في طريقي إلى النهر، سأكتب خطابًا أخبر "ماري جين" فيه عن مكان إخفائي للنقود. إلا أنه من الأفضل البدء في الخطة الليلة لو استطعت، لأن الطبيب ربما لم يستسلم تمامًا؛ وربما يخيفهما فيهربان من القرية.

لذا فكرت في تفتيش حجرتيهما. كانت الصالة في الطابق العلوي مظلمة، لكني وجدت حجرة الدوق، وبدأت أتحسس المكان بيديَّ؛ إلا أنني استنتجت أن الملك لن يسمح لأحد غيره بأن يحتفظ بالنقود؛ لذلك ذهبت



fb/mashro3pdf

إلى حجرته، وبدأت في تحسسها بيدَي. لكني أدركت أنني لا أستطيع عالقيام بأي شيء من دون شمعة، ولم أكن قد أشعلت واحدة، بالطبع. لذلك فكـرت في عمل شيء آخر- أختبئ وأتجسس عليهما. وفي هذا الوقت، سمعت صوت أقدامهما تقترب، وكنت سأختبئ تحت السرير؛ وصلتُ إليه فعلًا، إلا أنه لـم يكن موجودًا حيث توقعت؛ فلمست الستارة الـتي تخـفي فـساتين "مـاري جين"، فقفزت خلفها واختبأت بين فساتينها، ووقفت ساكنًا تمامًا.

دخلا الحجرة وأغلقا الباب؛ وكان أول مـا قـام بـه الدوق هـو الانحنـاء والنظر تحت السرير. ففرحت لأنني لم أجد السرير حينما أردت. ومع ذلـك، فمن الطبيعي أن يختبئ المرء تحت السرير إذا أراد السرية. جلسا آنئذٍ، وقـال الملك: "حسنًا، ما الأمر؟ اختصر قدر الإمكان، فمن الأفضل لنـا أن نكـون معهم في الأسفل نبكي وننوح بدلًا من منحهم فرصة الحديث بشأننا؟"

- "حسنًا، إليك الموضوع، أيها القائد. إنني لست مستريحًا، لستُ مطمئنًّا؛ فالطبيب يشغل بالي. أريد أن أعرف خططك. عنـدي فكـرة، وأعتقـد أنهـا صائبة".

- "ما هي، أيها الدوق؟"

- "من الأفضل أن ننسل من هنا قبل الثالثة فجرًا، وننطلق إلى النهر بما حصلنا عليه. خصوصًا أننا حصلنا عليه بكل سهولة- فقد رُد إلينا، وسقط في أيدينا، كما يمكن أن تقول، بعد أن كنا نخطط لسرقته. من رأيي أن ننهي الأمر ونهرب.

شعرت بالمرارة. أصبح الأمر مُختلفًا عما كان عليه منذ ساعة أو ساعتين، وجعلني أشعر بالمرارة والإحباط. اندفع الملك قائلًا: "ماذا! من دون أن نبيـع



fb/mashro3pdf

باقي الأملاك؟ نهرب كالمغفلين ونترك ثمانية أو تسعة آلاف دولار، ثمن ممتلكات متناثرة حولنا تتوسل لمن يأخذها؟- وكلها بضائع جيدة ورائجة، كذلك".

تذمر الدوق؛ وقال إن حقيبة الذهب كافية، وإنه لا يريد أن يتورط أكثر من هذا- ولا يريد سرقة كل ما لدى الأيتام.

- "كيف تقول هذا! لن نسرق سوى هذه النقود فقط! إن من يشتري الأملاك هو من سيُعاني؛ لأنه بمجرد اكتشاف أننا لا نملك هذه الأشياء- بعد وقت قصير من هربنا- فلن يصبح البيع صحيحًا، وسوف تعود إلى حوزتهن. ويعود إلى أيتامك هؤلاء منزلهن مرةً أخرى، وهذا كافٍ بالنسبة لهن؛ فهن شابات ونشطات، ويمكنهن كسب عيشهن بسهولة. ولن يتعرضن للمعُاناة. فكر في أن هناك آلافًا وآلافًا من الناس لا يعيشون حياة رغدة مثلهن. لن يكون هناك ما يشكون بشأنه".

حسنًا، أفحمه كلام الملك؛ وفي النهاية رضخ له، ووافق، إلا أنه قال إنه يعتقد أن البقاء حماقة سيدفعان ثمنها، وأن الطبيب يحوم حولهما. إلا أن الملك قال: "اللعنة على الطبيب! لماذا تهتم به؟ ألم نحشد كل حمقى القرية في صفنا؟ أليسوا أغلبية كافية في أية قرية؟"

استعدا للنزول مرةً أخرى. وقال الدوق: "لا أعتقد أننا وضعنا النقود في مكان مناسب". أبهجني ما قال، فقد بدأت أعتقد أنني لن أسمع منهما أي تلميح قد يُساعدني عن مكان النقود.

سأل الملك: "لماذ؟"

- "لأن "ماري جين" سوف تدخل إلى هنا في الصباح؛ ومن البديهي أن



fb/mashro3pdf

يتلقى الزنجي الذي ينظف الحجرة أمرًا بوضع أشيائها في صناديق ليأخذها إلى أى مكان آخر؛ أتظن أن الزنجي لن يسرق بعض النقود إن وجدها؟"

قال الملك: "تفكير سديد مرةً أخرى، أيها الدوق"؛ ثم جاء يتحسس ما تحت الستارة على بُعد قدمين أو ثلاثة من مكاني. التصقت بالجدار، وتسمرت مكاني، رغم ارتجافي؛ وسألت نفسي، ماذا يمكن أن يقولا لي إن أمسكا بي؛ وحاولت أن أفكر في أفضل ما يمكن قوله إن أمسكا بي. إلا أن الملك أخذ الحقيبة قبل أن أفكر في نصف فكرة حتى، ولم يساوره شك في وجودي. أخذا وضعا الحقيبة في شق بالمرتبة القش الموضوعة تحت المرتبة الريش، ودفعا بها إلى داخل القش بمقدار قدم أو اثنين، وقال إنها على ما يُرام الآن، لأن الزنجي لا ينظف سوى مرتبة الريش، ولا يقلب مرتبة القش سوى مرتين في العام؛ وليس هناك خطر من سرقتها الآن.

إلا أنني كنت أعرف الحقيقة أكثر منهما. أخرجتُ الحقيبة قبل أن يصلا إلى منتصف السلم، وحملتها إلى حجرتي الصغيرة، وأخفيتها هناك إلى أن تواتيني الفرصة لأجد مكانًا أفضل. فكرت أن من الأفضل إخفاءها في مكان ما خارج المنزل، لأنهما سيفتشان المنزل جيدًا إن علما باختفائها؛ أنا واثق من ذلك. تمددت على الفراش وأنا بكامل ملابسي؛ لكني لم أستطع النوم حتى إن كنت أرغب في ذلك، حيث كنت أتوق إلى إنهاء هذا الأمر. بعد قليل سمعت الملك والدوق يصعدان؛ فغادرت الفراش وانبطحت واضعًا ذقني على آخر درجات السلم، منتظرًا حدوث أي شيء. لكنه لم يحدث.

بقيت في مكاني إلى أن تلاشت كل الأصوات الليلية، ولم تبدأ أصوات الصباح بعد؛ آنئذٍ تسللتُ على السلم في هدوء.



fb/mashro3pdf

# الفصل السابع والعشرون

زحفت إلى بابي حجرتيهما وأنصتُ؛ كانا يشخران. لذا مشيت على أطراف أصابع قدميَّ، ونزلت السلالم بأمان. لم يكن هناك أي صوت في أي مكان. تلصصتُ عبر شرخ في باب حجرة الطعام؛ ورأيت الرجال الذين يحرسون الجثة يبدون نيامًا على كراسيهم. كان الباب المفضي إلى الصالون مفتوحًا، حيث ترقد الجثة، وهناك شمعة في كل من الحجرتين. مررت، وكان باب الصالون مفتوحًا؛ إلا أنني لم أجد سوى جثة "بيتر"؛ فعبرتُها؛ لكن باب المنزل الأمامي كان مُغلقًا، ولم يكن المفتاح به. في تلك اللحظة سمعت صوتًا قادمًا من خلفي لأقدام تنزل السلم. جريت في الصالون وألقيت نظرة سريعة حولي، وكان أفضل مكان أخفي فيه الحقيبة هو التابوت. كان غطاؤه مرفوعًا إلى الخلف بنحو قدم، ليظهر وجه الرجل الميت، وهو مُغطى بقطعة مُبللة من القماش، إضافة إلى قماش الكفن. دفعت حقيبة النقود تحت الغطاء، حتى وصلت إلى موضع تقاطع كفيه معًا، مما جعل جسمي يقشعر،



fb/mashro3pdf

فقد كانت كفاه باردتين، ثم جريت عبر الحجرة واختبأت خلف بابها.

كانت "ماري جين" هي الشخص القادم. اتجهت نحو التابوت، برقة شديدة، وركعت لتلقي نظرة؛ ثم أخرجت منديلها ورأيتها تبكي، رغم أنني لم أسمع صوتها؛ وكان ظهرها لي. تسللت خارجًا، وتجاوزت حجرة الطعام، ثم فكرت في التأكد من أن الحُراس لم يروني، فنظرت من شرخ الباب، وكان كل شيء على ما يُرام. فلم يتحرك أحد منهم.

انزلفتُ إلى فراشي، وأنا أشعر بالرعب، جرَّاء الطريقة التي تم بها الأمر، بعد المشقة التي لاقيتها والمخاطر التي تعرضت لها. قلت لنفسي، سيكون كل شيء على ما يُرام إن بقيت الحقيبة مكانها؛ فبعد أن نبتعد في الطوف مسافة مائة أو مائتي ميل، يمكنني أن أرسل خطابًا إلى "ماري جين"، فتستطيع أن تحفر مرةً أخرى وتحصل على النقود؛ لكن هذا ربما لا يحدث؛ فما سيحدث أنهم سيعثرون على الحقيبة وهم يغلقون غطاء التابوت بالمسامير. وساعتها سيستعيد الملك النقود مرةً أخرى، وسوف يمر وقت طويل قبل أن تحين لأحد فرصة ليأخذها منه. بالطبع كنت أريد أن أتسلل وأخرج الحقيبة من هناك، إلا أنني لم أحاول. فقد كان الصبح يتقدم مع كل لحظة، وسرعان ما يتحرك أحد الحراس، وربما أمسك بي- يُمسك بي وفي يدي حقيبة بها ستة آلاف دولار لم يطلب أحد مني المحافظة عليها. لا أتمنى أن أتورط في مثل هذا الأمر، هذا ما قلت لنفسي.

عندما نزلت إلى الطابق الأرضي في الصباح، كان الصالون مُغلقًا، وانصرف الحراس. لم يكن هناك سوى العائلة والأرملة "بارتلي" وجماعتنا. تطلعت إلى وجهيهما لأرى أثرًا لما حدث، فلم أتمكن من التأكد.



fb/mashro3pdf

حضر الحانوتي في منتصف اليوم مع مُساعده، ووضعا التابوت في منتصف الحجرة فوق زوج من الكراسي، وقاما بترتيب الكراسي في صفوف، وأحضرا المزيد من كراسي الجيران، حتى امتلأت الصالة والصالون وحجرة الطعام. رأيت غطاء التابوت كما تركته، لكني لن أذهب لأنظر تحته مع وجود كل هذا الحشد من الناس حولي.

آنئذٍ بدأ تجمع الناس، واحتلت السيدات والفتيات الصف الأول أمام رأس التابوت، واستمر تدفق الناس ببطء لمدة نصف ساعة، في صف فردي، ليلقوا نظرة على وجه الميت للحظات، وكان بعضهم يبكي. اتسم الأمر بالهدوء والمهابة، وكانت السيدات والفتيات فقط يحملن المناديل ليجففن دموعهن وهن محنيات الرؤوس، وينتحبن قليلًا. لم يكن هناك صوت آخر عدا صوت احتكاك الأقدام بالأرضية، والتمخط- لأن الناس يكثرون من التمخط في الجنازات أكثر من أي مكان آخر، عدا الكنيسة.

عندما امتلأ المكان عن آخره، تحرك الحانوتي في قفازه الأسود، بطريقته المواسية الناعمة، ليضع اللمسات الأخيرة، ويجعل الناس والأشياء تستقر في وضعها بهدوء، حتى لا يصدر أدنى صوت آخر. لم يكن يتحدث؛ كان يحرك الناس، ويضم الصفوف الأخيرة قليلًا، ويفتح طريقًا للقادمين بإيماءات من رأسه وإشارات من يديه. ثم اتخذ موضعه إلى جوار الجدار. كان أكثر من رأيت نعومةً وسلاسةً وخفة حركة؛ ولم يكن يبتسم على الإطلاق.

كانوا قد استعاروا أرغنًا صغيرًا قديمًا- في حالة سيئة؛ وعندما كان كل شيء جاهزًا، جلست سيدة لتعزف عليه، فأصدر صريرًا وقرقعةً، وشارك الجميع في الإنشاد، وفي رأيي كان "بيتر" هو الوحيد الذي على ما يرام. ثم اتخذ



fb/mashro3pdf

القس "هوبسون" مكانه، ببطء ومهابة، وبدأ يتحدث؛ وفي تلك اللحظة انطلقت من القبو أصوات هائجة بالغة الصخب؛ كان أحد الكلاب فحسب، إلا أنه أصدر أقوى صخب، ولم يتوقف؛ كان على القس أن يقف مكانه، إلى جوار التابوت، وينتظر- لم يكن ممكنًا لك أن تسمع صوت تفكيرك. كان موقفًا مربكًا، ويبدو أن أحدًا لم يعرف كيف يتصرف. ولكن سرعان ما رأوا الحانوتي طويل الساقين يعطي إشارة إلى القس، كأنه يقول له: "لا تقلق- ثِق فيَّ". ثم انحنى وتحرك بامتداد الحائط، وكتفاه تظهران من فوق رؤوس الجالسين. وبينما هو يتقدم، كان النباح والصخب يزداد هياجًا طوال الوقت؛ وفي النهاية حين سار بين الغرفتين، اختفى في القبو. وفي لحظات، سمعنا صوت ارتطام، وانتهى صخب الكلب بأغرب عواء أو عواءين، ثم ساد صمت تام، وعاد القس ليستأنف حديثه المهيب من حيث انقطع. وعاد الحانوتي بعد دقيقة، وكتفاه ينسلان بامتداد الحائط من جديد؛ وهكذا انسل وانسل إلى جوار حوائط الحجرة الثلاثة، ثم وقف وأخفى فمه بكفه، واشرأب ناحية القس، من فوق رؤوس الناس الناس، وقال له بهمس مبحوح: "**لقد وجد فأرًا**". ثم انسل وسار إلى جوار الحائط عائدًا إلى مكانه. وكان بمقدورك أن ترى الناس يشعرون برضاء كبير، لأنهم كانوا يريدون بشكل طبيعي معرفة ما حدث. فشيء صغير من هذا القبيل لا يعني شيئًا، إلا أن هذه الأشياء الصغيرة تثير اهتمام الناس وإعجابهم. ولم يكن هناك في القرية من هو أكثر شهرة من متعهد الدفن.

حسنًا، كانت خطبة الجنازة جيدة جدًا، إلا أنها كانت طويلة للغاية ومملة؛ ثم تقدم الملك ليلقي بعض ثرثراته المُعتادة، وبعدها انتهى الأمر، وبدأ



fb/mashro3pdf

الحانوتي يستخدم المفك ليحكم إغلاق التابوت. كنت متوترًا حينها، وأنا أتابعه عن كثب. إلا أنه لم يتجاوز حدود عمله؛ أغلق غطاء التابوت سريعًا، وأحكم إغلاقه بقوة وسرعة. وها هو الأمر قد انتهى! لم أعرف ما إذا كانت الحقيبة موجودة في التابوت أم لا. لذلك، قلت لنفسي: افترض أن أحدهم سرق الحقيبة خلسة- فكيف لي أن أعرف الآن هل أكتب إلى "ماري جين" أم لا؟ افترض أنها حفرت ولم تجد النقود، فماذا ستظن بي؟ اللعنة، ربما أبلغت عني وطاردوني ودخلت السجن؛ من الأفضل أن أصمت، وألا أكتب لها؛ لقد تعقد الأمر تمامًا الآن، في محاولتي لتحسينه، جعلته أسوأ مما كان عليه مئات المرات، فليتني ما تدخلت، اللعنة على الأمر كله!

دفنوه، وعدنا إلى المنزل، وبدأت أراقب الوجوه مرةً أخرى- لم أتمكن من منع نفسي، ولم أشعر بالراحة. إلا أنني لم أتبين شيئًا؛ لم تفصح الوجوه عن أي شيء.

زار الملك الجميع في المساء وتلطف معهم، وحاول أن يكون أكثر مَودة؛ وألمح إلى أن الكنيسة في انجلترا متلهفة على عودته، وعليه بالتالي الانتهاء سريعًا من بيع الأملاك والعودة إلى الوطن. كان حزينًا للغاية لأن الوقت يضغطه إلى هذا الحد، وكان الجميع حزانى أيضًا؛ فقد تمنوا أن يبقى وقتًا أطول، لكنهم يرون أنه غير ممكن. وقال إنه وشقيقه "ويليام" سيأخذان الفتيات معهما بالطبع؛ فأسعد هذا الجميع، لأن الفتيات أنئذٍ ستشملهن رعاية أقاربهن؛ كما أسعد الفتيات، أيضًا- لدرجة أنستهن كل مشاكل العالم اللاتي واجهنها من قبل؛ وطلبن منه أن يبيع بأسرع وقت يريد، وهن مُستعدات. كانت الفتيات المسكينات سعيدات ومسرورات لدرجة أوجعت



fb/mashro3pdf

قلبي وأنا أراهن يتعرضن للخداع والكذب إلى هذا الحد؛ إلا أنني لم أجد طريقة آمنة لأتدخل وأغير الأمر.

حسنًا، أراهن أن الملك سيعرض المنزل والزنوج وكل الأملاك في مزاد على الفور- والبيع بعد يومين من الجنازة؛ ومن يريد شراء أي شيء بشكل خاص قبل الموعد فليتقدم إن أراد.

هكذا في اليوم التالي للجنازة، بعد الظهر بوقت طويل، تلقت فرحة الفتيات الصدمة الأولى. فقد حضر اثنان من تجار الزنوج، باع الملك الزنوج لهم بسعر معقول، بشيك قابل للدفع بعد ثلاثة أيام، كما يطلقون عليه، ثم رحلوا، ابنان من الزنوج ذهبا شمال النهر إلى "ممفيس"، وذهبت أمهما جنوب النهر إلى "أورليانز". كادت قلوب الفتيات والزنوج تتمزق حُزنًا، وانخرطوا جميعًا في البكاء حتى أصابني الغثيان من رؤية المشهد. قالت الفتيات إنهن لم يفكرن مُطلقًا في رؤية الأسرة تنفصل وتبتعد عن القرية. لا يمكنني أبدًا نسيان مشهد الفتيات والزنوج المساكين يحتضنون بعضهم البعض ويبكون؛ أظن أنني لم أكن لأحتمل الأمر، وكنت سأشي بالعصابة، لولا علمي بأن البيع باطل، وأن الزنوج سيعودون بعد أسبوع أو أسبوعين.

أثار الأمر ضجة في القرية، أيضًا، وخرج الكثيرون بصورة هوجاء وقالوا إن التفريق بين الأمهات والأطفال على هذا النحو فضيحة. أحرج هذا المُحتالين إلى حدٍّ ما، إلا أن الأحمق العجوز استمر في خطته، رغم ما قال الدوق وفعل، أود أن أخبرك أن الدوق لم يكن يشعر بالراحة لما يحدث.

عُقد المزاد في اليوم التالي. وفي وضح النهار بالصباح، صعد الملك والدوق إلى حجرتي، وأيقظاني من النوم، ورأيت على وجوههم أن هناك مُشكلة. سألني



fb/mashro3pdf

الملك:

- "هل كنت في حجرتي ليلة أمس  الأول؟ أجبته بالطريقة المُعتادة حين لا يكون هناك غرباء: "لا يا صاحب الجلالة".

- "هل دخلت الحجرة أمس أو أمس الأول؟"

- "لا، يا صاحب الجلالة".

- "بصدق، الآن- لا أريد كذبًا".

- "بصدق، يا صاحب الجلالة، أنا أقول لك الحقيقة. لم أذهب إلى حجرتك منذ اصطحبتك الآنسة "ماري جين" أنت والدوق إلى حجرتيكما".

سألني الدوق: "وهل رأيت أحدًا يقترب من الحجرة"؟

- "لا يا صاحب السمو، حسب ما أذكر".

- "اهدأ وتذكر".

فكرت قليلًا، ووجدتها فرصة؛ فقلت لهما: "حسنًا، رأيت الزنوج يذهبون إليها عدة مرات". قفز الاثنان، وبدا أنهما لم يكونا يتوقعان ذلك، ثم بدا عليهما أنهما توقعا ذلك. سألني الدوق: "ماذا؟ جميعهم؟"

- "كلا- لم أرهم جميعًا، في مرةً واحدة- هذا ما حدث، لا أظن أنني رأيتهم يخرجون جميعًا من الحجرة أكثر من مرة، بل مرة واحدة".

- "آها! ومتى كان ذلك؟"

- كان يوم الجنازة. في الصباح. لم يكن الوقت مُبكرًا، لأنني تأخرت في الاستيقاظ. كنت أبدأ النزول على السلم، ورأيتهم".

- "حسنًا، استمر، استمر! ماذا كانوا يفعلون، وكيف كانوا يتصرفون؟"

- "لم يفعلوا شيئًا. ولم يتصرفوا بطريقة مُختلفة، حسب ما رأيت. كانوا



fb/mashro3pdf

يبتعدون على أطراف أصابعهم؛ رأيت هذا بوضوح، ربما دخلوا لكي ينظفوا حجرة جلالتكم، أو شيء من هذا القبيل، مفترضين أنك قد استيقظت؛ فوجدوا أنك لم تستيقظ، فأرادوا الانسلال من طريق المشاكل بدون إيقاظك، إذا لم يكونوا قد أيقظوك فعلًا".

قال الملك: "يا إلهي، هذا ما حدث!"؛ وبدا عليهما الغثيان، والسخافة إلى أبعد مدى. وقفا يُفكران ويحكان رأسيهما للحظات، وأطلق الدوق ضحكة صغيرة، مكتومة وخشنة، ثم قال:

- "لقد لعبها الزنوج ببراعة. جعلونا نصدق أنهم حزانى لابتعادهم عن المنطقة! وصدقتُ أنهم كانوا حزانى، وأنت أيضًا صدقت، وصدق الجميع. لا تقل لي بعد ذلك أن الزنوج لا يجيدون التمثيل. فالطريقة التي مثلوا بها ذلك الأمر تخدع أي شخص. في رأيي، إنهم ثروة. ولو كنت أمتلك رأسمالًا ومسرحًا، فلن أجد ممثلين أبرع منهم- وها نحن بعناهم بثمن بخس. نعم، ولم نحصل حتى على ثمنهم الزهيد بعد. قل لي، أين ثمنهم- أين الشيك؟"

- "إنه في البنك من أجل تحصيل قيمته. أين يمكن أن يكون؟"

- "حسنًا، هذا جيد إذن. شكرًا للرب".

سألت بنوع من الخجل: "هل حدث شيء؟"

انفجر الملك في وجهي وصرخ:

- "ليس هذا من شأنك! أغلق فمك، واهتم بشؤونك فقط- إن كانت لديك أية شؤون. تذكر ذلك طوال إقامتنا في هذه المدينة".

ثم قال للدوق: "علينا أن نبتلع الخسارة، في صمت، الصمت هو الأنسب بالنسبة لنا".



fb/mashro3pdf

أطلق الدوق ضحكة مكتومة وهما ينزلان السلم، وقال: "بيع سريع وربح قليل! إنه أمر جيد- أجل".

زمجر الملك في وجهه وقال له: "كنت أبذل قصارى جهدي في بيعهم بسرعة. وإذا كانت المكاسب قد تلاشت، وخسرنا الكثير، ولم يعد لدينا ما نهرب به، فهل يهم إن كانت هذه غلطتي أم غلطتك؟"

- "لم يكن الزنوج ليغادروا المنزل بعد، ولم نكن خسرنا النقود، إذا كنت قد استمعت لنصيحتي".

زمجر الملك في وجه الدوق بأقصى قوة آمنة بالنسبة له، ثم استدار ودخل إلى حجرتي من جديد. راح يوبخني لأنني لم أجئ إليه وأخبره عن رؤيتي الزنوج وهم يخرجون من الغرفة، ويتصرفون بهذه الطريقة- وقال إن أي أحمق كان سيعرف أن هناك أمرًا ما. ثم استدار ولعن نفسه لبرهة، وأضاف إنه مسئول عما حدث بسبب عدم الرقاد متأخرًا والبقاء في السرير ذلك الصباح، وأقسم ألا يفعل ذلك مجددًا. واستمرا يتشاجران؛ وشعرتُ بالسعادة الغامرة لأنني ألصقت السرقة بالزنوج، من دون أن يصيبهم ضرر من التُهمة حتى الآن.

fb/mashro3pdf

# الفصل الثامن والعشرون

بعد قليل كان وقت النهوض من السرير. نزلت السلم إلى الطابق الأرضي؛ لكني عندما مررت بحجرة الفتيات، كانت مفتوحة، ورأيت "ماري جين" وهي تجلس إلى جوار صندوقها القديم، وهو مفتوح، حيث كانت ترص فيه بعض الأشياء- استعدادًا للسفر إلى انجلترا. إلا أنها توقفت باكيةً وقد وضعت كفيها على وجهها وتركت فستانًا مطويًا في حجرها. شعرتُ بحزن شديد وأنا أرى ذلك، بالطبع أي شخص مكاني كان سيشعر بالحزن. دخلت الحجرة، وقلت لها: "آنسة "ماري جين"، أنت لا تتحملين رؤية الآخرين يواجهون المتاعب، وأنا أيضًا لا أحتمل- غالبًا. أخبريني بما يزعجك".

أخبرتني. وكان السبب هو الزنوج- كما توقعت. قالت إن الرحلة الرائعة إلى إنجلترا على وشك أن تفسد غالبًا، فهي لا تعرف كيف ستكون سعيدة هناك، وهي تعلم أن شمل الأمهات وأولادهن قد تفرق- ثم انخرطت في البكاء أقوى من ذي قبل، وفردت يديها وقالت: "آه، يا إلهي، يا إلهي، يا لها من فكرة مروعة أن أعتقد أنهم لن يروا بعضهم البعض بعد ذلك!"



fb/mashro3pdf

قلت: "لكنهم سيتقابلون –في غضون أسبوعين– أنا أعلم ذلك".

يا إلهي، لقد انزلق الكلام من فمي بلا تفكيرا وقبل أن أتزحزح، رمت بذراعيها حول رقبتي وطلبت مني أن أعيد ما قلت **مرةً أخرى**، أعد ما قلت **مرةً أخرى**، أعد ما قلت **مرةً أخرى!**

أدركت أنني تكلمت بتسرُّع زائد وقلت ما هو أكثر من اللازم، ووقعت في ورطة. طلبت منها أن تصبر عليَّ دقيقة لأفكر؛ فجلست مكانها، في صبر وتلهف وجمال، وإن بدت عليها السعادة والراحة، مثل شخص خلع أحد أسنانه وتخلص من الألم. فكرتُ في الموضوع. قلت لنفسي، أظن أن الشخص يُخاطر كثيرًا حين يقول الحقيقة وهو في مأزق، رغم أنني لم أجرب، ولا يمكنني التأكيد؛ لكن هذا ما يبدو لي، على أية حال؛ إلا أنني في موقف تبدوَ الحقيقة فيه أفضل وأكثر أمنًا من الكذب. لابد أن أتوقف عن التفكير في ذلك، وأناقشه مع نفسي في وقت لاحق، إنه أمر غريب وغير مألوف. ولم يواجهني من قبل. حسنًا، قلت لنفسي في النهاية، إنني سأجازف؛ سأقول الحقيقة هذه المرة، رغم أن الأمر يشبه الجلوس على برميل من البارود ولمسه للتأكد إن كان سينفجر أم لا. ثم قلت لها: "آنسة "ماري جين"، أهناك مكان خارج هذه المدينة يمكنك الذهاب إليه وقضاء ثلاثة أو أربعة أيام فيه؟"

– "أجل، عند عائلة السيد "لوثروب". لماذا؟"

– "دعكِ من السبب الآن. إذا قلت لك كيف عرفت أن الزنوج سيعودون في غضون أسبوع– هنا في هذا البيت– وأثبت لك كيف أعرف– فهل ستذهبين إلى عائلة السيد "لوثروب" وتمكثين هناك أربعة أيام؟"

– "أربعة أيام فقط! سأمكث عامًا كاملًا!"



fb/mashro3pdf

- "حسنًا، لا أطلب منك سوى الالتزام بكلمتك- وأنا أثق بها أكثر من ثقتي بقسم الرجال على الإنجيل".

ابتسمت وتورد خداها من الخجل بطريقة رائعة، فقلت لها: إن لم يكن لديك مانع، سوف أوصد الباب- وأغلقه بالمزلاج".

أغلقت الباب وعدت وجلست من جديد، ثم قلت لها: "لا تفزعي. اثبتي وتقبلي الأمر كالرجال. سوف أخبرك بالحقيقة، وعليك أن تتماسكي، يا آنسة "ماري جين"، لأن الحقيقة قاسية للغاية، ويصعب تقبلها، ولكن بلا مناص. فمَن يدعون أنهما عمَّاك، ليسا كذلك على الإطلاق؛ إنهما مُجرد مُحتالين- نصابين عاديين. وهو أسوأ ما في الأمر، ويمكنك تحمل البقية بهدوء.

بالطبع هزها الأمر بقوة كأي شيء؛ إلا أنني تجاوزت المياه الضحلة الآن، لهذا مضيتُ مباشرةً، وعيناها تتوهجان أكثر فأكثر مع الوقت، وأنا أحكي لها التفاصيل، منذ أن التقينا بالشاب الأحمق وهو في طريقه إلى الباخرة، وصولاً إلى أن ألقت بنفسها في أحضان الملك على الباب الأمامي، وقبلها ست عشرة أو سبع عشرة قبلة- آنئذٍ انتفضت، ووجهها مُشتعل كغروب الشمس، وقالت: "السافل! هيا، يجب ألا نهدر دقيقة واحدة- ولا لحظة واحدة- سوف نطليهما بالقار ونكسوهما بالريش، ونلقي بهما في النهر!"

قلت: "بالطبع. ولكن، أتقصدين قبل ذهابك إلى منزل السيد "ولثروب"، أم -".

قالت: "أوه، ماذا أقول!"، ثم جلست من جديد. ووضعت يدها حريرية الملمس على يدي بطريقة توحي بأنها مستعدة للموت قبل أن تحنث بوعدها،



fb/mashro3pdf

وهي تقول: "لا تهتم بما قلت للتو- من فضلك لا تهتم، موافق؟- لم أتخيل أنني سأثور إلى هذا الحد، استمر الآن، ولن أفعل هذا مرةً أخرى. قل لي ماذا أفعل، وسوف ألتزم بما تقول مهما كان".

قلت: "حسنًا، إن المُحتالين يُشكلان عصابة صعبة المراس، إنهما محتالان، وأنا مضطر للسفر معهما لوقت أطول، سواء أردتُ أم لم أُرِد- لا أفضل إخبارك بالسبب؛ وإذا أمكنك إثارة هذه المدينة ضدهما، فسوف أفلت من بين مخالبهما، وأصبح في أمان؛ لكن هناك شخصًا آخر لا تعرفين عنه شيئًا، سوف يتعرض لخطر كبير. حسنًا، علينا بالطبع أن نقوم بإنقاذه أولًا، أليس كذلك؟ من ثم فلن نفضحهما الآن".

وأنا أقول لها هذه الكلمات، خطرت ببالي فكرة جيدة. فكرت في طريقة تخلصنا أنا و"چيم" من هذين المُحتالين؛ بأن نزج بهما في السجن هنا، ثم نرحل. إلا أنني لم أرغب في الذهاب إلى الطوف نهارًا، وليس هناك من يجيب على الأسئلة سواي؛ لذا لم أرغب في بدء الخطة سوى في وقت مُتأخر من الليل. فقلت لها: "آنسة "ماري جين"، سأخبرك بما سأفعل، ولن تضطري إلى البقاء طويلًا في منزل عائلة "لوثروب" أيضًا. كم يبعد المنزل؟"

- "على بعد أربعة أميال فقط- هناك في الريف، خلفنا".

- "حسنًا، سيفي بالغرض. ستذهبين إلى هناك الآن، وتمكثين حتى التاسعة أو التاسعة والنصف، ثم تطلبين منهم إحضارك إلى هنا من جديد- أخبريهم أنك تذكرتِ شيئًا مهمًا. وإذا وصلتِ إلى هنا قبل الحادية عشرة، فضعي شمعة في هذه النافذة، وإذا لم أحضر إليكِ، فانتظري حتى الحادية عشرة، وحينها إن لم أحضر فيعني هذا أنني رحلت، وانطلقت في طريقي



fb/mashro3pdf

بأمان. آنئذٍ تقومين بنشر الأخبار، وتزجين بهذين المُحتالين في السجن".

فقالت: "حسنًا، سأفعل هذا".

- "وإذا حدث ولم أتمكن من الهرب، بل بقيت معهما، فعليك أن تقولي إنني أخبرتك بالأمر من قبل، وتساندينى بكل قوتك".

رأيت فتحتي أنفها تتسعان، وعينيها تطفران بالدمع وهي تقول: أقف بجانبك! بالطبع سأفعل. ولن يلمسا شعرة من رأسك".

قلت لها: "إذا رحلتُ فلن أكون هنا لأثبت أن المُحتالين ليسا عَميكِ، وإن بقيت فلن أتمكن من ذلك أيضًا. ما يمكنني هو أن أقسم أنهما مُحتالان، ذلك كل ما يمكنني، رغم أهميته. حسنًا، هناك آخرون يمكن أن يقوموا بذلك أفضل مني، ولا يُمكن التشكيك في شهادتهم مثلما قد يحدث معي. سأخبرك كيف تعثرين عليهم. أعطني ورقة وقلمًا. "العدم الملكي، بريكسفيل". احتفظي بها بعيدًا، ولا تضيعيها. وحين تحتاج المحكمة إلى معلومات عن هذين المُحتالين، فأخبريهم أن يرسلوا إلى "بريكسفيل" ويقولوا إنهم عثروا على مَن قدما عرض العدم الملكي، ويطلبوا بعض الشهود- وسوف تجدين المدينة بأكملها هنا في لمح البصر، يا آنسة "ماري". وسوف يحضرون معهم ما يثبت أيضًا".

رأيتُ أنني رتبت الآن كل شيء. فقلت لها: "دعي المزاد يتم، ولا تقلقي. فلن يضطر أحد إلى دفع النقود مقابل ما اشترى إلا بعد يوم من المزاد بسبب وقت الإعلان القصير، ولن يخرجا من هنا قبل أن يحصلا على النقود؛ ولن يُعتد بالبيع نظرًا للطريقة التي تم بها المزاد، ولن يحصلا على النقود. هي الطريقة نفسها التي تمت مع بيع الزنوج- فهي ليست بيعًا، وسوف يعودون



fb/mashro3pdf

قريبًا. كما أنهما لم يستطيعا تحصيل ثمن الزنوج بعد- إنهما في أسوأ مأزق حرج، يا آنسة "ماري".

قالت: حسنًا، سأسرع بتناول إفطاري الآن، ثم أنطلق إلى آل "لوثروب".

قلت: "ليس هذا هو المطلوب، بالتأكيد، يا آنسة "ماري جين"، عليك الذهاب قبل الإفطار مهما كلف الأمر".

- "وما السبب؟"

- "لماذا تظنين أنني أريد منك مُغادرة المنزل، يا آنسة "ماري"؟"

- "حسنًا، لم أفكر في الأمر- وحتى إن فكرت، فلن أعرف. ما هو السبب؟"

- "لأنك لستِ من ذوي الوجوه الجلدية. فسيفضح وجهك كل شيء، كأنه كتاب مفتوح. يمكن لأي شخص أن يقرأ وجهكِ بسهولة. هل تظنين أن بإمكانك مواجهة عميك عندما يأتيان ليمنحاكِ قبلة الصباح، ولن-"

- "أجل، أجل، لن أستطيع! فعلاً، سوف أذهب قبل تناول الإفطار- وسوف أكون سعيدة أيضًا. ولكن هل سأترك إخوتي معهم؟"

- "أجل؛ لا تقلقي بشأنهما. عليهما تحمل الأمر قليلًا. وقد يتشك المُحتالان إنْ ذهبتن جميعًا. لا أريد أن تقابليهما، أو تقابلي إخوتك، ولا أي شخص في المدينة؛ فإذا سألك أحد الجيران عن صحة عمك، فقد يفضح وجهك الأمر. كلا، اذهبي مباشرةً الآن، يا آنسة "ماري"، وسوف أهتم بأمرهم جميعًا. سأطلب من أختك الآنسة "سوزان" أن تبلغ تحياتك لعميك، وتقول لهما أنك ستتغيبين لساعات من أجل الحصول على بعض الراحة والتغيير، أو لمقابلة إحدى صديقاتك، وسوف تعودين ليلًا، أو في مبكرًا في صباح الغد".



fb/mashro3pdf

- "الذهاب لمقابلة صديقة فكرة جيدة، لكن لا أريد أن يُبلغهما أحد تحياتي".

- "حسنًا، لكِ ما تريدين".

كان من المناسب أن أرد عليها مثل هذا الرد- فلا ضرر منه. إنه أمر يسير، بلا إزعاج؛ كالأمور البسيطة التي تهدئ الناس غالبًا؛ وسيجعلها أكثر ارتياحًا، ولن يكلفني شيئًا. ثم قلت لها: "هناك شيء آخر- حقيبة النقود".

- "حسنًا، لقد حصلا عليها؛ والطريقة التي حصلا بها على الحقيبة تشعرني كم كنت غبية".

- "كلا، لستِ كذلك. والحقيبة ليست بحوزتهما".

- "كيف، بحوزة من إذن؟"

- "وددت لو كنت أعرف، إلا أنني لا أعرف. لقد كانت معي، لأنني سرقتها منهما؛ سرقتها منهما لأعطيها لكِ، وأنا أعرف أين خبأتها، لكنني أخشى ألا تظل مكانها. أنا في غاية الأسف، يا آنسة "ماري جين"، أسفي عميق؛ إلا أنني بذلك قصارى جهدي؛ بمنتهى الأمانة. لقد كنت على وشك الإمساك بي، وكان عليَّ دسها في أول مكان أصادفه، وأجري- ولم يكن مكانًا مناسبًا".

- "آه، توقف عن لوم نفسك- من المؤسف أن تفعل ذلك، ولن أسمح لك بهذا- لم يكن الأمر بيدك؛ ولم تكن غلطتك. أين أخفيت الحقيبة؟"

لم أود دفعها إلى التفكير في متاعبها من جديد؛ ولم أتمكن من فتح فمي لأخبرها ما قد يصور لها جثة أبيها ممدة في التابوت وحقيبة النقود على بطنها. صمتُّ بضع لحظات، ثم قلت: "أفضل ألا أخبرك بمكانها، يا آنسة "ماري



fb/mashro3pdf

جين"، إن سمحتِ لي؛ إلا أنني سأكتب لكِ مكانها على قطعة ورق، يمكنك قراءتها وأنتِ في الطريق إلى آل "لوثروب"، إن أردتِ. هل تسمحين لي أن أقوم بهذا؟"

- "أوه، طبعًا".

لذا كتبت ما يلي: "وضعتها في التابوت. كنت في الحجرة وأنتِ تبكين في الليل. كنت أقف خلف الباب، وكنت أتألم من أجلك، يا آنسة "ماري جين".

دمعت عيناي قليلًا حين تذكرتها وهي تبكي هناك وحدها في ظلمة الليل، وهذان الشيطانان يرقدان تحت سقف بيتها، يُخططان للإساءة إليها وسلب نقودها؛ وعندما طويت الورقة وناولتها إياها، رأيت الدموع تسيل من عينيها، أيضًا؛ صافحتني بقوة، وقالت لي: "الوداع- سأفعل كل ما قلت بالحرف الواحد؛ وإن لم أرك مرةً أخرى، فلن أنساك ابدًا، وسوف أذكرك كثيرًا، وسوف أصلي من أجلك، أيضًا."- ثم رحلت.

تصلي من أجلي! أظن أنها لو عرفتني على حقيقتي لاختارت مهمة أسهل من الصلاة من أجلي. إلا أنني واثق بأنها ستصلي من أجلي، في جميع الحالات- فهي طيبة للغاية. ويُمكن أن تصلي من أجل يهوذا إذا واتتها الفكرة- فهي لا تعرف التراجع، حسبما أعتقد. ويمكنك أن تقول ما تشاء، إلا أنها أكثر من عرفت من الفتيات شجاعة؛ بل هي مفعمة تمامًا بالشجاعة في رأيي. قد يبدو ما أقول نوعًا من الرياء، إلا أنه ليس كذلك. وحين يتعلق الأمر بالجمال- وحب الخير، أيضًا- فلن تجد من يُضاهيها. فلم تقع عيني عليها منذ خرجت من ذلك الباب؛ لم أرها على الإطلاق، إلا أنني أظن أنها خطرت ببالي ملايين المرات، مع قولها إنها ستصلي من أجلي؛ ولو كنت أظن أن



fb/mashro3pdf

صلاتي من أجلها ستجدي نفعًا، لكنت قد صليت من أجلها حتمًا.

حسنًا، أعتقد أن "ماري جين" خرجت من الباب الخلفي؛ حتى لا يراها أحد. وعندما التقيتُ "سوزان" وذات الشفة الأرنبية، قلت لهما: "ما اسم العائلة على الناحية الأخرى من النهر، التي تقمن بزيارتها أحيانًا؟"

- "هناك العديد من العائلات، لكن هناك آل "بركتور"، بشكل أساسي".

- "هذا هو الإسم. كنت قد نسيته. حسنًا، لقد طلبت مني الآنسة "ماري جين" أن أخبركما أنها ذهبت إلى هناك على عجل- لأن أحد أفراد العائلة مريض".

- "من منهم؟"

- "لا أعرف؛ فقد نسيت؛ إلا أنني أظن –".

- "يا إلهي، أتمنى ألا تكون "هانا"؟"

- "يؤسفني أن أقول ذلك، ولكنها "هانا" فعلًا".

- "يا إلهي، لقد كانت بصحة جيدة الأسبوع الماضي فقط! هل حالتها سيئة؟"

- "لا أعرف اسم مرضها. لكنهم سهروا بها طوال ليلة أمس، حسب قول الآنسة "ماري جين"، ولا يعتقدون أنها ستعيش لعدة ساعات".

- "حاول أن تتذكر، الآن! ماذا أصابها؟"

لم أستطع التفكير في أي مرض مناسب، لذلك قلت: "التهاب الغدة النكفية؟"

- "أتمزح، إنهم لا يسهرون طوال الليل مع مرضى الغدة النكفية".

- "ألا يفعلون، ألا يفعلون حقا؟ عليك أن تتأكدي أنهم يسهرون مع



fb/mashro3pdf

هذا النوع من الغدة النكفية، هناك أنواع عديدة منها. إنه نوع جديد، حسب ما قالت الآنسة "ماري جين".

- "كيف يكون نوعًا جديدًا؟"

- "لأنه أصابها مع أمراض أخرى".

- "وما هي تلك الأمراض الأخرى؟"

- "حسنًا، الحصبة والسُعال الديكي، والطفح الجلدي، والسُل، واليرقان، وحمى الدماغ، ولا أعرف باقي الأمراض".

- "يا إلهي! هل هذا ويطلقون عليها اسم الغدة النكفية؟"

- "هذا ما قالته الآنسة "ماري جين".

- "ولماذا يسمونه التهاب الغدة النكفية، بحق السماء؟"

- "لأنه التهاب الغدة النكفية. هذه هي بداية المرض".

- "حسنًا، ليس هناك منطق فيما تقول. فيمكن لشخص ما أن يستأصل إصبع قدمه، ثم يتناول السم، ويسقط في بئر، وتُكسر رقبته، ويُشج رأسه، ويخرج مخه منه، ثم يأتي شخص ويسأل ماذا قتله، ويأتي أحمق ويقول له لقد مات لأنه استأصل إصبع قدمه. هل هناك منطق في هذا؟ كلا. ليس هناك منطق في ما تقول، أيضًا. وهل هو من الأمراض المُعدية؟"

- "هل هو الأمراض المُعدية؟ ماذا تقولين، إنه مثل الارتطام بشوكة التنظيف في الظلام، إن لم ينغرس في قدمك أحد أسنانها، فسينغرس السن الآخر، أليس كذلك؟ ولا يمكنك خلع هذا السن من دون الإمساك بشوكة التنظيف، أليس كذلك؟ إن هذا النوع من التهاب الغدة النكفية، يشبه شوكة التنظيف، كما يمكن أن تصفيه. إنه شوكة ماكرة أيضًا، دائمًا ما



fb/mashro3pdf

تصيب بالعدوى".

قالت ذات الشفة الأرنبية: "حسنًا، إنه أمر رهيب، حسبما أعتقد، سأذهب لأخبر عمي "هارفي" و-".

فقلت لها ساخرًا: "أوه، أجل، سأخبره، بالطبع سأخبره. ولن أضيع وقتًا على الإطلاق".

- "حسنًا، لماذا لن تخبره؟"

- "فكري في الأمر لحظة، وربما فهمتِ السبب. ألم يعدكم أعمامكم بأن يصحبوكن إلى انجلترا بأسرع وقت ممكن؟ هل تظنون أنهما سيكونان وضِيعين لدرجة تسمح لهما بترككن وحدكن في رحلة كهذه؟ بالطبع سوف ينتظران. الأمر جيد حتى الآن. عمك "هارفي" واعظ، أليس كذلك؟ حسنًا، هل سيقدم الواعظ على خداع موظف الباخرة؟ هل سيخدع موظف السفينة؟- بأن يسمح للآنسة "ماري جين" بالصعود إلى السفينة؟ أنتِ تعرفين أنه لن يفعل. ماذا سيفعل إذن؟ سيقول: "إنه من دواعي أسفي، إلا أن عليهم في الكنيسة تدبير أمورهم من دوني لأن ابنة أخي تعرضت لعدوى خطيرة لأنواع متعددة من التهاب الغدة النكفية، ومن واجبي أن أظل معها لمدة ثلاثة شهور حتى نتأكد من أنها ليست مُصابة بالعدوى"، ولكن لا تهتمي بالأمر، إذا كنتِ تعتقدين أن إخبار عمك "هارفي" هو أفضل شيء-"

- "توقف عن الكلام، ونظل هنا بينما يمكننا قضاء وقت ممتع في انجلترا في انتظار التأكد من إصابة "ماري جين" بالعدوى أم لا؟ هل أنت أحمق؟"

- حسنًا، على أية حال، يمكنكن إخبار بعض الجيران".

- استمع لما أقول، الآن. لقد تجاوزت كل حدود الغباء الطبيعي. ألا ترى



fb/mashro3pdf

أنهم سيفشون الأمر؟ أفضل شيء ألا نخبر أحدًا على الإطلاق".

- " حسنًا، ربما تكونين على حق- أجل، أظن أنكِ على حق".

- "ولكني أظن أننا يجب أن نخبر عمي "هارفي" أنها ذهبت لتقوم بشيء ما، حتى لا يقلق بشأنها".

- "أجل، إن الآنسة "ماري جين" تريد منكما أن تفعلا هذا. وطلبت مني أن أخبركما بإبلاغ تحياتها وقبلاتها إلى العم "هارفي" والعم "ويليام"، وألا تخبراهما بذهابها عبر النهر لزيارة عائلة السيد-. السيد-.، ما هو اسم تلك العائلة الثرية التي كان عمكما(*) "بيتر" يُقدرها كثيرًا؟- أقصد تلك العائلة التي-".

- "لا بد أنك تقصد عائلة "لوثروب"، أليس كذلك؟"

- "بكل تأكيد؛ يا لها من أسماء، لا يمكن للمرء أن يحفظها، على أية حال، لوقتٍ قليل. أجل، لقد قالت لي أن أخبركم أنها ذهبت لتطلب من آل "لوثروب" الحضور إلى المزاد، وشراء المنزل، لأنها تعتقد أن عمها "بيتر" كان سيفضل أن يشتروا هم المنزل أكثر من غيرهم؛ وأنها ستبقى لديهم حتى تتأكد من حضورهم، ثم تعود إلى المنزل إن لم تكن مُتعبة؛ أما إن كانت مُتعبة، فسوف تعود في صباح الغد على أية حال. لقد قالت، لا تذكر شيئًا عن آل "بروكتور"، واكتفِ بذكر آل "لوثروب"- وهو أمر حقيقي تمامًا، لأنها ستذهب إليهم وتحدثهم بشأن شراء المنزل؛ لقد أخبرتني هذا بنفسها".

قالتا: "حسنًا"، ثم ذهبتا للبحث عن عميهما، ومنحهما الحب والقبلات،

---

(*) استبدل كلمة والدكما، بكلمة عمكما سهوًا.



fb/mashro3pdf

وإخبارهما بالرسالة.

كان كل شيء على ما يُرام الآن. لن تقول الفتاتان شيئًا بسبب رغبتهن في الذهاب إلى انجلترا؛ وسوف يظن الملك والدوق أن "ماري جين" تعمل من أجل إنجاح المزاد، بعيدًا عن منال الطبيب "روبنسون". شعرتُ بالارتياح؛ واعتقدتُ أنني قد قمت بعمل مُحكم- لا أظن أن "توم سوير" كان قادرًا على القيام به بما هو أفضل. بالطبع كان سيضفي عليه لمسة جمالية، إلا أنني لا أستطيع إضافة هذه اللمسة، فلست موهوبًا مثله.

حسنًا، عقدوا المزاد في الساحة العامة، واستمر حتى نهاية فترة الظهيرة، وامتد، وامتد، وكان الرجل العجوز موجودًا، ويبدو لزجًا للغاية، وهو يقف إلى جوار مدير المزاد، يلقي نظرة في الكتاب المقدس من حين لآخر، أو يتحدث بلطف إلى الحضور، أما الدوق فقد كان موجودًا يُتأتئ ليستدر العطف قدر استطاعته، ويتحرك بين الحاضرين.

وبعد قليل أوشك المزاد على الانتهاء، وتم بيع كل شيء- كل شيء عدا قطعة أرض تافهة في المقبرة. فاستمر المزاد حتى تم بيعها- لم أر شخصًا في مثل جشع الملك الذي كان يريد ابتلاع كل شيء. حسنًا، في تلك الأثناء، رست باخرة، وخلال دقيقتين، كان هناك حشد من الناس يصيحون ويصرخون ويضحكون ويهتاجون، ويهتفون:

- "ها هم منافسوكم! ها هم اثنان من ورثة "بيتر ويلكس" العجوز- فضعوا رهاناتكم على من يكون فيهم الورثة الحقيقيون!"

fb/mashro3pdf

# الفصل التاسع والعشرون

كانوا قد أتوا معهم بسيد عجوز رائع الهيئة، وإلى سيد أصغر منه سنًّا، حسن المظهر، وذراعه اليمنى معلقةٌ إلى رقبته برباط. ويا إلهي، كم صاح الناس وضحكوا، وهم في قمة الإثارة. إلا أنني لم أعتبر الأمر نكتة، ولا أعتقد أن الملك والدوق كانا سعيدين لرؤيتهما. وظننت أن لون وجهيهما سيشحب. لكن، لا، لم يشحب. لم يظهر الدوق ارتيابه مما يحدث، لكنه راح يدور بالمكان، سعيدًا وراضيًا، كجرة تقرقر باللبن؛ أما الملك، فقد كان يحملق ويحملق باحتقار في القادمين الجدد وكأن قلبه ينفطر لمجرد التفكير في وجود مُحتالين وأوغاد في العالم. آه، لقد فعل هذا بشكل يُثير الإعجاب. تجمع العديد من ذوي الشأن حول الملك، ليعلنوا تضامنهم معه. وكان الذهول يسيطر على ذلك السيد العجوز الذي حضر للتو. وسرعان ما بدأ في الحديث، ولاحظت على الفور أنه يتحدث بلهجة الإنجليز- لا بطريقة الملك، رغم أن طريقة الملك كانت تقليدًا جيدًا. لا أستطيع إعادة كلمات السيد العجوز، ولا تقليد



fb/mashro3pdf

طريقته؛ إلا أنه استدار ليواجه الحشد، وهذا ما قاله تقريبًا:

- "هذه مفاجأة لم أكن أتوقعها؛ وسأعترف، بصدق وصراحة، أنني لم أكن مستعدًا لمواجهة مثل هذا الموقف والتجاوب معه؛ فقد واجهت أنا وأخي بعض سوء الحظ؛ فقد كُسرت ذراعه، كما ذهبت أمتعتنا إلى المدينة التالية لمدينتكم بالخطأ. أنا "هارفي" شقيق "بيتر ويلكس"، وهذا هو شقيقه "ويليام" الذي لا يستطيع السماع أو الكلام- بل لا يستطيع إلى حدٍّ كبير التواصل بالإشارات، والآن، ليست له سوى يد واحدة يتواصل بها. لقد قلت لكم من نحن؛ وهذه هي الحقيقة التي يمكن أن أثبتها لكم بعد يوم أو يومين، حين تصل أمتعتنا. وحتى ذلك الحين، لن أقول المزيد، بل سأذهب إلى الفندق وأنتظر".

بعدها انطلق هو والأصم الجديد؛ فضحك الملك وراح يثرثر: "كُسرت ذراعه- من المحتمل جدًّا، أليس كذلك؟- ومقنع جدًا، بالنسبة لمُحتال عليه أن يؤدي إشارات بيده، ولكنه لم يتعلمها بعد. فقدا أمتعتهما! وهذا جيد للغاية، إنها براعة خارقة- في ظل هذه الظروف!"

ضحك مرةً أخرى؛ وضحك معه الجميع، عدا ثلاثة أو أربعة، أو ربما ستة أشخاص. أحدهم كان الطبيب؛ وشخص آخر يبدو عليه الذكاء، ويحمل حقيبة على الطراز القديم مصنوعة من قماش السجاجيد، ونزل للتو من الباخرة، وكان يتحدث معه بصوت منخفض، ويختلسان النظر إلى الملك، ويهزان رأسيهما من حين لآخر- كان "ليفي بيل"، المحامي الذي كان مسافرًا إلى "لويسفيل"؛ وشخص آخر قوي البنية كان مارًّا واستمع إلى كل ما قاله السيد العجوز، وكان يستمع إلى الملك الآن. وحين أضجر الملك هذا الشخص



fb/mashro3pdf

قوي البنية، وقال: "استمع إليَّ هنا؛ إن كنت "هارفي ويلكس"، فمتى وصلت إلى هذه المدينة؟"

- "قبل الجنازة بيوم واحد، يا صديقي".

- "لكن في أي وقت من اليوم؟"

- "في المساء- قبل غروب الشمس بساعة أو ساعتين".

- "وكيف وصلت؟"

- "وصلت على متن الباخرة "سوزان باول" القادمة من "سنسناتي".

- "حسنًا، كيف وصلت إذن إلى هذه البقعة في الصباح- على زورق؟"

- "لم أصل إلى في الصباح".

- "أنت كاذب".

قفز العديد من الحضور إليه، وتوسلوا إليه ألا يتحدث إلى رجل كبير السن ويعمل واعظًا بهذه الطريقة.

- "واعظ! هراء، إنه مُحتال وكاذب. لقد كان في هذه المنطقة في صباح ذلك اليوم. فأنا أعيش هناك، أليس كذلك؟ حسنًا، لقد كنت أقف هناك، وكان هو هناك، رأيته هناك. كان قادمًا في زورق، مع "تيم كولنز" وصبي".

قال الطبيب: "هل تستطيع التعرف على الصبي إن رأيته مرةً أخرى، يا "هينز"؟"

- "أظن أنني أستطيع، إلا أنني غير مُتأكد. انتظر، ها هو يقف هناك، الآن. تعرفت عليه بسهولة".

كنتُ أنا مَن أشار إليه. فقال الطبيب: "أيها الجيران، أنا لا أعلم هل من حضرا الآن مُحتالان أم لا؛ إلا أن هذين مُحتالان بكل تأكيد، وإلا لكنت



fb/mashro3pdf

مُغفلًا، هذه هي الخلاصة. أعتقد أن واجبنا أن نتأكد أنهما لن يغادرا المدينة حتى نتأكد من الأمر. هيا يا "هينز"؛ هيا جميعًا. سنأخذ الرجلين إلى الفندق، لنواجههما بالآخرين، وأعتقد أننا سنكتشف شيئًا ما قبل أن يتم خداعنا".

كان الأمر جنونيًا بالنسبة للحشد، عدا ربما أصدقاء الملك؛ وهكذا انطلقنا. كان الوقت نحو الغروب. أمسك الطبيب بيدي، وكان طيبًا معي، إلا أنه لم يفلت معصمي.

ذهبنا جميعًا إلى حجرة كبيرة في الفندق، وأشعلوا بعض الشموع، ثم أحضروا الرجلين الجديدين. في البداية قال الطبيب:

- "لا أود أن أبدو قاسيًا على هذين الرجلين؛ إلا أنني أعتقد أنهما مُحتالان، وربما كان هناك من يتواطأ معهما ولا نعلم عنهم شيئًا. وبالطبع، فسيفر المتواطئون بحقيبة النقود التي تركها "بيتر ويلكس"، أليس كذلك؟ ليس هذا مُستبعدًا. وإذا لم يكونا مُحتالين، فلن يعترضا على إحضار حقيبة النقود حتى يتسنى لنا التأكد من أنهما على حق- أليس كذلك؟"

وافق الجميع على هذا الرأي. واعتقدت أنهم وضعوا العصابة في مأزق حقيقي. إلا أن الملك بدا عليه الحزن، وهو يقول:

- "أيها السادة، كم كنت أتمنى أن تكون النقود موجودة، فأنا لا أريد وضع عراقيل في طريق التحقيق العادل والصريح والكامل في هذا الأمر المُحزن؛ ولكن مع الأسف، النقود ليست موجودة، ويمكنكم إرسال من يتأكد، إن أردتم".

- "وأين النقود إذن؟"

- "حسنًا، حين أعطتني ابنة أخي الحقيبة لأحتفظ لها بها، وضعتها في



fb/mashro3pdf

المرتبة القش في سريري، بلا رغبة في وضعها في البنك للأيام القليلة التي سنقضيها هنا، معتبرًا أن السرير مكان آمن، ولسنا معتادين على الزنوج، وافترضنا أنهم يتسمون بالأمانة مثل الخدم في انجلترا. لقد سرق الزنوج الحقيبة في صباح اليوم التالي بعد أن نزلت إلى الطابق الأرضي؛ وحين قمت ببيعهم، لم أتفقد النقود، لذا فقد هربوا بها بعيدًا. وها هو خادمي يمكن أن يخبركم بما حدث، يا سادة".

قال الطبيب وبعض الحضور: "هراء!"، ورأيت أن الجميع صدقه. سألني أحدهم إن كنت قد رأيت الزنوج يسرقون النقود. فقلت كلا، إلا أنني رأيتهم يتسللون من الحجرة ويسارعون بالابتعاد، ولم أفكر في أي شيء، ظننت فقط أنهم خائفون من أن يكونوا قد أيقظوا السيد، ويحاولون الهرب قبل أن يسبب لهم المتاعب. وكان هذا هو كل ما سألوا بشأنه. ثم دار الطبيب حولي وسألني: "هل أنت إنجليزي، أيضًا؟"

فقلت أجل، فضحك هو والآخرون وقال: "هراء!".

حسنًا، ثم دخلوا في تحقيق عام، وظللنا هناك، ننتقل من موضوع لآخر، وساعة بعد أخرى، من دون أن يتحدث أحد عن العشاء، أو يفكر فيه حتى- واستمروا في التحقيق، واستمروا؛ وكان أكثر ما قد تواجهه في الحياة تعقيدًا. طلبوا من الملك أن يُعيد قصته، وطلبوا من السيد العجوز أن يحكي قصته؛ ورأى الجميع، عدا قلة من الأغبياء المُتحاملين، أن السيد العجوز كان يقول الحقيقة، والملك كاذب. وطلبوا مني بعد قليل أن أحكي ما أعرف. رمقني الملك بنظرة جانبية من زاوية عينه، ففهمت أنني يجب أن أتحدث بشكل صحيح. بدأت أحكي عن مدينة "شيفلد"، وعن حياتنا هناك، وعن



fb/mashro3pdf

عائلة "ويلكس" الإنجليزية، وإلى غير ذلك؛ إلا أنني لم أكن موفقًا تمامًـا إلى أن ضحك الطبيب؛ وقال المحامي "ليفي بيـل": "اجلـس، يـا بُـني؛ لـو كنـت مكانك لما أجهدت نفسي. أعتقد أنك لم تعتد على الكذب، ويبـدو أنـك لـم تكن متقنًا؛ فيما تدربت عليه. فقد قمت به بطريقة خرقاء".

لم أهتم بما قال من مُجاملة لي، بقدر سعادتي بأنهم تركوني، على أية حال.

كان الطبيب على وشك أن يقول شيئًا، ثم استدار وقال: "لو كنت هنـا في المدينة من البداية، يا "ليفي بيل"-" قاطعه الملك ومد يده ليـصافحه، قـائلًا: "أهذا الصديق القديم لأخي المرحوم، الذي كتب لي كثيرًا عنه؟"

صافحه المحامي، وبدا عليه السرور، وتحـدثا لبرهـة، ثـم انتحيـا جانبًـا وتحدثا بصوت خفيض؛ وفي النهاية قال المُحامي بصوتٍ مسموع: "سيفي هذا بالغرض. سوف آخذ الطلب، وأرسله مع طلبات إخوتك، وحينها سـيعرفون أن كل شيء على ما يُرام".

وجاءوا بورقة وقلم، فجلس الملك وقد مال برأسه إلى جانب، وهو يعض على لسانه، ثم كتب شيئًا ما؛ ثم أعطى القلم للدوق- الذي بـدا عليـه الملـل للمرة الأولى. إلا أنه أخذ القلم وكتب. ثم اتجـه المحـامي إلى الـسيد العجـوز الجديد، قائلًا: "من فضلك، اكتب أنت وشقيقك عبارة أو عبـارتين، ووقعـا باسميكما".

كتب السيد العجوز، إلا أن أحدًا لم يتمكن من قـراءة مـا كتـب. بـدا الاندهاش الشديد على المحامي، وقال: "حسنًا، سوف نعـرف الحقيقـةً-"، ثـم أخرج من جيبه بعض الخطابات القديمة وتفحصها، وقارنهـا بخـط الـسيد العجوز، ثم قارنها بخط الآخرَين، وبعدها قال: "هذه الخطابات القديمة مـن



fb/mashro3pdf

"هارفي ويلكس"؛ ومن ينظر إلى خط هـذين الـرجلين، سـيعرف أنـه لـيس خطهما (بدا الملك والدوق مُحبطين، وأحمقين، كما أقول لك، لأن المحامي أوقع بهما)، ومن خط هذا السيد العجوز، يمكن لأي شخص أن يدرك أنه أيضًا لم يكتب الخطابات- هذه هي الحقيقـة، كمـا أن الخربـشات الـتي صـنعها ليست كتابة على الإطلاق. والآن، ها هي بعض الخطابات من-".

قال السيد العجوز الجديـد: "مـن فـضلك، دعـني أشرح لـك. لا أحـد يستطيع قراءة خطي عدا أخي، الذي كان يعيد كتابة الخطابات بخطه. إن هذه الخطابات بخطه هو، وليست بخطي".

فرد عليه المحامي: "حسنًا، إنه موقف غريب. ففي حوزتي بعض خطابات "ويليام"، أيضًا؛ فإذا طلبت منه أن يكتـب لنـا عبـارة أو عبـارتين، حـتى نتمكن م-".

قاطع السيد العجوز قائلًا: "لا يستطيع الكتابـة بيـده اليـسرى، لـو كان يستطيع الكتابة باليمنى، لرأيتم أنه كتب خطاباته وخطاباتي أيـضًا. انظـر إلى جميع الخطابات، وسوف تكتشف أنها مكتوبة بخط واحد".

نظر المحامي إلى الخطابات وقال: "أعتقد أن الأمر كذلك، وإن لم يكـن كذلك، فهناك تشابه كبير، على أية حال. حسنًا، حسنًا، حسنًا! أعتقد أننـا في الطريق الصحيح إلى الحل، رغم انحرافنا قليلًا، بشكل جزئي. ولكن على أيـة حال، فهناك شيء واحد تم إثباته -هذان الاثنان ليسا من عائلة "ويلكس"- مُشيرًا إلى الملك والدوق.

حسنًا، ماذا تظن؟ هـل استـسلم الأحمـق العجـوز حينهـا! بـالطبع لـم يستسلم. فقد قال إنه اختبار غير عادل. قال إن شقيقه "ويليام" أكبر العابثين



fb/mashro3pdf

في العالم، ولم يحاول أن يكتب- لقد ظن أن "ويليام" سوف يقوم بحيلة من حيله عندما وضع القلم على الورقة. ثم انفعل وأخذ يثرثر حتى بدا أنه صدق كذبته بالفعل، إلا أن السيد الجديد ما لبث أن قاطعه قائلًا: "لقد تذكرت شيئًا. هل يوجد هنا أحد من ساعدوا في تجهيز جسم أخي المرحوم "بيتر ويلكس" للدفن؟"

أجاب أحدهم: "أجل، أنا والسيد "آب تيرنر" قمنا بذلك، ونحن هنا".

اتجه السيد بحديثه إلى الملك وقال: "ربما استطاع هذا السيد أن يخبرني ما هو الوشم المرسوم على صدره؟"

بوغت الملك، وأراهن أنه لو لم يستجمع قواه بسرعة بالغة، فسينهار كضفة نهر اخترقها الماء من أسفل؛ إنه نوع من المفاجأة المحسوبة التي تباغت أي شخص وتجعله ينهار. فكيف سيتسنى له معرفة الوشم المرسوم على صدر الرجل؟ صار وجهه أبيض اللون إلى حدٍّ ما، لم يتمكن من السيطرة على الأمر؛ وساد صمت رهيب في المكان، وكل واحد يميل قليلاً إلى الأمام ويُحدق فيه. قلت لنفسي، إنه سيستسلم- لم تعد هناك جدوى. حسنًا، هل استسلم؟ من الصعب تصديق ذلك، لم يستسلم. أظن أنه قرر أن يصمد حتى يُرهق الجميع، ليجد فرصة يتمكن فيها هو والدوق من الإفلات والهرب. على أية حال، سرعان ما ابتسم، وقال بعد أن تنهد: "مفا يا له من سؤال صعب، أليس كذلك؟ أجل، يا سيدي، يمكنني أن أقول لك الوشم المرسوم على صدره، إنه سهم أزرق صغير، نحيل وأزرق- ذلك هو الوشم؛ وإن لم تنظر إليه عن كثب لما أمكنك رؤيته. والآن، ماذا تقول أنت- ها؟"

حسنًا، لم أر رجلًا في مثل وقاحته الكاملة الخالصة.



fb/mashro3pdf

استدار السيد العجوز الجديد بحدة إلى "آب تيرنـر" ورفيقـه، وفي عينيـه لمعة من يظن أن أوقع بالملك هذه المرة، وقال: "أنتم- لقد سمعتم ما قال! هل كان هناك أي علامة على صدر "بيتر ويلكس"؟"

قالا معًا: "نحن لم نر مثل هذه العلامة".

قال السيد العجوز: "حسنًا! والآن، ما رأيتماه على صـدره هـو حـرف P شاحب وصغير وB (وهما حرفان استهلاليان كان قد وشمهما وهـو صـغير)، وW، وبين كل حرفين خط صغير، هكذا: P-B-W"- وكتبها بهذه الطريقة على ورقة. "أليس هذا ما رأيتماه؟"

قالا معًا: "لا، لم نر مثل هذه العلامات على الإطلاق".

حسنًا، أصبح الجميع في حيرة من أمرهم الآن، وصاحوا:

- "إنهم جميعًا مُحتالون! هيا نفتك بهم! هيا نغرقهم في النهر! هيا نلطخهم بالقار والريش على عارضة خشبية"، كان الجميع يصيحون في اللحظة نفسها، وأصدروا ضجة كبيرة. إلا أن المُحامي قفز فوق المنضدة وصاح:

- "أيها السادة- أيها السادة! اسمعوني لكلمة واحدة- كلمة واحـدة- مـن فضلكم! ما تزال هناك طريقـة للتأكـد- فلنـذهب ونحفـر ونُخـرج الجثـة لنرى".

أقنعتهم الفكرة. صاحوا جميعًا وهم ينطلقون: "هوراي!"؛ إلا أن المُحامي والطبيـب صـاحا: "انتظـروا، انتظـروا! أمـسكوا الأربعـة رجـال والـصبي، وأحضروهـم معنا، أيضًا". صاحوا: "سوف نفعل، وإن لم نجد علامات فسوف نشنق العصابة كلها".

كنت أشعر بالخوف في تلك اللحظة، كما أقول لكم. لكن لـم يكـن



fb/mashro3pdf

هناك من مهرب، كما تعلمون. سحبونا جميعًا، واتجهوا بنا في مسيرة نحو المقبرة؛ التي كانت على بُعد ميل ونصف الميل من النهر، وخلفنا كل أهل المدينة، الذين تجمعوا على الضجة. ولم تكن الساعة قد تجاوزت التاسعة مساءً.

ونحن نمر أمام المنزل، تمنيت لو لم أرسل الآنسة "ماري جين" خارج المدينة، فلو كانت موجودة وأصدرت لها إشارة، لكانت أنقذتني، وكشفت المُحتالين.

حسنًا، تقدم الجمع على طريق النهر، مهتاجين كالوحوش الكاسرة؛ وحتى تضاعف الرعب كانت السماء تَسوَد، ويبدأ البرق في الظهور والاندفاع الطائش؛ فيما حركت الرياح أوراق الشجر بقوة. كانت هذه أكثر المواقف التي واجهتها رُعبًا وخطورة؛ فأصابني الذهول؛ كان كل شيء يمضي مختلفًا عما خططت له، فبدلًا من التورط لأجد مُتسعًا من الوقت، وأرى الملهاة كلها، وأجد "ماري جين" في ظهري لتنقذني وتحررني في اللحظة الحرجة، ها أنا الآن لا يحول بيني وبين الموت المفاجئ شيء سوى الوشم. ولو لم يعثروا عليه-

لم أكن قادرًا على تحمل التفكير في الأمر؛ ومع ذلك، وبطريقة ما، فلم أكن قادرًا على التفكير في أي شيء آخر. كان الظلام يزداد حُلكةً فحلكة؛ وهذه فرصة مناسبة للهرب، إلا أن "هينز" الضخم قوي البنية كان يقبض على معصمي- كأنني شخص يحاول الهرب من "جالوت"(*). كان يجرني قُدمًا، وهو

(*)عملاق فلسطين القديمة، وشخصية توراتية.

في قمة الإثارة، وكان عليَّ أن أسرع حتى أواكب سرعته في المشي.

حين بلغنا إلى المقبرة، اندفعوا إليها واجتاحوها كالسيل. وحين وصلوا إلى القبر، وجدوا المئات من أدوات الحفر، أكثر مما يحتاجون بكثير، إلا أن أحدًا لم يفكر في إحضار فانوس. لكنهم مضوا في الحفر على وميض البرق، وأرسلوا أحدهم لاقتراض فانوس من أقرب منزل، على بعد ميل ونصف الميل.

هكذا حفروا وحفروا بحماسة؛ وأصبح الظلام بالغ الحلكة، وبدأ هطول المطر، وتعالت هسهسة الرياح، وجاء البرق أقوى فأقوى، ودوى الرعد؛ إلا أن أحدًا لم يُلاحظ هذا، فقد كانوا مُنهمكين تمامًا في عملهم؛ وفي إحدى اللحظات، كان يمكن أن ترى كل شيء وكل وجه في هذا الاحتشاد الكبير، وكل كومة تراب تخرج من القبر، وفي اللحظة التالية يمحوها الظلام، فلا تستطيع رؤية أي شيء على الإطلاق.

في النهاية، أخرجوا التابوت، وبدأوا في فك مسامير الغطاء، وآنئذٍ حدث تزاحمٌ وتدافع جديد، ليقتربوا ويتمكنوا من الرؤية، بشكل غير مسبوق؛ كان المشهد بشعًا، في الظلام. وجرح "هينز" معصمي بسبب جذبه وشده بقوة، وأظنه نسي تمامًا أنني موجود في هذا العالم، فقد كان مستثارًا وهو يلهث.

فجأة، أطلق البرق موجةً من وهج أبيض، وصاح أحدهم: "يا إلهي، ها هي حقيبة الذهب على صدره!"

أطلق "هينز" صيحة عالية، مثله مثل غيره، وأفلت معصمي، وقام باندفاعة قوية ليشق طريقه ويُلقي نظرة، وعلى الفور انسللت واتجهت إلى الطريق في الظلام من دون أن ينتبه أحد.

انطلقت وحدي في الطريق، بأقصى سرعة- على الأقل، لم يكن هناك



fb/mashro3pdf

غيري سوى الظلام الحالك، وومضات البرق المُتقطعة، والمطر المُنهمر، والرياح المُندفعة، والرعد المُدوي؛ أقسم لك أنني جريت بأقصى سرعتي.

عندما وصلت إلى المدينة، لم يكن هناك أحد في الخارج بفعل العاصفة، فلم أتخذ الطرق الجانبية، وإنما انطلقت في الشارع الرئيسي؛ وعندما اقتربت من المنزل، أمعنت النظر إليه. لم يكن هناك ضوء؛ كان البيت غارقًا في الظلمة- مما جعلني أشعر بالأسى والإحباط، من دون أن أعرف السبب. ولكن في النهاية، وأنا على وشك التحرك، لمحت **وميضًا** ينبعث من نافذة "ماري جين"! انقبض قلبي فجأة، وكأنه سيتوقف؛ وفي ذات اللحظة خيم الظلام على المنزل، وعلى كل ما يحيط بي، وعرفت أنني لن أراها تقف أمامي مرةً أخرى في هذا العالم. **كانت** أفضل وأشجع فتاة عرفتها.

عندما ابتعدتُ عن المدينة بما يكفي لأرى إمكانية الوصول إلى البرزخ، بدأت أبحث عن قارب يمكن أن أستعيره، ومع أول ضوء للبرق رأيت قاربًا غير مربوط، استوليت عليه وانطلقت. كان زورقًا، ولم يكن مثبتًا بشيء سوى حبل. كان البرزخ يصخت عن بُعد كبير، بعيدًا هناك في منتصف النهر، إلا أنني لم أهدر الوقت؛ وعندما وصلت إلى الطوف في النهاية، كنت في قمة الإرهاق، وكان يمكن أن أستلقي وألتقط أنفاسي إن كان هناك مُتسع من الوقت. لكني لم أفعل. فبمجرد أن قفزت على متن الطوف صحت: "اخرج إلى هنا، يا "جيم" وانطلق بالطوف، المجد لله، لقد تخلصنا منهما!".

خرج "جيم"، وجاء نحوي فاردًا ذراعيه، وهو في قمة الفرح؛ لكني حين لمحته على ضوء البرق، قفز قلبي من الخوف، وتراجعت وسقطت من فوق الطوف؛ لقد نسيت أنه الملك "لير"، والعربي الغريق في الوقت نفسه، ذو



fb/mashro3pdf

الملامح المُخيفة في ضوء النهار. لكن "جيم" التقطني من الماء، وكان على وشك احتضاني والترحيب بي، وما إلى ذلك، لسعادته بعودتي ولتخلصنا من الملك والدوق، لكنني قلت:

- "ليس الآن؛ انتظر حتى وقت الإفطار، انتظر حتى وقت الإفطار! اقطع الحبل لكي ننطلق".

في لحظات، كنا ننطلق بعيدًا في النهر، وكان إحساسًا رائعًا بالحرية من جديد، وبكوننا وحدنا على الطوف، في النهر الكبير، وليس هناك من يُنغص علينا حياتنا. كان عليَّ أن أجري في مكاني قليلًا، وأقفز وألين كعبَيَّ عدة مرات، فلم أكن أحتمل ألمها؛ وفي المرة الثالثة، سمعت صوتًا أعرفه جيدًا، فكتمت أنفاسي وأنصتُ وانتظرت؛ وتأكدت عندما أضاء ضوء البرق التالي صفحة الماء، كانا قادمين!- يضربان بالمجاذيف على متن قارب، لقد كانا الملك والدوق.

انهرت فوق أرضية الطوف واستسلمت؛ وكان هذا كل ما أستطيع عمله تجنبًا للبكاء.

fb/mashro3pdf

# الفصـــل الثلاثُـــون

حين صعدا إلى الطوف، اتجه الملك نحوي، وأمسكني مـن الياقـة وهـزني بعنف، وهو يقول: "أكنت تحاول الهرب مِنا، أيها الفتى! هل سئمتَ صحبتنا، هيه؟"

قلت: " كلا، يا صاحب الجلالة، لم نكن نحاول الهرب- من فـضلك، لا تفعل هذا، يا صاحب الجلالة!"

- "قل لي بسرعة، إذن، ماذا كانت فكرتكما، وإلا مزقت أحشاءك!"

- "أقسم أن أقول لـك كل شيء كمـا حـدث، يـا صـاحب الجلالـة. كان الرجل الذي يمسك بي عطوفًا معي، وقال لي إن له ولد في عمري نفسه، مـات في العام الماضي، وهو حزين لرؤية طفل في مثل هذا المأزق الخطـر؛ وعنـدما كانوا مذهولين جميعًا بالعثور على الذهـب، وانـدفعوا نحـو التـابوت، تـركني، وهمس لي: "اهرب الآن، وإلا شنقوك، بكل تأكيدا" فهربت. لم يكن البقاء فكرة جيدة- ولم أكن أستطيع فعل أي شيء، ولم أكن أريـد أن أُشـنق وأنـا



fb/mashro3pdf

قادر على الهرب. لذلك لم أتوقف عن الجري حتى وجدت الزورق؛ وحين وصلت إلى هنا، طلبت من "چيم" أن يسرع بالانطلاق، وإلا أمسكوا بي وشنقوني، كما أنني خشيت ألا تكون أنت والدوق أحياء الآن، وكنت حزينًا للغاية، وشاطرني "چيم" الحزن، وسعدت للغاية حين رأيتكما قادمين؛ ويُمكنك أن تسأل "چيم" إن لم تكن تصدقني".

قال "چيم" الكلام نفسه، فأمره الملك بأن يصمت، وقال: "آه، حقًّا، محتمل جدًا"، ثم هزني مرةً أخرى، وقال إنه يظن أنه يجب أن يُغرقني. إلا أن الدوق قال له: "اترك الصبي، أيها الأحمق العجوز! وهل فعلت شيئًا يختلف عن ما فعل؟ هل بحثت عنه وأنت تهرب؟ لا أتذكر أنك فعلت".

لذا تركني الملك، وبدأ يوجه السباب إلى المدينة وإلى جميع مَن فيها. إلا أن الدوق قال: "من الأفضل أن تسب نفسك أيضًا، لأنك أكثر من يستحق ذلك. فلم تفعل أي شيء منطقي منذ اللحظة الأولى، عدا رباطة جأشك وثباتك إزاء وشم السهم الأزرق الخيالي ذاك. كان هذا تصرفًا ذكيًا- ذكيًا وشجاعًا؛ وكان السبب في إنقاذنا. فلولاه لكانوا حبسونا إلى أن تصل حقائب الرجل الإنجليزي- وبعدها- إلى السجن، بكل تأكيد! إلا أن الخدعة جعلتهم يذهبون إلى المقابر، كما كان لظهور الذهب الفضل الأكبر علينا؛ لأن الحمقى إن لم يتركونا، في لحظة انفعالهم، ويذهبوا من أجل إلقاء نظرة، لقضينا الليلة مُعلقين من ربطات العنق – وكنا سنرتدي ربطات العنق أكثر من اللازم".

صمتا لدقيقة- يفكران؛ ثم قال الملك، وهو شارد الذهن تقريبًا: "هاه، ونحن ظننا أن الزنوج سرقوها".

أصابني ما قال بالارتباك! قال الدوق ببطء ونوع من القصدية



fb/mashro3pdf

والسخرية: "أجل، لقد ظننا هذا".

وبعد نصف دقيقة، صاح الملك: "على الأقل، ظننت أنا هذا".

فقال الدوق بالنبرة نفسها: "على العكس، أنا من ظن هذا".

فقال الملك، بنوع من الغيظ: "انظر إليّ هنا، يـا "بيلـووتر"، إلى أي شيء تلمح؟"

فقال الدوق بنوع من الاستخفاف: "حين يتعلق الأمر بهذه النقطة، فهل تسمح لي بسؤالك، إلى أي شيء تلمح أنت؟"

قال الملك بسخرية شديدة: "هراء، ولكنني لا أعرف- ربما كنـتَ نائمًـا ولا تدري ماذا تفعل".

انتفض الدوق، وقال: "دع عنك كل هذا الهراء الملعون؛ هل تتهمني أنـا؟ ألا تظن أنني أعرف مَن أخفى النقود في التابوت؟"

- "أجل، يا سيدي، أعرف أنك تعرف، لأنك فعلت هذا بنفسك".

- "أنت كاذب".

هجم الدوق عليه، فصاح الملك: "ارفع يدك عني!- اترك رقبتي!- أتراجع عن ما قلت!"

فقال الدوق: "حسنًا، لقد اعترفت للتو أنك أخفيت النقود هناك، وأنـت تنوي الهرب مني ذات يوم، والعودة لكي تحفر وتخرجها، وتأخذها لنفسك".

- "انتظر لحظة، أيها الدوق- وأجـب على هـذا الـسؤال الوحيـد، بـصدق وأمانة، إذا لم تكن قد وضعت النقود هناك، فقل إنك لـم تـضعها، وسـوف أصدقك، وأتراجع عن كل ما قلت".

- "أيها المحتال العجوز، لم أفعل، وأنت تعلم أنني لم أفعل".



fb/mashro3pdf

- "حسنًا، إذن، أنا أصدقك. ولكن أجبني عن سؤال آخر فقط- ولا تغضب؛ ألم يخطر ببالك أن تسرق النقود وتخفيها؟"

صمت الدوق لبرهة، ثم قال بعدها: "حسنًا، لا أهتم إن واتتني الفكرة، إلا أنني لم أنفذها، على أية حال. أما أنت فقد واتتك الفكرة، ونفذتها".

- "فليطردني الرب من ملكوته، إن كنت قد نفذتها، بكل صدق. أنا لا أقول إنني لم أخطط لسرقة النقود، لأنني كنت أخطط لذلك فعلًا، لكنك- أقصد أحدهم- سبقني".

- "أنت كاذب، لقد فعلتها، وعليك أن تعترف، وإلا-"

- "كفى- أعترف".

شعرت بالسعادة وأنا أسمعه يقول هذا؛ وأصبحت أكثر ارتياحًا عن ذي قبل. وحينها رفع الدوق يده وقال: "إن أنكرت فعلتك مرةً أخرى، فسوف أغرقك في النهر. والأفضل لك أن تجلس حيث أنت وتبكي كالأطفال- إنه يناسبك تمامًا، بعد الطريقة التي تصرفت بها. لم أر في حياتي عجوزًا في مثل جُبنك، يرغب في الاستحواذ على كل شيء- بينما كنتُ أثق فيك طوال الوقت، كأنك أبي. يجب أن تخجل من نفسك وأنت تقف وتسمع أن التُهمة توجه إلى الزنوج، من دون أن تتفوه بكلمة دفاعًا عنهم. ذلك يجعلني أشعر بالحماقة كلما تذكرت كم كنت ساذجًا لأصدق هراءك. عليك اللعنة، فهمت الآن سر لهفتك على تعويض العجز في النقود- لتستحوذ على كل ما حصلتُ عليه من عرض المسرحية وغيره من الأمور، لتسرقها كلها!"

قال الملك بخوف وهو مازال يشهق: "كيف، أيها الدوق، وأنت من اقترح تعويض العجز في النقود؛ وليس أنا".



fb/mashro3pdf

قال الدوق: "كُف عن البكاء! لا أريد سماع المزيد من كلامك. والآن رأيت ما حصلتَ عليه من نقودا لقد استردوا نقودهم كلها، وأخذوا كل نقودنا عدا عملة معدنية أو اثنتين. اذهب إلى فراشك، ولا تذكر أمامي كلمة "العجز" مرةً أخرى، طوال حياتك".

زحف الملك نحو الكوخ، وأخذ زجاجة الخمر الخاصة به ليُسري عن نفسه، وبعد قليل، بدأ الدوق في تناول زجاجته؛ وهكذا بعد نحو نصف ساعة أصبحا في مثل ظرف اللصوص مرةً أخرى، وكلما شربا أكثر، أصبحا ودودين أكثر، ثم ناما يشخران وكل منهما على ذراع الآخر. لقد سَكرا كثيرًا، إلا أنني لاحظت أن الملك لم يسكر لدرجة تنسيه تهديد الدوق بعدم إنكار إخفاء حقيبة النقود مرةً أخرى. جعلني هذا أشعر الراحة والرضا. وبالطبع بعد أن سمعنا غطيطهما، جلسنا لنثرثر طويلًا، وأخبرت "چيم" بكل ما حدث.

fb/mashro3pdf

# الفصل الحادي والثلاثون

لم نتوقف عند أية مدينة أخرى لأيام وأيام؛ استمر إبحارنا في النهر جنوبًا. وكنا قد توغلنا في الطقس الجنوبي الدافئ، وأصبحنا على مسافة بعيدة من الوطن. وبدأنا نرى أشجارًا تنمو عليها طحالب أسبانية، وتتدلى أطرافها مثل لِحى رمادية طويلة. كانت المرة الأولى التي أرى فيها هذه الطحالب تنمو، وتُضفي على الغابة مسحة من المهابة والوحشة. وظن المُحتالان أنهما أصبحا الآن بعيدًا عن الخطر، وبدآ في خداع القرى مرةً أخرى.

في البداية ألقيا محاضرات حول الإقلاع عن الخمر؛ إلا أنها لم تُدِر عليهما ما يكفي لشراء الخمر. بعد ذلك، افتتحا مدرسة لتعليم الرقص في قرية أخرى، إلا أنهما لم يعرفا عن الرقص أكثر من الكنجارو؛ لذلك هجم الجمهور عليهما في أول قفزة وطردهما من القرية. وفي مرة أخرى، حاولا إلقاء المحاضرات؛ إلا أن الجمهور لم يمهلهما طويلاً، فانتفض ووجه إليهما السباب وطردهما. حاولا القيام بالتبشير والتنويم المغناطيسي والطب،



fb/mashro3pdf

وقراءة الطالع، والقليل من كل شيء؛ فلم يصادفهما الحظ. لهذا في النهاية شارفا على الانهيار، واستلقيا على الطوف وهو يبحر، يفكران ويفكران، ولا ينطقان لمدة نصف يوم، ويبدوان مهمومين ومُحبطين.

وفي النهاية، طرأ عليهما بعض التغيير، وبدآ يضعان رأسيهما في الكوخ ويتحدثان بصوت خفيض، وبسرية تامة، لمدة ساعتين أو ثلاث في كل مرة. ساورني القلق أنا و"چيم". لم يعجبنا ما يحدث. اعتقدنا أنهما يفكران في شيء شيطاني أسوأ من كل ما سبق. فكرنا في الأمر من كافة جوانبه، وتوصلنا في النهاية إلى أنهما سيقومان بالسطو على منزل أو متجر، أو يقومان بتزوير النقود، أو ما شابه. لهذا انتابنا الخوف، واتفقنا على ألا ننخرط إطلاقًا في مثل هذه الممارسات، وإذا اكتشفنا أننا سنتورط معهما، فسوف نهرب ونتركهم خلفنا. حسنًا، أخفينا الطوف ذات صباح في مكان جيد وآمن، على بُعد ميلين جنوب إحدى القرى الرثة، تسمى "بايكسفيل"، وطلب منا الملك أن نظل مختبئين خلال ذهابه إلى القرية ليرى إن كانوا قد سمعوا بعرض العدم الملكي. (قلت لنفسي: "تبحث عن بيت تسرقه، أيها الحقير، وحين تعود بعد سرقته إلى هنا ستبحث عن الطوف، وتقول أين الطوف وأين "چيم"، وسوف يمتد بك الوقت في البحث ولن تجده). وقال إنه إن لم يعد عند منتصف النهار، سأفهم أنا والدوق أن الأمور على ما يرام، ونذهب إليه.

لذا بقينا مكاننا. كان الدوق عصبيًا ومتوترًا للغاية، وكان في حالة شرسة. كان ينهرنا لأتفه الأسباب، ولا يعجبه أي شيء نقوم به؛ ودائمًا ما كان يجد الأخطاء في كل كبيرة وصغيرة. بالتأكيد هناك خطب ما. لذا شعرت بالراحة والسعادة حين لم يعد الدوق عند منتصف النهار؛ فقد نحظى ببعض التغيير،



fb/mashro3pdf

وقد تواتينا فرصة التغيير التي ننتظرها. لهذا ذهبت مع الدوق إلى القرية، وبدأنا البحث عن الملك، وبعد قليل وجدناه في الحجرة الخلفية في حانة صغيرة وضيعة، ثملًا للغاية، وحوله مجموعة من المُتسكعين يعابثونه، وهو يسبهم ويهددهم بكل قوته، وكان ثملاً لدرجة أنه لا يستطيع المشي أو المساس بهم. بدأ الدوق يسبه ويصفه بالأحمق العجوز، والملك يرد عليه السباب؛ وحين احتدم الشجار بينهما، تسللت خارجًا، وأطلقت العنان لقدمي، وجريت في اتجاه النهر بسرعة الغزالة، فقد وجدت فيها فرصتنا؛ ورأيت أن وقتًا طويلًا سيمر قبل أن يرياني مرةً أخرى أنا و"چيم". وصلت إلى هناك مقطوع النفَس، لكني في قمة السعادة، وهتفت: "أطلق الطوف يا "چيم"! نحن على ما يرام الآن!"

إلا أنني لم أسمع إجابة، ولم يخرج أحد من الكوخ. اختفى "چيم"! أطلقت صيحة- ثم أخرى- ثم ثالثة؛ وجريت هنا وهناك في الغابة، وأنا أهتف وأصيح؛ لكن بلا جدوى- اختفى "چيم" العجوز. جلست وبكيت؛ لم أستطع منع نفسي من البكاء. إلا أنني لم يمكنني الجلوس ساكنًا طويلًا. سرعان ما اتجهت نحو الطريق، محاولاً التفكير في أفضل ما يمكنني أن أفعله، وجريت إلى طفل يمشي، وسألته إن كان رأى زنجيًا غريبًا ووصفت له ملابس "چيم"، فقال: "أجل"، فسألته من جديد: "أين؟"

- "هناك في مزرعة "سيلاس فيلبس"، على بُعد ميلين جنوبًا. إنه زنجي هارب، وقد أمسكوا به. أكنت تبحث عنه؟"

- "بالطبع لا، لقد صادفته في الغابة منذ ساعة أو ساعتين، وقال لي إن صرخت فسوف أخرج كبدك- وطلب مني أن أرقد وأبقى مكاني. ظللت



fb/mashro3pdf

هناك حتى الآن؛ خائفًا من الخروج".

- "حسنًا، لا داع للخوف بعد الآن، فقد ألقوا القبض عليه. لقد هرب من الجنوب، من مكان ما".

- "إنه مكسب كبير لمن أمسك به".

- "حسنًا، أظن هذا! فهناك مكافأة مقدارها مائتا دولار من أجله. كأنك وجدت نقودًا في الطريق".

- "أجل، صحيح- كان يمكنني أن أحصل على هذا المبلغ لو كنت ضخمًا بما يكفي؛ فلقد رأيته أولًا. من وشى به؟"

- "رجل عجوز -غريب عن القرية- وشى به مقابل أربعين دولارًا، لأنه يريد السفر شمالًا عبر النهر، ولا يمكنه الانتظار. أفكر في الأمر الآن! يمكن أن تراهن أنني كنت سأنتظر، حتى إن استغرق الأمر سبع سنوات".

- "وأنا أيضًا، ولكن ربما لا يستحق أكثر من ذلك، طالما باعه بسعر زهيد. ربما كان هناك أمر مريب".

- "لكنه شرعي، مع ذلك. لقد رأيت الإعلان بنفسي. والإعلان يصفه تمامًا- يرسمه كصورة، ويصف المزرعة التي هرب منها، جنوبًا في "نيورليانز". لا يا سيدي، الأمر ليس هزلًا. أخبرني، هل معك مضغة تبغ؟"

لم يكن معي تبغ، فانصرف. اتجهت إلى الطوف، وجلست في الكوخ لأفكر. إلا أنني لم أتوصل إلى شيء. فكرت حتى اعتصرت رأسي، فلم أجد مخرجًا من المأزق. بعد كل هذه الرحلة الطويلة، وبعد كل ما فعلنا لهؤلاء الأنذال، انتهى الأمر إلى لا شيء، أخفق كل شيء وتحطم، لأنهم يملكون قلبًا استخدموه لوضع "جيم" في مثل هذا الموقف، وجعله عبدًا مرةً أخرى



fb/mashro3pdf

طوال حياته، ووسط غرباء، أيضًا، مقابل أربعين دولارًا.

قلت لنفسي ذات مرة إنه من الأفضل ألف مرةً أن يكون "چيم" عبدًا في بلدته، حيث عائلته، طالما سيكون عبدًا في كل الأحوال، ومن ثم فضلت أن أكتب خطابًا إلى "توم سوير" أقول له أن يخبر الآنسة "واتسون" عن مكانه. إلا أنني تراجعت عن هذه الفكرة لسببين: إنها لابد غاضبة ومشمئزة من نذالته ونكرانه للجميل لأنه تركها، وسوف تبيعه في أي مكان على الفور؛ وإن لم تفعل، فسيحتقره الجميع باعتباره زنجيًا ناكرًا للجميل، وسوف يعايرونه طوال الوقت، فيشعر بالوضاعة والمهانة. ثم فكرت في نفسي! فسينتشر الخبر أن "هاك فِن" ساعد زنجيًا على نيل حريته.؛ وإذا قابلت شخصًا ما من المدينة، فسأكون مستعدًا للانحناء ولعق حذائه من الخزي. هذه هي الحال: يرتكب الشخص فعلًا وضيعًا، ثم لا يرغب في مواجهة العواقب. ويعتقد أنه طالما يخفيه فلن يلحقه العار. كانت تلك هي ورطتي بالتحديد. كلما فكرت في الأمر، شعرت بوخز الضمير، وشعرت بالخسة والانحطاط والوضاعة.

وفي النهاية، حين واتتني فكرة على حين غرة بأن يد العناية الإلهية تصفعني على وجهي، وتجعلني أعرف أن خستي كانت دائمًا موضع مُراقبة من السماء، حيث كنت أسرق الزنجي من سيدة عجوز بائسة لم تؤذني على الإطلاق، والآن، تريني أن هناك إلهًا يراقب دائمًا، ولا يسمح لمثل هذه الممارسات البائسة الفظيعة أن تمضي بعيدًا، كدتُ أهوي في سيري من الفزع. حسنًا، حاولت جهدي لأهون الأمر على نفسي على نحوٍ ما، بأن قلت لنفسي إنني ولدت شريرًا بطبعي وليس عليَّ أن ألوم نفسي كثيرًا، إلا أن شيئًا



fb/mashro3pdf

بداخلي استمر يقول: "كانت هناك مدرسة الأحد، كان يمكن أن تذهب إليها؛ وإن كنت فعلت هذا، لتعلمت فيها أن من يتصرفون بالطريقة التي تصرفت بها مع الزنجي يذهبون إلى الجحيم الأبدي".

ارتجفت من ذلك. وقررت تقريبًا أن أصلي، وأرى قدرتي على محاولة ألا أكون ولدًا كما أنا، وأصبح أفضل. لذا ركعت على الأرض. إلا أن الكلمات لم تواتني. لم لا تواتيني؟ لا فائدة من المحاولة وإخفاء الأمر عن الرب. ولا عن نفسي. أنا أعرف جيدًا لماذا لا تواتيني. لأن قلبي ليس صافيًا؛ لأنني لا أتصرف باستقامة؛ لأنني ذو وجهين. كنت قد قررت التخلي عن المعاصي، إلا أنني في أعماقي كنت متمسكًا بأفدحها. حاولت أن أقول بلساني إنني سأفعل الشيء المستقيم والصواب ، وأكتب خطابًا لمالكة الزنجي، وأخبرها فيه عن مكانه؛ إلا أنني في أعماقي كنت أعرف أنني أكذب، والرب يعلم. اكتشفت أن الكاذب لا يمكن أن يصلي.

هكذا كان صدري يجيش بالهموم، يمتلئ إلى حده الأقصى؛ ولا أعرف ما العمل. وفي النهاية، واتتني فكرة؛ وقلت إنني سأكتب الخطاب- وآنئذٍ أرى إن كنت سأستطيع أن أصلي. والمذهل أنني شعرت بالخفة كأنني ريشة تطير في الهواء، وتلاشت كل الهموم. لهذا أحضرت ورقة، وقلم رصاص، وأنا في قمة السعادة والإثارة، وجلست وكتبت: "الآنسة "واتسون"، الزنجي الهارب "چيم" هنا على بعد ميلين جنوب "بايكسفيل"، والسيد "فيلبس" أمسك به، وسوف يسلمه إن أرسلتِ له المُكافأة". "**هاك فن**".

شعرت بالراحة والتطهر من كل الذنوب، لأول مرةً في حياتي يراودني هذا الشعور، فأدركت أنني قادر على الصلاة الآن. إلا أنني لم أُصل على الفور، بل



fb/mashro3pdf

نحيت الورقة جانبًا وجلست أفكر- أفكـر كيـف حـدث كل هـذا بـصورة جيدة، وكيـف كنـت على وشـك الـضلال والذهـاب إلى الجحـيم. واصـلتُ التفكير. وفكرت في رحلتنا عبر النهر؛ وكنت أرى صورة "جيم" أمامي طوال الوقت: في الليل والنهار، وأحيانًا في ضوء القمر، وأحيانًا في العواصف، ونحن نبحر، ونتحدث، ونغني، ونضحك. إلا أنني لم أستطع فيما يبدو العثـور على موقف يجعلني قاسيًا عليه، بل على العكس. كنت أراه يقف مـكاني في نوبـة المراقبة بدلًا من أن يوقظني، حتى أنعـم بـالنوم؛ وأرى مـدى سـعادته حـين رجعت إليه يوم الضباب؛ وعندما قابلته من جديد في المُستنقع، هنـاك يـوم الثأر؛ وغيرها من اللحظات المـشابهة؛ كان دائمًـا يـدعوني "عزيـزي"، وكان يفعل أي شيء من أجلي، وكم كان طيبًا معي؛ ثم تذكرت في النهاية سـاعة أن أنقذته بأن أخبرت الرجال أننا مصابان بالجدري، وكان ممتنًا للغاية، وقال إنني أفضل صديق له في العالم، وأنني صديقه الوحيد؛ ثم حدث أن التفتُّ ورأيـت الورقة.

كنت في مأزق. التقطت الورقة، وأمسكتها في يدي. كنت أرتجف، لأنني كان عليّ أن أختار، إلى الأبد، بين أمرين، وأدركت هذا. فكرت لدقيقـة، وأنـا أكتم أنفاسي، ثم قلت لنفسي:

- "حسنًا، إذن، فسوف أذهب إلى الجحيم"- ومزقت الورقة.

كانت أفكارًا كئيبة، وكلمات كئيبة، إلا أنني قلتها لنفـسي. وظلـت هـذه الكلمات والأفكار قائمة؛ ولم أفكر بعد ذلك في إصلاح حياتي. فقـد طـردت الفكرة برمتها من رأسي، وقلت لنفسي إنني سأعود إلى الخِسة مـن جديـد، فهي سبيلي، وهي ما تربيت عليه، ولا أعرف سواها. وكان أول ما فكرت فيه



fb/mashro3pdf

هو العمل على سرقة "چيم" من العبودية مرةً أخرى؛ ولو كنت قد فكرت في ما هو أسوأ لفعلته، أيضًا؛ فطالما تورطتُ في الأمر، فيجب أن أقوم به كما ينبغي، وكان يمكنني أن أصير خنزيرًا بكل ما تحمل الكلمة من معنى.

ثم جلست أفكر في طريقة لتنفيذ ما عزمت عليه، وجال بخاطري بعض الأفكار الكثيرة الوجيهة؛ وفي النهاية، أعددت خطة تناسبني. لهذا حددت اتجاه وموقع جزيرة تنمو عليها الكثير من الأشجار في النهر، وما إن حل الظلام حتى زحفتُ إليها بالطوف، وخبأته هناك، ثم نمت. نمت طوال الليل، واستيقظت قبل ضوء النهار، وتناولت إفطاري، وارتديت الملابس الجاهزة التي كنت قد اشتريتها من المتجر، وحزمت بعض الملابس الأخرى وبعض الأشياء في صُرة، ثم اتجهت بالزورق نحو الشاطئ. رسوت حيثما بدا لي أنها مزرعة السيد "فيلبس"، وأخفيت الصُّرة في الغابة، ثم ملأت الزورق بالماء والحجارة حتى غرق حيث أستطيع العثور عليه عندما أريده، على بعد ربع ميل من ورشة صغيرة لنشر أخشاب على ضفة النهر.

ثم صعدت إلى الطريق، وحين مررتُ بالورشة لمحت لافتة عليها، "ورشة فيلبس لنشر الأخشاب"، وحين اقتربت من بيوت المزرعة، بعد مائتي أو ثلاثمائة ياردة، نظرت حولي فلم أجد أحدًا، رغم أن نور الصباح قد لاح. لكني لم أهتم، فلم أكن أريد أن أرى أحدًا في ذلك الوقت- كنت أريد فقط أن أدرس المكان. فوفقًا لخطتي، كنت سأحضر إلى هنا ثانيةً من ناحية القرية، وليس من ناحية النهر. لذلك كنت ألقي نظرة عابرة، وتقدمتُ مباشرةً نحو القرية. حسنًا، كان أول من رأيته هناك هو الدوق. كان يلصق إعلانات عرض العدم الملكي -عرض لمدة ثلاث ليال- مثل العرض السابق. كيف



fb/mashro3pdf

لهما بهذه الجرأة، هذان المُحتالان! رآني قبل أن أتمكن من الابتعاد. بدت عليه الدهشة، وقال: "أهلًا! من أين أتيت؟"، ثم أضاف بنوع من السعادة والحماسة: "أين الطوف؟- أخفيته في مكان آمن؟"

قلت له: "هذا ما كنت أود أن أسألك عنه، يا صاحب السعادة". فأجاب وقد زالت مظاهر السعادة عن وجهه: "ولماذا تسألني؟"

فقلت: "حسنًا، عندما رأيت الملك في الحانة بالأمس، قلت لنفسي إننا لن نتمكن من اصطحابه سوى بعد ساعات، بعد أن يُفيق؛ فتسكعت في المدينة لأقتل الوقت وأنتظر. عرض عليَّ رجل عشرة سنتات مقابل أن أساعده في سحب قارب من النهر، وأعود معه لنحضر خروفًا، فذهبت معه؛ وبينما نحن نسحب الخروف إلى القارب، ترك الرجل الحبل لي، ومضى من خلفه ليدفعه إلى الأمام، إلا أنه كان أقوى مني، وجذب الحبل وهرب، فطاردناه. لم يكن معنا كلب، وكان علينا أن نطارده في أنحاء المدينة، حتى أصابه التعب. ولم نمسك به قبل حلول الظلام؛ ثم ذهبنا به، وبعدها عدت إلى الطوف. وعندما وصلت إلى هناك، واكتشفت أنه اختفى، قلت لنفسي، لا بد أنهما قد واجها بعض المشاكل واضطرا للرحيل؛ وأخذا الزنجي معهما، الزنجي الوحيد الذي أمتلكه في الدنيا، وأنا الآن وحيد في بلد غريب، وليس لديَّ ما أملكه، ولا أي شيء، ولا حتى وسيلة لكسب الرزق؛ فجلست وبكيت. نمتُ الليل في الغابة. ولكن ما الذي حل بالطوف، إذن؟ و- "چيم"- المسكين "چيم"!"

- اللعنة عليَّ إن كنت أعرف- ما حدث للطوف. فذلك العجوز الأحمق باع شيئًا وحصل منه على أربعين دولارًا، وعندما وجدناه في الحانة، كان





fb/mashro3pdf

المتسكعون قد قامروا معه بأنصاف دولارات، وأخذوا كل النقود التي بقيت معه بعد ثمن الويسكي؛ وعندما عدنا في وقت متأخر في الليلة الماضية، لم نجد الطوف، فقلنا: "إن هذا الوغد سرق طوفنا وسرقنا، وهرب جنوب النهر".

- "وهل كنت سأسرق **الزنجي**؟- الزنجي الوحيد الذي أمتلكه في الدنيا، ملكيتي الوحيدة؟"

- "لم نفكر في هذا. في الحقيقة، كنا نعتبره **ملكنا**؛ أجل، لقد اعتبرناه كذلك- ويعلم الرب كم عانينا من أجله. لذا، عندما رأينا الطوف قد اختفى، وأصبحنا مفلسين، لم يكن أمامنا سوى تجربة عرض العدم الملكي. وأنا أتضور جوعًا منذ الأمس، وها قد نحلت. أين العشرة سنتات؟ هاتها".

كان معي الكثير من النقود، فأعطيته عشرة سنتات، إلا أنني توسلت إليه أن ينفقها على الطعام، وأن يعطيني بعضًا منه، لأنها كل ما معي من مال، ولم أتناول طعامًا منذ الأمس. لم يقل شيئًا. في اللحظة التالية دار حولي وقال:

- "هل تظن أن هذا الزنجي يمكن أن يشي بنا؟ سنسلخ جلده إن فعل ذلك!"

- "كيف يمكن له أن يشي؟ ألم يهرب؟"

- "كلا، لقد باعه الأحمق العجوز، ولم يقتسم أبدًا ثمنه معي، وضاعت النقود".

بدأت أبكي وأنا أقول: "باعه؟ كيف، لقد كان ملكي أنا، وكانت هذه نقودي أنا. أين هو؟- أريد الزنجي".

- "حسنًا، لن تستطيع الحصول عليه، هذا كل ما في الأمر- لذا كُف عن البكاء. انظر هنا- هل تظن أنك تجرؤ على الوشاية بنا؟ اللعنة لأنني وثقت



fb/mashro3pdf

بك. إذا فكرت أن تشي بنا-".

توقف عن الكلام، إلا أنني لم أر الدوق من قبل بمثل هذا القبح الذي يطل من عينيه. تابعت النحيب وقلت: "أنا لا أشي بأحد، وليس لديَّ وقت للوشاية أبدًا. سوف أذهب للبحث عن الزنجي".

بدا عليه الضيق، ووقف مكانه والإعلانات تتأرجح على ذراعه، يفكر، ويحك جبهته. وفي النهاية قال: "سأخبرك بشيء. سنقضي هنا ثلاثة أيام. وإن لم تش بنا، أو تجعل الزنجي يشي بنا، فسوف أخبرك بمكانه".

وعدته بذلك، فقال: "عند فلاح اسمه "سيلاس ف-"، ثم توقف. وكما ترون، كان قد بدأ يقول لي الحقيقة؛ إلا أنه حين توقف بهذه الطريقة، وبدأ يعيد التفكير في الأمر من جديد، فهمت أنه يغير رأيه. وكانت هذه طبيعته. فلن يثق بي؛ كان يريد أن يبعدني عنهم خلال الأيام الثلاثة. وسرعان ما قال:

- "اسم الرجل الذي اشتراه "إبرام فوستر" -"إبرام جي فوستر"- يعيش على بُعد أربعين ميلا في الريف، على طريق "لافاييت".

قلت له: "حسنًا، أستطيع أن أمشي هذه المسافة في ثلاثة أيام. وسأبدأ اليوم بعد الظهر".

- "كلا، يجب تبدأ الآن، لا تضيع الوقت، ولا تثرثر في الطريق. لا تخرج لسانك من فمك، وتحرك مباشرة، ولن تلاقي المتاعب منا، أتسمع؟"

كان هذا هو الأمر الذي أريد أن أسمعه منه، وهو ما لعبت من أجله. كنت أريده أن يتركني حرًا لتنفيذ خطتي.

- "وحينها، قل ما عندك، يمكن أن تخبر السيد "فوستر" ما تريد. وربما استطعت أن تجعله يصدق أنك مالك الزنجي- بعض البلهاء لا يطلبون



fb/mashro3pdf

وثائق- على الأقل هذا ما سمعت هنا في الجنوب. وحين تخبره بسبب الإعلان والمكافأة، فربما يصدق حين تشرح سببهما. هيا انطلق الآن، وقل له ما تشاء، ولكن لا تفتح فمك من هنا إلى أن تصل إلى هناك".

هكذا انطلقت، ومضيت نحو خارج القرية. لم أنظر حولي، فقد شعرت أنه يراقبني. إلا أنني كنت أعرف أنني سأرهقه في هذا الأمر. تقدمت مقدار ميل قبل أن أتوقف؛ ثم عدت ثانية عبر الغابة إلى منزل "فيلبس". أظن أنه من الأفضل أن أبدأ في خطتي، بدلًا من التسكع، لأنني كنت أريد منع "چيم" من التحدث إلى أن يهرب المُحتالان. لم أكن أريد المشاكل مع أمثالهما. لقد رأيت ما يكفي منها، وأرغب في الابتعاد عنهما تمامًا.

fb/mashro3pdf

# الفصل الثاني والثلاثون

عندما وصلت إلى هناك، كان الصمت يُخيم كأننا يوم الأحـد، وكان الجـو حارًا والشمس ساطعة؛ والعمال ذهبوا إلى الحقول؛ بينما يصدر عن الحشرات والذباب أنين خافت في الهواء، يجعلك تشعر بالوحدة، كأن الجميع قد مـاتوا؛ وإذا هبـت نـسمة هـواء وأرعـشت أوراق الـشجر، تـدفعك إلى الإحـساس بالشجن، لأنك تـشعر أنهـا همـس الأرواح- الأرواح الميتـة منـذ سـنوات طوال- وتظن دائمًا أنهم يتحدثون عنـك. وتنتـاب المـرء الرغبـة في المـوت، والانتهاء معها جميعًا.

كانت مزرعة "فيليبس" مثل كل المـزارع الـصغيرة للقطـن، المتـشابهة. سياج من الألواح الخشبية حول مساحة هكتارين؛ ودعامات مصنوعة مـن كتل خشبية منشورة، تنتهي بدرجات سلم، كأنها براميل بارتفاعات مختلفة، لكي تستخدمها في القفز من فوق السياج، ولكي تقـف عليهـا النـساء حـين يمتطين ظهور الخيول؛ كما كانت هناك بقع مـن العـشب الجـاف في الفنـاء



fb/mashro3pdf

الكبير، إلا أن أغلبه كان قاحلًا ومستويًا، مثل قبعة قديمة تم انتزاع قمتها؛ ومنزل خشبي من طابقين يسكنه أصحاب البشرة البيضاء- مصنوع من الألواح المستوية، وتم سد الشقوق بينها باستخدام الطين أو الملاط، ويبدو أن هذه السدادات الطينية قد طُليت في الماضي باللون الأبيض؛ ومطبخ خشبي مستدير، بممر واسع ومفتوح، إلا أنه مسقوف، يربطه بالمنزل؛ وخلف المطبخ حجرة لحفظ الطعام بالتدخين؛ وفي الناحية الأخرى من هذه الحجرة، هناك صف من ثلاثة أكواخ صغيرة للزنوج؛ وكوخ صغير يقف وحيدًا، بعيدًا، ملتصقًا بالسياج الخلفي؛ وهناك مبان إضافية في الناحية الأخرى، قرب الكوخ الصغير، صومعة وغلاية كبيرة تستخدمان في صنع الصابون؛ وإلى جوار باب المطبخ دكة خشبية فوقها جردل ماء وثمرة قرع العسل؛ وكلب ينام في الشمس، وبالقرب منه بعض الكلاب الأخرى تنام هنا وهناك؛ ونحو ثلاث أشجار للظل بعيدًا في الزوايا؛ وشجيرات العنب وعنب الذئب في مكانٍ واحد إلى جوار السياج؛ وينمو البطيخ في جزء من حديقة خارج السياج؛ وخلف الحديقة تبدأ حقول القطن، ثم الغابة بعد الحقول.

درت حول السياج، وتسلقت الدعامة الخلفية، قرب الصومعة، واتجهت نحو المطبخ. وعندما اقتربت قليلًا، سمعت صرير مغزل يعلو وينخفض من جديد؛ وساعتها تمنيت الموت حقًا- فقد كان أكثر الأصوات التي أشعرني بالوحشة في العالم.

تقدمت إلى الأمام، بلا دون تخطيط مُسبق، سوى ثقتي في أن العناية الإلهية ستضع على لساني الكلمات المناسبة، في الوقت المناسب؛ فقد لاحظت أن العناية الإلهية دائمًا ما تضع الكلمات المناسبة على لساني كلما شعرت أنني



fb/mashro3pdf

وحيد.

وفي منتصف المسافة، استيقظ الكلب الأول، ثم استيقظت بقية الكلاب، وجاءت نحوي، فتوقفت بالطبع وواجهتهم، ثم تسمرت مكاني. وانطلقت في النباح! وفي لحظات، كنت مثل محور عجلة، كما يمكن أن تقول- الكلاب هي أسلاكها- دائرة من خمسة عشر كلبًا تحيط بي، ورقابها وأنوفها ممدودة نحوي، وهي تنبح وتزمجر؛ وتدفق المزيد من الكلاب؛ كان يمكنك رؤيتها وهي تقفز فوق السياج، وحول الزوايا، من كل الأماكن.

خرجت زنجية مُسرعة من المطبخ، وفي يدها عصا فرد العجين، وصاحت: ابتعد يا "تايجر"! ابتعد يا "اسبوت"، اذهب بعيدًا!" وقامت بضرب أحدهما، ثم ضربت الثاني، فهربا وهما يزمجران، فتبعهما بقية الكلاب؛ ثم عاد نصف الكلاب في اللحظة التالية، وهي تهز ذيولها، لتقيم صداقة معي. الكلاب لا تؤذي، بأية حال.

خرجت طفلة زنجية صغيرة وطفلان زنجيان صغيران من خلف السيدة، لا يرتدون سوى قمصان من الكتان، وتعلقوا بثوب أمهم، وهم يتلصصون عليَّ من خلفها، في خجل، كعادة الأطفال. ثم خرجت السيدة البيضاء تجري من المنزل، في نحو الخامسة والأربعين أو الخمسين من عمرها، لا تغطي شعرها، وفي يدها عصا المغزل؛ ومن خلفها أطفالها الصغار، يفعلون نفس ما فعل الأطفال الزنوج. كانت تبتسم ولا تكاد تثبت في مكانها- ثم قالت: "ها أنت قد وصلت، في النهاية! - أليس كذلك؟"

أجبت من دون تفكير: "أجل، يا سيدتي".

جذبتني إليها واحتضنتني بقوة؛ ثم أمسكت بي من كلتا اليدين وظلت



fb/mashro3pdf

تهز وتهز؛ والدموع تطفر من عينيها، وتسيل على خديها؛ ويبدو أنها لم تنل كفايتها من الأحضان والمصافحة؛ وقالت: "لا تشبه أمك كثيرًا كما كنت أظن؛ ولكنني أقسم أنني لا أهتم بذلك، فأنا سعيدة للغاية برؤيتك! يا عزيزي، يا عزيزي، يبدو أنني يمكنني التهامك! يا أولاد، هذا ابن خالتكم "توم"- قولوا له كيف حالك".

إلا أنهم أطلوا برؤوسهم، ووضعوا أصابعهم في أفواههم، ثم اختبأوا خلفها. فواصلت: "أسرعي، يا "ليز"، وأعدي له إفطارًا ساخنًا بسرعة- أم أنك تناولت الإفطار في الباخرة؟"

قلت لها إنني تناولته في الباخرة. أمسكت بيدي واتجهت نحو المنزل، والأطفال خلفنا. وعندما دخلنا المنزل، أجلستني فوق كرسي مكسور القاعدة، وجلست هي أمامي مُباشرة على كرسي من دون مسند للظهر، وأمسكت بكلتا يديَّ، وقالت: "الآن أستطيع أن أنظر إليك بشكل أفضل؛ و، يا إلهي، كم كنت مُتعطشة إلى هذا كثيرًا كثيرًا، بعد كل هذه السنوات، وتأتي في النهاية! كنا ننتظر حضورك منذ يومين أو أكثر. لماذا تأخرت؟-هل جنحت الباخرة؟"

- "أجل يا سيدتي، لقد-"

- "لا تقل يا سيدتي، بل قل خالتي "سالي". أين جنحت الباخرة؟"

لم أكن أعرف ماذا أقول، لأنني لم أعرف إن كانت الباخرة قد أتت من الشمال أو الجنوب. إلا أنني اعتمدت على غريزتي؛ ودلتني غريزتي أنها قادمة من الجنوب- نحو "أورليانز". ورغم ذلك، فلم يساعدني هذا كثيرًا؛ لأنني لا أعرف أسماء الحواجز الرملية في هذا المسار. فكرت في أن أخترع اسمًا



fb/mashro3pdf

لحاجز، أو أن أدعي أنني نسيت اسم الحاجز الذي جنح القارب عنده- أو- واتتني فكرة، وقلتها على الفور: "ليس الجنوح- هو سبب التأخير الأساسي. لقد انفجر صمام من صمامات المحرك".

- "يا إلهي! وهل أُصيب أحد؟"

- "كلا يا سيدتي، لقد قتل زنجي فقط".

- "حسنًا، إنه من حسن الحظ؛ فأحيانًا يُصاب الناس. فمنذ عامين، في عيد الميلاد، كان عمك "سيلاس" قادمًا من "نيوأوليانز" على متن الباخرة القديمة "لالي روك"، حين انفجر صمام، وتسبب في إعاقة لأحد الرجال. وأظنه مات بعد ذلك. لقد كان معمدانيًا(*). كان عمك "سيلاس" يعرف عائلة في "باتون روج" تعرف أهله جيدًا. أجل، تذكرت الآن، وقد مات فعلًا. سرت الغرغرينة في قدمه، واضطروا لبترها. إلا أن هذا لم ينقذه. أجل، لقد كانت الغرغرينة- كانت هي. أصبح جسمه كله أزرق، ومات على أمل القيامة المجيدة. يقولون إن منظره كان مرعبًا. وكان عمك يذهب إلى المدينة كل يوم للبحث عنك. وقد ذهب مرةً أخرى منذ أقل من ساعة؛ وسوف يعود في أية لحظة الآن. لا بد أنك قابلته في الطريق، ألم تقابله؟- رجل عجوز، له-"

- "كلا، لم أقابل أحدًا، يا عمتي "سالي". لقد رست الباخرة مع حلول ضوء النهار، وتركت أمتعتي عند المرسى، ثم بدأت أجول في المدينة، والضواحي حتى أقضي الوقت، كي لا أحضر إلى هنا في ساعة مبكرة؛ لذا حضرت من الطريق الخلفي".

---

(*) من ينتمي إلى الكنيسة المعمدانية.



fb/mashro3pdf

- "لمن أعطيت أمتعتك؟"
- "لا أحد".
- "لماذا يا بُني، سوف تُسرق".
- "أظن أنها لن تُسرق من المكان الذي أخفيتها فيه".
- "وكيف تناولت إفطارك على القارب في مثل هذا الوقت المُبكر؟"

كان مأزقًا، إلا أنني قلت: "حين رآني الكابتن أقف على سطح الباخرة، نصحني أن آكل شيئًا قبل أن أنزل إلى الشاطئ؛ لهذا اصطحبني إلى مطعم الضباط، وأعطاني كل ما أردت من طعام".

كنت قلقًا من أنني لم أكن مُنتبهًا إلى حديثها. فقد كان ذهني مشغولًا بالأطفال طوال الوقت؛ كنت أريد أن أنتحي بهم جانبًا وأستدرجهم، لأحصل منهم على معلومات عن شخصيتي. إلا أنني لم أتمكن من ذلك، فقد استمرت السيدة "فيليبس" على المنوال نفسه. وسرعان ما سرت الرجفة في ظهري، لأنها قالت: "ها نحن نتحدث بهذه الطريقة، ولم تقل لي بعد أية كلمة عن أختي، أو عنهم. سأصمت الآن عن الكلام قليلًا، لتبدأ أنت كلامك؛ أخبرني بكل شيء- أخبرني بكل شيء عن كل واحد منهم؛ وكيف حالهم، وماذا يفعلون، وماذا قالوا لك لتبلغه لي؛ أخبرني بكل صغيرة وكبيرة يمكن أن تتذكرها".

حسنًا، أدركت أنني في مأزق حرج- غاية الحرج. لقد ساندتني العناية الإلهية حتى الآن، إلا أنني كنت في موقف صعب الآن. أدركت أن لا جدوى من الاستمرار- عليَّ أن أستسلم. لذا قلت لنفسي، ها هو موقف آخر يجب أن أخاطر فيه بقول الحقيقة. فتحت فمي لأنطق؛ إلا أنها سحبتني من يدي



fb/mashro3pdf

وأخفتني خلف السرير، وقالت: "ها هو قد جاء! أخفض رأسك قليلًا- هناك؛ هذا مناسب. لا يمكن أن يراك أحد الآن. لا تتحرك من مكانك. سوف أمازحه. يا أولاد، لا تقولوا شيئًا".

أدركت حجم المأزق الذي وقعت فيه الآن. إلا أنه لا جدوى من القلق؛ لم يكن هناك ما أفعله سوى البقاء بلا حراك، وأن أكون مستعدًّا للخروج عند الإشارة.

كنت قد لمحت سيدًا عجوزًا وهو يدخل؛ ثم حجبه السرير. قفزت السيدة "فيلبس" نحوه، وقالت: "هل وصل؟"

أجاب زوجها: "كلا".

قالت: "يا إلهي! تُرى ماذا يمكن أن يكون قد حدث له؟"

- "لست أدري، إلا أنني يجب أن أعترف بأنني أشعر بقلق كبير".

- "قلق! أنا أكاد أُجن! لابد أنه وصل؛ ولم تقابله في الطريق. أنا على ثقة بذلك- شيء ما يخبرني بذلك".

- "كيف، يا "سالي"، يستحيل ألا أقابله في الطريق- أنت تعلمين هذا جيدًا".

- "ولكن، أوه، يا إلهي، يا إلهي، ماذا ستقول أختي! لا بد أنه وصل، ولا بد أنك لم تقابله. إنه-"

- "أوه، لا تثقلي عليَّ الأحزان، فأنا حزين بالفعل. لا أعرف بحق السماء ماذا أفعل. لقد نفدت قدرتي على التفكير، ولا أمانع في الاعتراف بأن الفزع بلغ بي مداه. لكن لا أمل في مجيئه؛ لأنه لا يمكن أن يجيء ولا أراه. "سالي"، إنه أمر فظيع -فظيع بالفعل- لا بد أن شيئًا ما قد حدث للباخرة،



fb/mashro3pdf

بكل تأكيد!"

- "انظر يا "سيلاس"، انظر هناك!- إلى الطريق- أليس هناك أحد قادم عليه؟"

اندفع ناحية النافذة قرب أول السرير، مما أتاح للسيدة "فيليبس" الفرصة التي تريدها. انحنت بسرعة عند آخر السرير، ودفعتني، فخرجت؛ وعندما استدار من النافذة، وقفت متوهجة مبتسمة كمنزل مشتعل، وأنا أقف إلى جوارها في خجل وأنا أتصبب عرقًا. حملق السيد العجوز وقال:

- "مَن هذا؟"

- "ومن تظنه؟"

- "لست أدري. من هو؟"

- "إنه "توم سوير"!"

يا إلهي، كدت أسقط على الأرض عند سماع الاسم! إلا أنني لم أجد الوقت لذلك؛ فقد جذب الرجل يدي وصافحني؛ واستمر يهز يدي طويلًا؛ بينما السيدة ترقص وتضحك وتبكي؛ ثم انطلق الاثنان يمطرانني بالأسئلة عن "سِيد" و"ماري"، وبقية العائلة.

لم تكن فرحتهما تقارن بفرحتي؛ فقد أحسست أنني ولدتُ من جديد، وكنت سعيدًا للغاية لأعرف شخصيتي الجديدة. حسنًا، جمَّداني لمدة ساعتين، حتى تعب فكي من الكلام ولم أعد أستطيع نطق المزيد، فلقد أخبرتهم كل شيء عن عائلتي- أقصد عائلة "توم سوير"- وحكيت لهما كل ما حدث للأفرع الستة من عائلة "سوير". وشرحت لهما كيف انفجر الصمام في الباخرة عند مدخل "النهر الأبيض"، واستغرق إصلاحه ثلاثة أيام. وقد



fb/mashro3pdf

انطلت عليهما الكذبة تمامًا؛ لأنهما لا يعرفان سوى أن إصلاح الصمام يستغرق ثلاثة أيام، ولو كنت قد قلت لهما أي شيء لصدقاه".

بدأت أشعر بالارتياح التام من جانب، وبالقلق التام من جانب آخر. فكوني "توم سوير" كان سهلًا ومريحًا، وظل كذلك حتى سمعت صافرة إحدى البواخر تسعل من ناحية النهر. وقلت لنفسي افترض أن "توم سوير" كان قادمًا على متن هذه الباخرة؟ وافترض أنه حضر إلى هنا في أية لحظة ونادى عليَّ باسمي الحقيقي قبل أن أنبهه؟

حسنًا، لن أسمح بأن يحدث هذا؛ فسيفسد كل شيء. يجب أن أذهب إلى الطريق وأنتظر قدومه. لهذا قلت لهما إنني سأذهب إلى القرية لأحضر أمتعتي. كان السيد العجوز يريد أن يصحبني، إلا أنني رفضت، وقلت إن بإمكاني أن أركب حصانًا وحدي، ولا أود أن أزعجه معي.

fb/mashro3pdf

# الفصل الثالث والثلاثون

هكذا اتجهت إلى المدينة في عربة تجرها الخيول، ورأيت عربة قادمة وأنا في منتصف الطريق، وكنت على ثقة بأنه "توم سوير"، فتوقفت وانتظرته إلى أن جاء. قلت: "توقف!"، فتوقفت العربة على جانب الطريق، وفمه مفتوح كجذع شجرة، وظل على هذا الوضع؛ ازدرد لعابه مرتين أو ثلاثًا كمن جف حلقه، ثم قال: "أنا لم أتسبب لك في أذًى على الإطلاق. وأنت تعرف هذا. إذن، فلماذا عُدت للبحث عني؟"

- "أنا لم أعد- أنا لم أمت أصلًا".

عندما سمع صوتي، هدأ إلى حدٍّ ما، إلا أنه لم يقتنع تمامًا. قال: "لا تخدعني، لأنني لم أكن لأخدعك. هل تقسم صادقًا الآن أنك لست شبحًا؟"

- "أقسم صادقًا، لستُ كذلك".

- "حسنًا- أنا- أنا- حسنًا، قد يسوي هذا الأمر، بالطبع؛ لكنني لا أستطيع أن أفهم ذلك مطلقًا. اسمع هنا، ألم تُقتل على الإطلاق؟"



fb/mashro3pdf

- "كلا، لم أُقتل على الإطلاق- لقد خدعتهم. يمكنك أن تقترب وتتحسس جسمي إذا لم تكن تصدقني".

تحسس جسمي؛ واقتنع؛ وفرح لرؤيتي مرةً أخرى ولم يعرف كيف يتصرف. كان يريد أن يعرف كل ما حدث فورًا، لأنها كانت مغامرة أسطورية وغامضة، من النوع الذي يعجبه. إلا إنني قلت، دعك من المغامرة قليلاً؛ وطلبتُ من سائق عربته أن ينتظر، وقدنا عربتي مسافة قصيرة، وحكيت له عن المأزق الذي وقعت فيه، وما هو أفضل حل لنا؟ طلب مني أن أتركه وحده لدقيقة، وألا أزعجه. ظل يفكر ويفكر، وقال لي بعد قليل: "كل شيء على ما يُرام؛ واتتني فكرة، خذ أمتعتي في عربتك، على أنها أمتعتك؛ وتأخر قليلًا في العودة إليهم، إلى أن تصل إلى المنزل في الموعد الذي ينبغي أن تصل فيه؛ وسوف أذهب إلى المدينة قليلا، وأنعش نفسي، لكي أعود بعد وصولك بساعة وربع أو ونصف؛ ويجب ألا تعرفني في البداية".

قلت: "حسنًا؛ ولكن انتظر دقيقة. هناك شيء آخر- شيء لا يعرفه أحد إلا أنا. فهناك زنجي لديهم، وأنا أحاول سرقته وتحريره من العبودية، اسمه "چيم"- "چيم" الذي كانت تملكه الآنسة "واتسون".

قال: "ماذا! "چيم"-".

توقف ليفكر في الأمر. قلت: "أعرف ما ستقول. ستقول إنه أمر قذر، ومُنحط؛ ولكن ماذا لو كان الأمر كذلك؟ أنا مُنحط؛ وسوف أسرقه، وأطلب منك الصمت وعدم التحدث في هذا الأمر. هل ستفعل؟"

التمعت عيناه وقال: "سوف أساعدك في سرقته!".

حسنًا، كدت أسقط على الأرض، كأن رصاصة أصابتني. كان أكثر كلام



fb/mashro3pdf

مدهش سمعته في حياتي- وعليَّ الاعتراف أن "توم سوير" سقط من نظري. فلا يمكن أن أصدق ذلك. توم سوير سارق زنوج!

قلت له: "بالطبع لا! أنت تمزح".

- "كلا، لست أمزح".

- "حسنًا، فسواء كنت تمزح أم لا، إذا سمعتهم يتحدثون عن زنجي هارب، فلا تنس أنك لا تعرف عنه شيئًا، ولا أنا أعرف عنه شيئًا".

ثم حملنا حقيبة أمتعته ووضعناها في عربتي، ثم راح في طريقه، ورحت في طريقي. إلا أنني نسيت مسألة القيادة ببطء نظرًا لسعادتي وانشغالي بالتفكير؛ فوصلت إلى المنزل بسرعة لا تتناسب مع طول الرحلة. كان السيد العجوز يقف على الباب، وقال لي: "غريب، هذا رائع! فمن يتخيل أن هذه المهرة قادرة على فعل هذا؟ ليتني حسبت لها الوقت. ولم تعرق شعرةٌ منها- ولا شعرة. إنه أمر رائع. لن أبيعها ولو بمائة دولار الآن- لن أبيعها، صدقًا؛ كنت سأبيعها بخمسة عشر دولارًا، وكنت أظن أن المبلغ يناسب قيمتها".

كان هذا هو كل ما قال. كان أكثر من عرفتهم براءة، أفضل رجل عجوز رأيته في حياتي. إلا أن هذا لم يكن مفاجئًا؛ فلم يكن مجرد فلاح، كان واعظًا، أيضًا، ولديه كنيسة صغيرة من الخشب خلف المشتل، بناها بنفسه على نفقته الخاصة، لتكون كنيسة ومدرسة منزلية، ولا يتقاضى أجرًا عن الوعظ، رغم أنه يستحق أجرًا، أيضًا. كان هناك الكثير من الفلاحين الواعظين مثله، ويفعلون ما يفعل، في الجنوب.

وبعد حوالي نصف ساعة، وصلت عربة "توم سوير" عند الدعامة الأمامية، ورأتها الخالة "سالي" من النافذة، التي لا تبعد سوى خمسين ياردة،



fb/mashro3pdf

وقالت: "هناك شخصٌ ما قد حضر! تُرى من يكون؟ أظنه غريبًا. جيمي (اسم أحد أولادها) أسرع وأخبر "ليز" أن تضع طبقًا آخر على العشاء".

تدافع الجميع نحو البوابة الأمامية، فبكل تأكيد، لا يأتي إليهم غريب كل عام حتى، وبالتالي يكون محط الاهتمام، عندما يحضر. قفز "توم" فوق الدعامة واتجه نحو المنزل؛ بينما دارت العربة التي ركبها عائدة إلى القرية، وكنا جميعًا بانتظاره عند الباب الأمامي. كان يرتدي ملابسه الجاهزة التي تخطف الأبصار- هكذا كان "توم سوير" دائمًا. وفي هذه الظروف، لم تكن هناك مشكلة في أن يرتدي أي زي أيًّا ما كان الوضع. لم يكن صبيًّا من النوع الذي يتقدم في خجل مثل الحمل الوديع؛ لا، بل تقدم في هدوء وثقة، كأنه كبش. وعندما وقف أمامنا، خلع قبعته بطريقة لطيفة ورقيقة، كأنها غطاء صندوق يمتلئ بالكثير من الفراشات النائمة، التي لا يريد إزعاجها، ثم قال: "حضرتك السيد "آرشيبالد نيكولاس"، على ما أظن؟"

قال السيد العجوز: "لا، يا بُني، أنا آسف لأقول لك إن سائق العربة خدعك؛ فمنزل "نيكولاس" ما يزال على بُعد ثلاثة أميال. تفضل، تفضل".

نظر "توم" إلى الخلف عبر كتفه، وقال: "لقد تأخر الوقت- والعربة ابتعدت كثيرًا".

- "أجل، لقد ذهبت، يا بُني، لا بد أن تتفضل وتتناول العشاء معنا؛ وبعدها نتصرف ونوصلك إلى منزل "نيكولاس".

- "آه، لا أود أن أسبب لكم المتاعب؛ لا يمكنني التفكير في ذلك. سوف أذهب سيرًا على الأقدام- فلا تهمني المسافة".

- "لكننا لن ندعك تذهب سيرًا على الأقدام- هذا ليس من الكرم



fb/mashro3pdf

الجنوبي. تفضل بالدخول".

قالت الخالة "سالي": "أوه، تفضل؛ لن تسبب لنا أدنى مُشكلة، على الإطلاق. يجب أن تبقى. إنها ثلاثة أميال طويلة، ومُتربة، ولن ندعك تذهب سيرًا على الأقدام. وبالإضافة إلى ذلك، فلقد طلبت منهم بالفعل أن يضعوا طبقًا إضافيًا على المائدة عندما رأيتك قادمًا؛ وعليك ألا تخيب أملنا. تفضل ولتكن كأنك بمنزلك".

وجه "توم" إليهما شكرًا حارًّا بطريقة لطيفة، وادعى أنه اقتنع، ودخل؛ وقال بمجرد أن دخل إنه غريب من مدينة "هيكسفيل"، بـ"أوهيو"، وأن اسمه "ويليام تومبسون"- ثم انحنى مرةً أخرى.

استمر يحكي، ويحكي، عن "هكسفيل" وكل من فيها بقدر ما ساعده خياله، فبدأت أشعر بالتوتر قليلاً، متسائلاً كيف سيساعدني هذا في ورطتي؛ وفي النهاية، نهض من مقعده وهو ما يزال يتحدث، واتجه إلى الخالة "سالي" وقبلها في فمها، ثم عاد وجلس في مقعده، وكان على وشك إكمال حديثه؛ إلا أنها قفزت ومسحت القبلة بظهر يدها، وهي تقول: "يا لك من وغد صغير!"

بدا عليه أن كلامها أحرجه، وقال: "أنا مندهش، يا سيدتي".

- "أنت مندهش- لماذا، ومَن تظنني أكون؟ أنا لا أقبل ما فعلت- قل لي، ماذا تعني بهذه القبلة".

نظر بخجل، وقال: "لا أعني بها شيئًا، يا سيدتي. لا أقصد الإساءة. أنا- أنا ظننت أنك ستحبين ما فعلت".

قالت: "كيف، أيها الأحمق"، ثم أمسكت بعصا فرد العجين، وبدت كأن



fb/mashro3pdf

كل ما تستطيعه هو إمساك نفسها عن ضربه بها. ثم سألته: "ما الذي جعلك تعتقد أنني سأحب ذلك؟"

- "حسنًا، لا أعلم. فقط، إنهم- إنهم قالوا لي إنك ستحبين هذا".

- "هم قالوا لك. أيًا كان مَن قال لك فهو معتوه آخر. لم أسمع بمثل هذا من قبل. هم مَن؟"

- "الجميع، كلهم قالوا هذا، يا سيدتي".

لم تعد تحتمل أكثر من هذا؛ برقت عيناها، وتحركت أصابع يديها كأنها على وشك أن تخمشه؛ وهي تسأله: "الجميع مَن؟ قل لي أسماءهم، وإلا قَل عدد الحمقى واحدًا".

نهض وعلى وجهه مظاهر القلق، وكرمش قبعته، ثم قال: "أعتذر، لم أكن أتوقع رد فعلك. فلقد أخبروني بهذا. كلهم أخبروني بهذا. كلهم قالوا لي، قبلها؛ وقالوا إنها ستحب ذلك. كلهم قالوا هذا- كل واحد منهم. لكنني أعتذر، يا سيدتي. لن أكررها مرةً أخرى- أقسم لكِ".

- "لن تفعل، لن تفعل؟ حسنًا، أتوقع ألا تفعل".

- "كلا، أنا صادقٌ في ذلك؛ لن أكرر هذا أبدًا- حتى تطلبي مني".

- "حتى أطلب منك! حسنًا، لم أصادف مثل هذا منذ ولدت! لن أطلب منك حتى لو صرتُ خرقاء في عمر نوح- أنت أو أشباهك".

- "حسنًا، أنا مندهش للغاية. لا أفهم ما يحدث، بطريقة ما. لقد قالوا لي أنك ستحبين ذلك، وظننت هذا أنا أيضًا. ولكن-"

توقف وبدأ ينظر حوله ببطء، كأنه كان يتمنى أن يلتقي بعين ودودة في أي مكان، حتى وقع بصره على السيد العجوز، فسأله: "ألا تعتقد، يا سيدي،



fb/mashro3pdf

أنها تود أن أقبلها؟"

- "مَن، لا؛ أنا- أنا- حسنًا، لا، أعتقد أنني لم أود ذلك".

ثم نظر حوله بالطريقة نفسها نحوي، وقال لي: "توم"، ألا تعتقد أن الخالة "سالي" سوف تفرد ذراعيها وتقول، "سِيد سوير"-".

اندفعت نحوه، وكانت على وشك أن تعانقه، وقالت: "يا إلهى! أيها الوغد الوقح، كيف تخدعني لدرجة-"، إلا أنه أبعدها، وقال: "لا، ليس قبل أن تطلبي أولًا".

لم تُضع الوقت، وطلبت منه؛ وعانقته، وقبلته مرارًا وتكرارًا، ثم وجهته نحو السيد العجوز، فأخذ ما تبقى له. وبعد أن هدأوا قليلًا، قالت: "يا إلهي، لم أصادف يا عزيزي مثل هذه المفاجأة. لم نكن نتوقع حضورك على الإطلاق، بل كنا ننتظر "توم" فقط. لم تكتب لي أختي عن حضور أحد سواه".

- لم يكن مُقررًا سوى حضور "توم"، إلا أنني توسلت وتوسلت، فوافقت في آخر لحظة على حضوري، أيضًا؛ فاتفقت أنا و"توم" لدى قدومنا في النهر، أنها ستكون مفاجأة كبيرة أن يحضر هو أولًا إلى المنزل، ثم أحضر أنا، وأتظاهر أنني غريب. إلا أنني أخطأت، يا خالتي "سالي". فليس هذا مكانًا مناسبًا للغرباء".

- لا- ليس مُناسبًا للأوغاد من أمثالك، يا "سِيد". كان ينبغي أن أوجه لك لكمة في فكك؛ لم يحدث أن انفعلت بهذا الشكل من قبل. ولكن لا يهم، لا أمانع ما حدث- فأنا على استعداد تحمل آلاف المزحات لكي أراك. حسنًا، ويا له من عرض! لا أنكر، فقد استولى عليَّ الذهول حين قبلتني".



fb/mashro3pdf

تناولنا الغداء في الممر المفتوح بين المنزل والمطبخ؛ وكان الطعام على المائدة يكفي لسبع عائلات- وكله ساخن، أيضًا؛ بلا لحم مُقدد دهني تم تخزينه طوال الليل في دولاب في قبو رطب، ويبدو طعمه مثل اللحوم الباردة التي يتناولها آكلو لحوم البشر في الصباح. تلا العم "سيلاس" صلاة طويلة بعض الشيء، لكن الطعام كان جديرًا بها؛ ولم يبرد، كما هي عادتهم التي شهدتها حين يقومون بمقاطعة الأشياء لمرات كثيرة. دار حديث طويل بعد الظهر، وكنت أنا و"توم" منتبهين لكل ما يُقال طوال الوقت؛ ولكن بلا جدوى، فلم يذكروا أي شيء عن زنجي هارب، وخشينا أن نثير الأمر. لكن على العشاء، ليلًا، قال أحد الأولاد الصغار:

- "أبي، هل يمكن أن يصحبني "توم و"سيد" إلى العرض؟"

فقال الرجل العجوز: كلا، أظن أنه لن يكون هناك عرض؛ وحتى إن كان فلا يمكن أن تذهب؛ لأن الزنجي الهارب أخبر "بورتون" وأخبرني عن هذا العرض المُخزي، وقال "بورتون" إنه سيخبر الناس؛ لهذا أظن أن الناس طردوا المُتسكعين المُحتالين خارج المدينة منذ قليل".

إذن فهذا ما حدث!- لكن لا مفر لي.

كان عليَّ أنا و"توم" أن ننام في الحجرة نفسها والسرير نفسه؛ ولكوننا مرهقين، فقد ألقينا عليهم تحية المساء، وذهبنا إلى النوم بعد العشاء مباشرةً، ونزلنا من النافذة، وأسفل مانع الصواعق، وانطلقنا إلى القرية؛ لأنني لم أكن أعتقد أن أحدًا سيحذر الملك والدوق، وإن لم أسرع لأحذرهما، فسوف يقعان في المشاكل، حتمًا.

في الطريق أخبرني "توم" كيف ظن أنني قُتلتُ، وكيف اختفى أبي بسرعة،



fb/mashro3pdf

ولم يعد منذ ذلك الوقت، ومدى القلق الذي أثاره هرب "چيم"؛ كما أخبرته بكل شيء عن مُحتالي العدم الملكي، وعن جزء كبير من رحلتنا النهرية بالطوف، قدر ما اتسع الوقت؛ وبمجرد أن وصلنا إلى المدينة، وبلغنا منتصفها- كانت الساعة قد وصلت إلى الثامنة والنصف، آنئذٍ- رأينا حشدًا من الناس الغاضبين وهم يحملون المشاعل، وصياح وصراغ بشع، وهم يطرقون على الأواني الصفيح، وينفخون الأبواق؛ قفزنا إلى أحد جانبي الطريق لكي نفسح لهم طريقًا للمرور؛ وأثناء مرورهم، رأيت أنهم قبضوا على الملك والدوق، وقد ربطوا أقدامهما في قضبان خشبية- عرفت أنهما الملك والدوق، رغم أنهما كانا يتغطيان بالكامل بالقار والريش، ولا يبدوان كأنهما ينتميان إلى الجنس البشري- يشبهان فحسب كريشتين هائلتين بشعتين كالتي يضعها الجنود فوق خوذاتهم. حسنًا، جعلني ذلك أشعر بالغثيان لدى رؤيتي لهذا المشهد؛ وحزنت من أجل هذين الوغدين المُثيرين للشفقة، إذ يبدو أنني لم أحمل لهما أية ضغينة على الإطلاق. كان مشهدًا فظيعًا. فالبشر **يمكن** أن يعاملون بضعهم البعض بقسوة بشعة.

أدركنا أننا تأخرنا- ولا نستطيع القيام بأي شيء له جدوى. سألنا بعض الغرباء عن ما يحدث، فقالوا إنهم ذهبوا إلى العرض بمنتهى البراءة؛ وانتظروا من دون أن ينطقوا حتى وصل الملك المسكين إلى منتصف قفزاته على الخشبة؛ وحينها أعطى أحدهم الإشارة، فانتفض الحضور وهجم عليهما.

عدنا إلى المنزل، ولم أعد أشعر بالبهجة التي كنت أشعر من قبل، فقد انتابني شعور بالضِعة والذل والذنب، إلى حد ما- رغم أنني لم أفعل شيئًا. إلا أن الأمور تسير دائمًا على هذا المنوال؛ وليس هناك فارق بين الخطأ



fb/mashro3pdf

والصواب، فضميرك لا يتمتع بالحس السليم، وسوف يظل يعذبك على أية حال. إذا كان لدي كلب لا يعرف أكثر مما يعرف الضمير، فسوف أضع له السم لأتخلص منه. فالضمير يحتل مساحة كبيرة من الجسم، بلا فائدة، على الإطلاق. وقال "توم سوير" الكلام نفسه.

fb/mashro3pdf

# الفصل الرابع والثلاثون

توقفنا عن الكلام، وبدأنا نفكر. بعد قليل قال "توم": "اسمع، يا "هاك"، يا لنا من حمقى لأننا لم نفكر في الأمر من قبل! أراهن أنني أعرف مكان "چيم".

- "كلا! أين؟"

- "في ذلك الكوخ الصغير قرب الصومعة. اسمع، عندما كنا نتناول العشاء، ألم تلحظ أن زنجيًا يذهب إلى هناك حاملًا بعض بقايا الطعام؟"

- "أجل".

- "لمن ظننت أنه يحمل بقايا الطعام؟"

- "لأحد الكلاب".

- "لقد ظننت مثلك. إلا أن الطعام لم يكن لأحد الكلاب".

- "لماذا؟"

- "لقد كان فيه بطيخ".

- "لقد كان الأمر كذلك- فقد لاحظت هذا أنا أيضًا. حسنًا، من

fb/mashro3pdf

الغريب أنني لم أفكر ساعتها أن الكلاب لا تأكل البطيخ. ويدل هـذا على أن المرء يمكن أن يرى ولا يرى في الوقت ذاته".

- "حسنًا، لقد فتح الزنجي القفل قبل أن يدخل، وأغلقه بعـد أن خـرج. وأعطى المفتاح لزوج خالتي ونحن على وشك مُغادرة المائدة- وأنا على ثقة أنه المفتاح نفسه. البطيخ يدل على وجود إنسان، والمفتاح يدل على وجود سـجين؛ وليس من المعقول وجود سجينين في مثل هذا المشتل الصغير، وحيث يتـسم كل من يعيشون هنا بالطيبة والأخلاق الحسنة. "چيم" هو السجين. اتضح كل شيء الآن- أنا سعيد أننا اكتشفنا الحقيقة باستخدام طريقة المُحققين؛ لـم تكن طريقة أخرى لتجدي. والآن، عليك أن تفكر، وتـضع خطـة لـسرقة "چيم"، وسوف أضع خطة أنا أيضًا؛ ونقوم بتنفيذ أفضلهما.

يا لها من طريقة تفكير لصبي! إذا كان لي تفكيره نفسه لما قايـضته لـكي أُصبح دوقًا، أو بحارًا على مـتن بـاخرة، أو مهـرج سـيرك، ولا أي شيء آخـر يمكن أن يخطر ببالي. بدأت أفكر في خطة، لكي أفعل شيئًا ما فحسب؛ فقـد كنت أعرف جيدًا مَن سيضع الخطـة. وسرعان مـا قـال "تـوم": "هـل أنـت مُستعد؟"

- "أجل".

- "حسنًا- اشرح خطتك".

- "خطتي هي كما يلي. يمكننا التأكد بـسهولة أن "چـيم" هـو المحبـوس هناك. ثم أخرج زورقي من الماء غدًا في المساء، وأحضر الطوف من الجزيـرة. وما إن يحل الظلام ليلًا، حتى نسرق المفتاح من سروال الرجل العجوز بعـد أن ينام، ثم أنطلق مع "چيم" على متن الطوف، نختبئ نهارًا ونبحر ليلًا، كمـا



fb/mashro3pdf

اعتدنا أن نفعل من قبل. هل تنجح هذه الخطة؟"

- تنجح؟ بالطبع قد تنجح، مثل مصارعة الفئران. إلا أنها بسيطة للغاية؛ ليس بها خيال. ما جدوى الخطة إن لم تكن أكثر تعقيدًا من هذا؟ إنها بلا طعم مثل لبن الإوز. اسمع، يا "هاك"، إنها لن تلفت أي انتباه شأن اقتحام مصنع صابون".

لم أقل شيئًا، فلم أتوقع شيئًا بخلاف ما قال؛ إلا أنني كنت أعرف تمام المعرفة أن أحدًا لن يُثير مثل هذه الاعتراضات، حين يعرض خطته. وبالفعل كانت كذلك.

أخبرني بخطته، فلاحظت على الفور أنها تفوق في أسلوبها خمس عشرة خطة مثل خطتي، وسوف تحرر "چيم" مثل خطتي، وربما تسببت- فضلاً عن ذلك- في قتلنا جميعًا. لذا شعرت بالرضا، وقلت له إننا سوف نقوم بتنفيذها. ولن أزعج نفسي بشرح الخطة الآن، لأنني أعرف أنه سيُدخل عليها تغيرات أثناء التنفيذ، ويُضيف إليها خدعًا جديدة كلما سنحت فرصة. وكان هذا بالفعل ما حدث.

حسنًا، كنت على ثقة بشيء واحد، هو جدية "توم سوير"، وأنه سوف يُساعدني بالفعل في سرقة "چيم" من العبودية. وكان هذا هو كل ما يؤرقني. فهو صبي مُحترم حسن التربية؛ سمعته طيبة، وسمعة أهله طيبة كذلك، كما كان ذكيًا وليس غبيًا؛ عارفًا وليس جاهلاً؛ طيبًا وليس خسيسًا؛ إلا أنه يتصرف الآن بلا حكمة أو أخلاق، ولا إحساس، وينحدر بمستواه ليشترك في مثل هذا الأمر، ويجلب العار لنفسه ولأهله، أمام الجميع. لم أستطع استيعاب هذا على الإطلاق. لقد كان فعلًا مُشينًا، وأدركت أنني ينبغي أن



fb/mashro3pdf

أتحدث معه في الأمر؛ كصديق مُخلص، وأتيح له الفرصة كي يتراجع وينقذ نفسه. وبدأت بالفعل أتحدث معه، إلا أنه أسكتني قائلًا:

- "أتظن أنني لا أعرف ما أنا بصدده؟ ألا أعرف عادة ما أنا بصدده؟"

- "أجل".

- "حسنًا، هذا هو كل ما في الأمر".

كان هذا هو كل ما قال، وكل ما قلتُ. لم يكن هناك جدوى من قول المزيد؛ لأنه حين يقول شيئًا ما يفعل، دائمًا ما يفعله. لكني لم أستطع فهم كيف يرغب في القيام بشيء كهذا؛ فتركت الأمور تسير، ولم أزعج نفسي بالأمر بعد ذلك. فإذا كان مُصرًّا على مساعدتي، فما باليد حيلة.

عندما عدنا، كان المنزل غارقًا في الظلام والسكون؛ فاتجهنا نحو الصومعة كي نفحصها. ذهبنا عبر الفناء لنرى ماذا ستفعل الكلاب. كانت تعرفنا، فلم تفعل سوى ما تفعله كلاب الريف حين يمر بهم شيء في الليل. وحين وصلنا إلى الكوخ الصغير، ألقينا نظرة على بابه وجانبيه؛ وفي أحد الجانبين، الذي لم أره من قبل- الجانب الشمالي- وجدنا فتحة نافذة مربعة الشكل، على ارتفاع كبير إلى حدٍّ ما، ومغلقة بلوح خشبي مُسمَّر. قلت له: "من هنا نبدأ. الفتحة مناسبة ليخرج "چيم" منها، إذا خلعنا اللوح الخشبي".

قال "توم": "إنه أمر في بساطة لعبة السيجة، وفي سهولة لعبة الهوكي. أتمنى أن نجد وسيلة أكثر تعقيدًا من ذلك، يا "هاك فن".

- "حسنًا، إذن، ما رأيك في قطع اللوح بمنشار، كما فعلت من قبل حين تظاهرت أنني قُتلت؟"

- "أجل، هذه الطريقة تعجبني أكثر، إنها غامضة فعلاً ومُعقدة، وجيدة.



fb/mashro3pdf

إلا أنني واثق بأننا سنجد طريقة تفوقها مرتين. لسنا متعجلين، فلنستمر في البحث".

وجدنا بين الكوخ والسياج، في الناحية الخلفية؛ تعريشة مائلة تربط بين الكوخ والإفريز، مصنوعة من ألواح الخشب. كانت بطول الكوخ إلا أنها أقل في العرض- بعرض ستة أقدام فقط. كان الباب المؤدي إليها من الناحية الجنوبية، مُغلقًا بشناكل. اتجه "توم" نحو غلاية الصابون، وبحث حولها، وأحضر قضيبًا حديديًا يستخدمونه في رفع الغطاء؛ فاستخدمه في رفع أحد الشناكل. سقطت السلسلة، وفتحنا الباب، ثم دخلنا وأغلقناه خلفنا. أشعلنا عود ثقاب، ورأينا أن الحظيرة ملاصقة فقط لكوخ، وليس هناك منفذ إليه من خلالها. ولم يكن للحظيرة أرضية خشبية، لم يكن بها سوى بعض الجواريف والمعاول القديمة، بالإضافة إلى محراث معطوب. انطفأ عود الثقاب، فخرجنا، إلى الحظيرة من جديد، وأغلقنا الباب كما كان. كان "توم" سعيدًا، وقال: "كل شيء على ما يُرام الآن، سوف نحفر نفقًا لنخرجه منه، وقد يستغرق الأمر أسبوعًا!".

ثم اتجهنا إلى المنزل، ودخلت أنا من الباب الخلفي- لم يكن عليك سوى سحب خيط السُقاطة، فلم يكونوا يُحكمون إغلاق الأبواب- لكن هذا لم يكن رومنسيًا بما يكفي من وجهة نظر "توم"؛ لم يقتنع سوى بتسلق مانع الصواعق (*). إلا أنه سقط من نصف الارتفاع ثلاث مرات، وفي المرة الأخيرة، كادت رأسه تتحطم، فقرر التخلي عن الفكرة؛ إلا أنه بعد أن

(*) عمود معدني لتفريغ شحنات البرق والصواعق في باطن الأرض حتى لا تصيب البشر.



fb/mashro3pdf

استراح قليلًا، قرر أن يجرب مرةً أخيرة ربما صادفه الحظ، ونجح في تلك المرة.

استيقظنا في الصباح مع شروق الشمس، واتجهنا إلى أكواخ الزنوج كي تألفنا الكلاب أكثر، ونضرب صداقة مع الزنجي الذي يُطعم "چيم"- إذا كان "چيم" هو من يتم إطعامه. كان الزنوج قد تناولوا إفطارهم للتو ويستعدون للذهاب إلى الحقل؛ وكان الزنجي الذي يُطعم "چيم" يملأ طبقًا من الصفيح بالخبز واللحم والأشياء؛ فيما يُغادر البقية الزنوج، ويأتي المفتاح من المنزل.

كان هذا الزنجي ودودًا، مُبتسم الوجه، وكان كل شعره عبارة عن خُصل صغيرة مربوطة بالخيوط. ذلك كي تبعد تأثير الساحرات عنه. وقال إن الساحرات يضايقنه كثيرًا هذه الليالي، فيرى كافة الأشياء الغريبة، ويسمع كافة الكلمات والضوضاء الغريبة، وكان يعتقد أنه لم يتعرض لمثل هذا السحر من قبل، طوال حياته. كان مهتاجًا، وبدأ يحكي عن متاعبه، ونسي ما كان بصدد أن يفعل. سأله "توم": "لمن بقايا الطعام هذه؟ هل ستطعم بها الكلاب؟"

اتسعت الابتسامة على وجه الزنجي ببطء، كما تتسع دوائر الماء حين ترمي فيه حجرًا، وقال: "أجل، يا سيد "سِيد"، كلب. كلب جذابٌ للغاية. هل تود رؤيته؟"

- "أجل".

جذبت "توم" وهمست له: "هل ستذهب الآن في وضح النهار؟ هذه ليست الخطة".

- "لم تكن الخطة؛ أما الآن فهي الخطة".

وافقته، وذهبنا، إلا أنني لم أحبذ هذا. وعندما دخلنا، لم نتمكن بالكاد



fb/mashro3pdf

من رؤية أي شيء، فقد كان الظلام حالكًا؛ إلا أن "چيم" كان بالداخل، بكل تأكيد، وكان بمقدوره أن يرانا، وهتف قائلًا: "هاك"، بكل تأكيد، أليس هذا هو السيد "توم"؟

عرفت أن هذا يمكن أن يحدث؛ توقعته. لم أعرف ماذا أفعل؛ وإن عرفت فلم أكن لأستطيع، لأن الزنجي تدخل وقال: "يا إلهي! هل يعرفكما، يا سادة؟"

أصبح بإمكاننا أن نرى جيدًا الآن. نظر "توم" إلى الزنجي بثبات وبنوع من الدهشة، وقال: "مَن الذي يعرفنا؟"

- "هذا الزنجي الهارب".

- "لا أظن أنه يعرفنا؛ ولكن من أدخل هذه الفكرة إلى رأسك؟"

- "مَن أدخل الفكرة إلى رأسي؟ ألم يُناد الآن كأنه يعرفكما؟"

قال "توم" وما يزال في حالة ذهولٍ ما: "حسنًا، هذا أمر غريب للغاية. مَن نادى علينا؟ ومتى؟ وماذا نادى علينا؟" ثم استدار نحوي بهدوء تام، وسألني: "هل سمعت أحدًا يُنادي علينا؟"

بالطبع لم يكن هناك سوى إجابة واحدة لسؤاله، فقلت: "لا، لم أسمع أحدًا يقول أي شيء".

نظر "توم" إلى "چيم"، كأنه لم يره من قبل، وسأله: "هل ناديت علينا؟"، فأجاب "چيم": "لا، يا سيدي".

- "لم تنطق بكلمة واحدة؟"

- "كلا، يا سيدي، لم أنطق بكلمة واحدة".

- "هل رأيتنا من قبل؟"



fb/mashro3pdf

- "كلا، يا سيدي، بحسب ما أعلم".

ثم استدار "توم" إلى الزنجي، الذي بدا مذهولًا ومكتئبًا، بانفعال: "ماذا أصابك، على أية حال؟ لماذا اعتقدت أن أحدًا نادى علينا؟"

- "أوه، إنهن الساحرات الملعونات، يا سيدي، أتمنى لو مِت، بالفعل أتمنى ذلك. دائمًا ما يفعلن هذا، يا سيدي، إنهن يُردن قتلي، ويسببن لي الفزع. من فضلك لا تُخبر أحدًا بهذا الأمر، ولا تخبر السيد "سيلاس" حتى لا يُوبخني؛ لأنه لا يعتقد في وجود الساحرات. كنت أتمنى من الرب أن يكون موجودًا الآن- لأرى ماذا سيقول! أعتقد أنه لن يُنكر وجودهن هذه المرة. إلا أن الأمر على هذا النحو؛ مَن يقتنع بشيء لا يغيره. لا يحاول البحث أو الاكتشاف بنفسه. وإن اكتشفت أنت الأمر وأخبرته به، فلن يُصدقك".

منحه "توم" عشرة سنتات، وقال إننا لن نخبر أحدًا؛ وطلب منه أن يشتري المزيد من الخيط ليربط شعره به؛ ثم نظر إلى "چيم" وقال: "أتعجب لماذا لا يشنق العم "سيلاس" هذا الزنجي. فإذا أمسكتُ بزنجي لم يحفظ الجميل لدرجة أن يهرب، فلن أتركه، بل سأشنقه".

وفيما كان الزنجي قد خطا إلى الباب ليرى العشرة سنتات ويعُضها، ليتأكد أنها سليمة، همس "توم" إلى "چيم": "عليك أن تنكر معرفتك بنا. وإن سمعت حفرًا في الليل، فسنكون نحن؛ سوف نحررك".

لم يكن لدى "چيم" من الوقت سوى أن يصافحنا بحرارة؛ ثم عاد الزنجي، وأخبرناه أننا يمكن أن نصحبه مرةً أخرى في وقت ما، إن رغب هو في ذلك؛ فقال إنه سوف يفعل، خاصة في الظلام، لأن الساحرات يترصدنه أكثر في الظلام، ومن الجيد أن يكون معه صحبة من الناس آنذاك.



fb/mashro3pdf

# الفصل الخامس والثلاثون

ذهبنا إلى الغابة، قبل موعد تناول الإفطار بساعة تقريبًا؛ لأن "توم" قال إننا بحاجة إلى مصدر للضوء أثناء الحفر، وضوء الفانوس سيكون أكثر مما نريد، وقد يتسبب لنا في المتاعب؛ وما نحتاج إليه هو كمية من نبات يُسمى "نار الثعلب"(*)؛ يصدُر عنه وهج خافت عندما تضعه في مكان مُظلم. أحضرنا حزمة منه وأخفيناها في الغابة، وجلسنا لنستريح، وقال "توم" بنوع من عدم الرضا: "اللعنة، إن كل شيء سهل جدًا، ومثير للضجر للغاية. من الصعب وضع خطة مُعقدة. لا يوجد حارس حتى لنخدره- كان يجب الآن أن يكون هناك حارسٌ ما. كما ليس هناك حتى كلب لنضع له مادة منومة. و"جيم" مربوط من قدم واحدة، بسلسلة طولها عشرة أقدام، إلى ساق السرير: عجيبة، فكل ما عليك القيام به هو أن ترفع طرف السرير وتسحب السلسلة. كما أن العم "سيلاس" يثق بالجميع؛ ويرسل المفتاح للزنجي

(*)نبات فطري ينمو على الأشجار.



fb/mashro3pdf

الأخرق، ولا يُكلف أحدًا بمراقبته. كان يمكن لـ"چيم" وحده أن يهرب من فتحة النافذة قبل ذلك، لولا صعوبة السفر بسلسلة طولها عشرة أقدام في قدمه. اللعنة، يا "هاك"، إنها أغبى خطة رأيتها في حياتي. عليك أن تخترع كل التحديات بنفسك. حسنًا، ما باليد حيلة؛ علينا أن نفعل أفضل ما نستطيع بما لدينا من أدوات. وعلى أية حال، فهناك شيء واحد- هو الفخر بتحريره رغم كل الصعوبات والمخاطر التي لم يحققها مَن كان عليهم تحقيقها، وعليك أن تخترعها بنفسك. خذ عندك موضوع الفانوس. فحين تتعامل مع الحقائق المجردة، اعتبرنا العمل به مُجازفة. إلا أن بمقدورنا العمل بموكب يحمل لنا المشاعل إن أردنا، حسب ما أعتقد. والآن، فيما أفكر في ذلك، علينا أن نبحث عن شيء نصنع منه منشارًا عندما تسنح أول فرصة".

- "ولماذا نحتاج منشارًا؟"

- "لماذا نحتاج منشارًا؟ ألن نحتاج أن ننشر به ساق السرير حتى نسحب السلسلة؟"

- "لماذا، وقد قلت إن أي شخص يمكن أن يرفع السرير ويسحب السلسلة؟"

- "حسنًا، إذا لم تكن هذه الطريقة تعجبك، يا "هاك فن"، **فيمكنك** استخدام الطرق الطفولية المدرسية في إنجاز الأمر. ألم تقرأ كتبًا من قبل؟- "البارون ترينك"، أو "كازانوفا"، أو "بينفويتو شيلليني"، أو "هنري الرابع"، أو أي من هؤلاء الأبطال؟ مَن سمع من قبل عن إطلاق سراح سجين بطريقة بمثل هذه الطريقة القديمة؟ كلا؛ الطريقة التي يعتمدها كل ذوي الشأن هي نَشر ساق السرير إلى نصفين، وتركها هكذا، وابتلاع النشارة، حتى لا يعثر



fb/mashro3pdf

عليها أحد، ووضع بعض التراب والقاذورات موضع النشارة حتى لا يتمكن أكثر رجال الشرطة[*] حصافة من اكتشاف نشر ساق السرير، ويظن أنها سليمة. وبعدها، في الليلة التي تكون جاهزًا فيها، تركل ساق السرير، فتنكسر؛ تسحب السلسلة، وبهذا تكون قد هربت. لن يتبقى سوى أن تعلق سُلَّم الحبال في إحدى فتحات السور، وأن تنكسر ساقك في الخندق المائي، لأن الحبل أقصر من السور بتسعة عشر قدمًا، كما تعلم- وهناك ستجد حصانك وأتباعك المخلصين، فيرفعونك على ظهر الحصان، ثم تنطلق إلى موطنك الأصلي في "لانجدوك" أو "نافاري"، أو أيًا ما كان. إنه هروب عبقري، يا "هاك". كنت أتمنى لو كان هناك خندق مائي حول الكوخ. ولو كان لدينا بعض الوقت، في ليلة الهرب، فيمكن أن نحفر واحدًا.

- "ولماذا تريد خندقًا مائيًا ونحن سوف نتسلل به من أسفل الكوخ؟"

إلا أنه لم يسمعني. لقد نسيني ونسي كل شيء آخر. وضع ذقنه على كفه وانهمك في التفكير. وما لبث أن تنهد وهز رأسه؛ ثم تنهد ثانية، وقال: "لا، لا فائدة من هذا- ليست هناك حاجة ماسة لهذا".

- "لماذا؟"

- "لقطع ساق "چيم".

- "يا إلهي! ليست هناك حاجة ماسة للقيام بهذا! وما الغرض من قطع ساقه، على أية حال؟"

- "حسنًا، بعض أشهر المغامرين فعلوا هذا. لم يتمكنوا من نزع

---

[*] ينطق الكلمة باللغة الفرنسية، بطريقة غير صحيحة، وسوف يتكرر هذا أكثر من مرة.



fb/mashro3pdf

السلسلة، فقطعوا أيديهم وهربوا. وقطع الساق سيكون أفضل. لكننا لن نتمسك بذلك. فلا ضرورة لها في هذه الحالة؛ كما أن "چيم" زنجي، ولن يفهم مغزى الأمر، وكيف أنها كانت عادة في أوروبا؛ لذلك لن نتمسك بها. إلا أن هناك أمرًا مهمًا- يمكننا صُنع سُلَّم حبال؛ يمكننا أن نمزق مفارش السرير ونصنع منها سلمًا بسهولة. ويمكن أن نرسله إليه داخل فطيرة؛ فغالبًا ما كانوا يفعلون هذا. وقد تناولت فطائر أسوأ من ذلك".

- "ماذا تقول، يا "توم سوير"، لن يستخدم "چيم" سُلَّم الحبال".

- "عليه أن يستخدمه. كيف تتحدث بهذه الطريقة؛ مِن الأفضل لك أن تقول؛ إنك لا تعرف شيئًا عن الأمر. يجب أن يكون لديه سُلَّم حبال؛ كلهم كان لديهم سلالم من الحبال".

- "وماذا سيفعل به بحق السماء؟"

- "ماذا سيفعل به؟ يخفيه تحت السرير، ألا يستطيع؟ هذا ما فعلوه جميعًا؛ وعليه أن يفعله هو الآخر، أيضًا. "هاك"، عليك ألا تقوم أبدًا بفعل شيء عادي؛ عليك أن تبتكر أشياء جديدة طوال الوقت. افترض أنه لن يفعل شيئًا بالسلم، ألن يبقى في سريره، كمفتاح لحل اللغز، بعد هربه؟ ألا تظن أنهم يحتاجون إلى مفاتيح لحل اللغز؟ بالطبع يحتاجون. ألن تترك لهم أي مفتاح؟ سوف يكون هذا لطيفًا، أليس كذلك؟ لم أصادف طريقة تفكير مثل طريقتك من قبل".

- "حسنًا، إن كان هذا ضمن الإجراءات، وعليه أن يلتزم به، حسنًا، فليحصل على سُلم الحبال؛ فأنا لا أحب مُخالفة التعليمات؛ إلا أن هناك أمرًا واحدًا، يا "توم سوير". فإذا مزقنا مفارش السرير لنصنع سلمًا من الحبال من



fb/mashro3pdf

أجل "چيم"، فسوف نقع في مشكلة مع الخالة "سالي" بكل تأكيد. والآن، من وجهة نظري أن سُلمًا من لحاء شجر الجوز لن يُكلفنا شيئًا، ولن يفسد شيئًا، كما يسهل حشوه بداخل فطيرة، ثم إخفاؤه في حشية القش، مثل أي سلم مصنوع من المفارش؛ أما "چيم"، فليست لديه الخبرة، ولن يهتم بنوع-"

- "أوه، اصمت، يا "هاك فن"، فلو كنتُ في مثل جهلك لما نطقت- هذا ما كنت سأفعل. من سمع من قبل عن سجين هرب باستخدام سلم مصنوع من لحاء شجر الجوز؟ إنه لأمر سخيف للغاية".

- "حسنًا، جيد، يا توم"، فلتدبر الأمر بطريقتك الخاصة؛ ولكن إذا أخذت بنصيحتي، فيجب أن تدعني أقترض مفرشًا من فوق حبال الغسيل".

قال لي إن هذا سوف يكون مناسبًا. وأن ذلك جعله يفكر في شيء آخر، وقال: "اقترض قميصًا أيضًا".

- "ولماذا تريد القميص، يا "توم"؟"

- "كي يكتب عليه "چيم" يومياته".

- "اللعنة، يومياته! إنه لا يعرف القراءة والكتابة".

- "افترض أنه لا يستطيع الكتابة- يمكن أن يضع علامات على القميص، أليس كذلك، وإذا ما صنعنا قلمًا من ملعقة قصدير قديمة أو قطعة حديد قديمة كانت تُستخدم كإطار لبرميل؟"

- "ولماذا، يا "توم"، يمكن أن ننتزع ريشة من إوزة، ونصنع له منها قلمًا أفضل؛ وبطريقة أسرع كذلك".

- "السجناء ليس لديهم إوز يتقافز حول أبراج القلاع لكي يصنعوا من ريشه أقلامًا، أيها الأخرق. ودائمًا ما كانوا يصنعون الأقلام من أصلب



fb/mashro3pdf

وأقسى أنواع الحديد القديم مثل الشمعدان أو أي شيء مشابه تطاله أيديهم؛ ويستغرق الأمر منهم أسابيع وأسابيع وشهور وشهور حتى يصنعوها، لأنهم يقومون بهذا عن طريق حكه في الحائط. ولن يستخدموا ريشة إوزة حتى إن كان لديهم إوز. فهذه ليس الطريقة المُعتادة".

- "حسنًا، إذن، فمن أي شيء سنصنع له الحبر؟"

- "العديد من السجناء كانوا يصنعون الحبر من بُرادة الحديد والدموع؛ إلا أن هذا يقتصر على النوع العادي من السجناء وعلى النساء؛ أما أفضل الأبطال فكانوا يصنعونه من دمهم. ويمكن لـ"چيم" أن يفعل ذلك؛ وحين يريد كتابة أية رسالة سرية عادية، ليخبر العالم بمكان احتجازه، فيمكن أن يكتبها بسن الشوكة على ظهر طبق معدني ويُلقي به من النافذة. كان "ذو القناع الحديدي"(*) يفعل هذا دائمًا، وقد أثبتت هذه الطريقة فعاليتها، أيضًا".

- "لكن "چيم" لا يأكل في أطباق معدنية. إنهم يُطعمونه في "حلة".

- "لا يهم؛ يمكن أن نحضر له بعض الأطباق".

- "لن يستطيع أحد أن يقرأ رسائله المكتوبة على الأطباق".

- "ليس لهذا أية علاقة بالموضوع، يا "هاك فن". فكل ما عليه هو الكتابة على الطبق والإلقاء به إلى الخارج. وليس عليك أن تستطيع قراءته. ففي نصف الحالات لن تستطيع قراءة ما كتبه السجين على الأطباق، أو على أي شيء آخر".

---

(*) رواية لـ ألكسندر ديماس ــ الروائي الفرنسي ــ عن سجين في القرن التاسع عشر



fb/mashro3pdf

- "وما جدوى إهدار الأطباق، إذن؟"
- "اللعنة، إنها ليست ملكًا للسجين".
- "ولكنها أطباق أحد الناس، أليس كذلك؟"
- "حسنًا، افترض أن كلامك صحيح؟ ماذا يهم السجين من يملك-"

قطع كلامه عند هذا الحد، لأننا سمعنا صوت البوق، يُعلن عن موعد الإفطار، فاتجهنا إلى المنزل.

وأثناء فترة الصباح، اقترضتُ مفرشًا وقميصًا أبيض اللون من فوق حبل الغسيل؛ كما وجدت حقيبة قديمة فوضعتهما فيها، وهبطنا وأحضرنا "نار الثعلب"، ووضعناه في الحقيبة أيضًا. أسمي السرقة اقتراضًا، كما كان يفعل أبي دائمًا؛ إلا أن "توم" قال إنها ليست اقتراضًا، بل سرقة. وقال إننا نُمثل سجينًا؛ والسُجناء لا يهتمون بالطريقة التي يحصلون بها على الأشياء التي يريدونها، ولا يلومهم أحدٌ على هذا، أيضًا. فليست جريمة أن يسرق السجين ما يحتاج إليه للهرب، كما قال، فهذا حقه؛ وطالما نحن نُمثل سجينًا، فلنا كامل الحق في سرقة أي شيء من هذا المكان نحتاج إليه في الهرب من السجن. وقال إن لم نكن سجناء لاختلف الأمر تمامًا، وأصبح حقيرًا، إنسانًا وضيعًا مَن يسرق وهو غير سجين. لذلك اتفقنا على أن نسرق أي شيء في مُتناول أيدينا. إلا أنه أربكني للغاية، فبعد كلامه هذا ببضعة أيام، سرقت بطيخة من حديقة صغيرة لأحد الزنوج وأكلتها؛ فجعلني أذهب وأعطي الزنجي عشرة سنتات، من دون أن أخبره السبب. وأوضح "توم" أنه يقصد سرقة أي شيء نحتاج إليه. قلت له: حسنًا، لقد كنت أحتاج البطيخة. لكنه قال إنني لا أحتاج البطيخة من أجل الهرب من السجن؛ وهنا يكمن الفارق. وقال إنني لو



fb/mashro3pdf

كنت أحتاج إليها لأخفي فيها سكينًا، وأهربها إلى "چيم" ليقتل الحارس بها، فسيكون الأمر مقبولًا. وهكذا تركت الأمر يمضي، رغم أنني لم أرَ أية مزية في تمثيلي للسجين، إذا كان عليَّ أن أجلس وأفكر في مثل هذه الفوارق الدقيقة من هذا القبيل في كل مرةٍ أجد فرصة لسرقة بطيخة.

حسنًا، كنت أقول إننا انتظرنا ذلك الصباح حتى انشغل الجميع في أعمالهم، ولم يظهر أحد منهم في الفناء؛ فحمل "توم" الحقيبة إلى التعريشة، فيما وقفت أنا على مسافة لأراقب. وبعد قليل عاد، وذهبنا وجلسنا فوق كومة خشب لنتحدث.

قال: "كل شيء على ما يُرام الآن، عدا الأدوات؛ ويُمكننا تدبيرها بسهولة".

- "أدوات؟"

- "أجل".

- "أدوات من أجل ماذا؟"

- "لكي نحفر بها. ألن نخرجه من نفق من هناك؟"

- "ألا تكفي المُعدات القديمة والأشياء الموجودة هناك للحفر حتى نخرج الزنجي بها؟"

استدار نحوي، ونظر إليَّ كما لو كنت أثير شفقته إلى حد البكاء، وقال:

- "هاك فن"، هل سمعت من قبل أن سجينًا لديه معاول وجواريف، وغيرها من الأدوات الحديثة في خزانة ملابسه لكي يستخدمها في الحفر حتى يهرب؟ أود أن أسألك الآن- إذا كان لديك أدنى منطق- ما نوع الفعل الذي سيجعل منه بطلًا؟ يمكنهم بالطبع أن يعيروه المفتاح ليفتح الباب ويهرب!



fb/mashro3pdf

معاول وجواريف- لماذا، إنهم لن يقدموا مثل هذه الأدوات إلى ملك سجين".

- "حسنًا، إذن، إذا لم نكن نحتاج المعاول والجواريف، فماذا نحتاج؟"

- "زوج من المُدى".

- "لكي نحفر بهما نفقًا تحت الكوخ؟"

- "أجل".

- "اللعنة، يا "توم"، إنها حماقة".

- "لا يهم مدى حماقة الأمر، إنها الطريقة **الصحيحة**- وهي الطريقة المُعتادة. وليست هناك طريقة **أخرى**، سمعت بها في حياتي، وقد قرأت كافة الكتب التي تُقدم معلومات عن مثل هذه الأشياء. دائمًا ما يحفرون باستخدام مُدية- ولا يحفرون في التراب، انتبه؛ بل عادةً في صخر صلب. ويستغرف منهم الحفر أسابيع وأسابيع وأسابيع، وإلى الأبد. تخيل أحد هؤلاء السجناء في قاع برج حصين في "قلعة ديف"، في ميناء "مرسيليا"، كيف يحفر طريقًا للهرب؛ وكم يستغرق من وقت؟"

- "لا أعلم".

- "حسنًا، خمن".

- "لا أعلم، ربما شهر ونصف الشهر".

- "**سبعة وثلاثون عامًا**- وخرج من النفق في الصين. هذا هو الهروب الصحيح. كم كنت أتمنى لو كان قاع هذا الحصن من الصخور الصلبة".

- "لكن "چيم" لا يعرف أحدًا في الصين".

- "ما علاقة هذا بالأمر؟ فالرجل الآخر لم يكن يعرف أحدًا في الصين، هو الآخر. أنت دائمًا تخرج عن الموضوع إلى مسائل جانبية. لماذا لا تلتزم



fb/mashro3pdf

بصلب الموضوع؟"

- "حسنًا- لا يعنيني أين سيخرج، المهم أن يخرج؛ وأظن أن هذا ما يهم "چيم". ولكن هناك أمرًا واحدًا، على أية حال- فـ"چيم" عجوز جدًا، ولا يمكنه الحفر بمدية. لن يحتمل".

- "بل سيحتمل، هو الآخر. أتظن أن حفر نفق في التراب سوف يستغرق سبعة وثلاثين عامًا؟"

- "وكم يستغرق من وقت يا "توم"؟"

- "حسنًا، لن نُغامر ونطيل المدة كما ينبغي لها أن تكون، فلن يطول الأمر حتى يسمع العم "سيلاس" أخبارًا من "نيو أوليانز". سوف يسمع أن "چيم" ليس من هناك. وستكون الخطوة التالية أن يعرضه للبيع، أو شيئًا من هذا القبيل. لذلك لا يمكن أن نخاطر بجعل مدة الحفر كما ينبغي لها أن تكون. في اعتقادي يجب أن تكون عامين؛ إلا أننا لا نستطيع ذلك. فالأمور غير مؤكدة، وما أنصح به هو أن نبدأ الحفر على الفور، وبأسرع ما يُمكننا؛ وبعد ذلك ندَّعي أن الأمر قد استغرق منا سبعة وثلاثين عامًا. ثم يمكننا أن ننتشله ونهربه حين يلوح أول تهديد. فعلاً، فيما أظن هذه هي أفضل طريقة".

- "والآن، هناك منطق في ما تقول. لن يكلفنا الادعاء شيئًا؛ فالادعاء ليس مشكلة؛ وإذا واجهتني أية عقبة، فلا أمانع من الادعاء أننا سنستغرق في حلها مائة وخمسين عامًا. ولن يكون ذلك عبئًا عليَّ. لهذا سأنطلق على الفور، لأسرق مُديتين".

- "اسرق ثلاثة، حتى نصنع منشارًا بواحدة منها".



fb/mashro3pdf

- "توم"، أنا لا أقصد الخروج عن المألوف وعن الدين حين أقترح عليك هذا الأمر. هناك سلاح منشار قديم صدئ هناك تحت لوح الطقس، خلف حجرة حفظ الطعام بالتدخين".

بدا عليه الإحباط والملل، وهو يقول:

- "لا جدوى من تعليمك أي شيء، يا "هاك". انطلق بسرعة وأحضر المُدى- أحضر ثلاثة". ففعلت ما طلب مني.

fb/mashro3pdf

## الفصل السادس والثلاثون

بمجرد أن اعتقدنا أن الجميع قد ناموا في تلك الليلة، انزلقنا على مانع الصواعق لأسفل، واتجهنا إلى التعريشة، وأغلقنا بابها خلفنا، ثم أخرجنا كومة "نار الثعلب"، وبدأنا العمل. أزحنا كل شيء من طريقنا، حوالي أربعة أو خمسة أقدام من الأرضية الخشبية. قال "توم" إننا خلف سرير "چيم" مباشرةً الآن، وسوف نحفر هنا تحته، ولن يعرف أحد أن هناك حفرة حين يدخل الكوخ، لأن ملاءة السرير تتدلى تقريبًا حتى الأرض، وعليك أن ترفعها وتنظر من تحتها لترى الحفرة. ظللنا نحفر ونحفر بالمُدى حتى منتصف الليل تقريبًا؛ وحينها أصابنا إرهاق شديد، وتسلخت أيدينا؛ إلا أنك لا تستطيع القول إننا أنجزنا بالكاد شيئًا ما. وفي النهاية قلت:

- "لن تستغرق هذه المُهمة سبعة وثلاثين عامًا؛ بل سيستغرق ثمانية وثلاثين عامًا، يا "توم سوير".

لم ينطق. بل تنهد، وما لبث أن توقف عن الحفر، وبعد قليل من الوقت



fb/mashro3pdf

عرفت أنه يُفكر. ثم قال بعد ذلك:

- "لا جدوى من هذا، يا "هاك"، لن تنجح هذه الطريقة. لو كنا سجناء لنحجت، لأنه سيكون أمامنا الكثير من السنوات مثلما نريد، بلا عجلة؛ ولن نحفر سوى بضع دقائق، كل يوم، أثناء تغيير الحُراس، وهكذا لا تتسلخ أيدينا، ويكون بمقدورنا أن نستمر في الحفر عامًا، ونتوقف عامًا، ونتبع في ذلك الطريقة الصحيحة. لكننا لا يمكن أن نستمر هكذا؛ فنحن متعجلون. وليس لدينا وقت لنضيعه. وإذا حفرنا ليلة أخرى بهذه الطريقة، فسوف نحتاج إلى أسبوع حتى تتحسن أيدينا- ولن نستطيع لمس المُدى لفترة طويلة".

- "حسنًا، إذن، وماذا سنفعل، يا "توم"؟"

- "سأخبرك. إنه شيء غير صحيح، وغير أخلاقي- ولا أحب اللجوء إليه؛ ولكن لا سبيل سوى أن نحفر بالمعاول وندَّعي أننا حفرنا بالمُدى".

- "هذا هو الكلام السليم **الآن**، تفكيرك يصبح عمليًا بمرور الوقت، يا "توم سوير". المعاول هي الحل، سواء كانت أخلاقية أم غير أخلاقية؛ وبالنسبة لي على الأقل، فأنا لا أهتم بأخلاقيتها، بأية حال. فحين أفكر في سرقة زنجي أو بطيخة أو كتاب ديني، لا تهمني الطريقة، بل يهمني أن يتم الأمر. ما أريد الآن هو الزنجي، أو ما أريد هو البطيخة، أو الكتاب الديني؛ وإذا كان المعول هو أسهل وسيلة، فسوف أستخدمه لكي أخرج ذلك الزنجي أو البطيخة أو الكتاب الديني. ولن أهتم مطلقًا برأي الأبطال في هذا الأمر".

- "حسنًا، هناك عذر لاستخدام المعاول والادعاء بأنها مُدى؛ ولولا هذا العذر، لما وافقت، أو حتى وقفت صامتًا وأنا أرى القواعد تُكسر- فالحق



fb/mashro3pdf

هو الحق، والخطأ هو الخطأ، ولا مبرر للمرء أن يرتكب الخطأ حين لا يكون جاهلاً ولديه معرفة جيدة. ربما يناسبك الحفر بمعول بلا ادعاء أنه مُدية، لأنك لا تعرف أكثر مني؛ إلا أن الأمر لا يناسبني، لأنني أعرف أكثر منك. ناولني المُدية".

كان يُمسك مُدية في يده، فناولته مُديتي، إلا أنه ألقى بها جانبًا، وقال:

- "ناولني مُدية".

لم أعرف بالضبط ماذا أفعل- إلا أنني فكرت. فتشت الأدوات القديمة، فوجدت فأسًا، وناولتها له، فالتقطها وبدأ يعمل، بلا كلمة واحدة.

كان دائمًا شخصًا عمليًا. يتمسك بالمبادئ.

آنئذٍ حصلت على جاروف، ثم بدأنا نحفر ونجرف، ونُلقي بالتراب في كل مكان. استمر عملنا لمدة نصف ساعة، وكانت أقصى ما نستطيع تحمله؛ إلا أننا نجحنا في حفر حفرة عميقة. وحين عدت وصعدت السلالم، نظرتُ من النافذة، فوجدت "توم" يُجرب حظه مع مانع الصواعق، إلا أن الحظ لم يُحالفه، والتهبت يداه. فقال في النهاية: "لا جدوى من هذا، لا يمكن أصعد بهذه الطريقة. ما هي أفضل طريقة في رأيك؟ ألا يمكنك التفكير في طريقة؟"

- "أجل، أظن أنها طريقة غير معتادة. استخدم السلالم، وتظاهر أنك تصعد على مانع الصواعق".

أخذ بنصيحتي.

وفي اليوم التالي، سرق "توم" ملعقة قديمة وشمعدانًا نحاسيًا من المنزل، لكي يصنع منها بعض الأقلام من أجل "جيم"، وسرق ست شموع من الشحم؛ بينما كنت أحوم حول أكواخ الزنوج، حتى واتتني الفرصة، وسرقت



fb/mashro3pdf

ثلاثة أطباق قصدير. قال "توم" إنها لا تكفي؛ لكنني قلت إن أحدًا لن يرى الأطباق التي سيلقيها "چيم"، لأنها ستسقط في أعشاب الشمر والعُليق التي تنمو أسفل فتحة نافذة الكوخ- لذا يمكننا أن نلتقطها ونعيدها إليه ليستخدمها مرةً أخرى.

بدا عليه الاقتناع، ثم قال: "والآن، ما علينا أن نفكر فيه هو: كيف نُدخل هذه الأشياء إلى "چيم".

- "ندخلها من الفتحة حين ننتهي من حفرها".

نظر نحوي باحتقار، وقال شيئًا ما عن أن أحدًا لم يسمع بمثل هذه الفكرة الغبية، ومن ثم بدأ يفكر. وبعد قليل قال إنه توصل إلى طريقتين أو ثلاث، ولكن ليس علينا الآن أن نقرر أيها نختار. وقال إننا يجب أن نبعث برسالة إلى "چيم" أولًا".

في تلك الليلة نزلنا باستخدام مانع الصواعق بعد الساعة العاشرة بقليل، وأخذنا شمعة معنا، واسترقنا السمع أسفل فتحة النافذة، وسمعنا شخير "چيم"؛ فألقينا الشمعة بالداخل إلا أنها لم توقظه. فبدأنا العمل بالمعول والجاروف، وانتهينا من الأمر بعد ساعتين ونصف الساعة. زحفنا تحت سرير "چيم" إلى الكوخ، وتحسسنا الأرض بأيدينا حتى وجدنا الشمعة وأشعلناها، وتطلعنا إلى وجه "چيم" قليلًا، ووجدناه يبدو قويًا وبصحة جيدة، ثم أيقظناه برفق وبالتدريج. كان سعيدًا للغاية لرؤيتنا لدرجة أنه كان على وشك البكاء؛ وأسمانا أعزائي، وأطلق علينا كل أسماء التدليل التي استطاع تذكرها؛ وطلب منا البحث عن أزميل لكي يقطع السلسلة عن قدمه في الحال، ويهرب من دون أن نضيع الوقت الثمين. إلا أن "توم" شرح له أنها



fb/mashro3pdf

ستكون طريقة غير مألوفة للهرب، وجلس وحكى له كل شيء عن خطتنا، وكيف يمكننا أن نغيرها في أية لحظة يتهددنا فيها خطر؛ وعليه ألا يخاف لأننا سنعمل على تحريره، بالتأكيد. فقال "چيم" إن كل شيء على ما يُرام، وجلسنا نتحدث عن الأيام الخوالي قليلًا، وبدأ "توم" يسأله الكثير من الأسئلة، وحين أخبره "چيم" أن العم "سيلاس" يزوره كل يوم أو يومين، ليُصلي معه، وأن الخالة "سالي" تزوه لتطمئن أنه مرتاح ولديه ما يكفي من الطعام، وكلاهما يعامله بطيبة مفرطة، قال "توم":

- "عرفت الآن، كيف سأرتب الأمر. سوف نرسل لك بعض الأشياء من خلالهم".

قلت له: "لا تفكر في مثل هذا الأمر؛ إنها أغبى فكرة صادفتها في حياتي"؛ إلا أنه لم يعرني اهتمامه؛ واستمر يتحدث. كانت هذه طريقته حين يضع إحدى خططه.

أخبر "چيم" كيف سنقوم بتهريب سُلَّم الحبال في فطيرة وغيره من الأشياء كبيرة الحجم، عن طريق "نات"، الزنجي المسؤول عن إطعامه، وعليه أن يتوقع هذا، ولا يُبدي اندهاشه، وألا يراه "نات" وهو يفتحها؛ وأننا سنضع بعض الأشياء الصغيرة في جيب معطف العم "سيلاس"، وعليه أن يسرقها؛ وأننا سنربط بعض الأشياء في خيوط مريلة المطبخ الخاصة بالخالة "سالي"، أو نضعها في جيب المريلة، إن واتتنا الفرصة؛ ثم أخبره ما هي هذه الأشياء، وما هو استخدامها. كما طلب منه أن يحافظ على كتابة يومياته بدمه على القميص، وغير ذلك من الأمور. أخبره بكل شيء. إلا أن "چيم" لم ير أي معنى لأغلبها، لكنه اقتنع لأننا من ذوي البشرة البيضاء، ونفهم أكثر منه؛



fb/mashro3pdf

فشعر بالرضا، وقال إنه سيُنفذ كل ما قال "توم" له.

كان لدى "چيم" العديد من الغلايين المصنوعة من اللَّبِن، والتبغ؛ لذلك قضينا وقتًا ممتعًا في الثرثرة؛ ثم زحفنا عبر الفتحة، ومنها إلى المنزل والسرير، بأيدٍ مهترئة. كانت معنويات "توم" مُرتفعة. قال إن هذا أمتع وقت قضاه في حياته، والأكثر تبادلًا للثقافات؛ وقال إنه يتمنى لو أن هناك طريقة تجعلنا نستمر في فعل هذا طوال حياتنا، وأن نترك "چيم" ميراثًا لأولادنا حتى يحاولوا تحريره؛ لأنه يعتقد أن "چيم" سيحب الأمر ويألفه أكثر وأكثر بمرور الوقت. وقال إن هذا الأمر يمكن أن يمتد بهذه الطريقة إلى ثمانين عامًا، ليكون الرقم القياسي من ناحية الزمن. وقال إن ذلك سوف يجعلنا جميعًا مشهورين بمشاركتنا فيه.

في الصباح ذهبنا إلى كومة الحطب، وقطعنا الشمعدان النحاسي إلى قطع صغيرة، وضعها "توم" مع الملعقة في جيبه. ثم اتجهنا إلى أكواخ الزنوج، وبينما كنت أشاغل "نات"، قام "توم" بوضع قطعة من الشمعدان في رغيف الذرة، الذي كان بوعاء طعام "چيم"، وذهبنا مع "نات" لنرى كيف سيسير الأمر، وسار على أفضل ما يكون؛ فعندما قضم "چيم" الرغيف، كادت أسنانه كلها تتحطم؛ إلا أن الأمر سار بطريقة لا أفضل منها. قال "توم" هذا بنفسه. لم يمرر "چيم" الأمر، بل تظاهر أنه قضم قطعة صغيرة من الحصى، أو ما شابه من الأشياء التي توجد في الخبز دائمًا، كما تعلمون؛ لكنه لم يقضم شيئًا بعد ذلك إلا بعد أن يجسه بالشوكة أولًا في ثلاثة أو أربعة مواضع.

وفيما كنا نقف في ضوء الكوخ المُغبش، خرج كلبان مندفعين من تحت سرير "چيم"؛ واستمر تدفق الكلاب حتى أصبحت أحد عشر كلبًا؛ ولم يكن



fb/mashro3pdf

هناك مجال لكي تلتقط أنفاسك. يا إلهي، لقد نسينا أن نُحكم إغلاق باب التعريشة! لم يفعل الزنجي "نات" سوى أنه صرخ مرةً واحدة "الساحرات"، وركع على الأرض بين الكلاب؛ وظل يئن كأنه يحتضر. فتح "توم" الباب وألقى بشريحة لحم من طعام "چيم" إلى الخارج، فتبعتها الكلاب، وفي لحظة خرج ثم عاد إلى الداخل وأغلق الباب؛ وعلمت أنه أحكم إغلاق باب التعريشة أيضًا. ثم بدأ يلاطف الزنجي ويداعبه، ويسأله إن كان قد تخيل أنه رأى شيئًا مرةً أخرى. نهض، وجال ببصره، ثم قال:

- "سيد "سِيد"، سوف تقول إنني أحمق، ولكني إن لم أعتقد أنني رأيت مليون كلب، أو شيطان، أو أيًا ما كان، فأتمنى أن أموت حالاً في هذه الممرات. لقد رأيتهم، بالتأكيد. سيد "سِيد" لقد شعرت بهم- شعرت بهم، يا سيدي؛ كانوا جميعًا حولي. اللعنة، أتمنى فقط أن أمسك بالساحرات لو مرةً واحدة- مرة واحدة فقط- هذا كل ما أريد. إلا أن أكثر ما أريد هو أن يدعنني وشأني".

قال "توم": "حسنًا، سأقول لك رأيي. ما الذي يجعلهم يأتون إلى هنا وقت إفطار هذا الزنجي الهارب؟ إنهن يشعرن بالجوع؛ هذا هو السبب. اصنع لهن "فطيرة الساحرات"؛ هذا ما يجب عليك عمله".

- "يا إلهي، كيف أصنع لهن فطيرة الساحرات، يا سيد "سِيد"، وأنا لا أعرف كيف تُصنع، ولم أسمع بها من قبل؟"

- "حسنًا، إذن، سوف أصنعها بنفسي".

- "حقًا ستصنعها، يا عزيزي؟ حقًا؟ سوف أُقبل الأرض تحت قدميك إن صنعتها، سوف أفعل هذا".



fb/mashro3pdf

- "حسنًا، سأصنعها، من أجلك، حيث كنت طيبًا معنا وتركنا نرى هـذا الزنجي الهارب. ولكن يجب أن تكون حريصًا للغاية. فعندما نأتي، يجب أن تُدير ظهرك؛ لا تسمح لنفسك برؤية أي شيء في الوعاء أيًّا ما كان. ولا تنظـر إلى "چيم" وهو يُفرغ الوعاء- فربما حدث مكروه، لا أعلم ما هو. وفـوق كل هذا، فعليك ألا تلمس أي شيء يخص الساحرات".

- "ألمس ماذا، يا سيد"سِيد"؟ ماذا تقول؟ لـن أضـع إصـبعي على أي شيء يخصهن مقابل مئات الآلاف من الملايين من الدولارات".

fb/mashro3pdf

# الفصل السابع والثلاثون

أصبح كل شيء جاهزًا. لهذا اتجهنا إلى كومة القمامة في الفناء الخلفي، حيث يحتفظون بأحذية قديمة، وخرق، وزجاجات مكسورة، وأشياء بالية من صفيح، وما شابه، ونبشناها حتى وجدنا طست غسيل قصدير قديم، سددنا ما به من ثقوب قدر استطاعتنا، لكي نخبز فيه الفطيرة، وحملناه إلى القبو وملأناه بما سرقنا من الدقيق، ثم ذهبنا لتناول الإفطار. وجدنا مسمارين قال "توم"، إنهما مناسبان لكي يخربش بهما السجين اسمه وأحزانه على جدران السجن، وضعنا أحدهما في جيب مريلة الخالة "سالي" حين كانت مُعلقة على أحد الكراسي، وغرسنا الآخر في حرف قبعة العم "سيلاس"، التي كانت فوق المكتب، لأننا سمعنا الأطفال يقولون إن أباهم وأمهم سيذهبان إلى كوخ الزنجي الهارب هذا الصباح، وبعدها ذهبنا إلى الإفطار، وأسقط "توم" الملعقة في جيب معطف العم "سيلاس"، أما الخالة "سالي" فلم تكن قد حضرت بعد، وكان علينا انتظارها قليلًا.

عندما أتت، كانت حمراء الوجه من الحر وتبدو متوترة، وبالكاد انتظرت الصلاة؛ وبعدها بدأت تصب القهوة بإحدى يديها، وباليد الأخرى كانت تنكز رأس الطفل الأقرب إليها بكشتبان في إصبعها، وهي تقول:

- "لقد بحثت في كل مكان، ولم أعرف مصير قميصك الآخر".

سقط قلبي في قدميَّ، ومضت في إثرها أسفل حلقي قطعةٌ جافة من خبز الذرة، والتقيا في الطريق مع سعلة قوية، قذفتها عبر المائدة، لتصيب أحد الأطفال في عينه، فتلوى كالدودة في الصنارة، وأطلق صرخة بقوة صيحة الحرب لدى الهنود الحمر، وتحول وجه "توم" إلى الأزرق حول ذقنه، وساد هرج ومرج كبير للحظات أو نحو ذلك، فتمنيت لو أبيع كل ما أملك بنصف الثمن لأكون في مكان آخر. ولكن بعد أن هدأت الأمور مرةً أخرى-أصابتنا صدمة مفاجئة بالجمود. قال العم "سيلاس": "إنه أمر بالغ الغرابة، ولا أستطيع فهمه. فأنا واثق تمامًا بأنني خلعت القميص، لأنني-"

- "لأنك لم تقم إلا بارتداء قميص واحد. استمعوا إلى الرجل! أنا أعلم أنك خلعته، أعلم هذا بطريقة أفضل من ذاكرتك الواهية، أيضًا، لأنه كان منشورًا فوق حبل الغسيل بالأمس- رأيته هناك بنفسي. إلا أنه اختفى، هذه هي حقيقة أمره، وعليك أن ترتدي القميص الأحمر الخفيف إلى أن أتمكن من صنع قميص جديد. وسوف يكون القميص الثالث الذي أصنعه في غضون عامين. إنني أبذل قصارى جهدي حتى أوفر لك القمصان؛ ولا يمكنني فهم ماذا تفعل بهم. هل تعتقد أنك ستتعلم المحافظة على قمصانك في مثل هذه السن!"

- "أعلم هذا، يا "سالي"، وأبذل قصارى جهدي، إلا أن ما حدث ليس



fb/mashro3pdf

أبدًا غلطتي، فأنا، كما تعرفين، لا أرى القمصان ولا أقترب منها إلا حين أرتديها؛ ولا أظن أن أحدها ضاع وأنا أرتديه".

- "حسنًا، ليست غلطتك، يا "سيلاس"؛ أنت لا تفقده بقدر ما تستطيع، فيما أظن. كما أن القميص ليس الشيء الوحيد المفقود، أيضًا. فقد ضاعت ملعقة؛ وهي ليست كل شيء. كانت هناك عشر ملاعق، أما الآن، فليس هناك سوى تسع. يمكن أن يخطف أحد العجول القميص، فيما أظن، إلا أنه لن يأخذ ملعقة، بكل تأكيد".

- "ما الذي ضاع غير ذلك، يا "سالي"؟"

- "ست شمعات- يمكن للفئران أن تأخذ الشموع؛ وأظن أنها هي التي فعلت ذلك؛ وأتعجب من أنها لم تأتِ على كل شيء، فدائمًا ما تقول إنك ستقوم بسد جحور الفئران، إلا أنك لا تفعل؛ ولو لم يكونوا مُغفلين لناموا في شعرك، يا "سيلاس"- ولن تكتشف ذلك أبدًا؛ لكنك لا تستطيع أن تحمل الفئران مسئولية الملعقة، بكل تأكيد".

- "حسنًا، يا "سالي"، إنها غلطتي، وأنا أعترف بها؛ فقد تكاسلت؛ إلا أن الغد لن يمر من دون أن أغلق كل جحور الفئران".

- "آه، لا داعي للعجلة؛ يمكن أن تقوم بذلك في العام القادم. ماذا تفعلين يا "ماتيلدا أنجلينا أرامينتا فيليبس"!

ضربت طفلة بالكشتبان، فانتزعت يدها من السُّكرية من دون أن يسقط أي سكر. آنئذٍ، دخلت زنجية في الحوار، وقالت:

- "سيدتي، هناك ملاءة سرير مفقودة".

- "ملاءة سرير مفقودة! يا إلهي!"



fb/mashro3pdf

قال العم "سيلاس"، والأسى على وجهه: "سأغلق كل الجحور اليوم".

- "اصمت، أتظن أن الفئران تأخذ الملاءات؟ أين اختفت، يا "ليز"؟"

- "أقسم أنني لا أعرف، يا سيدة "سالي". لقد كان موجودة على حبل الغسيل بالأمس؛ إلا أنها اختفت؛ ليس لها أي أثر الآن".

- "أعتقد أن القيامة توشك أن تقوم. لم أصادف أبدًا مثل هذا منذ ولدت. قميص، وملاءة سرير، وملعقة، وست شمـ-"

دخلت زنجية أصغر سنًا من الأولى، وهي تقول: "سيدتي، هناك شمعدان نحاسي مفقود".

- "غوري عن وجهي، أيتها الملعونة، وإلا حطمت رأسك بمقلاة".

حسنًا، استشاطت غضبًا. بدأت أتحين فرصة؛ فكرت في الانسلال والذهاب إلى الغابة إلى أن يهدأ الجو. واصلت الهياج، فيما جلس الجميع في خنوع وصمت؛ وفي النهاية، أخرج العم "سيلاس" الملعقة من جيب معطفه، والبلاهة تبدو على وجهه. توقفت، وفمها مفتوح، ويداها مرفوعتان؛ وتمنيت لحظتها أن أكون في مدينة القدس، أو أي مكان آخر. إلا أن أمنيتي لم تدم طويلًا، لأنها قالت: "كما توقعت تمامًا. لقد وضعتها في جيبك كل هذا الوقت؛ وأراهن أن في جيبك الأشياء الأخرى، كذلك. كيف وصلت الملعقة إلى جيبك؟"

قال كأنه يعتذر: "حقيقةً لا أعرف، يا "سالي"، وإلا أخبرتك. كنت أدرس المزمور السابع عشر قبل الإفطار، وأظن أنني وضعتها في جيبي، سهوًا، وأنا أقصد وضع الكتاب المقدس؛ لا بد أن الأمر كذلك، لأن الكتاب المقدس غير موجود؛ لكني سأذهب لأرى؛ وإذا كان الكتاب المقدس ما يزال في



fb/mashro3pdf

موضعه، فسأعرف أنني لم أضعه مكانه، ووضعت الملعقة بدلًا منه في جيبي، و-"

- "آه، بحق السماء، أريد بعض الراحة! اذهبوا جميعًا الآن؛ ولا تقتربوا مني إلى أن أعود لهدوئي".

كنت سأسمع ما قالت حتى إن كانت تُحدث نفسها، وأتوقع ما قالت. نهضتُ لأنفذ ما قالت كما لو كنت ميتًا. ونحن نمر بحجرة الجلوس، كان الرجل العجوز يلتقط قبعته، فسقط المسمار على الأرض، فالتقطه ووضعه على رف المدفأة، ولم يقل شيئًا، وخرج. رآه "توم" يفعل هذا، فتذكر الملعقة وقال: "حسنًا، ليس هناك جدوى من إرسال أي شيء عن طريقه بعد ذلك، فلا يُمكن الاعتماد عليه. إلا أنه خدمنا في موضوع الملعقة من دون أن يدري، على أية حال، لذلك سنسدي له معروفًا من دون أن يدري- سنقوم بسد كل جحور الفئران".

كان هناك الكثير من الجحور في القبو، واستغرق سدها ساعة كاملة، إلا أننا أدينا العمل بدقة إحكام وبطريقة جيدة. ثم سمعنا صوت خطوات أقدام على السُّلم، فأطفأنا الضوء وأختبأنا؛ ورأينا الرجل العجوز قادمًا، يحمل شمعة في يد، وفي اليد الأخرى يحمل مجموعة من الأشياء، ويبدو شارد الذهن كما لو كان الضباب يلُفه. كان يمضي على غير هدى، أولاً إلى أحد جحور الفئران، ثم إلى الثاني، حتى مر على جميع الجحور. ثم وقف لنحو خمس دقائق، وهو يجمع الشحم المُتساقط من شمعته ويُفكر. ثم استدار ببطء كأنه يحلم، نحو السلالم، وهو يقول: "حسنًا، لا أتذكر متى فعلت هذا. يمكن أن أريها الآن أني لست الملوم على الفئران- ولكن لا يهم- فليمر الأمر. أظن أن لا فائدة



fb/mashro3pdf

من ورائه".

صعد السُّلم وهو يغمغم، ثم غادرنا القبو. لقد كان عجوزًا لطيفًا للغايـة. وكانت هذه طبيعته دائمًا.

كان "توم" في غاية الضيق بسبب الملعقة، وقال يجـب أن نحـصل عليهـا؛ ومن ثم أخذ يُفكر. وعندما توصل إلى فكرة، أخبرني كيف سنقوم بها؛ ذهبنا وانتظرنا قرب سلة الملاعق حتى أتـت الخالـة "سـالي"، فأخـذ "تـوم" في عـد الملاعق وهو يرصها في أحد جوانب السلة، فيما سللتُ واحـدة وأخفيتهـا في كم قميصي. قال "توم": "خالتي "سالي"، ما يزال عدد الملاعق تسعًا فقط".

قالت له: "اذهب إلى اللعب، ولا تزعجني. أنا أعرف أفـضل منـك، لقـد عددتها بنفسي".

- "حسنًا، عددتهما مرتين، يا خالتي، إلا أن العدد تسع فقط".

تذرعت بالصبر، إلا أنها بدأت في عدها بالطبع، أي شخص آخـر سـوف يفعل هذا.

ثم قالت: "يا إلهي، لا يوجد غير تسع ملاعق فقط! فـأي شيء في العـالم يأخذ الأشياء، سوف أعدهما مرةً أخرى".

خلسةً وضعتُ الملعقة التي كانت معي، وحين انتهت من العد قالت: "يـا لها من فوضى مزعجة، لقـد أصـبحت عـشرًا الآن!" وبـدا عليهـا الغـضب والانزعاج في نفس الوقت. لكن "تـوم" قـال لهـا: "لا أظـن أنهـا عـشر، يـا خالتي".

- "أيها الأحمق، ألم تشاهدني أثناء عدهم؟"

- "أعرف، ولكن-"



fb/mashro3pdf

- "حسنًا، سأعدها، مرةً أخرى".

سرقت ملعقة، فأصبحت تسع ملاعق، كما في السابق. أصابها الإرهاق- وجسمها يرتعش من الغضب. إلا أنها أعادت العد مرات حتى أصابها التشوش وبدأت تعد في السلة بحثًا عن ملعقة أحيانًا؛ وهكذا، كان العدد صحيحًا ثلاث مرات، وناقصًا ثلاث مرات. اختطفت سلة الملاعق وأطاحت بها على أرضية المنزل، وأوسعت القطة ضربًا؛ وطلبت أن نغور عن وجهها لتحصل على بعض السكينة، وإذا أزعجناها من الآن حتى العشاء، فسوف تسلخ جلدنا. كانت الملعقة معنا، فأسقطناها في جيب مريلة المطبخ الخاصة بها، وهي تأمرنا بالانصراف، وتمكن "جيم" من الحصول على الملعقة بسلام، مع المسمار، قبل الظهر. شعرنا بالرضا التام عن هذا الأمر، وقال "توم" إن نتيجة ما حدث تفوق العناء الذي تكبدناه بمرتين، لأنه قال إنها الآن لن تتمكن من عَد الملاعق مرتين متتاليتين حرصًا على أعصابها؛ ولن تصدق أنها قامت بعَد الملاعق بشكل صحيح؛ وقال إنها بعد أن كانت على وشك أن تعيد عد الملاعق على مدار الأيام الثلاثة القادمة، فإنه توصل إلى أنها ستصرف النظر عن ذلك، وستقتل مَن يطلب منها عدها من جديد.

قمنا بإعادة ملاءة السرير فوق الحبل ليلًا، وسرقنا ملاءةً من خزانة ملابسها؛ وقمنا بإعادتها لمكانها وسرقتها عدة مرات على مدار يومين، حتى لم تعد تعرف كم ملاءة لديها، ولم تعد تهتم بالأمر، ولم تعد ترغب في استنزاف روحها بهذا الخصوص، وتوقفت عن العد حرصًا على أعصابها؛ وتمنت الموت قبل أن تعد المفارش مرةً أخرى.

أصبحنا على ما يرام الآن، فيما يتعلق بالقميص والملاءة والملعقة



fb/mashro3pdf

والشموع، بفضل العِجل والفئران والخطأ في العد؛ أما الشمعدان، فلم تكن له أهمية، فسوف يُنسى بعد قليل.

إلا أن الفطيرة كانت مُهمة صعبة؛ ولا نهاية لمشاكلها. قمنا بإعدادها بعيدًا في الغابة، وطهوناها هناك؛ وأنجزنا المهمة في النهاية، وشعرنا بالرضا التام، أيضًا؛ لكن ليس في يوم واحد؛ فقد كان علينا استخدام ثلاثة أوعية كبيرة مليئة بالدقيق قبل أن نبدأ، ولسعتنا النار أكثر من مرة، في كل مكان، وكاد الدخان يُعمي عيوننا؛ لأننا، كما تعلم، لم نكن نريد سوى سطح الفطيرة الخارجي، ولم نتمكن من عمله بالشكل الصحيح، وكان ينحني دائمًا للداخل. إلا أننا توصلنا إلى الطريقة الصحيحة في النهاية- وهي أن نطهو سُلم الحبال بداخل الفطيرة. فقمنا بزيارة "جيم" في الليلة التالية، ومزقنا ملاءة السرير إلى شرائط صغيرة وجدلناها معًا، وقبل أن يبزغ ضوء النهار بكثير، كان لدينا حبل متين يمكنك أن تشنق به شخصًا. وتظاهرنا أنه استغرق منا تسعة أشهر.

أخذنا الحبل إلى الغابة في الضحى، إلا أننا لم نتمكن من إقحامه في الفطيرة. وحيث كان مصنوعًا من ملاءة كاملة، بهذه الطريقة، فقد كان يكفي لأربعين فطيرة إن أردنا، وسيتبقى منه الكثير للشوربة والنقانق، وأي طعام نريد. كان يمكننا إعداد عشاء كامل بما بقي منه.

إلا أننا لم نكن نحتاج إلى كل هذا. كل ما احتجنا إليه كان يكفي للفطيرة، فرمينا باقي الحبل. لم نقم بطهو الفطيرة في طست الغسيل- خوفًا من انصهار اللحام؛ لكن كان لدى العم "سيلاس" وعاء تدفئة نحاسي



fb/mashro3pdf

ممتاز(*)، ذو مقبض خشبي طويل، كان يحبه كثيرًا، لأنه يرجع إلى أحد أسلافه الذي قدم من انجلترا مع ويليام الفاتح(**)، على متن السفينة "ماي فلاور"، أو إحدى تلك السفن القديمة، وكان يخبئه بعيـدًا في العليـة مـع العديـد مـن الأواني والأشياء القديمة، القيمة، لا على أي أساس مُعتبر، ولم تكن كذلك، بل على أساس أنها من مُخلفات الماضي، كما تعلـم، وسرقنـا الـوعاء خلـسة، وأخذناه إلى الغابة، لكنه فشل مع الفطيرة الأولى، لأننا لم نكن نعـرف مـا يجب علينا عمله، وفي نهاية الأمر تمكنا منه. صففناه بالعجين، ووضعناه في الفحم، ثم وضعنا الحبل وغطيناه بالعجين، وأحكمنا الغطاء، ووضـعنا فوقـه بعض الجمر المُشتعل، وابتعـدنا خمـسة أقـدام، ونحـن نمـسك بيـد الـوعاء الطويلة، التي كانت باردة ومريحة. وفي غضون خمس عـشرة دقيقـة، أصـبح لدينا فطيرة تخطف الأبصار. إلا أن من يأكلها، سيحتاج إلى الكثير من أعواد تنظيف الأسنان، لأن سُلم الحبل إن لم يـصبه بـالمغص فـإنني لا أدري عـمَّ أتكلم، وسيصيبه بألم المعدة بما يكفي ليستمر حتى المرة التالية، أيضًا.

لم ينظر "نات" ونحن نـضع الفطـيرة في وعاء "چـيم"؛ ووضـعنا الأطبـاق الثلاثة القصدير في قاع الوعاء تحت بقايـا الطعـام؛ فحـصل "چـيم" على كل شيء تمامًا، وما إن أصبح وحده، حتى أخرج الحبل من الفطـيرة، وأخفـاه في حشية القش في سريره، وخربش بعض العلامات على طبق قصدير وألقى بـه من فتحة النافذة.

---

(*) وعاء نحاسي، يوضع فيه الفحم المُشتعل قرب السرير لتدفئة الغرفة أثناء النوم.

(**) نبيل فرنسي هزم إنجلترا عام 1066.



fb/mashro3pdf

# الفصل الثامن والثلاثون

كان صُنع الأقلام مُهمة صعبة للغاية، وكذلك صُنع المنشار؛ إلا أن "چيم" اعتقد أن النقش بها سيكون المهمة الأصعب على الإطلاق. يقصد النقش الذي يخطه السجين على الجدار. لكن كان عليه أن يقوم به؛ قال "توم" إنه يجب القيام به؛ حيث لم يكن هناك حالة واحدة لسجين حكومي لم يقم بخربشة نقشه ليتركه خلفه، مع شعاره.

قال "توم": "انظر إلى الليدي "جين جراي"؛ انظر إلى "جيلفورد دودلي"؛ انظر إلى العجوز "نورثامبرلاند"[*]! انظر، يا "هاك"، حتى إن كان الأمر مشكلة كبيرة- ماذا سنفعل؟- كيف يمكن أن نتحاشاها؟ لا سبيل سوى أن يترك "چيم" خلفه بعض النقوش وشعاره. كما فعلوا جميعًا".

فقال "چيم": "ولكن، يا سيد "توم"، ليس لي مِعطف عسكري(**)،

---

(*) نبلاء إنجليز تعرضوا للحبس والقتل في منتصف القرن السادس عشر.

(**) مصطلح "الشعار" بالإنجليزية مكون من ثلاث كلمات (coat of arms) منها كلمة



fb/mashro3pdf

ليس لدى سوى هذا القميص القديم، وأنت تعرف أنني يجب أن أكتب عليه يومياتي".

- "يا إلهي، أنت لا تفهم، يا "چيم"، الشعار أمر مختلف".

تدخلت قائلًا: "حسنًا، "چيم" على حق، على أية حال، حين يقول إنه ليس لديه معطف، لأنه بلا معطف فعلًا".

فقال "توم": "أظن أنني أعرف هذا، ولكني أعده بأنه سيكون لديه معطف قبل أن يهرب- فيجب أن يكون هروبه **صحيحًا**، بلا شائبة".

هكذا، ففيما كنت أعكف أنا و"چيم" على الأقلام مستخدمين قطعة طوب، كان "چيم" يصنع قلمًا من النحاس، بينما أصنع قلمي من الملعقة، في حين كان "توم" يمعن التفكير في الشعار. وبعد قليل، قال إن لديه العديد من الأفكار الجيدة ولا يعرف بالكاد أيها يختار، إلا أن رأيه استقر على إحداها.

قال: "سنرسم قوسًا أعلى الدرع، أو ناحية اليمين، وفي المنتصف، سنرسم صليب "القديس أندروز"، وكلبًا نائمًا يرمز إلى التُهمة، وتحت قدميه سلسلة مكسورة، ترمز إلى العبودية، وأعلاه شارة **خضراء** ممزقة الحواف، وثلاثة خطوط مموجة في حقل باللون **الأزرق**، وفي منتصف المسافة بين مركز الدرع وقمته، سنرسم تموجات ممزقة الحواف؛ وفي القمة سنرسم زنجيًا هاربًا، **بالأسود**، يحمل حزمة حطب على كتفه على قضيب مشئوم؛ واثنان من المُساعدين **بالأحمر**، هما أنا وأنت؛ وتحتها عبارة مأثورة باللاتينية كنت قد قرأتها في كتاب: MAGGIORE FRETTA, MINORE OTTO (كلما

---

معطف، وظن "چيم" أنه يجب أن يترك خلف معطفًا.

تسرعت، كلما أبطأت)".

قلت له: "رائع، ولكن ما معنى هذه الرموز؟"

فأجاب: "ليس لدينا الوقت لنناقش مثل هذه الأمور، علينا أن نبدأ حفر الشعار بأقصى سرعة ممكنة".

- "حسنًا، على أية حال، ما معنى بعضها؟ ماذا تعني كلمة "مركز الدرع"؟"

- "مركز الدرع- مركز الدرع هو- أنت لا تحتاج إلى معرفة معناها. سأريك كيف نرسمها حين نصل إليها".

- "ولكن، يا "توم" أخبرني على الأقل بمعنى كلمة القضيب المشئوم(*)؟"

- "أوه، لا أعلم. إلا أنه يجب أن يكون موجودًا. كل النبلاء يرسمونه".

كانت هذه هي طريقته. كلما طلبت منه أن يشرح لي شيئًا، لا يفعل. يمكن أن أحاول الحصول على معلومة لمدة أسبوع، بلا جدوى.

وبعد أن انتهى من فكرة الشعار، بدأ في إتمام الجزء المُتبقي من العمل، وهو تصميم النقش الحزين- الذي قال إن "چيم" لابد أن يكون لديه واحد، مثلما كانوا يفعلون جميعًا. فكر في العديد منها، وكتبها في ورقة، ثم قرأها علينا:

1 . هنا قلبُ أسيرٍ مُلتاع.

2 . هنا سجين بائس، نسيه العالم والأصدقاء، وسئم من حياته المُحزنة.

3 . هنا قلب كسير وحيد، وروح مُحطمة رحلت إلى مثواها الأخير، بعد سبعة وثلاثين عامًا من الحبس الانفرادي.

---

(*) يستخدم "توم" لغة مُعجمية قديمة في شرح الشعار.



fb/mashro3pdf

4 . هنا الابن الشرعي للملك لويس الرابع عشر، الذي عاش بلا وطن أو أصدقاء، وبعد ثلاثة وسبعين عامًا من الأسر البغيض، مات غريبًا نبيلًا.

كان صوت "توم" يرتجف وهو يقرأ هذه العبارات، وكاد ينهار. وعندما انتهى من القراءة، لم يتمكن من اختيار واحدة كي يخربشها "چيم" على الجدار، فقد كانت جميعًا رائعة؛ إلا أنه استقر في النهاية على أنه سيدعه يخربشها جميعًا. قال "چيم" إن كتابتها بمسمار على جذع شجرة قد تستغرق منه عامًا كاملًا، كما أنه لا يعرف كيف يكتب الحروف؛ فقال "توم" إنه سيكتبها له، وما عليه سوى أن يتبع الخطوط. وسرعان ما قال:

- "لقد تذكرت، لن تفي جذوع الأشجار بالغرض؛ فليست لديهم حوائط من الجذوع في سجون القلاع؛ علينا أن نحفر هذه النقوش على صخرة. سوف نبحث عن صخرة".

قال "چيم" إن الصخرة أسوأ من جذع الشجرة؛ قال إنه سيستغرق في حفرها على صخرة زمنًا طويلاً لن ينتهي منه. لكن "توم" قال إنه سيسمح لي بمساعدته. ثم راقبنا أنا و"چيم"، لكي يتأكد من قدرتنا على التعامل مع الأقلام. كان عملًا مُرهقًا وبطيئًا إلى أقصى حد، ولا يعطي يديَّ أية فرصة لشفاء التسلخات، ولم يبد أننا نحرز أي تقدم، إلا بالكاد؛ لذا قال "توم":

- "أعرف كيف أعالج هذه المشكلة. علينا أن نحصل على صخرة لنرسم عليها الشعار ونكتب النقوش الحزينة، ويمكن أن نصطاد عصفورين بحجر واحد. هناك حجر رحى كبير جدًا في الطاحونة، يمكننا أن نختلسه، ونحفر عليه ما نريد، ونبري الأقلام ونسن المنشار عليه، أيضًا".

لم تكن فكرة سيئة؛ كما أن اختلاس حجر الرحى ليست سيئة أيضًا،



fb/mashro3pdf

لكننا اعتقدنا أننا قادران على القيام بالمهمة. لم نكن قد تجاوزنا منتصف الليل بعد، فتركنا "چيم" يعمل، واتجهنا إلى الطاحونة. اختلسنا الحجر وقررنا أن ندحرجه حتى الكوخ، إلا أنها كانت مهمة شاقة للغاية. فأحيانًا، ونحن نبذل ما نستطيع، لم نكن قادرين على منعه من السقوط على الأرض، ويكاد يدهسنا في كل مرة. قال "توم" إن الحجر سيصيب أحدنا، بكل تأكيد، قبل أن نتمكن من توصيله. دفعناه حتى منتصف المسافة؛ ثم أصابنا إرهاق شديد، وتصببنا عرقًا. أدركنا أن لا جدوى؛ فذهبنا لإحضار "چيم". فقام برفع السرير وسحب السلسلة من رجل السرير، ولفها مرارًا حول رقبته، ثم زحفنا خارجين من الفتحة، واتجهنا نحو الحجر، وقمت بدفعه أنا و"چيم" بكل قوتنا فتحرك إلى الأمام بسهولة؛ بينما وقف "توم" يُشرف علينا. إنه أفضل ولد يقوم بالإشراف على الإطلاق. يعرف كيف يفعل كل شيء.

كانت الحفرة التي صنعناها كبيرة تمامًا، إلا أنها لم تكن كافية لمرور الحجر من خلالها؛ فأخذ "چيم" المعول وسرعان ما قام بتوسيعها بما يكفي. بعدها حدد "توم" الأشياء على الصخرة بالمسمار، وترك "چيم" يحفر الخطوط بالمسمار كأنه إزميل، وترباس حديدي وجدناه في العريشة، كأنه شاكوش، وطلب "توم" من "چيم" أن يستمر في الحفر حتى تذوب الشمعة، ثم يمكنه أن ينام بعد أن يُخفي الحجر تحت حشية القش، وينام عليها. ثم ساعدناه في إعادة السلسلة إلى وضعها تحت رجل السرير، وأصبحنا جاهزين للتوجه إلى فراشنا؛ إلا أن "توم" فكر في شيء، وقال: "هل لديك عناكب هنا، يا"چيم"؟"

- "لا، يا سيدي، شكرًا للرب على ذلك، يا سيد "توم".



fb/mashro3pdf

- "حسنًا، سنحضر لك بعض العناكب".

- "يرحمك الرب، يا عزيزي، لا أريد عناكب هنا. فأنا أخافها. وسرعان ما تجلب الأفاعي المُجلجلة".

فكر "توم" لدقيقة أو دقيقتين، ثم قال: "يا لها من فكرة جيدة. أظن أن أحدهم فعلها. لابد أنها حدثت من قبل؛ تبدو منطقية. إنها فكرة من الطراز الأول. أين يمكن أن تضعها".

- "تضع ماذا، يا سيد "توم"؟"

- "أفعى مُجلجلة، بالطبع".

- "يا إلهي الحي العظيم، ماذا تقول، يا سيد "توم"! لو جاءت أفعى مُجلجلة إلى هنا فسوف أحطم هذا الجدار الخشبي برأسي".

- "لن تخاف منها، يا "چيم"، فستعتاد عليها بعد وقت قصير. ويمكنك أن تروضها".

- "أروضها!"

- "أجل- بسهولة شديدة. فكل الحيوانات تظهر امتنانها للعطف، والمُداعبة، ولن تفكر في إيذاء الشخص الذي يحنو عليها. هذا ما تقوله الكُتب. فلتُجرب- كل ما أطلبه منك؛ أن تُجرب ليومين أو ثلاثة فقط. بالطبع يمكن أن تروضها في وقت أقل، إلى حد أن تحبك، وتنام معك؛ ولا تستطيع الابتعاد عنك دقيقة واحدة، وسوف تتركك تلفها حول رقبتك، وتضع رأسها في فمك".

- "من فضلك، يا سيد "توم"- لا تتحدث بهذه الطريقة! فأنا لا أحتمل سماعك! سوف تتركني أُدخل رأسها في فمي- لكي تمازحني، أليس كذلك؟



fb/mashro3pdf

أظنها ستبقى وقتًا طويلًا هنا قبل أن أطلب منها هذا، والأكثر من هذا، أنا لا أريدها أن تنام إلى جواري".

- "لا تتصرف كالحمقى، يا "چيم". يجب أن يكون للسجين حيوان أليف، وإذا لم يكن أحد قد جرب الأفعى المجلجلة، فسوف نصل إلى ذروة المجد لأنك أول من يجربها لإنقاذ حياتك، بدلًا من أية طريقة أخرى يمكن أن يصل تفكيرك إليها".

- "لا أريد مثل هذا المجد، يا سيد "توم". سوف تقضم الأفعى ذقني وينتهي أمري، فأي مجد في هذا؟ كلا، يا سيدي، لن أفعل مثل هذا الشيء".

- "اللعنة، ألا يمكن أن تجرب؟ أريدك فقط أن تجرب- لن تبقى معك إن لم تكن مُناسبة".

- "لكن المشكلة ستنتهي عندما تلدغني الأفعى وأنا أجرب. سيد "توم"، أنا على استعداد للقيام بأي شيء معقول، ولكن إن أحضرت أنت و"هاك" أفعى إلى هنا، فسوف أرحل، بكل تأكيد".

- "حسنًا، إذن، دعك من هذه الفكرة، دعك منها، إذا كنت ترفضها بهذه الطريقة. يمكن أن نحضر لك بعض ثعابين الحدائق، ونخيط بعض الأزرار في ذيولها وندعي أنها أفعى مُجلجلة، وأظن أن هذا سيكون مُناسبًا".

- "أنا لا أحتمل الثعابين، يا سيد "توم"، ما المشكلة في أن يسير الأمر من دون اللجوء إليها، هذا ما أقول لك. لم أكن أعرف كم المضايقات والمشاكل التي يتعرض لها المرء حين يكون سجينًا".

- "حسنًا، الأمر دائمًا على هذا المنوال عندما تقوم به بشكل صحيح. هل رأيت فئرانًا هنا؟"



fb/mashro3pdf

- "كلا، يا سيدي، لم أر أي فئران".

- "حسنًا، سنحضر لك بعض الفئران".

- "سيد "توم"، أنا لا أريد أي فئران، إنها أسوأ المخلوقات وأكثرها إزعاجًا، إنها تزحف على جسم المرء وتعض قدميه، وهو على وشك النوم. كلا، ياسيدي، أحضر ثعبان حدائق بدلًا من الفئران، إذا كان هذا حتميًا، فأنا لن أقبل بالفئران".

- "ولكن، يا "چيم"، يجب أن يكون لديك بعض الفئران- مثل الجميع. لذا لا تعترض كثيرًا على هذا الأمر. فكل السجناء كان لديهم فئران. لا يوجد استثناء واحد. كما استطاعوا تدريبهما، وترويضهما، وتعليمهما بعض الحيل، حتى أصبحت الفئران كائنات اجتماعية مثل الذباب. ولكن يجب عليك أن تعزف لها بعض الموسيقى. ألديك أية آلة موسيقية؟"

- "ليس لديَّ سوى مِشط خشن، وقطعة من الورق، ومزمار يهودي(*)؛ إلا أنني لا أظنها ستهتم بسماع المزمار اليهودي".

- "بل يمكن أن تهتم بسماعه. إنها لا يهتم بنوع الموسيقى. سوف يكون المزمار اليهودي كافيًا. كل الحيوانات تحب الموسيقى- وفي السجن تعشقها. خاصة الموسيقى الحزينة؛ ولن تعزف سوى الموسيقى الحزينة على المزمار. إنها تهتم بهذا النوع من الموسيقى، وسوف تقترب منك لتعرف ما بك. وبهذا يكون كل شيء على ما يُرام، لا ينقصك شيء. يجب أن تجلس فوق سريرك، في الليل قبل أن تنام، وفي الصباح الباكر، لتعزف على المزمار.

---

(*) نوع من آلات النفخ الموسيقية.



fb/mashro3pdf

يمكنك عزف مقطوعة "آخر حلقة في السلسلة مكسورة"- فسوف تجذب الفئران أسرع من أية مقطوعة أخرى؛ وعندما تعزف لمدة دقيقتين، سوف ترى أن كل الفئران والثعابين والعناكب وغيرها سوف تهتم بأمرك، وتأتي إليك. وسوف تتحلق حولك، وتقضي وقتًا طيبًا".

- "بالطبع، ستقضي وقتًا طيبًا، حسبما أعتقد، يا سيد "توم"، ولكن ما هي نوعية الوقت الذي سيقضيه "جيم"؟ فلتحل عليَّ اللعنة إن كنت أفهم مغزى كل هذا، إلا أنني سأقوم به، طالما يجب أن أقوم به. أعتقد أنه من الأفضل إرضاء الحيوانات، بدلًا من الوقوع في مشاكل مع أصحاب المنزل".

انتظر "توم" قليلًا ليرى إن كان هناك شيء آخر؛ وما لبث أن قال: "أوه، هناك شيء آخر كنت قد نسيته. هل يمكن أن تزرع وردة هنا؟"

- "لا أعرف، ولكن ربما أستطيع، يا سيد "توم"؛ إلا أن الكوخ مظلم هنا، ولن يصلح لوردة، بأية حال، كما أنها قد تسبب الكثير من المشاكل".

- "حسنًا، حاول، على أية حال. فلقد فعلها بعض السجناء من قبل".

- "يمكن أن تنمو هنا واحدة أو أكثر من أزهار "أذن الدب"، تلك التي تشبه ذيل القطة، فيما أظن، يا سيد "توم"، إلا أنها لن تساوي نصف المشاكل التي سوف تسببها".

- "لا تصدق هذا. سنأتي لك بواحدة صغيرة، وتقوم بزراعتها في أحد الأركان، وترعاها، ولكن لا تطلق عليها اسم "أذن الدب"، بل اسم "زهرة البيتشوليا"- هذا هو الاسم الصحيح لها في السجن. ويجب أن ترويها بدموعك".

- "لماذا، يا سيد "توم"، لديَّ هنا الكثير من ماء النبع".



fb/mashro3pdf

- "لا يجب أن ترويها من ماء النبع؛ يجب أن ترويها بـدموعك. هـذه هي الطريقة المُتبعة دائمًا؟"

- "ولكن، يا سيد "توم"، أعتقد أنني أستطيع زراعة زهرتين بماء النبـع، بينما الدموع لن تجعل سوى واحدة فقط تنمو".

- "هذا ليس الهدف. عليك أن ترويها بدموعك".

- "سوف تموت بين يديَّ، يا سيد "توم"، بالتأكيد سوف تموت، لأنـني لا أبكي إلا نادرًا".

أصاب كلامه "توم" بالحيرة. إلا أنه فكر في الأمر، وقال إن "چيم" يجب أن يتعرض للبصل دائمًا. ثم وعد أن يذهب إلى أكواخ الزنوج، ويـسرق بـصلة، ويضعها خلسة في كوب القهوة، في الصباح. فقال "چيم" إنـه يفـضل بعـض التبغ في القهوة؛ كما وجد الكثير من الأخطاء في الأمر، وفي مـا يجـب عليـه عمله، وضايقه زراعة نبات أذن الدب، والعزف على المزمار اليهودي للفئران، وترويض الثعابين والعناكب، وغيرها من الأشياء، وقبـل كل هـذا، النقـش الذي يجب أن يحفره بالأقلام على الصخرة، وكتابـة اليوميـات، وغيرهـا مـن الأمور، التي زادت من همومه ومخاوفه ومسؤولياته بوصفه سجينًا، أكثر من أي شيء آخر واجهه في حياته، مما جعل "توم" يفقد صبره معه وقـال إن لدى "چيم" العديد من الفرص المواتية ليُصبح شهيرًا، أكثر من أي سجين آخـر في العالم، ولكنه لا يُقدر هذه الفرص، وهي على وشك أن تـضيع عليـه. لذلـك اعتذر "چيم"، وقال إنه لن يتصرف بمثل هذه الطريقة مرةً أخـرى، وبعـدها اتجهت أنا و"توم" إلى الفراش.



fb/mashro3pdf

# الفصل التاسع والثلاثون

ذهبنا إلى القرية في الصباح، واشترينا مصيدة فـئران، ثـم فتحنـا أفـضل جحور الفئران، وفي ظرف ساعة، حصلنا على خمسة عشر فـأرًا مـن أفـضل الفئران؛ أخذناها ووضعناها في مكان آمن، أسفل سرير الخالة "سالي". وبينما نحن نبحث عن العناكب، عثر عليها الصغير "توماس بينيـامين جيفرسـون إلكسندر فيليبس" تحت السرير، وفتح باب المصيدة ليرى إن كانت الفـئران ستخرج، وبالفعل خرجت؛ ودخلت الخالة "سالي" الحجرة، وحين عدنا كانت تقف فوق السرير وهي تصرخ، بينما تبذل الفئران كل الجهد للتسرية عنهـا. ضربتنا نحن الاثنين بفرع شجرة جوز؛ واستغرقنا سـاعتين تقريبًـا للقـبض على خمسة عشر أو ستة عشر فأرًا آخر، اللعنة على ذلك الطفل الفضولي، فلم تتضمن هذه المجموعة الفئران السمينة، حيث كانت المجموعـة الـسابقة هي صفوة الفئران. لم أر فئرانًا في حياتي أجمل من المجموعة السابقة.

وحصلنا على تـشكيلة رائعـة مـن العناكـب، والحـشرات، والـضفادع،



fb/mashro3pdf

واليساريع، وغيرها؛ وكنا نود إحضار عش دبابير، إلا أننا لم نفعل. فقد كانت عائلة الدبابير بالداخل. لم نستسلم لذلك بسهولة، فانتظرنا قرب العش بقدر ما نستطيع؛ لأننا قررنا أن نرى من يتعب أولًا، وتعبت هي أولًا. فهاجمتنا ولدغتنا كثيرًا. بعدها حصلنا على أوراق نبات "الراسن"، ودعكنا بها مواضع اللدغ، وشعرنا بتحسن كبير، إلا أننا لم نكن نستطيع الجلوس بشكل مريح. بعدها، بدأنا في البحث عن الثعابين، وأمسكنا بدستتين من ثعابين الحدائق وثعابين المنازل، ووضعناهم في حقيبة، وأخفيناهم في غرفتنا، وكان وقت العشاء، وكنا قد أنجزنا العمل بشكل مُشرف؛ ولكن هل شعرنا بالجوع؟- أوه، كلا، لا أظن! فلم يكن هناك ثعبان واحد في الحقيبة عندما عدنا إلى الحجرة- لم نُحكم إغلاق الحقيبة، فتمكنت من الخروج منها بطريقة ما. إلا أن الأمر لا يهم كثيرًا، لأنها ما تزال في مكانٍ ما في المنزل. لذلك اعتقدنا أنه بمقدورنا الإمساك ببعضهم مرةً أخرى. فلم تكن هناك ندرة من الثعابين حول المنزل بسبب تعويذة قوية مثلًا. فيمكنك أن تراها وهي تنزلق على العوارض الخشبية والأماكن من حين لآخر؛ وعادةً ما يحط في طبقك أو فوق رقبتك، حين لا تريد. حسنًا، كانت أشكالها جميلة، ومخططة، وليس هناك ضرر من وجود الملايين منهم؛ إلا أن هذا لا يُشكل أدنى فارق لدى الخالة "سالي"؛ فهي تحتقر الثعابين، مهما كان نوعها، ولا تحتمل وجودها على الإطلاق؛ وفي كل مرة يسقط أحدها عليها، فإنها تترك أي شيء تفعله- أيًا كان ما تفعله- وتهرب. لم أر في حياتي مثل هذه المرأة. ويمكن أن تسمع صراخها وأنت في مدينة "جيريكو". ولا يمكنك إقناعها بالإمساك بواحد منهم بكماشة حتى؛ وإذا تقلبَت على السرير ووجدت أحدها، فإنها تندفع



fb/mashro3pdf

إلى الخارج، وتطلق صرخة كأن النيران شبت في المنزل. وقد سببت الكثير من الإزعاج للرجل العجوز، لدرجة أنه تمنى لو لم تخلق الثعابين أبدًا. وحتى بعد أن ينقضي أسبوع على طرد ثعبان من المنزل، لم تكن الخالة "سالي" لتتجاوز الأمر، فهي لا تتجاوز خوفها من الثعابين على الإطلاق؛ فحين تكون جالسة تفكر في أمرٍ ما، فيمكنك أن تلمس رقبتها من الخلف بريشة، فتقفز في هلع. كانت حالتها مثيرة للاهتمام. إلا أن "توم" أخبرني أن كل النساء مثلها. وقال إنهن خلقن بهذه الطريقة لحكمةٍ ما.

وكانت تضربنا في كل مرةً تُصادف فيها أحد ثعابيننا، وأخبرتنا أن هذا الضرب لن يُقارن بما سيحدث لنا إن ملأنا المنزل بالثعابين مرةً أخرى. لم أبال بالضرب، فهو غير مؤثر؛ ولكن ما كان يعنيني هو العناء الذي سنتجشمه من أجل الحصول على مجموعة جديدة. إلا أننا تمكنا في النهاية من الحصول على الثعابين والأشياء الأخرى؛ ولن ترى في حياتك كوخًا مرحًا مثل كوخ "جيم"، عندما خرجت كل الحشرات على صوت الموسيقى، وزحفت نحوه. لم يكن "جيم" يحب العناكب، ولم تكن هي تحبه أيضًا؛ لذلك كانت تتربص له، فيصيبه ذلك بالتوتر. وقال إنه لم يجد مكانًا لنفسه على السرير بسبب الثعابين والفئران وحجر الرحى؛ وإن توافر مكان بالكاد، فلن يتمكن المرء من النوم، فقد كان الكوخ مُفعمًا بالنشاط، كان مُفعمًا بالنشاط على الدوام، فلم تكن تنام كلها في وقت واحد، ولكن متعاقبة؛ فإذا نامت الثعابين، لعبت الفئران؛ وعندما تنام الفئران، تستيقظ الثعابين، لذلك كانت هناك مجموعة تنام تحته، والأخرى تنصب السيرك من حوله، وإذا وجد مكانًا جديدًا للنوم، تتجه العناكب نحوه. وقال إنه لو هرب هذه المرة، فلن يُصبح



fb/mashro3pdf

سجينًا أبدًا، حتى إن دفعوا له أجرًا.

حسنًا، بعد مرور ثلاثة أسابيع، كان كل شيء على ما يُرام. تم إرسال القميص له في وقت مبكر، بداخل فطيرة، وفي كل مرةً تعضه الفئران، كان عليه أن ينهض ويكتب عليه قليلًا، ما دام الحبر صالحًا للكتابة؛ كما صُنعت الأقلام، وحُفرت النقوش على حجر الرحى؛ وتم نشر ساق السرير إلى جزأين، وأكلنا النشارة، فأصابتنا بألم عجيب في المعدة. اعتقدنا أننا جميعًا سنموت، إلا أننا لم نمت. كانت هذه النشارة أكثر نشارة صادفتها غير قابلة للهضم؛ وكان هذا رأي "توم".

وكما كنت أقول، أنجزنا العمل كله، أخيرًا؛ وكنا في غاية الإنهاك، أيضًا، وخصوصًا "چيم". وكان الرجل العجوز قد كتب مرتين إلى المزرعة في جنوب "نيوأورليانز"، لكي يحضروا ويتسلموا زنجيهم الهارب، إلا أنه لم يتلق أي رد، فلم يكن لهذه المزرعة وجود؛ لذلك قرر أن يُعلن عن "چيم" في الجرائد في "سانت لويس"، و"نيوأورليانز"؛ وحين ذكر جرائد "سانت لويس" انتابتني رجفة باردة، ورأيت أنه ليس لدينا وقت لنهدره. وقال "توم"، لقد حان وقت الرسائل المجهولة.

سألته: "وما هي الرسائل المجهولة؟"

- "إنها تحذير للناس أن شيئًا على وشك الحدوث. هناك طرق عديدة للقيام بذلك. إلا أنه عادة ما يكون هناك شخصٌ ما يتجسس، ويُقدم تقارير إلى مدير القلعة. عندما كان "لويس السادس عشر" على وشك الهرب من "قصر التويلري"، قامت خادمة بذلك. إنها طريقة جيدة للغاية، بالإضافة إلى الرسائل المجهولة. وسوف نستخدم الطريقتين. وكان من العادة أن تبدل أم



fb/mashro3pdf

السجين ملابسها معه، وتبقى هي فيما ينسل هو في ملابسها. وهو ما سوف نقوم به، أيضًا".

- "ولكن اسمع، يا "توم"، لماذا نحذر أحدًا من وقوع شيء ما؟ فلنتركهم يكتشفوا بأنفسهم- فالاطلاع على ما يجري هو شأنهم".

- "أجل، أعرف هذا؛ إلا أنه لا يُمكنك الاعتماد على هذا. فأنت ترى الطريقة التي تصرفوا بها من البداية- لقد تركونا نفعل **كل شيء**. إنهم مُسالمون وأغبياء للغاية، ولا يلاحظون أي شيء على الإطلاق. وإذا لم نبعث إليهم بتحذير، فلن يتدخل أحد ليمنعنا من الحركة، ويصبح الهرب بلا معنى بكل الجهد المبذول والمشقة التي واجهناها؛ وسوف تصبح بلا قيمة- ولن يكون من ورائها طائل".

- "حسنًا، بالنسبة لي، يا "توم"، هذه هي الطريقة التي أحبها".

قال وعلى وجهه أمارات الاشمئزاز: "اصمت!"، فقلت له: "إنني لا أتذمر. وعلى أية حال، ما يناسبك سوف يناسبني. ماذا ستفعل بشأن الخادمة؟"

- "ستقوم أنت بدورها. سوف تتسلل، في منتصف الليل، وتسرق فستان تلك الفتاة الزنجية شاحبة البشرة".

- "لماذا، يا "توم"، سوف يسبب هذا مشاكل في الصباح؛ لأنها لا تملك فستانًا سواه، بكل تأكيد".

- "أعلم هذا؛ لكنك لن تحتاج إليه سوى ربع ساعة فقط، لكي تحمل الرسالة المجهولة، وتُلقي بها أسفل الباب الأمامي".

- "حسنًا، إذن، يمكنني فعل هذا وأنا أرتدي ملابسي".

- "لن تبدو كخادمة حينها، أليس كذلك؟"



fb/mashro3pdf

- "كلا، ولكن لن يرى أحد مظهري، بأية حال".

- "ليس لهذا علاقة بالأمر، يجب أن نقوم بواجبنا ، وألا نهتم بأن يرانا أحد أو لا يرانا، ونحن نقوم به. أليست لديك مبادئ على الإطلاق؟"

- "حسنًا، أنا لا أعترض؛ أنا الخادمة، ومن ستكون أم "چيم"؟"

- "سأقوم أنا بدور أمه. سوف أسرق أحد ثياب الخالة "سالي".

- "إذن، ستبقى أنت في الكوخ، بينما أهرب أنا و"چيم"؟"

- "ليس طويلًا. سوف أحشو ملابس "چيم" بالقش، وأضعها فوق السرير، على اعتبارها أمه ولكن مُتخفية، وسوف يأخذ الزنجي الثوب النسائي الذي أرتديه، ويقوم بارتدائه، ونتملص معًا، فالتملص هو الاسم الذي يطلقونه على الملك عندما يهرب، ويتم استخدام الكلمة نفسها لوصف ابن الملك عندما يهرب، سواء كان ابنًا شرعيًا أو غير شرعي".

كتب "توم" الرسالة المجهولة، وسرقتُ فستان الفتاة في تلك الليلة، وارتديته، وألقيت بالرسالة تحت الباب الأمامي، بالطريقة التي حددها "توم".

تقول الرسالة: احترسوا. المشاكل تقترب، راقبوا جيدًا. **فاعل خير.**

وفي الليلة التالية، لصقنا صورة على الباب الأمامي، رسمها "توم" بالدم، لجمجمة وعظمتين مُتقاطعتين؛ وفي الليلة التالية، لصقنا صورة تابوت على الباب الخلفي. ولم أصادف عائلة في مثل هذا التوتر. لم يكونوا ليخافوا إلى هذا الحد لو كانت الأشباح تملأ المنزل، وتقبع خلف كل شيء، وتحت الأسرَّة، وتحوم في الهواء. وكانت الخالة "سالي" تقفز وتصرخ في ألم، إذا سمعت طرقًا على الباب. وكانت تفعل الشيء نفسه إن سقط شيءٌ ما على الأرض، أو لمسها أحد وهي غير مُنتبهة. لم تكن قادرةً على مواجهة أحد والشعور



fb/mashro3pdf

بالراحة أبدًا، لأنها كانت تعتقد أن شيئًا ما يقف خلفها على الدوام- فكانت دائمًا ما تستدير فجأة وهي تصرخ؛ وقبل أن تكتمل الاستدارة، تعود إلى وضعها الأول مرةً أخرى وهي تصرخ من جديد؛ كما كانت تخاف النوم، إلا أنها لا تُجازف بالسهر. لقد أتى ما قمنا به بمفعوله، وقال "توم"؛ إنه لم ير شيئًا أتى بمفعوله بمثل هذه الطريقة المُرضية. وأضاف إن ما حدث يدل على أننا قمنا بالأمر بالشكل الصحيح. ثم قال إن وقت المشهد الأخير قد حان!

وفي الصباح الباكر التالي عند الفجر، أعددنا خطابًا آخر، وفكرنا في أفضل طريقة لإرساله، حيث سمعناهم أثناء العشاء يقولون إنهم سيُكلفون زنجيًا بمراقبة البابين طوال الليل. نزل "توم" على مانع الصواعق لكي يستكشف الوضع؛ فوجد الزنجي على الباب الخلفي نائمًا، فألصق الخطاب على قفاه وعاد. وجاء في الخطاب:

لا تعتبروني خائنًا، فأنا أرجو أن أكون صديقًا لكم. هناك عصابة خطيرة من السفاحين، من منطقة الهنود الحمر، سوف تسرق زنجيكم الهارب الليلة، وحاولوا بث الرعب في قلوبكم، حتى تلزموا المنزل ولا تزعجوهم. أنا فرد من أفراد العصابة، إلا أنني مُتدين، وأود التوبة والعودة إلى الحياة الشريفة مرةً أخرى، وسأفضح المُخطط الجهنمي. سوف يتسللون من الشمال، عبر السياج، في منتصف الليل تمامًا، ومعهم مفتاح مزيف، وسوف يتجهون إلى كوخ الزنجي ليأخذوه. سوف أكون خلفهم قليلًا لأطلق بوقًا إن رأيت خطرًا؛ ولكن بدلًا من ذلك، سوف أقلد صوت الشاة حين يدخلون، ولن أطلق بوق التحذير على الإطلاق؛ وبينما يفكون السلسلة، يمكنكم التسلل إلى هناك وإغلاق الكوخ عليهم، ويمكنكم قتلهم على مهل. لا



fb/mashro3pdf

تفعلوا سوى ما قلت لكم؛ وإلا أثرتم شكوككم فيأخذوا حذرهم. لا أريد أية مكافأة على الإطلاق، سوى أن أعرف أنني قمت بما ينبغي عليَّ القيام به.

**فاعل خير.**

fb/mashro3pdf

# الفصل الأربعُـون

شعرنا بالابتهاج بعد تناول الإفطار، وأخـذنا جولـة في زورقي لنـصطاد السمك في النهر، ومعنا طعام الغداء، وقضينا وقتًا ممتعًا، ثم ألقينا نظـرة على الطوف، ووجدناه على ما يُرام، فعدنا إلى المنزل متأخرين مع موعـد العـشاء، فوجدنا التوتر والقلق يستبد بهم، ولا يعرفون كيف يتصرفون، وطلبـوا منـا الذهاب إلى النوم فورًا لحظة الانتهاء من تناول العشاء، ولم يخبرونا بالمشكلة، ولم ينطقوا حرفًا واحدًا بشأن الرسالة الجديدة، إلا أننا لم نكـن نحتـاج إلى ذلك، فنحن نعرف المكتوب بها مثلهم تمامًا. وبمجرد أن وصـلنا إلى نـصف السلالم، رجعنا مرةً أخرى وتسللنا نحو خزانـة القبـو، وأخـذنا مـا يكـفي لغداء طيب، وحملناه إلى حجرتنا، ثم غفونا، واسـتيقظنا في الحاديـة عـشرة والنصف. ارتدى "توم" ثوب الخالـة "سـالي" الذي كان قـد سرقـه، وكان على وشك تعبئة الطعام، إلا أنه سألني: "أين الزبدة؟"

- "لقد أخذت قطعة كبيرة منها على رغيف من الذرة".



fb/mashro3pdf

- "حسنًا، لقد تركتها هناك إذن، لأنها ليست هنا".

- "يمكن ألا نحتاجها".

- "سوف نحتاجها، أيضًا، فتسلل إلى القبو وابحث عنها. ثم انزلق على مانع الصواعق والحق بي. سوف أذهب لأحشو ملابس "چيم" بالقش لتبدو كأنها أمه مُتخفية، وأكون مُستعدًا لتقليد صوت الشاة، وننطلق بمجرد أن تصل إلينا هناك".

هكذا خرج، فيما اتجهتُ إلى القبو. كان برطمان الزبدة، وهو في حجم قبضة اليد، لا يزال في مكانه حيث تركته، فأخذته هو وقطعة الخبز التي كنت قد وضعت الزبدة عليها أيضًا، ثم أطفأت الضوء الذي كان معي، وصعدت السلالم مُتسللًا، ووصلت إلى الرواق على ما يرام، إلا أن الخالة "سالي" كانت قادمة وفي يدها شمعة، فوضعت الزبدة تحت قبعتي، وأحكمتها فوق رأسي، وبمجرد أن لمحتني، قالت: "هل كنت في القبو؟"

- "أجل يا سيدتي".

- "لماذا؟"

- "لا شيء".

- "لا شيء؟"

- "لا، يا سيدتي".

- "حسنًا، إذن، من سمح لك أن تذهب إلى القبو في مثل هذا الوقت من الليل؟"

- "لا أعرف، يا سيدتي".

- "لا تعرف؟ لا تجبني بهذه الطريقة. "توم"، أريد أن أعرف ماذا كنت



fb/mashro3pdf

تفعل هناك".

- "لم أكن أفعل أي شيء، يا خالتي "سالي"، أتمنى انتقام الـرب إن كنـت قد فعلت شيئًا".

ظننت أنها ستتركني أنصرف، كما تفعل عادة؛ إلا أن هنـاك الكثـير مـن الأشياء الغريبة التي كانت تحدث، وكانت ترتاب بـشأن كل صـغيرة وكبـيرة، ليست على ما يُرام؛ فقالت بحسم شديد: "اتجه نحو حجرة الجلوس، انتظـرني هناك. لقد كنت هناك لتقوم بأمرٍ ما لا يحق لك، وأقسم أنني سأعرفه قبل أن أنتهي من أمرك".

انصرفتْ، ففتحت باب حجرة الجلوس وخطوت داخلها. يا إلهي، كان بها حشد من الناس! خمسة عشر فلاحًا، وكل واحد فيهم يحمل بندقيـة. شـعرت بغثيان شديد، وانسللتُ إلى كرسي وجلست. كانوا يجلسون حـولي، بعـضهم يتحدثون قليلًا، بصوت خفيض، وكلهم عصبيون وقلقون؛ وإن حاولوا أن لا يبدو عليهم ذلك؛ إلا أنني كنت واثقًا من ذلك، لأنهم كانوا يخلعون قبعاتهم، ويضعونها ثانية، ويهرشون رؤوسهم، ويُغيرون مقاعـدهم، ويعبثـون بـأزرار ثيابهم. لم أكن مرتاحًا أيضًا، إلا أنني لم أخلع قبعتي، على الإطلاق.

تمنيت أن تحضر الخالة "سالي"، لتعاقبني، وتضربني، إن أرادت، ثم تدعني أخرج حتى أنطلق وأخبر "توم" كيف وصل الأمر إلى هـذا الحـد، وأي عـش دبابير قمنا بإثارته علينا، حتى نكف عن العبث، ونهرب مع "چيم"، قبل أن ينفد صبر هؤلاء الأشخاص ويهاجمونا.

جاءت في النهاية، وبدأت تطرح أسئلتها عليّ، لكنـني لـم أتمكـن مـن الإجابة بشكل منطقي، ولم أعرف ما هو مصيري؛ لأن هؤلاء الرجال كانـوا في



fb/mashro3pdf

قمة التوتر الآن، وكان بعضهم يرغب في القيام الآن بعمل متهور، وقالوا إنه لم يبق على منتصف الليل سوى دقائق قليلة؛ وكان آخرون يحاولون كبح جماحهم ويطلبون منهم الانتظار حتى سماع إشارة صوت الشاة؛ وكانت أسئلة الخالة "سالي" تتدافع، بينما كان جسمي يرتعد وأنا في قمة الرعب؛ وحرارة المكان تزداد بمرور الوقت، وبدأت الزبدة تسيح، وتنزلق على رقبتي وخلف أذني؛ وسرعان ما قال أحدهم: "سأذهب لأكمن في الكوخ قبل وصولهم، سأذهب حالًا، وأقبض عليهم فور وصولهم". كدت أسقط؛ وانزلق خيط من الزبدة على جبهتي، فرأته الخالة "سالي"، وشحب وجهها، وقالت: "يا إلهي، ماذا حل بالصبي؟ لا بد أنه أُصيب بحمى دماغية، بكل تأكيد، إن رأسه يرشح!".

تدافع الجميع ليشاهدوا ما حدث لي، وقامت بنزع القبعة عن رأسي، فظهر الرغيف وما بقي من الزبدة، فجذبتني إليها واحتضنتني، وهي تقول: "يا له من موقف وضعتني فيه! كم أنا سعيدة وممتنة لأن الأمر ليس أسوأ من هذا؛ فالحظ ضدنا، والمصائب لا تتقاطر، بل تنهمر علينا، وحين رأيت تلك العلامة على وجهك، ظننت أننا فقدناك، فقد كان اللون يشبه كما لو أن مخك قد- يا عزيزي، يا عزيزي، لماذا لم تخبرني أن هذا هو سبب نزولك إلى القبو، لم أكن لأهتم. هيا الآن اذهب إلى فراشك، ولا تدعني أراك حتى الصباح!"

صعدت السلالم في ثانية واحدة، وانزلقت على مانع الصواعق في ثانية أخرى، وانطلقت في الظلام نحو التعريشة. لم أكن قادرًا على النطق، كنت في قمة التوتر؛ إلا أنني أخبرت "توم" بسرعة أننا يجب أن نهرب الآن، ولا نهدر



fb/mashro3pdf

دقيقة واحدة- فالمنزل يمتلئ بالرجال، هناك، ومعهم بنادق!

التمعت عيناه؛ وقال: "كلا! هل حدث هذا حقًا؟ أليس هذا رائعًا! بالتأكيد، يا "هاك" إن كررنا الأمر لحضر مائتا شخص على الأقل! إذا كان بإمكاننا تأجيله حتى-"

قلت له: "أسرع! أسرع!، أين "چيم"؟"

- "إلى جوارك، يمكن أن تلمسه إن مددت يدك. لقد ارتدى الثوب، وأصبح كل شيء جاهزًا. والآن، سوف نتسلل إلى الخارج، ونعطي الإشارة بصوت الشاة".

إلا أننا سمعنا آنئذٍ وقع أقدام الرجال وهم قادمون إلى الباب، وسمعتهم يتحسسون القِفل، ثم سمعت أحدهم يقول: "قلت لكم كان يجب ألا نتسرع؛ لم يحضروا بعد- الباب مُغلق. والآن، سأُدخل بعضكم إلى الكوخ، وأغلقه من الخارج، وأنتم تكمنون لهم في الظلام، تقتلوهم حين يظهرون؛ وليتفرق الباقون حول المكان، ولتنصتوا لتسمعوهم أثناء حضورهم".

دخلوا الكوخ، إلا أنهم لم يرونا بسبب الظلام، وكادوا يدوسون علينا بأقدامهم ونحن نتدافع لندخل تحت السرير. لكننا تمكنا من الدخول بسلام، وخرجنا من الفتحة بسهولة ويسر- خرج "چيم" أولًا، ثم تبعته، وخرج "توم" بعدي؛ بحسب الترتيب الذي وضعه "توم". خرجنا إلى التعريشة، وسمعنا وقع أقدام قريبة بالخارج. فزحفنا نحو الباب، وأوقفنا "توم" هناك، ونظر من خلال شرخ الباب، إلا أنه لم يتمكن من رؤية أي شيء، بسبب الظلام؛ وهمس قائلًا إنه يسمع وقع الأقدام يبتعد، وعندما يلكزنا، فلابد أن يخرج "چيم" أولًا، ويخرج هو في النهاية. ثم وضع أذنه على الشرخ وتصنت،



fb/mashro3pdf

وتصنت، وكان صوت وقع الأقدام يخرخش في الخارج طوال الوقت؛ وفي النهاية لكزنا، فتسللنا إلى الخارج ونحن نخفض رؤوسنا، ولا نتنفس، أو نصدر أدنى صوت، ثم تسللنا خلسة نحو السياج في طابور، ووصلنا إليه في سلام، وتمكنت من اجتيازه أنا و"چيم"؛ إلا أن بنطلون "توم" علق في قطعة خشب بارزة على قمة السياج، وحينها سمع أصوات أقدام تقترب، فكان عليه أن يسحبه لكي يحرره، فكسر قطعة الخشب، وصدر عن كسرها صوت؛ وحين قفز إلى جوارنا، سمعنا أحدهم يصيح: "من هناك؟ أجب، وإلا أطلقت النار!"

إلا أننا لم نجب؛ أطلقنا العنان لسيقاننا وجرينا. ثم حدث هياج، وسمعنا "بانج، بانج، بانج!" وأزَّ الرصاص حولنا! ثم سمعناهم يصيحون:

- "ها هم هناك! يتجهون نحو النهر! اتبعوهم، يا أولاد، وأطلقوا الكلاب!

كانوا يُطاردوننا بأقصى سرعة. وكان يمكننا سمعاهم لأنهم كانوا يرتدون أحذية برقبة طويلة، ويصيحون، بينما لا نرتدي أحذية كأحذيتهم ولا نصيح. كنا في الطريق إلى الطاحونة؛ وحين اقتربوا منا كثيرًا، اختبأنا بين الشجيرات حتى تجاوزونا، ثم مشينا خلفهم. كانوا قد حبسوا الكلاب حتى لا يخاف اللصوص؛ إلا أن أحدًا أطلقها في ذلك الحين، فاندفعت نحونا وهي تنبح كأنها مليون كلب؛ إلا أنها كانت كلابنا؛ فتوقفنا حتى لحقت بنا؛ وعندما لم تجد سوانا، ولا نثير اهتمامها، لم تتوقف سوى لحظات، للترحيب بنا، ثم انطلقت إلى الأمام وهي تنبح وتصدر ضجيجًا؛ تابعنا الجري خلفها حتى اقتربنا من الطاحونة، ومشينا بين الأشجار إلى حيث ربطت زورقي، فقفزنا فيه، وجدفنا إلى منتصف النهر لننجو بحياتنا، دون أن نصدر صوتًا قدر الإمكان سوى الإجباري. وانطلقنا بيسر وراحة نحو الجزيرة التي ربطت



fb/mashro3pdf

الطوف بها؛ وكنا نسمع صوت النباح ونسمع الرجال ينادون بعضهم البعض على امتداد ضفة النهر، حتى ابتعدنا تمامًا فخفت الصوت وانتهى. وعندما قفزنا إلى الطوف، قلت: "والآن، يا "چيم" العجوز، أنت رجل حر مرةً أخرى، وأراهن أنك لن تصبح عبدًا بعد الآن".

- "وأيضًا، كان عملاً جيدًا، يا "هاك". تم التخطيط له بشكل جيد، وتم تنفيذه بشكل جيد؛ ولا يمكن لأحد أن يضع مثل هذه الخطة المُعقدة الرائعة".

بلغت بنا السعادة مُنتهاها، إلا أن "توم" كان أكثرنا سعادة لأنه أُصيب برصاصة في ساقه. وعندما سمعت أنا و"چيم" هذا، تبخرت سعادتنا. فقد كان يتألم بشدة، وينزف؛ فحملناه إلى الكوخ ومزقنا أحد قمصان الدوق لنربط له الجرح، إلا أنه قال:

- "أعطني الخرق؛ سأربط الجرح بنفسي. لا تتوقفوا الآن؛ لا تتسكعوا هنا، فقد نجح الهروب نجاحًا عظيمًا؛ انتصارات ساحقة، فأبحروا! يا أولاد، لقد قمنا بمهمة رائعة!- فعلاً. أتمنى لو كنا قد شاركنا في تحرير "لويس السادس عشر"، لما نفذوا فيه حكم الإعدام، وما كتبوا في سيرة حياته جملته التي قالها على المشنقة "ابن القديس لويس، يصعد إلى السماء"؛ كلا، يا سيدي، كنا سنهرب به عبر الحدود- هذا ما كنا سنفعل- وكنا سنقوم بالمهمة بمنتهى السلاسة، أيضًا. هيا أبحروا بالسفينة- ابحروا بالسفينة!"

إلا أنني تشاورت- وفكرت مع "چيم". وبعد دقيقة من التفكير، قلت:

- "انطقها، يا "چيم". فقال: "حسنًا، إذن، هذا ما يبدو لي، يا "هاك". إذا كان "لويس السادس عشر" هو من تم تحريره، وأُصيب أحد الأولاد برصاصة،



fb/mashro3pdf

فقد كان سيقول، "هيا، أسرعوا لكي تنقذوني، لا تهتموا بإحضار طبيب لإنقاذ المُصاب، يجب أن تنقذوني". هل كان سيقول هذا، يا سيد "توم سوير"؟ هل كان سينطق هذه الكلمات؟ أراهن أنه لم يكن ليتفوه بها! حسنًا، إذن، هل سيقول "چيم" مثل هذه الكلمات؟ لا، يا سيدي، لن أتزحزح من مكاني قبل إحضار طبيب، حتى إن استغرق الأمر أربعين عامًا!"

كنت أثق بأنه أبيض القلب، وكنت أعتقد أنه سيقول ما قال- لذا فقد أصبح الأمر على ما يُرام الآن، وأخبرت "توم" إنني سأذهب لإحضار طبيب. أثار ضجة كبيرة بهذا الشأن، إلا أنني و"چيم" تمسكنا بموقفنا ولم نتزحزح عنه؛ فحاول أن يزحف لكي يحرر الطوف بنفسه، فمنعناه. فأخذ يصيح ويوجه لنا السباب، ولكن بلا جدوى.

حين رآني أُعد الزورق، قال لي:

- "حسنًا، إذن، إذا كنت مُصرًا على الذهاب، سأقول لك ما يجب عليك عمله حين تصل إلى القرية. أغلق الباب واعصب عيني الطبيب بسرعة وإحكام، واجعله يقسم على حفظ السر كالقبر، وضع كيسًا من النقود الذهبية في يده، ثم سر به في الحواري الجانبية والأماكن المُظلمة، قبل أن تحضره إلى هنا بالزورق، في ممرات متعرجة عبر الجزر، وقم بتفتيشه، وخذ منه الطباشير، ولا تعده إليه إلا حين تعود به إلى القرية، حتى لا يضع علامة على الطوف ويعود للبحث عنه مرةً أخرى. إن هذه هي الطريقة التي كانوا يتبعونها".

قلت له إنني سوف أفعل ذلك، وغادرت، وكان على "چيم" أن يختفي في الغابة حين يرى الطبيب قادمًا، وينتظر إلى أن يرحل.



fb/mashro3pdf

# الفصل الحادي والأربعون

كان الطبيب عجوزًا؛ عجوز لطيف للغاية، تبدو على ملامحه الطيبة. أخبرته أنني ذهبت مع أخي إلى الجزيرة الإسبانية للصيد بعد ظهيرة أمس، وخيمنا فوق طوف قديم وجدناه هناك، وفي منتصف الليل تقريبًا، ضغط زناد البندقية في الحلم، فانطلقت رصاصة وأصابت قدمه، وأنا أريده أن يأتي معي إلى هناك كي يُعالجه، وأن يتكتم الأمر، ولا يسمح لأحد بأن يعرف، لأننا نريد أن نذهب إلى المنزل في المساء لكي نفاجئ أهلنا.

- "ومن أهلكم؟"

- "عائلة "فيليبس"، هناك".

فقال: "أوه"، ثم سألني بعد دقيقة: "قلت لي كيف أُصيب؟"

فأجبت: "كان يحلم، وأصاب نفسه".

فقال: "يا له من حلم غريب".

أشعل فانوسًا، وأحضر حقائب السرج، وانطلقنا. لكنه عندما رأى



fb/mashro3pdf

الزورق، لم يعجبه منظره- قال إنه بالكاد يكفي فردًا واحدًا، وليس آمنًا لفردين. فقلت له: "لا تقلق، يا سيدي، فقلد حمل ثلاثة بسهولة".

- "ومن هؤلاء الثلاثة؟"

- "أنا، و"سِيد"، و- و- والبنادق؛ هذا ما أقصد".

- "أوه".

وضع قدمه على حافة الزورق وهزه، ثم هز رأسه وقال إنه يفضل البحث عن زورق أكبر. إلا أن كل الزوارق كانت مربوطة بسلاسل، فقال إنه سيأخذ زورقي، وطلب مني أن أنتظره حتى يعود، أو أبحث عن زورق آخر لألحق به، أو أذهب إلى العائلة حتى يستعدوا للمفاجأة إن أردت. لكني قلت له لن أفعل؛ وأخبرته كيف يجد الطوف، وبعدها انطلق.

واتتني فكرةٌ بعد برهة. قلت لنفسي، افترض أنه لم يتمكن من علاج الساق بسرعة، بمجرد أن تهز الشاة ذيلها، كما يقولون؟ وافترض أن الأمر استغرق منه ثلاثة أيام أو أربعة؟ ماذا سنفعل؟- نظل هناك حتى ينكشف السر؟ لا، يا سيدي؛ أعرف ماذا سأفعل. سأنتظر، وإذا عاد وقال إنه سيحتاج إلى المزيد من الوقت، فسوف أعود معه، وإن اضطررت للسباحة، ونقيده، وننطلق بالطوف في النهر، وحين ينتهي من عمله مع "توم"، سوف نعطيه أجره، أو حتى نعطيه كل ما معنا من نقود، وننزله على الشاطئ.

زحفت نحو كومة أخشاب لأنام قليلاً؛ وحين استيقظت كانت الشمس قد أشرقت! انطلقت إلى منزل الطبيب، فقالوا لي إنه خرج في وقت متأخر من الليل ولم يعد حتى الآن. حسنًا، اعتقدت حينها أن حالة "توم" في غاية السوء، فقررت أن أذهب إلى الجزيرة على الفور. هكذا انطلقت، وبينما



fb/mashro3pdf

أستدير في أحد المنعطفات، كاد رأسي يـرتطم بـبطن العـم "سـيلاس"! الذي قال: "توم"، أين كنت طوال هذا الوقت، أيها الوغد؟"

- "لم اذهب إلى أي مكان، كنت أبحث عن الزنجي الهارب، أنا و"سيد".

- "وأين ذهبتما؟ خالتكما قلقة للغاية".

- "ليس عليها أن تقلق، فنحن بخير، لقد تبعنا الرجال والكلاب، إلا أننـا لم نتمكن من اللحاق بهم، وسمعنا صوتًا قادمًا من النهر، لذا أخذنا زورقًـا وبحثنا عنهم، إلا أننا لم نجدهم، فأبحرنا بالقرب مـن الـشاطئ حـتى أصـابنا التعب والإرهاق؛ ربطنا الزورق وخلدنا إلى النوم، ولم نـستيقظ سـوى قبـل ساعة من الآن؛ وقمنا بالتجديف حتى نعـرف الأخبـار، وذهـب "سـيد" إلى مكتب البريد ليسمع الأخبار الجديدة، وانطلقت أنا لأبحث عن شيء نأكله، وكنا سنأتي للبيت بعد ذلك".

ذهبنا إلى مكتب البريد لنحضر "سيد"؛ ولكن كما توقعت، لـم يكـن هناك، وأحضر الرجل العجوز خطابًا له، وانتظرنا بعض الوقت إلا أن "سـيد" لم يحضر. فقال: "هيا نذهب، وليعد "سيد" مشيًا على الأقـدام، أو في الـزورق، عندما ينتهي من التسكع- ونركب نحن". لم أتمكن من إقناعه أن يتركـني لأنتظر "سيد"، وقال إنه لا جدوى من ذلك، ويجب أن أذهـب معـه، لتتأكـد الخالة "سالي" من أنكما بخير".

عندما عدنا إلى المنزل، كانـت الخالـة "سـالي" سـعيدة لـرؤيتي، وكانـت تضحك وتبكي في الوقت ذاته، وعانقتني، ثم ضربتني كعادتها، ضربـات غـير موجعة، وقالت إنها ستفعل الشيء نفسه مع "سيد" عندما يعود.

كان المنزل يمتلئ عن آخره بالفلاحين وزوجاتهم، ليتناولوا العشاء، وكان



fb/mashro3pdf

الضجيج الذي يصدرونه أعلى من أي ضجيج سمعته من قبل. وكانت السيدة "هوتشكس" هي الأسوأ بينهم؛ لم تتوقف عن الكلام طوال الوقت. وكانت تقول: "أختي السيدة "فيليبس"، لقد تفقدت الكوخ، وأظن أن ذلك الزنجي كان مجنونًا، وقلت هذا للأخت "دامريل"- أليس كذلك، يا أخت "دامريل"؟ قلت إنه مجنون، قلت هذه الكلمات نفسها. وقد سمعتموني جميعًا: إنه مجنون، وقلت إن كل شيء يُظهر جنونه. وقلت انظروا إلى حجر الرحى. وقلت، هل يريد أحدكم أن يخبرني أن مخلوقًا سليم العقل سيرسم مثل هذه الأشياء على حجر الطاحونة؟ إنه شخص له قلب مُفلس. وهنا عبارة غير واضحة، وسوف يذبل على مدار سبعة وثلاثين عامًا، وغيرها مثل- الابن الشرعي لشخص يُدعى "لويس"، وغيرها من الكلام الفارغ. قلت إنه في قمة الجنون، هذا كل ما قلت في بداية كلامي، وما قلت في منتصف كلامي، وما سوف أقول طوال الوقت- قلت إن الزنجي مجنون- مجنون مثل نبوخذ نصر".

قالت السيدة "دامريل" العجوز: "وانظري إلى ذلك السلم المصنوع من الخِرق، يا أخت "هوتشكس"، بحق السماء، ماذا كان يريد أن-"

- "هذه هي الكلمات نفسها التي كنت أقولها منذ دقيقة للأخت "هترباك"، وستخبرك بنفسها. قالت لنا، انظروا إلى السلم المصنوع من الخِرق، فقلت أجل، انظروا إليه- لماذا كان يريده. فقالت هي، يا أخت "هوتشكس"،-"

- "ولكن كيف بحق السماء، استطاعوا إدخال حجر الطاحونة إلى هنا، على أية حال؟ ومن-"

- "هذه هي الكلمات نفسها التي كنت أقولها، يا أخ "بينرود"! كنت أقول-



fb/mashro3pdf

هل يمكن أن تناوليني السكر؟- كنت أقولُ منذ دقيقة للأخت "من دونلاب"، كيف أمكنهم إدخال حجر الرحى إلى هناك، من دون مُساعدة، هل انتبهت للأمر- من دون مُساعدة! هذا هو مربط الفرس. لا تخالفني في الرأي، هكذا قلت، هناك مُساعدة، هناك الكثير من المُساعدة؛ كان هناك دستة من الناس ساعدت ذلك الزنجي، وأنا على استعداد لسلخ جلد آخر زنجي هنا في المزرعة لمعرفة من فعل هذا؛ والأكثر من هذا-"

- "تقولين دستة، إن أربعين رجلًا لا يستطيعون القيام بهذا. انظري إلى استخدام المُدى في النشر، وغيرها من الأشياء؛ إن هناك صعوبة كبيرة في فعل تلك الأشياء؛ انظري إلى ساق السرير وقد نُشرت بالمُدية، إنه عمل يستغرق أسبوعًا إن قام به ستة رجال؛ وانظري إلى-"

- "من الجيد أن تقول هذا يا أخ "هايتور"! فهو ما قلت للتو نفسه إلى الأخ "فيليبس" نفسه. فقد قال، ما رأيك في الأمر، يا أخت "هوتشكس"؟ فقلت، رأيي في ماذا يا أخ "فيليبس"؟ فقال، رأيك في نشر ساق السرير بهذه الطريقة؟ فقلت له، بعد التفكير في الأمر، أظنها لم تنشر نفسها، وقلت، لا بد أن أحدًا قام بذلك، هذا هو رأيي، اقبله أو ارفضه، وقلت ربما لا يمكن التعويل عليه، وقلت إلا أنه رأيي، وقلت إذا كان لدى أحدهم رأي آخر، فليطرحه، هذا كل ما قلت، قلته للأخت "من دونلوب"، قلت-"

- "أقسم أن الأمر يحتاج إلى منزل مليء بالزنوج، يعملون كل ليلة لمدة أربعة أسابيع لكي ينجزوا هذا العمل، يا أخت "فيليبس". انظري إلى ذلك القميص- كل بوصة فيه مكتوب عليها كتابة سرية أفريقية بالدم! لا بد أن حشدًا منهم اشترك في هذا، طوال الوقت، في الغالب. أدفع دولارين لمن يقرأ



fb/mashro3pdf

لي المكتوب؛ أما بالنسبة للزنوج الذين كتبوا ذلك، فأعتقد أنه يجب جلدهم جميعًا-"

- "هناك أناس ساعدوه، يا "أخ ماربلز"! حسنًا، أعتقد أنك ستفكر بالطريقة نفسها إذا عشت في هذا المنزل في الفترة الأخيرة. لقد سرقوا كل شيء يمكنهم سرقته- رغم استمرارنا في المراقبة طوال الوقت، تخيل. لقد سرقوا القميص من فوق حبل الغسيل! أما بالنسبة للملاءة التي صنعوا منها الحبل، فلن أخبركم بعدد المرات التي حاولوا سرقتها فيها؛ والدقيق، والشموع، والشمعدان، والملاعق، ووعاء التدفئة، وآلاف الأشياء التي لا أتذكرها الآن، وفستاني القطني؛ بينما كنت أراقب أنا و"سيلاس" و"توم" و"سيد" ليلًا ونهارًا، وكنت أخبركم، ولم يتمكن أحدنا من رؤية أي أثر لهم؛ وحتى آخر دقيقة، ويا له من أمر غريب، تسللوا خلسة وخدعونا، ولم يخدعونا نحن فقط، بل خدعوا لصوص منطقة الهنود الحمر أيضًا، وهربوا بالزنجي بأمان وسلام، وتعقبهم ستة عشر رجلًا، واثنان وعشرون كلبًا ساعتها! أقول لكم الصدق، لقد تجاوزت غرابة الأمر كل ما سمعت به من قبل. حتى الأشباح لا يمكنها أن تقوم بأفضل أو أذكى من ذلك. وأظن أنهم كانوا أشباحًا- لأنكم تعرفون كلابنا، ليس هناك أفضل منها؛ حسنًا، لم تتمكن الكلاب من اقتفاء أثرهم مرةً واحدة! فسروا لي الأمر! فليفسر لي أحدكم الأمر!"

- "حسنًا، الأمر يفوق الخيال-"

- "أقسم بحياتي، أنني لم-"

- "إذن، ساعدوني، فأنا لن-"



fb/mashro3pdf

- "لصوص منازل بالإضافة إلى-"

- "يا إلهي العظيم، لقد أصبحت أخاف البقاء في مثل هذا الـ-"

- "خائفة من البقاء! - لقد استبد بي الرعب لدرجة أنني كنت نادرًا ما أنام، أو أستيقظ، أو أتكئ، أو أجلس، يا أخت "رايدجواي". لقد سرقوا- يا إلهي، يمكن أن تتخيلي حالتي في منتصف الليلة الماضية. صليت للرب حتى لا يسرقوا أحد أفراد العائلة! لقد وصلت إلى درجة فقدت فيها رشدي. وتبدو لي حماقة الآن، في ضوء النهار؛ إلا أنني كنت أقول لنفسي، ها هما ولداي الاثنان نائمان في الطابق العلوي، في تلك الحجرة المُنعزلة، وأصارحكم أنني تسللت إلى أعلى وأغلقت عليهما الباب بالمفتاح! أجل لقد فعلت هذا. فأي شخص غيري كان سيفعل الشيء نفسه . فكما تعلمون، فحينما يستبد بك الخوف بهذه الطريقة، فإنه يتزايد طوال الوقت، ويتعطل التفكير، وترتكب كل أنواع الحماقات، وسرعان ما تفكر مع نفسك، وتفترض أنك صبي صغير، في حجرة بابها مُغلق، وأنت -"

توقفت عن الكلام، وبدت عليها الحيرة، ثم استدارت برأسها ببطء، ووقع بصرها عليَ- فنهضتُ وأخذت أتمشى.

قلت لنفسي، يمكن أن أفسر بطريقة أفضل، كيف لم نكن موجودين في الحجرة هذا الصباح، إذا انتحيتُ جانبًا وفكرت في الأمر قليلًا. ففعلت هذا. إلا أن الأمر لم يستغرق وقتًا طويلًا، حتى أرسلت في طلبي. وعندما انصرف الناس آخر النهار، ذهبت إليها وحكيتُ لها كيف استيقظتُ أنا و"سِيد" بسبب الضجة وإطلاق النار، وأن الباب كان مُغلقًا، وأردنا أن نرى ما يحدث، فنزلنا على مانع الصواعق، وأُصبنا إصابات طفيفة، ولن نجرب مثل

هذا النزول مرةً أخرى. ثم تابعت حديثي وقلت لها ما قلت للعم "سيلاس" من قبل؛ فقالت إنها سوف تُسامحني، وأن ما حدث يُعد أمرًا طيبًا على أية حال، وأنه مُتوقع من الأولاد، لأن كل الأولاد يتسمون بالحماقة على حد علمها، وطالما لم يُصبنا أي أذى، فمن الأفضل أن تشعر بالسعادة لأننا بصحة وسلامة، وأنها لم تفقدنا، بدلًا من التفكير في ما مضى. فقبلتني، وربتت على رأسي، وشردت في تفكير عميق، وسرعان ما قفزت وقالت: "رحماك يا إلهي، لقد أوشك الليل على الدخول، ولم يحضر "سيد" بعد! ماذا حدث للفتى؟"

رأيت في ذلك فرصتي، فقلت: "سوف أسرع إلى المدينة لأحضره"، فقالت: "لا، لن تذهب، سوف تبقى حيث أنت؛ يكفي ضياع أحدكما في المرة الواحدة، إن لم يحضر على العشاء، سيذهب عمك "سيلاس" للبحث عنه".

وبالطبع لم يحضر على العشاء، وذهب العم للبحث عنه بعد العشاء مباشرةً. وعاد في حدود الساعة العاشرة، يبدو عليه القلق إلى حدٍّ ما؛ لأنه لم يجد أثرًا لـ"توم". انزعجت الخالة "سالي" للغاية؛ إلا أن العم "سيلاس" قال إنه لا يوجد سبب للقلق، وأن الأطفال سيظلون أطفالًا؛ وأنه سيعود في الصباح بخير وسلام. أبدت بعض الارتياح، إلا أنها قالت إنها ستسهر قليلًا في انتظاره على أية حال، وتبقي الضوء مُشتعلًا حتى يراه عندما يأتي.

وعندما ذهبتُ إلى النوم، جاءت معي وأحضرت شمعتها، وأحكمت الغطاء حول جسمي، وتصرفت كأنها أمي، لدرجة جعلتني أشعر بمدى حقارتي، ولم أتمكن من النظر إلى وجهها؛ جلست على السرير وتحدثت معي طويلًا؛ تحدثت عن روعة "سيد"، ولم تكن لديها رغبة في التوقف عن الحديث عنه؛ إلا أنها كانت تسألني من حين لآخر إن كان قد تاه فعلًا، أو



fb/mashro3pdf

جُرح، أو ربما غرق، أو ربما كان يرقد في مكانٍ ما ويُعاني من الألم، أو يُعـاني سكرات الموت، وهي ليست إلى جواره كي تساعده، ثـم انهمـرت دموعهـا في صمت، فقلت لها إنه بخير، وسوف يعود إلى المنزل في الصباح، بكـل تأكيـد؛ وتضغط يدي، أو تمنحني قبلة، وتطلب مني أن أعيد ما قلت مرات ومرات، لأنه يهدئ من روعها، فقـد كانـت تعـاني معانـاة شـديدة. وعنـدما همـت بالخروج، نظرت إلى عيني بثبات ورقة، وقالت: "لن يكون الباب مُغلقًا، يا "توم"، ولكن هناك النافذة والعمـود؛ إلا أنـك سـتكون ولدًا طيبًـا، ألـيس كذلك؟ ولن تخرج؟ من أجلي".

يعلم الرب أنني أردت الخروج بشدة كي أطمـئن على حـال "تـوم"، وكنـت أنوي الذهاب فعلًا؛ إلا أنني لن أذهب بعد ما قالت، لن أذهب مقابل كنـوز الدنيا.

إلا أنها كانت في كفة، و"توم" في كفة أخرى، لذلـك كان نـومي مُـضطربًا. ونزلت على مانع الصواعق مرتين في منتصف الليل، وتسللت إلى الواجهـة الأمامية للمنزل، فرأيتها تجلس في النافذة إلى جوار شـمعتها، وهي تحـدق في الطريق والدموع تسيل من عينيها؛ تمنيت أن أفعل شـيئًا مـن أجلهـا؛ ولـم يكن أمامي سوى أن أقسم ألا أقوم بـشيء يُسبب لهـا الحـزن بعـد الآن. استيقظت في المرة الثالثة قرب الفجر، ونزلت فوجدتها ما تزال هناك، وقـد ذابت شمعتها تقريبًا، وهي تتكئ برأسها ذي الشعر الرمادي على يدها، وقـد غلبها النوم.

fb/mashro3pdf

# الفصل الثاني والأربعون

ذهب الرجل العجوز إلى المدينة مرةً أخرى قبل موعد الإفطار، ولم يجد أي أثر لـ"توم"؛ وجلس كلاهما على المائدة يُفكران، من دون أن يتفوها بكلمة واحدة، والحزن يبدو عليهما، كما بردت القهوة، ولم يتناولا أي طعام. وسرعان ما قال الرجل العجوز: "هل أعطيتك الخطاب؟"

- "أي خطاب؟"
- "الخطاب الذي أحضرته من مكتب البريد بالأمس".
- "كلا، لم تعطني أية خطابات".
- "حسنًا، لا بد أنني نسيت".

فتش في جيوبه، ثم ذهب إلى مكانٍ ما، حيث وضع الخطاب، أحضره، وأعطاها إياه. فقالت: "إنه من "سانتبيترزبورج"- إنه من أختي".

اعتقدت أن تمشية أخرى ستكون مناسبة لي؛ إلا أنني لم أتمكن من الحركة. ألقت بالخطاب على الأرض قبل أن تكمل فتحه، وانطلقت تجري-

fb/mashro3pdf

لأنها رأت شيئًا ما، ورأيته أنا أيضًا. لقد كان "توم سوير" محمولًا فوق حشية؛ وذلك الطبيب العجوز؛ و"چيم" مُرتديًا ثوبها القطني، ويداه مُقيدتان خلف ظهره؛ والعديد من الناس. أخفيت الخطاب خلف أول شيء صادفته، وانطلقت. كانت قد ألقت بنفسها فوق "توم" وصاحت: "أوه، لقد مات، مات، كنت أعرف أنه مات!"

أدار "توم" رأسه قليلًا، وغمغم بشيء يدل على أنه في غيبوبة، فأبعدت يديها وقالت: "إنه حي، شكرًا للرب! هذا كل ما كنت أتمنى!" ومنحته قبلة خاطفة، ثم انطلقت إلى المنزل لتعد له السرير، وبدأت توزع الأوامر يمينًا ويسارًا على الزنوج، وعلى كل الموجودين، بسرعة وهي تنطلق في طريقها.

تبعت الرجال لأعرف مصير "چيم"؛ بينما ذهب الطبيب والعم "سيلاس" خلف "توم". كان الرجال غاضبين، وبعضهم كان يريد إعدامه ليكون عبرة لكل الزنوج الهاربين، كي لا يهربوا كما فعل "چيم"، الذي سبب هذا القدر من المتاعب، وسبب الفزع لعائلة كاملة لأيام وليالٍ. إلا أن آخرين قالوا، يجب ألا تفعلوا هذا، فهذا لن يفي بالغرض على الإطلاق؛ فهو ليس ملكًا لنا، ومن يملكه سيأتي ليطالبنا بثمنه، بكل تأكيد. جعلهم هذا الكلام يهدأون قليلًا، لأن مَن يتحمسون بقوة لشنق زنجي أخطأ، هم دائمًا أقل الناس حماسة لدفع ثمنه بعد أن ينالوا غايتهم منه.

انهالوا بالسباب على "چيم" رغم ذلك، وكانوا يصفعونه من حين لآخر، إلا أنه لم ينطق، ولم يُشر للناس عليّ. ذهبوا به إلى الكوخ نفسه، وجعلوه يرتدي ملابسه، وربطوه بالسلسلة من جديد، ولكن ليس إلى ساق السرير السابقة هذه المرة، وإنما إلى مسمار كبير في ساق السرير الخلفية، وقيدوا



fb/mashro3pdf

يديه وساقيه بالسلاسل، وقالوا إنه لن يتناول أي شيء عدا الخبز والماء حتى يحضر مالكه، أو يتم بيعه في مزاد إن لم يحضر في موعد محدد، وسدوا الحفرة التي حفرناها، وقالوا إن اثنين من الفلاحين سيحرسون الكوخ ليلًا وهما يحملان الأسلحة، ويربطون كلبًا في الباب نهارًا؛ وبهذا انتهوا من مهمتهم، وبدأوا يُغادرون، وهم يودعونه باللعنات. وعندما حضر الطبيب ليلقي نظرة، قال لهم: "لا تعاملوه بقسوة أكثر من اللازم، فهو ليس زنجيًّا سيئًا. فعندما ذهبت إلى حيث وجدت الصبي، أدركت أنني لن أتمكن من إخراج الرصاصة من دون مُساعدة، ولم تكن حالته تسمح أن أتركه وأذهب لطلب المُساعدة؛ فحالته كانت تسوء وتتدهور، و فقد صوابه بعد برهة، ورفض أن أقترب منه، وهددني إن وضعت علامة على الطوف بالطباشير فسوف يقتلني، وغيرها من الحماقات؛ فقلت له يجب أن أحصل على مُساعدة بأية طريقة، وفي اللحظة نفسها تقدم هذا الزنجي زاحفًا من مكانٍ ما، وقال إنه سوف يُساعدني، وساعدني فعلًا، بطريقة جيدة. بالطبع قدرت أنه الزنجي الهارب، وكان تقديري صحيحًا! وكان عليَّ أن أبقى هناك بقية اليوم وطوال الليلة.

"كان مأزقًا، فقد كان لدي مريضان أصابهما البرد، وكنت أود أن أذهب إلى المدينة لأعودهما، إلا أنني خفت أن يهرب ذلك الزنجي، وسوف تكون غلطتي، ولم يقترب أي قارب بالقدر الكافي لأصيح عليه طلبًا للمُساعدة. وكان عليَّ أن أنتظر حتى بزوغ ضوء النهار في الصباح؛ ولم أر في حياتي زنجيًّا أكثر منه إخلاصًا وقدرة على التمريض، لقد جازف بحريته كي يقوم بهذا، كما كان مُرهقًا للغاية أيضًا، فمن الواضح أنه عمل كثيرًا في الفترة الأخيرة. أحببت هذا الزنجي بسبب كل هذا؛ وأقول لكم يا سادة، إن زنجيًّا مثله



fb/mashro3pdf

يستحق ألف دولار، ومُعاملة طيبة، أيضًا. لقد حصلت على كل ما أحتاج إليه، وتحسنت حالة الصبي هناك، وربما تتحسن حالته بشكل أفضل في المنزل، لأنه هادئ للغاية؛ أما حين كنت هناك، فقد كنت مسؤولًا عن كليهما، وكان عليَّ أن أبقى حتى فجر اليوم؛ ومر عليَّ بعض الرجال في قارب، من حسن الحظ أن الزنجي كان يجلس على سرير القش ورأسه بين ركبتيه ويبدو نائمًا؛ أشرت إليهم في هدوء، فتسللوا وانقضوا عليه وقاموا بشد وثاقه حتى قبل أن يعرف ماذا يحدث، ولم تصادفنا المتاعب. وكان الولد غير مستقر في نومه إلى حدٍّ ما، فقمنا بالتجذيف بلا صوت، وربطنا الطوف إلى القارب، وجررناه بهدوء ويُسر. ولم يُثر الزنجي أية ضجة، ولم ينطق بكلمة منذ اللحظة الأولى. إنه ليس زنجيًّا سيئًا، يا سادة؛ هذا هو رأيي فيه".

قال أحد الحاضرين: "حسنًا، يبدو هذا أمرًا طيبًا، أيها الطبيب، هذا ما يجب أن أقول".

لانت قلوب الآخرين، أيضًا، وشعرتُ بامتنان عميق تجاه الطبيب العجوز لأنه صنع معروفًا في "چيم"؛ وكنت سعيدًا لأن ما فعل كان بسبب رأيه في "چيم"، أيضًا؛ فقد اعتقدت أنه رجل صالح وطيب القلب منذ رأيته أول مرة. ثم اتفقوا جميعًا على أن تصرف "چيم" كان جيدًا، وأنه يستحق الثناء والمكافأة. ووعد جميع الحضور بإخلاص، ألا يوجهوا له السباب مرةً أخرى.

خرجوا من الكوخ وأغلقوا الباب عليه. تمنيت أن يقولوا إنهم سينزعون سلسلة أو اثنتين عنه، فقد كانت ثقيلة للغاية، أو يسمحوا له باللحم والخضراوات في الطعام مع الخبز والماء؛ إلا أنهم لم يُفكروا في هذا، وظننت من الأفضل لي ألا أتدخل، إلا أنني قررت أن أتأكد من سماع الخالة "سالي"



fb/mashro3pdf

إلى قصة الطبيب بمجرد أن أتجاوز المتاعب القادمة- أقصد، تفسير كيف نسيت أن أذكر لهم أن "سيد" مصاب برصاصة وأنا أحكي لهم كيف خرجنا في الليل وتجولنا بحثًا عن الزنجي الهارب.

كان لديَّ الكثير من الوقت، فقد كانت الخالة "سالي" لا تبرح حجرة المرضى ليلًا أو نهارًا، وكلما رأيت العم "سيلاس" كنت أتحاشاه.

وسمعت في صباح اليوم التالي أن "توم" تحسن كثيرًا، وأن الخالة "سالي" سوف تذهب لتأخذ غفوة. فتسللت إلى حجرة المرضى، وأنا أعتقد أننا يمكن أن نصنع معًا قصة مقنعة، إن وجدته يقظًا. إلا أنه كان نائمًا، ينام في سلام، أيضًا. وكان وجهه شاحبًا، وليس شديد الاحمرار كحاله حين أحضروه. لذلك جلست إلى جواره، في انتظار أن يستيقظ. وفي غضون نصف ساعة، دخلت الخالة "سالي"، وها أنا وقعت في مأزق من جديد! طلبت مني أن أبقى مكاني، وجلست إلى جواري، وهمست إليَّ قائلة إننا يمكن أن نبتهج الآن، لأن كل العلامات تشير إلى تعافيه بشكل كامل، وإنه نائم على هذا المنوال منذ وقت طويل، وحالته تتحسن مع الوقت، وهناك احتمال كبير أن يستيقظ في حالة طبيعية.

جلسنا نراقبه، وسرعان ما تحرك حركة هينة، وفتح عينيه بشكل طبيعي، وألقى نظرة ثم قال: "أهلا- أنا في المنزل! كيف حدث هذا؟ أين الطوف؟"

- "إنه بخير".

- "و"جيم"؟"

قلت له: "بخير". لم أتمكن من الحديث بثقة. إلا أنه لم يُلحظ، فقال: "جميل! رائع! نحن الآن في أمان وعلى ما يُرام! هل أخبرت خالتي؟"



fb/mashro3pdf

كنت على وشك أن أقول "أجل"؛ إلا أنها تدخلت وسألت: "يخبرني بماذا، يا "سيد"؟"

- "عن الطريقة التي تم بها الأمر".

- "أي أمر؟"

- "الأمر برمته. ليس هناك سوى موضوع واحد؛ الطريقة التي حررنا بها الزنجي الهارب- أنا و"توم".

- "يا إلهي! أوقف ما يحدث- عن أي شيء يتحدث هذا الصبي! يا إلهي! يا إلهي! لقد فقد صوابه مرةً أخرى".

- "كلا، لم أفقد صوابي؛ أنا أعرف عن أي شيء أتحدث. لقد قمنا بتحريره أنا و"توم". خططنا لذلك وقمنا بتنفيذه، وبشكل رائع أيضًا".

كان قد بدأ يحكي، ولم تحاول أن توقفه، جلست تحدق وتحملق فيه، وتركته يكمل حديثه، ولم تكن هناك فائدة من تدخلي.

- "لقد بذلنا جهدًا كبيرًا يا خالتي- استغرق أسابيع- وامتد لساعات وساعات كل ليلة، وأنتم غافلون عن ما يحدث. كان علينا أن نسرق الشموع والملاءة، والقميص، وثوبك، والملاعق، والأطباق المعدنية، والمُدى، ووعاء التدفئة، وحجر الرحى، والدقيق وغيرها من الأشياء التي لا حصر لها، ولا يمكن أن تتصوري مدى صعوبة صنع المنشار، والأقلام، وحفر الكلام، وغيرها من الأشياء، ولا يمكن أن تتصوري نصف المتعة التي شعرنا بها. ورسمنا صور التوابيت وغيرها من الأشياء، والرسائل المجهولة من اللصوص، كنا نستيقظ وننزل على مانع الصواعق، وحفرنا الحفرة الموصلة إلى الكوخ، وصنعنا سلمًا من الحبال، وأرسلناه في داخل فطيرة، وأرسلنا الملاعق وغيرها



fb/mashro3pdf

من الأشياء في جيب مريلة المطبخ الخاصة بكِ-"

- "يا إلهي!"

- "وملأنا الكوخ بالفئران والثعابين، وغيرها، لتكون في صحبة "چيم"؛ ثم حبستِ "توم" هنا طويلًا حتى ساحت الزبدة من قبعته، وكنتِ على وشك اكتشاف الأمر، لأن الرجال حضروا قبل أن نخرج من الكوخ، وكان علينا أن نُسرع، وسمعونا فتعقبونا، حصلت على نصيبي، واختبأنا بين الأشجار حتى تجاوزونا، وعندما أتت الكلاب، لم تكن مهتمة بنا، فاتجهت نحو الضجيج، ووصلنا إلى زورقنا، واتجهنا به إلى الطوف، بأمان، وأصبح "چيم" حُرًا، قمنا بكل هذا وحدنا، أليس هذا رائعًا يا خالتي!"

- "حسنًا، لم أسمع بمثل هذا منذ ولدت! إذن، كنتم مَن فعل كل هذا، أيها الأوغاد الصغار، وكنتم السبب في كل هذه المشاكل، التي دفعتنا إلى الجنون، وتسببت في خوفنا إلى حد الموت. تراودني فكرة ضربكما في هذه اللحظة، حين أفكر أنني كنت هنا، ليلةً تلو أخرى- وأنتم تتمتعون بوقتكم أيها الأوغاد الصغار، أعتقد أنني سأجلدكما!"

إلا أن "توم"، كان في قمة الفخر والسعادة، ولم يكن قادرًا على التوقف، فانطلق لسانه- بينما هي ترغي وتزبد في الوقت نفسه، كأنها معركة بين القطط؛ وقالت: "لقد تمتعتم بالأمر إلى أقصى حدٍّ ممكن الآن، ولكني أحذركم من الاقتراب منه مرةً أخرى-"

قال "توم" وهو يبستم ويبدو عليه الاندهاش: "الاقتراب مِن من؟"

- "مَن؟ الزنجي الهارب، بالطبع. من تظن؟"

نظر "توم" نحوي بحزن، وقال: "توم"، ألم تقل لي توًا أنه بخير؟ ألم يهرب؟"



fb/mashro3pdf

فقالت الخالة "سالي": "هو؟ الزنجي الهارب؟ لم يهرب بالتأكيد. لقد أعادوه بسلام، ووضعوه في الكوخ مرةً أخرى، وسيعيش على الماء والخبز، وهو مشدود الوثاق بالسلاسل، حتى يأتي مالكه أو يتم بيعه!"

نهض "توم" على السرير، وعيناه تبرقان، وفتحتا أنفه تفتحان وتغلقان كالخياشيم، وصاح قائلًا لي: "ليس لهم الحق في حبسه! انطلق!- من دون أن تضيع دقيقة واحدة وأطلق سراحه! إنه لم يعد عبدًا، إنه حر كأي مخلوق على ظهر الأرض!"

- "ماذا تقصد، أيها الصبي؟"

- "أقصد كل كلمة أقولها، يا خالتي "سالي"، وإن لم يذهب أحد لتحريره، فسأذهب أنا. لقد عرفته طوال حياتي، وكذلك "توم"، هناك. وقد ماتت الآنسة "واتسون" منذ شهرين، وشعرت بالخجل لأنها فكرت في بيعه جنوب النهر، وأعلنت هذا، وأعتقته في وصيتها، أترون أنه حُر بالفعل؟"

- "إذن لماذا أردت تحريره بحق السماء، وأنت تعرف أنه حُر بالفعل؟"

- "يجب أن أقول، إن هذا السؤال بلا معنى! كنت أسعى إلى المُغامرة؛ وأريد أن أخوض حتى رقبتي في الدماء- يا إلهي، خالتي "بولي"؟"

لو لم تكن تقف هناك، بعد أن تجاوزت الباب، وهي تنظر بسعادة ورضا كأنها ملاك مصنوع من العجين، لتمنيت الموت قبل وصولها.

قفزت الخالة "سالي" ناحيتها، واحتضنت رأسها، وبكت على كتفها، فوجدت في ذلك فرصة للاختباء تحت السرير، فقد بدا لي أن وضعنا أصبح حرجًا. واختلست النظر، وبعد قليل حررت الخالة "بولي"- خالة "توم"- نفسها، ووقفت هناك تنظر ناحيته من فوق عدسات نظارتها- تتفحصه من



fb/mashro3pdf

رأسه حتى قدميه، كما تعلم. ثم قالت: "أجل، يجب أن تدير رأسك إلى الناحية الأخرى- كنت سأفعل هذا لو كنت في مكانك، يا "توم".

قالت الخالة "سالي": "أوه، يا عزيزتي، هل تغير كثيرًا إلى هذا الحد؟ إنه ليس "توم"، إنه "سيد"؛ "توم" هنا- "توم"- أين ذهب "توم"؟ لقد كان هنا منذ دقيقة".

- "أنتِ تقصدين "هاك فن"- هذا هو مَن تقصدين! أظن أنني لم أُرَب مثل هذا الوغد "توم" كل هذه السنوات، كي لا أعرفه حين أراه. هذا مستحيل. اخرج من تحت السرير يا "هاك فن".

خرجت، إلا أنني كنت مُرتبكًا.

كانت الخالة "سالي" في حالة من الحيرة لم أصادفها مع أحد، عدا العم "سيلاس"، عندما حضر وأخبروه بالأمر. جعله الأمر يبدو كالمخمور، كما يمكنك القول، وبدا في حيرة طوال اليوم، كما ألقى خطبة في اجتماع للصلاة في تلك الليلة، منحته سُمعة مدوية، لأن أكبر الناس سنًّا في العالم لم يكن ليفهم منها شيئًا.

قامت خالة "توم"، الخالة "بولي"، بإخبارهم مَن أكون، وماذا فعلت؛ وكان عليَّ أن أخبرهم كيف وقعت في مأزق عندما اعتقدت السيدة "فيليبس" أنني "توم سوير"- فتدخلت وقالت: "أوه، استمر في مناداتي بالخالة "سالي"، لقد اعتدت عليها الآن، وليس هناك داعٍ لتغييرها- وأكملت أنني كان يجب أن أوافق، فلم يكن هناك حل آخر، وكنت أعلم أنه لن يُمانع، بل سيكون الأمر ممتعًا بالنسبة له، لأنه موقف سيصنع منه مُغامرة، تشعره بالرضا. وهكذا تم الأمر، واقترح أن يكون هو "سِيد"، ويسر لي الأمور قدر



fb/mashro3pdf

استطاعته.

قالت الخالة "بولي" إن "توم" على حق بشأن الآنسة "واتسون" وإعتاقها "جيم" في وصيتها؛ وهكذا، تجشم "توم سوير" عناء تحرير زنجي حر، وهو يعرف ذلك! ولم أفهم من قبل، حتى تلك اللحظة التي سمعت فيها هذا الكلام، كيف يشترك في تحرير زنجي، وهو حسن التربية.

حسنًا، عندما وصلها خطاب من الخالة "سالي" تقول فيه إن "توم" و"سيد" وصلا بسلام، قالت الخالة "بولي"، لنفسها: "انظري لما حدث، الآن! كان يجب أن أتوقع حدوثه، لأنني تركته يذهب وحده من دون أن يصحبه أحد ليراقبه. ولهذا يجب أن أذهب إلى هناك، وأقطع مسافة ألف ومائة ميل، وأكتشف ماذا فعل هذا المخلوق هذه المرة، طالما لم أتلق أية إجابة منكِ بهذا الخصوص".

فقالت الخالة "سالي": "لم أتلق أية رسائل منكِ".

- "حسنًا، لقد كتبت إليكِ مرتين أسألك فيهما كيف يكون "سيد" عندك هنا".

- "لم أتسلمهما، يا أختي".

استدارت الخالة "بولي" ببطء وصرامة، وقالت: "أنت، يا "توم".

قال "توم" بنوع من الخجل: "حسنًا- ماذا؟"

- "لا تراوغ أيها الوغد- سلمني الخطابات".

- "أية خطابات؟"

- "تلك الخطابات، أقسم أنني سأمسك بك و-"

- "الخطابات في الصندوق، بالأعلى. على حالها كما استلمتها من مكتب



fb/mashro3pdf

البريد. لم أفتحها، ولم ألمسها. إلا أنني عرفت أنها قد تسبب مشكلة، وفكرت طالما أنتِ لست في عجلة من أمرك، فسوف-"

- "حسنًا، أنت تستحق السلخ، من دون أدنى شك. ولقد كتبت إليكِ خطابًا آخر أخبرك فيه بحضوري؛ وأفترض أنه-"

- "كلا، لقد وصل بالأمس؛ ولم أقرأه حتى الآن؛ إلا أن الأمر على ما يُرام، فقد وصلني هذا الخطاب وهو معي".

كنت أود أن أراهن على دولا رين أنه ليس معها، ولكني فكرت أنه من الأفضل ألا أفعل. ولم أنطق.

fb/mashro3pdf

# الفصل الأخير

ما إن انفردت بـ"توم" حتى سألته ماذا كانت فكرته وقت الهروب؟- ماذا كانت خطته حين قام بتحرير زنجي حصل على حريته بالفعل؟ قال إنه أعد الخطة في رأسه منذ البداية، إذا هربنا مع "چيم" بسلام، كان علينا أن نبحر في الطوف، ونقوم بالمغامرات حتى نصل إلى مصب النهر، ثم أخبره أنه أصبح حرًا، وأصحبه إلى مدينتنا في باخرة، بشكل أنيق، وأدفع له أجرًا عن الوقت الذي ضاع، وأبعث برسالة قبل وصولنا، لأجمع كافة الزنوج ليرقصوا رقصة الفالس أمامه في مسيرة بالمشاعل وفرقة موسيقى نحاسية حتى المدينة، ويُصبح بطلًا، وكذلك نحن. إلا أنني أعتقد أن ما انتهى إليه الأمر جيد أيضًا.

حررنا "چيم" من السلاسل في لحظات، وعندما اكتشفت الخالة "سالي" والخالة "بولي" والعم "سيلاس" كيف ساعد الطبيب في تمريض "توم"، أثنوا عليه، وأعلوا من شأنه، ومنحوه ما يريد من الطعام، ومنحوه وقت فراغ كبيرًا، ولم يكلفوه بأي عمل، وصعدنا به إلى حجرة المرضى لنتحدث في



fb/mashro3pdf

أمور مهمة؛ وأعطاه "توم" أربعين دولارًا لأنه كان سجينًا صبورًا معنا، وأدى دوره بإخلاص، مما جعل "چيم" في قمة السعادة، واندفع قائلًا: "والآن، يا "هاك"، ماذا قلت لك؟- ماذا قلت لك ونحن على جزيرة "جاكسون"؟ قلت لك إن صدري كثيف الشعر، وعلى أي شيء تدل هذه العلامة؟ قلت لك إنني كنت غنيًا ذات مرة، وسوف أصبح غنيًا مرةً أخرى، وها هي النبوءة تتحقق، ها هي تتحقق! والآن، لا تجادلني- العلامات لا تخطئ، لقد أخبرتك بذلك؛ كنت واثقًا تمام الثقة، وكنت أعلم أنني سأصبح غنيًا مرةً أخرى، كما أقف أمامكما الآن في هذه اللحظة".

ثم تحدث "توم" طويلًا، وقال، هيا نتسلل نحن الثلاثة من هنا ذات ليلة ونشتري ملابس جديدة، ونذهب في مغامرة بين الهنود الحُمر في أرضهم، لمدة أسبوعين أو أربعة أسابيع؛ فقلت له، حسنًا، تُناسبي الفكرة، ولكن ليس معي نقود أشتري بها ملابس جديدة، وأظن أنني لا أستطيع الحصول على نقود من مدينتنا، لأن أبي أغلب الظن قد عاد منذ فترة، وأخذ النقود من القاضي "تاتشر"، وأنفقها في شرب الخمر.

قال "توم": "كلا، لم يعد، والنقود هناك كما هي- ستة آلاف دولار وأكثر؛ ولم يعد والدك منذ ذلك الحين. منذ أن أتيت من هناك، على أية حال".

وقال "چيم" بنوع من الحزن: "لم يعد حتى الآن، يا "هاك".

- "لماذا يا "چيم"؟

- "لا تهتم بالسبب، يا "هاك"- إلا أنه لن يعود مُطلقًا".

وبعد إلحاح، قال في النهاية: "ألا تذكر ذلك المنزل الذي جرفه التيار في النهر، وكان بداخله رجل، وجهه مُغطى، وذهبت أنا ورفعت الغطاء عن



fb/mashro3pdf

وجهه، ولم أدعك تقترب؟ حسنًا، إذن، يمكنك أن تحصل على نقـودك وقتمـا تشاء، فقد كان ذلك الرجل هو والدك".

أصبح "توم" بصحة جيدة تقريبًا، وصنع من الرصاصة التي أصابته قلادة حول رقبته، في سلسلة ساعة الجيب الخاصة به، وكان يرى الوقت فيها دائمًا، ولم يعد هناك ما يمكن الكتابة عنه، وأنا في قمة السعادة لذلـك، لأنـني لـو أدركت كم المشقة في تأليف كتاب، لم أكن لأبـدأ فيـه، ولـن أكتـب مـرةً أخرى. وإن كنت أظن أنني سأهرب إلى أرض الهنود الحمر قبل الآخـرين لأن الخالة "سالي" تعتزم أن تتبناني، وتجعل مني شخصًا مُتحضرًا، وهو ما لا أطيق، فقد جربته من قبل.

**- تمت -**

fb/mashro3pdf

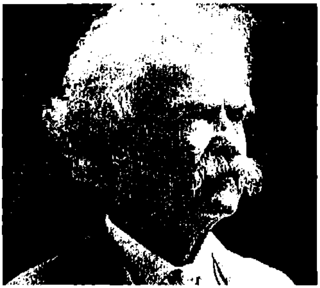

المؤلف: مارك تويــن

أحد أعمدة الرواية العالمية والأمريكية خاصةً (1835- 1910).

نزع إلى كتابة أدب أمريكي خالص، يُعبر عن الزنوج والفلاحين والمهاجرين، فقدم أعمالاً تكشف مدى البؤس والرثاثة التي تخيم على هذا العالم، بعيدًا عن تقاليد الأدب الأوربي. تتسم أعماله بالسخرية اللاذعة، الوجه الآخر للألم، وأرجحة القارئ على الحد الفاصل بين الضحك والبكاء. وقد اعتبره الكثيرون الأب الشرعي للأدب الأمريكي، واعتبروا روايته "مغامرات هكلبيري فِن" أعظم رواية أمريكية. قال عنها "هيمنجواي": "**إن كل الأدب الأمريكي ينبع من رواية "هكلبيري فِن"، وهي أفضل رواية أنتجها الأدب الأمريكي حتى الآن**".

من أهم أعماله: "**الضفدع الوثاب**" (1865)، و"**سُذج خارج البلاد**" (1869)، "**مغامرات توم سوير**" (1876)، "**الحياة في الميسيسبي**" (1883)، و"**مغامرات هكلبيري فِن**" (1884).

المترجم: نصر عبد الرحمن

روائي ومترجم. صدر له: "**أحلام العرائس المتحركة**" (مجموعة قصصية- 1999)، "**طقوس التخلي والندم**" (مجموعة قصصية- 2000)، "**والنار**" (رواية-2003)، "**قبلة النهايات السعيدة**" (رواية- 2008)، "**حبيبتي مروة**" (رواية- 2012).

فاز بجائزة الترجمة في المسابقة المركزية للهيئة العامة لقصور الثقافة، عن ترجمة ديوان شعر عن اللغة الانجليزية "**أن تلمح فراشة**" 2013.

fb/mashro3pdf

## صدر من سلسلة "المائة كتاب"

1ـ ثيرفانتيس: **دُون كيخوته**، ترجمة وتقديم الدكتور عبد الرحمن بدوي؛

2ـ خُوان رولفُو: **بيدرُو بارَامُو**، ترجمة شيرين عصمت، تقديم محمد إبراهيم مبروك؛

3ـ فرانتس كَافكا: **المحاكمة والمسخ**، ترجمة محمد أبو رحمة؛

4ـ هنريك إبسن، **بيت الدُّمية**، ترجمة زينب مبارك، تقديم د. كمال الدين عيد؛

5ـ إيتالو كالڤينُو: **لو أنَّ مسافرًا في ليلة شتاء**، ترجمة حسام إبراهيم؛

6ـ وليم بليك: **أغنيات البراءة والتجربة**، ترجمة حاتم الجوهري، تقديم د. ماهر شفيق فريد؛

7ـ البير كامي: **الغَريب**، ترجمة وتقديم عاصم عبد ربه؛

8ـ أونُوريه دو بَلزَاك: **الأب جُوريُو**، ترجمة محمد محمد السنباطي؛

9ـ وليام فوكنَر: **الصَّخَب والعُنف**، ترجمة محمد يُونس؛

10ـ والت ويتمان: **أوراق العُشب**، ترجمة وتقديم سعدي يوسف؛

11ـ تشينوَا أتشيبي: **أشياءٌ تتداعَى**، ترجمة وتقديم عبدالسلام إبراهيم؛

12ـ ليڤ تولستُوي: **وفاة إيڤان ڤاسيليڤتش**، ترجمة مها جمال؛



fb/mashro3pdf

13ـ دُوني ديدرو: **جاك القَدَري**، ترجمة وتقديم حسن عبد الفضيل؛

14ـ نيقوس كزانتزاكيس: **زوربا اليوناني**، ترجمة وتقديم د. محمد حمدي إبراهيم؛

15ـ فدريكو غارثيا لوركا: **الأغاني الغجريَّة**، ترجمة وتقديم عبد الهادي سعدون؛

16ـ كنوت هامسون: **جُوع**، ترجمة شرقاوي حافظ؛

17ـ جوزيف كونرَاد، **قلب الظَّلام**، ترجمة مدحت طه؛

18ـ صامويل بيكيت، **في انتظار جُـودُو**، ترجمة رانيا خلاف، تقديم: د. محمود نسيم؛

19ـ جورج أورويل، **1984**، ترجمة وتقديم عمرو خيري.



fb/mashro3pdf

شركة الأمل للطباعة والنشر
(مورافيتلى سابقا)
ت: 23904096 · 23952496

fb/mashro3pdf

سلسلة

آفاق عالمية

«مُغامرات هكلبِيري فِن» هي دُرة مارك توين، المؤسس الكبير لحداثة الرواية الأميريكية، وإحدى الدُرر الباهرة للرواية العالمية. رواية تُدخل إلى الأدب الأمـريكي –لأول مرة– المهمشين من الزنوج والفلاحين والمهاجرين، لتعرّي البؤس والرثاثة التي تخيم على هذا العالم، بعيدًا عن تقاليد الأدب الأوربي. وقد اعتبره الكثيرون الأب الشرعي للأدب الأمريكي، واعتبروا روايته «مغامرات هكلبيري فِن» أعظم رواية أمريكية. قال عنها «هيمنجواي»: "إن كل الأدب الأمريكي ينبع من رواية «هكلبيري فِن»، وهي أفضل رواية أنتجها الأدب الأمريكي حتى الآن".

وهي أول ترجمة عربية «كاملة»، دقيقة، بلا حذف أو وصاية، لتتجلّى خلالها السمات الأسلوبية الفريدة لمبدع فريد.

fb/mashro3pdf

الهيئة العامة لقصور الثقافة
www.gocp.gov.eg

الثمن: ستة جنيهات